عباس محمود العقاد

يوميات

٣

الطبعة الثانية

دار المعارف

oberkandl.com

الطبعه الأولى: ١٩٧٠ مؤسسة دار الشعب - القاهرة
الطبعه الثانية: ١٩٨٤ مؤسسة دار المعارف - القاهرة

obeikandl.com

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

مقدمة الطبعة الأولى

لا يستطيع القارئ أن يحصر الفائدة التى يجنيها من قراءته «ليوميات العقاد» فهى تزيد المعرفة، وتنمى القوة على الإدراك والعمل وتذوق الحياة.

وفى هذه المجموعة من «يوميات» - أستاذنا العقاد - يرى القارئ أن صاحبها قد استلهم موضوعاتها من وحى عصره الذى عاش فيه وأرسلها فى أغلب الأحيان جواباً عن سؤال أو استفسار، واتصفت جميعها بصفات العقاد فجمعت الحجة الدامغة والسند المفحم واللغة والخبرة بالناس والأشياء والأذواق، وهى فوق هذا وذاك دليل على قدرته على الإنتاج فى سنواته الأخيرة[1]. وهذه من صفات الأدب الواسع المنتج كما يقول الشيوخ من النقاد.

وتتسم هذه الموضوعات أو المقالات التى احتوتها هذه المجموعة بالسمات التى يدل عليها عنوان «اليوميات والصحفيات» وهى امتداد المجال وتجدد المناسبات، وسهولة التناول وسرعة المساجلة فى حينها بين النقد والرد، أو بين السؤال والجواب..

على هذه الأسس من الحقائق الثابتة، نستطيع أن نقدم هذا الجزء من «يوميات العقاد» برغم أننا نعلم أن كتب هذا المفكر العملاق كلها وبدون استثناء قيمة وغنية عن التقديم والتعريف. وكل كتاب منها يقدم نفسه إلى القارئ الذى يكفيه أن يلمح اسم الكتاب ليدرك أنه أمام بحث عميق شامل لكل ما يمكن أن يقال أو يكتب فى الموضوع الذى اختار العقاد الكتابة فيه..

فإذا كان كل كتاب من مؤلفات أستاذنا العقاد تغنى قراءته عن الاطلاع على عدة كتب فى موضوعه، فإن هذا الكتاب يغنى عن أكثر من مائة كتاب،

(١) كانت وفاته بالقاهرة فى ١٢ من مارس سنة ١٩٦٤ عن عمر ناهز الرابعة والسبعين ودفن ببلده

حتى لنستطيع القول وبحق، إنه موسوعة فى الأدب بكل ألوانه من شعر ونثر وقصة وترجمة وسيرة.

وإذا كانت البنية البشرية لا تستغنى بحال من الأحوال عن الغذاء.. فكذلك الفكر لا يستغنى عن غذائه من المعرفة والعلم. وكما تتنوع الأطعمة بالنسبة للجسم كذلك تتنوع الأطعمة بالنسبة للفكر.. وإن هذا الكتاب لمائدة حافلة، حافلة بأشهى الغذاء الفكرى وأروعه وأكثره قيمة وفائدة.

«يوميات» بل أيام بين الكتب.. قضاها العقاد يقرأ ويطلع ويفاضل. ثم اختزنها فى عقله الكبير حتى أخرجها للناس وجمعها فى نهاية المطاف فى هذا الكتاب وسابقيه[١]. فكان ثروة فكرية وذخيرة أدبية لكل راغب فى البحث والاطلاع والمعرفة.

ولم يفت العقاد العملاق أن يصحح فى أكثر من موضع فى هذا الكتاب تاريخ مرحلة من أهم مراحل القضية المصرية ومراحل الحياة الدستورية فى وقت واحد، ويكشف من خلال ذلك تلك المؤامرات والدسائس التى كانت تحاك من وراء الستار بمعاونة المستعمر والقصر، لتفوت على الأمة حقها المشروع فى حكم نفسها بنفسها. «يراجع موضوع التاريخ ظالم أو مظلوم صفحة «٧».

كذلك لم يفت العقاد أن يعالج بقلمه العملاق، خلال صفحات هذا الجزء من اليوميات، قضايا الشباب والمجتمع والمطالبة بتعليم الشباب معانى المسئولية (صفحة«٢٢» وما بعدها). هذا إلى جانب موضوعات سى نضيف لثقافة القارئ الكثير عن المدارس الأدبية وأعلامها المبرزين من أمثال لورنس دوريل وجويس وغيرهما..

---

(١) صدر الجزءان الأول والثانى عن دار المعارف للطباعة والنشر فى سنة ١٩٦٤ وسنة ١٩٦٦ وأعيد طبع كل منهما أكثر من طبعة حتى الآن.

هذا إلى جانب موضوعاته الأخرى عن فن الغناء والرسم والتصوير بمدارسه القديمة والحديثة وخلاصة رأيه فى كل منها.

وباختصار يمكننا القول بأن صفحات هذا الجزء قد حوت الأدب والأدباء، الشعر والشعراء، الفلاسفة، النقد والنقاد، الحكمة والحكماء، التأريخ والمؤرخين، الآراء والمعتقدات، المذاهب الاجتماعية والسياسية، العلم والعلماء، الفن والفنانين غربيين وشرقيين، أقدمين ومعاصرين.

والعقاد - كما لا يخفى على القراء - كان بحرًا فى اطلاعه، وكان يهوى القراءة ويرى فيها أنها الوسيلة لتكبير الحياة وتعميقها وتوسيع آفاقها أو كأنها المجهر الذى يريه ما لا يراه بعينه المجردة من المشاهدات البعيدة أو المشاهدات الخفية. وكان لا يضيع ساعة واحدة فى كتاب لا يعطيه قبساً من شعور أو نفحة من حياة. لذلك كله كان من الضرورى أن تنعكس هذه الثقافة الشاملة على جميع كتاباته وأحاديثه ويلمسها القارئ فى صفحة كتبها العقاد أو كلمة قالها على الأثير.

وتحضرنى فى هذه المناسبة نادرة كان بطلها الأستاذ «أنيس منصور». فقد حدث أن زار العقاد فى إحدى ندواته التى كان يعقدها لتلاميذه كل يوم جمعة. وخلال الحديث اخترع الأستاذ أنيس للعقاد اسم كتاب لمؤلف أوربى معروف. فإذا بالعقاد يصمت لحظة ويقول له: هذا الكتاب يا مولانا لم يظهر فى أية لغة، ولم أقرأ خبراً أو إعلاناً عنه. فضحك الحاضرون وازداد إعجابهم بأستاذهم العملاق.

هذه النادرة تدل دلالة قاطعة على سعة اطلاع الرجل وقوة ذاكرته، الأمر الذى جعل بطل هذه النادرة - وأعنى به الأستاذ أنيس منصور - أن يقول عنه عقب وفاته:

«... كانت حياته رهبانية للفكر وسلسلة من الشجاعة وتكريماً للقلم ..

ولذلك فأنا لا أصوره وإنما فقط أشير إليه كما تشير إصبع صغيرة إلى هرم كبير[١]».

بقيت لنا كلمة فى ختام هذه التقدمة وهى أننا إذ نتقدم بهذا الجزء من «يوميات العقاد» للقارئ الصديق نرجو أن يتقبلها كما تقبل جزءيها الأول والثانى من قبل.

وندعو الله أن يوفقنا لإخراج الجزء الرابع منها وبذلك نكون قد أتممنا جزءاً كبيراً من نعم العقاد الثقافية علينا وعلى الأجيال القادمة من القراء الأعزاء.

ولا يفوتنى أن أشيد بفضل الأستاذ «السيد إبراهيم» رئيس مجلس إدارة دار الشعب للطباعة والنشر الذى قام بنشر هذا الجزء وتوزيعه على القراء. كذلك لا يفوتنى أن أشكر جميع الزملاء الآخرين من العاملين «بدار الشعب» للطباعة على صدق معاونتهم لنا على طبع وإخراج هذا الكتاب بهذه الصورة اللائقة.

والله يوفقنا جميعاً لما فيه خدمة الفكر والثقافة إنه نعم المولى ونعم النصير.

مصر الجديدة فى : ١٩٧٠/٧/٢٠

عامر العقاد

(١) يسقط الحائط الرابع للأستاذ أنيس منصور الطبعة الثانية سنة ١٩٧٠ صفحة ١٦١.

التاريخ ظالم أو مظلوم*

كلما راجعنا حوادث الحاضر والماضى ثبت لنا ثبوتاً قاطعاً أن التاريخ لا يكتب من نسخة واحدة، وأننا إذا أردنا أن نصل إلى الحقيقة فى حادثة كبيرة أو صغيرة كان علينا أن نقرأ تاريخها من صديق ومن عدو، ومن محايد ومن مستقل لا يبالى الخصومة والحياد، ومن مؤرخ نزيه يحسن الفهم والتعقيب على مختلف الروايات، ثم نغبط أنفسنا بعد ذلك أن وصلنا إلى الحقيقة بغير تحريف أو التواء.

وكأننا لم نكتب فى هذه المقالات ما فيه الكفاية لبيان هذه الحقيقة القديمة الجديدة الباقية بعد كل تاريخ، فوجب أن نزيد شيئاً عليها يمتد بها خطوات بعد ما ذهبنا إليه، إذ ليس تاريخ الموتى هو المركب الصعب دون غيره، بل مثله فى الصعوبة - أو أصعب - منه أن نكتب التاريخ عن الأحياء.

وكاتب هذه السطور حى يؤرخ ويكتب فى الصحف، ولا يمنع ذلك أن يقال عن شخصه وعن رأيه ما يخالف الواقع وتثبت مخالفته بأقل تحقيق.

وقد أشيع عن شخصه ما تأبى عليه الأنفة أن يعنى بتكذيبه وما لم يعرض له بالتصحيح إلا بعد كتابته بنحو عشرين سنة، على سبيل الفكاهة وضرب الأمثال لا على سبيل الدفاع والاهتمام.

ولولا هذه المناسبات الفكاهية لكان معذوراً فى المستقبل من يزعم أن العقاد تزوج وأهمل زوجته فخرجت تتسكع فى الحانات والمواخير، لأنه لا يعود إلى منزله قبل الصباح.

ولكن معذوراً من يزعم أنه ابن «بخيته الزنجية» الغسالة فى بلاد النوبة

* اخبار اليوم ١٩٥٣/١٢/١٩.

وقد صدّق هذا «التاريخ» أديب حسن القصد وعلل به حرارة العاطفة وحدة الغضب فى نفس العقاد.

ولكن معذوراً من يصدق أنه كائن غريب يموت من الجوع ويملأ جيبه أو جيوبه جميعاً بعشرة آلاف جنيه...لأنهم قالوا ذاك يوم خرج من الوفد وحمل على الوزارة النسيمية فشمتوا به لأنه سيموت من الجوع وشهروا به لأنه قبض عشرة آلاف جنيه!

وهذه الأقاويل لم نكن نباليها ولا نبالى من يقولها ومن يصدقها، ولكننا فى الواقع نعتقد أننا مقصرون فى السكوت عن «تواريخ» كثيرة من هذا القبيل، ومنها ما نعلمه نحن، ولا يعلمه غيرنا كما نعلمه، لأننا شهدناه واشتركنا فيه ولا نخال أنه يكتب على صحة إذا لم نعرض له بالتصحيح أو التعديل..

أهم مراحل القضية المصرية:

وبعض هذه «التواريخ» يتعلق بمرحلة من أهم مراحل القضية المصرية وأهم مراحل الحياة الدستورية فى وقت واحد، وإظهار الحقيقة فيه لا يحتاج إلى أكثر من الإشارة إلى وقائع معلومة وكلام مسطور منشور.

ولنضرب هنا مثلا أو مثلين:

نضرب المثل - أولا - بما قرأنا فى مذكرات السيدة فاطمة آل يوسف فى هذا الأسبوع عن موقفنا من الوفد، وموقفنا من الوزارة النسيمية.

ولا نطيل فى النقل والتعليق، بل نذكر ما حدث كما تمليه البينات والوثائق والكلام المسطور المنشور.

مهمتان نسيميتان:

تولى توفيق نسيم الوزارة مرتين لغرض واحد، وهو تبديل الدستور وتضييق سلطة الأمة فيه بموافقة الحزب الأكبر فى مصر، وهو حزب الوفد أو حزب الكثرة الساحقة..

وسنحت لى الفرصة فى المرتين أن أحبط هذه المناورة البارعة، فحبطت فى المرة الأولى وفى المرة الثانية بحمد الله..

حاول إسماعيل صدقى أن يضيق حدود الدستور فباء بالفشل بعد تجربته المعروفة سنة ١٩٣٠.

فقامت وزارة نسيم بعد تمهيد الطريق تجرب هذه المحاولة بالأسلوب «النسيمى» المعهود، وهو أسلوب التحذير والتنويم.

واعتقد النحاس يومئذ أن الوزارة النسيمية مقدمة للوزارة النحاسية، وأنها لا تلبث أن تهئ الجو للانتخابات وتحسين العلاقات حتى يرجع الوفد إلى سلطانه السابق فى البرلمان، وفى الدواوين.

واعتقدت أنا أن نسيماً يعمل لحساب طويل، وأنه لم يأت إلى الوزارة لمهمة تنتهى بعد شهور معدودات...

هل هو علم بالغيب:

ولم أكن أعلم الغيب ولا أدعى علمه، ولكننى حسبتها بعلاماتها الواضحة الظاهرة لمن شاء أن يلمحها، لولا غشاوة المطامع والأغراض.

اعتقدت ذلك لأسباب عدة: منها أن نسيماً قال فى بيانه إنه سيعيد للأمة دستوراً ترضاه، ولا حاجة إلى هذا اللف لو لم يكن فى النية تبديل الدستور.

ومنها أن وزارته ضمت بين أعضائها وزراء من الشبان أصحاب المراكز المضمونة، وعملهم فى الدولة أسلم من عمل ينتهى بعد أربعة أشهر أو خمسة ثم لا منصب ولا معاش ولا وزارة.. فلو لم تكن مهمة الوزارة تستغرق سنتين على الأقل لكان بقاء هؤلاء الموظفين الكبار فى وظائفهم أصلح لهم ولتلك الوظائف على كل اعتبار.

ومنها أننى أعرف سوابق توفيق نسيم فى محاولة التعرض للدستور خفية بموافقة الكثرة الوفدية، وقد سنحت لى الفرصة لإحباطها بحمد الله كما سنبينه بعد قليل..

obeikandi.com

ولقد فاتحت النحاس فى ذلك فلم يصدق، وفاتحت النقراشى رحمه الله فلم يوافق ولم يخالف، وتحفظ فى أجوبته وأوصانى بالانتظار.

ولكننى تناولت الوزارة النسيمية بالنقد، فجزتنى على ذلك باضطهاد أصدقائى من الموظفين.

وجاءت مسألة «الخبير الاقتصادى» الذى يكون له «حق الاتصال» بالوزير وجاءت الأزمة الدولية التى استحكمت حول حرب الحبشة، وتعاقبت النذر بما نخشاه من دخولنا الحرب غير مستقلين ..

توفيق نسيم عبيط:

فاشتدت لهجتى فى النقد وتضاعفت هذه الشدة حين قال لى النحاس: إن الرجل عبيط على نياته... لقد أفهمته معنى «حق الاتصال» «فاستغرب وحوقل».

وتوالى التنبيه من جانب الوفد، بوجوب الاعتدال، وتوالت حملاتى على الوزارة النسيمية إلى أن كانت تلك الجلسة التاريخية برمل الإسكندرية وقال النحاس كلمته الجافية لى، وقلت له كلمتى الأخيرة، وخرجت من ثمة معولا على الانفصال...

ولا نعيد تفصيلات تلك الجلسة، ولكننا نكتفى بآخر ما قيل فيها.

قال النحاس: ماذا تصنع يا سيد عباس؟ إن الإنجليز يؤيدون الوزارة، وأنا زعيم الأمة أؤيدها، والأمة معى... فماذا تصنع أنت بقلمك يا سيد عباس ؟؟

وقلت للنحاس وأنا أشير إلى أعضاء الوفد المجتمعين «لمحاكمتى» فى مجلسه:

- أنت زعيم الأمة لأن هؤلاء انتخبوك ولكننى لست كاتباً بالانتخاب. ثم رفعت الطبقة إلى حيث ينبغى أن ترتفع، وقلت له: قلمى هذا الذى تستضعفه سيسقط لك الوزارة النسيمية قبل أن ينبرى... وسترى عما قريب.

وقد سقطت الوزارة النسيمية فعلا أن قبل ينبرى ذلك القلم.. ولا تزال بقيته عندى بعد أن تركت الكتابة بالقلم الرصاص، واضطر الوفد إلى سحب تأييده للوزارة النسيمية، وقال الأستاذ عبد القادر حمزة يومئذ فى البلاغ إن الوفد مكره لا بطل فى سحبه لذلك التأييد، وأنه لولا الحملة عليه فى صحيفة روز اليوسف اليومية لأيدها إلى النهاية.

ودارت الأرض بمن عليها فأصبحت حفلات الوفد تقام بحماية البوليس، وأقيمت حفلة الخطاب الذى ألقاه محمد محمود رحمه الله بقصر الجزيرة فحضره نيف وعشرون ألفاً من الشبان المتعلمين ومن جمهرة الشعب، ولم يبق فى القصر ولا حواليه موضع قدم للمزدحمين على سماع الخطاب..

قالت السيدة فاطمة آل يوسف فى الصفحة ١٧٤ من مذكراتها إن رسولا جاءها وطلب أن يقابلها على انفراد ثم قال لها: «إن دار المندوب السامى البريطانى تعرض عليك أن تدفع لك خمسة آلاف جنيه دفعة أولى، ثم ألف جنيه شهريا لمدة طويلة، إذا أوقفت الحملة نهائيًا على الوزارة».

وأنا أعلم أننى خرجت من تحرير صحيفة «روزاليوسف» اليومية، وعولت على إنشاء صحيفة مستقلة، واتفقت مع المرحوم الأستاذ عبد الحميد حمدى صاحب «الضياء» على إصدارها فصدرت واحتجبت قبل أسبوعين.

فى ذلك الوقت قيل: من أين جاء العقاد بالمال الذى يكفى لإصدار جريدة يومية.. الآن نقول من أين جاء ذلك المال.

تبرع به الرجل الهمام إبراهيم عامر (باشا) رحمه الله، ولم يكن من المستطاع أن يظهر بهذا التبرع، لأنه صاحب أعمال تجارية كبيرة فى مصر والسودان، وظهوره بالمعاونة على تلك الحملة العنيفة يومئذ يعرض أعماله كلها للخراب فسمحت نفسه بالإنفاق على معدات الصحيفة ووعد بالمزيد عند الحاجة إليه، فلم أسمح لنفسى بطلب المزيد منه بعد أن علمت أن الصحيفة قد حوربت فى الأسواق حرباً لا هوادة فيها، ولو كان مالى الذى أنفق منه لمضيت فى الإنفاق

حتى ينفد، ولكنه مال لا أستبيح التضحية به على غير جدوى..

وخلاصة الحكاية كلها أن السياسة البريطانية اعتبرت بالدرس واعتقدت أن تأييد النحاسيين لوزارة من الوزارات لا يكفى وحده لضمان التأييد من الرأى العام، وأشفقت أن يتسع باب النقد فى أثناء المفاوضات، فأرادت أن تغلق ما استطاعت أغلاقه من ذلك الباب.

وبعد، فإننى لم أخرج من تحرير «روزاليوسف» اليومية للسبب الذى ذكرته السيدة فى كتابها.

والسبب الذى ذكرته فى كتابها هو كما جاء فى الصحيفة ٢٠٩ :

«..فى إحدى المرات أرسل لنا العقاد مقالا كتبه صديق له اسمه «أبو سيف» على ما أذكر قد ملأه بالمطاعن الجارحة.. وأطلعنى كامل الشناوى على المقال، فرأى عدم نشره وتناقشنا فى الموضوع طويلا، وقال لى الحاضرون إن عدم نشره سوف يغضب العقاد، فما كان منى إلا أن أخذت المقال فمزقته وألقيته فى سلة المهملات.. وفى الصباح لم يجد العقاد مقال صديقه فى الجريدة فذهب إلى جريدة الأهرام فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٣٥، وكتب فيها بياناً يقول فيه إنه تخلى منذ أمس عن التحرير فى جريدة «روزاليوسف».

إننى لم أخرج من تحرير الصحيفة لهذا السبب، وليس بالسيدة حاجة إلى مراجعة ذاكرتها فحسبها أن تراجع العدد ٢٣٨ من السنة الأولى لترى فى الصفحة الرابعة منه مقال الأستاذ كليم أبى سيف منشوراً فى أحسن مكان مخصص لتلق المقالات، وربما كانت السيدة تجهل السبب الصحيح، ولكنه غير ما ذكرته على التحقيق..

قبل تحطيم أكبر رأس:

أما المناورة الثانية التى كان من حظى أن أحبطها لتوفيق نسيم أو القصر على الأصح، فهى مناورته بعد تسليم الدستور للتغيير والتبديل فيه تضييقاً

لسلطة الأمة وتوسيعاً لسلطة القصر والحاشية، وتدبير ذلك كله بموافقة الأكثرية الوفدية.

كان سعد يومئذ منفيًا فى جبل طارق وكان رجال الوفد الأولون مسجونين فى معتقل ألماظة، وكان الوفد القائم مؤلفاً من المصرى السعدى بك وزملائه، وكان توفيق نسيم يعتقد أنه يطوى هذا الوفد بالمجاملات والكلمات الطيبات، فكتب فى جواب مذكرة الاحتجاج من دار المندوب البريطانى على قتلى الإنجليز يقول لهم هذه الحوادث ترجع إلى تجاهل الأكثرية، وطفق يدعو أعضاء الوفد إلى المقابلات الخاصة وإلى صلاة الجمعة مع الملك فؤاد بمسجد عابدين، وكانت صحيفة الأفكار - لسان حال الوفد يومئذ - بجوار مدخل القصر من ناحية المسجد، فكنا نرى هذه الاتصالات ونستريب بما وراءها، وبالغ توفيق نسيم فى المجاملة فرخص للأستاذ عبد القادر حمزة بإصدار صحيفة يومية باسمه، بعد حرمانه هذا الحق على عهود الوزارات السابقة.

ولم يبق بعد هذه المناورة، فى تقدير توفيق نسيم، إلا أن يصدر الدستور مبدلا معدلا، ثم تدخل الأكثرية ميدان الانتخاب على أساسه فلا يرتفع صوت بالاحتجاج عليه، ومن ذا الذى يسمع له صوت فى الاحتجاج عليه بعد (أكثرية) الأمة.. ؟ أهى الأقليات.. ؟ إنها بعد الأكثرية لا يقام لها وزن.. أهم الإنجليز.. ؟ ما شأنهم بين شئون النيابة والنواب..

يظن بعضهم أن نقمة القصر على كاتب هذه السطور قد بدأت من يوم الوعيد «بتحطيم أكبر رأس يعتدى على الحرية والدستور.. ».

كلا فى الحقيقة، فإنما بدأت هذه النقمة من قبل صدور الدستور، بدأت فى اللحظة التى حبطت فيها أكبر المناورات خطراً على حياتنا النيابية، واتخذت فيها صحيفة الوفد سلاحاً للهجوم على تلف المناورة، بعد أن تمهدت السبل - على تقدير توفيق نسيم - لتبديل الدستور بإقرار ذوى الشأن الأول فى ميدان الانتخاب.

ففى السادس من أكتوبر سنة ١٩٢٢ كتبنا نقول: «إن الجمعية الوطنية ما كانت لتبدأ قبل أن تقرر من المبادئ وتعلن من الآراء ما لا يوافق السياسة الخفية التى تم عليها الاتفاق وتراضى عليها الفريقان»..

ولما ذهبت وزارة ثروت باشا وقامت الوزارة الجديدة كتبنا نقول فى السابع والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٢٢ «كان من المفروض أن تجرى هذه الوزارة الجديدة على خلاف سابقتها وأن يكون رأى لها فى الدستور غير رأيها، ولو أن الوزارة الماضية تركت الدستور نافذاً مقرراً لفهمنا عذر خليفتها فى قبوله والتسليم به، ولكنها تركته قيد التنفيذ بين أيدى من يخلفها».

وواصلنا الحملة فى أوائل سنة ١٩٢٣ فقلنا إن مشروع الدستور لم يتقدم خطوة فى هذا الأسبوع، فلا يزال كما تركته الوزارة الماضية معروضاً لمراجعة مجلس الوزراء بعد مراجعة اللجنة التشريعية ولا تزال الإشاعات تتردد عن إصرار الإنجليز على حذف المادة الخاصة بالسودان فالفرصة إذن سانحة لتذكير الوزارة برأى الأمة فى هذا الدستور، وإنها تطلب منها إصلاحه قبل عرضه على جلالة الملك، ولا تقبل بحال من الأحوال حذف الإشارة الواردة فيه إلى السودان ولو أدى الأمر إلى وقف العمل وصرف النظر عنه.. ونحن نكرر للوزارة أن بدء الانتخابات الآن هو خير مخلص لها من المأزق الذى هى فيه وأشرف حل تستطيعه لمشكلة الدستور، فإذا اجتمع للأمة بعد شهر أو شهرين مجلس نيابى صحيح التمثيل، لم تعمل الأغراض فى ترشيح أعضائه ولم تتدخل الإدارة فى محاباة حزب من أحزابه فقد تسلمت الأمة زمام أمرها وأصبحت صاحبة الرأى الأول والأخير فى قضيتها..».

كان من المتعذر إسكات هذه الصيحة فى صحيفة الوفد، وكان من المستحيل أن يقول أحد لكاتب هذه السطور إن السكوت عن تبديل الدستور مطلوب ومقبول، وقد بدأت الحملة بطلب دستور أكمل وأوفى بحقوق مصر

والسودان، فليس من المعقول أن نرضى بالدستور وقد نقص واعتراه المسخ بعد تسليمه من الوزارة الثروتية.

كانت هذه الحملة أشبه بالصيحة المفاجئة والوزارة النسيمية تتسور فى جنح الظلام، فلما فاجأتها الصيحة وقفت عند السور لا تجسر على الصعود وهى منظورة من جانبيه.

مناورتان للوزارة النسيمية من صنف واحد، وارتباط المناورتين معاً لا يفهم على جليته بغير ما قدمناه..

obeikandl.com

المجتمع «يدلل» الشباب*

بين أيدينا أسئلة لا تهمل لأنها - فيما نعتقد - صادرة عن نية حسنة فى موضوعات عصرية تختلف عليها وجهات النظر، ولكننا لا نرى حاجة إلى إثبات الأسئلة بنصوصها حيث يدل الجواب على السؤال.

ومسئولية المجتمع عن أخطاء الشباب أحد هذه الأسئلة، لأنها فكرة تخطر لأناس كثيرين غير دجاجلة السياسة والاجتماع، ممن لا يستحقون المناقشة بالدليل.

والآراء التى يشير إليها صاحب السؤال تتلخص فى رأى الدكتور مصطفى صفوان أستاذ علم النفس بجامعة عين شمس، وجملته كما جاءت فى الأخبار الجديدة: «إن المجتمع الحاضر لا يساعد الشاب ولا يأخذ بيده.. بينما كانت المجتمعات البدائية تهئ كل شيء للفرد وتفكر له فى طفولته وشبابه ورجولته، وإذا ولد احتفلت به وإذا بلغ احتفلت به وإذا تزوج سبقته إلى الحفاوة..»

ويبدو من هذا الإجمال أن الأستاذ يعنى «بالمجتمعات البدائية» تلك المجتمعات التى لا وجود فيها للفرد مستقلا بإرادته وفكره عن الجماعة، والتى تحل فيها المشكلات جميعاً بالتابوات Taboes وأشباهها من التقاليد الموروثة، وكلها مجتمعات لا محل للمقارنة بينها وبين ما نحن فيه أو ما نصير إليه مع الحضارة.

أما المجتمعات التى تنعقد المقارنة بيننا وبينها فنحن نرى أن عنايتها بالشاب أقل من عناية المجتمع الحاضر به من وجوه كثيرة.

فقد كانت سن التعليم فى المجتمعات السابقة تنتهى عند الثانية عشرة أو

---

* أخبار اليوم ١٩٥٦/٨/٤

الخامسة عشرة على الأكثر، وكان ميلاد الطفل لا يذكر ولا يكتب للذكرى، وكانت ألعابه محتقرة ينبو عنها الكبار وينهرونه إذا وجدوه مشتغلا بها فى ساعات الفراغ، وكانت الرياضة التى يسمح له بها - كالفروسية وما إليها - وقفًا على طبقة واحدة دون سائر الطبقات.

أما المجتمع الحاضر فقد تمتد فيه سن التعليم إلى الخامسة والعشرين وما بعدها، وقد يحتفل بميلاد كل طفل فى موعده فيعلم الطفل أنه عضو مهم من أعضاء الأسرة، وقد تفتح فيه أندية الرياضة للكبار والصغار ولا يحسب اللعب فيه من الصغائر التى يترفع عنها العقلاء.

وإنما الفارق بين مجتمعاتنا وتلك المجتمعات الغابرة أن الشاب كان يتعجل الحسبان فى عداد الرجال المسئولين، وإننا اليوم نريد أن ندلله ونعفيه من اللوم كلما أخطأ عامداً أو غير عامد كرامة «لخاطر» فرويد وزملائه من أصحاب العقد والمركبات، ولم تكن هذه العقد والمركبات معدومة فيما مضى ولا كانت قليلة الأثر فى الحياة، ولكنها كانت فى موضعها لا تجوز على كل موضع فى النفس أو فى المجتمع، لأننا عرفناها بأسمائها الحديثة وحسبناها مسوغاً للنقص بدلا من حسبانها عرضاً يوجب العناية بالعلاج، ويلق هذا الواجب على المريض كما يلقيه على الصحيح.

ولا نزال نقول إن العلم بالأمراض النفسية أو الجسدية لا يسوغها ولا يحبذها من باب أولى، وإن الشعور بالمسئولية حالة نفسية لا غنى عنها فى جميع الأحوال.

الواقعية :

أما السؤال عن الواقعية فالجواب عنه أن تعريف الكاتب الواقعى فى كلمتين «إنه هو الكاتب الذى يصف الحياة كما هى فى الواقع».

فليس من الواقعية أن نصف الحياة خلواً من الآمال والأشواق والأحلام، لأن الواقع أن الإنسان يحلم وينقاد فى أعماله لأحلام خياله وأحلام هواه.

ولسنا كما يظن صاحب السؤال نحرم على الكاتب أن يفضح رياء المجتمع وأباطيله التى يراها صاحب الفكر الصريح.

ولكننا ننكر على الكاتب أن يخلط بين الرياء وبين الحياء، لأننا نستر الكثير من أعمالنا حياء ولا نسترها جميعاً من قبيل. الرياء والولع بالأباطيل.

ونحن لا نحجم عن الخروج إلى الشارع بالمباذل البيتية رياءً وولعاً بالأباطيل، وإنما نحجم عن ذلك حياءً منا لا نخدع به أحداً، لأن « الخادع والمخدوع » سواء فى العلم بما يستران وما يبديان.

ومن أبى أن يقضى ضروراته علانية فليس هو بالمخادع المنافق على زعم الواقعيين، بل هو إنسان يعرف الحياء الذى ينبغى أن يعرفه كل إنسان.

وليس الخلاف هنا خلافاً بين واقعيين وخياليين، وإنما هو خلاف بين عقلية العبيد وعقلية الأحرار فيما يجوز وما لا يجوز.

فالعقلية المستعبدة ترد كل شىء إلى الخوف وتمتنع عن المحظورات خوفاً من غيرها ولا تمتنع عنها بوازع من ضميرها، لهذا تحسب الخروج على الممنوعات جميعاً شجاعة مشكورة تدل على امتناع الخوف أو الإقدام على المخيف المحظور.

أما العقلية الحرة فإنها تمتنع عن كثير لا يمنعها أحد عنه، ولا مانع له غير الحياء ورعاية الذوق والضمير.

فالواقعيون الذين يعنيهم صاحب السؤال ينكرون الحياء ولا ينكرون الرياء، وفضيلتهم فى ذلك أنهم عبيد يفكرون تفكير العبيد، إن صح أن هذا التفكير فضيلة فى عرف أحد من الآدميين.

وما كانت هذه الواقعية مذهباً حديثاً حتى فى مصطلحات أصحاب البدع

والتفانين من المشعوذين فى الآداب الغربية، فإن هؤلاء المشعوذين قد أنكروا الواقعية زمناً وسموا أنفسهم باللاواقعيين Non- Realists، وحيناً بفرق الواقعيين Sur-Realists ثم أعرض عنهم طلاب البدع كما يعرضون عن كل بدعة تبليها السآمة والتكرار، ونسيتهم الآداب - والفنون أو كادت تنساهم فى هذه السنوات.

وإذا طوينا صفحات هؤلاء المشعوذين فالواقعية من أقدم المذاهب فى الآداب العالمية، لأن هوميروس كان يتكلم عن الواقع وهو يتكلم عن أساطيره وأبطاله وأباطيله فى عقول أبناء جيله، ولأن «ألف ليلة وليلة» كانت من الأدب الواقعى يوم كانت تتكلم عن جزائر الواق وقماقم سليمان. إذ كان كل هذا واقعاً يؤمن به الأحياء «العمليون» كما نؤمن اليوم بالأقمار الصناعية، والرحلة إلى الكواكب والنجوم.

اللغة والجهل :

والسؤال عن اللغة العربية يقول صاحبه متحيراً فى غير حيرة : إلى متى يبق أبناء اللغة العربية مضطرين إلى التعلم ليكتبوا ويقرءوا على خلاف اللغات الأخرى التى لا فرق فيها بين لغة الكتابة ولغة الكلام؟

وظاهر من السؤال أن صاحبه يعتقد أن اللغة العربية قد انفردت بين اللغات بهذه الضرورة، وهو اعتقاد يخالف الواقع لأن التعلم فى اللغات جميعاً ضرورى لكل إنسان يريد أن يحسن الكتابة العلمية والفنية، ولا توجد لغة تستحق أن يكتب فيها شيء وتكون كتابتها مقصورة على الأشياء المبذولة التى لا يجهلها إنسان، فإن الكتابة لم تخلق لتسجيل جهل الجهلاء أو لتسجيل المعلومات الشائعة التى يتساوى فيها من تعلم ومن لم يتعلم، ولكنها خلقت لكى تنقل إلى الكثيرين ما يمتاز بعلمه القليلون. ومن أبى التسليم بهذه الحقيقة فليكتب ما يشاء وليقل ما يشاء وليسمع كلامه من يشاء، فلن يزول من الدنيا

obeikandl.com

أمتياز الفكر والذوق وامتياز الكتابة والقراءة، إلا إذا قضى عليها بالفناء.

وليعلم صاحب السؤال أن الناس يتعلمون شيئاً ليطبخوا، ويتعلمون شيئاً ليخبزوا، ويتعلمون شيئاً ليلبسوا، ويتعلمون شيئاً ليرقصوا أو لا يقال لهم لماذا لماذا لا يرقص الناس كما يمشون، وقد خلقت لكل منهم قدمان.

فلا عجب إذن فى أن يتعلموا شيئاً - بل أشياء كثيرة - ليكتبوا ويفهموا ما يستحق أن يكتب، ولا مناص لهم من ذلك طائعين أوكارهين.

وإذا كان لهذه الأسئلة التى تكثر فى أيامنا هذه من سبب جديد، فهو ما ذكرناه من قبل وعدنا إليه فى هذا المقال عن سيئة العصر الحاضر التى لا نجاة له منها قبل القضاء عليها، وهى سيئة الرخاوة عند طلاب السهولة فى جميع مطالب الحياة، وليست الحياة من السهولة بحيث يتوهمها - أو بحيث يريدها - هواة الرخاوة والرخاء.

لماذا تتعلم اللغة العربية ؟

لأننا لابد أن نتعلم أداة العلم والفهم والتفاهم التى لا تبذل فى الطريق، وستكون اللغة مبذولة للعارف والجاهل يوم تكون العلوم والدرسات كافة مبذولة بغير عناء.. ولن تكون.

البدل والعوض :

ويراجعنا صاحب السؤال الأخير فى هذه الأسئلة فى كلمة كتبناها وحق له أن يراجعنا فيها لأنها خطأ سهونا فيه عن الصواب.

قلنا فى اليوميات عن الأشكال الصينية والحروف العربية : «إننا كنا خلقاء أن نرشح أبجديتنا لاستبدال تلك الأشكال الرمزية بها».

والخطأ هنا أن الباء فى الاستبدال تدخل على المتروك من الشيئين، والذين

يستبدلون «الذى هو أدنى بالذى هو خير» يتركون الخير ويرفضون ما هو أدنى منه بديلا عنه.

ولا يجوز عكس ذلك فى الاستبدال إلا أن يكون الاستبدال مضمنا معنى التعويض وهو من قبيل التجوز الضعيف الذى يباح فى بعض الأفعال:

وقد تعوضت عن كل بمشبهه   فما وجدت لأيام الصبا عوضا

ولكن القول المشهور بغير تجوز أقرب إلى الصحة والفصاحة، وأولى بالاتباع.

obeikandl.com

بل علموهم معنى المسئولية*

مسألة الأخلاق بين الشبان - تلك المسألة التى أثارتها «أخبار اليوم» فى هذا الأسبوع - هى من كبريات المسائل التى تستحق منا أن نعنى بها أشد العناية، وأن نبحث فى أسبابها من جميع نواحيها.

ولكننا - مع هذا - نحب أن نضعها فى موضعها بعيداً عن المبالغة التى يمليها الفزع منها. إذ نحن نعتقد أن نسبة الفساد فى أخلاق الشبان العصريين لا تزيد كثيراً على نسبته فى العصور الماضية، ولكننا نشعر بداء العصر شعوراً قويًّا حاضراً لأننا نملك وسائل النشر ونحس بمجموعة الحوادث التى كانوا فيما مضى يحسونها متفرقة متباعدة، وما عدا ذلك من الفوارق بين الجيل الحاضر والأجيال الماضية فهو قليل وإن أحاطت به المبالغة والتهويل.

وليرجع كل منا إلى من يعرفهم من الشبان فى بيئته الحضرية أو الريفية، فإنه سيجد منهم مئات يعيشون على استقامة وكرامة إلى جانب كل شاب يذاع عنه فى الصحف أنه اجترأ على عمل معيب من الرذائل الجنسية، أو رذائل الأخلاق على العموم.

مشكلات الشباب:

وعلينا أن نذكر دائماً أن الأسباب الخارجية، أو أسباب العصر والبيئة - ليست من مخترعات العصر الحاضر دون غيره، وليست مقصورة على جيل من الشبان دون جيل، فإن الدنيا لم تخل قط من المغريات بالفساد، وإن المغريات بالفساد جميعاً لا تسقط التبعة الشخصية عن إنسان مسئول، أى غير معتوه، وليس بطفل من الذين لم يبلغوا سن التكليف.

---

* أخبار اليوم ١٩٥٦/٧/١٤

ومن الواجب فى كل زمن، وعلى كل فرض من الفروض - أن نتنبه فى مشكلات الشباب إلى أمرين:

أحدهما تلك الأسباب التى تضعف الشعور بالتبعة والمسئولية، فلا صلاح لإنسان لا يشعر بتبعات عمله ولا يزال يلق اللوم على غيره.

والأمر الثانى الذى ينبغى أن نتنبه إليه هو اجتناب كل شىء يشجع غرور الشباب، لأن الشباب يحتاج إلى لجام فى داء الغرور ولا يحتاج فيه إلى منخاس.

وأول مضعفات الشعور بالتبعة حديث الدجاجلة من سماسرة الدعوة الاجتماعية أو الدعوة السياسية عن «مسئوليات المجتمع».

ما هو هذا المجتمع؟

إن أولئك الدجاجلة ليتحدثون عنه كما كان شعراء الأمس يتحدثون عن الدهر المسئول عن كل شىء، وليس فى حديثهم طائل على جميع الفروض والاحتمالات، لأنه لن يسقط المسئولية الفردية عن أحد ليس بسالطفل وليس بالمعتوه.

إننى حين أعلم علم اليقين أن المجتمع مصاب بوباء «الكوليرا» لا أذهب من أجل ذلك فأتناول أنبوبة من جراثيم الوباء، ولا أتجر من أجل ذلك بأكفان القبور، ولا أكف من أجل ذلك عن الحيطة فى موضع العدوى أوفى المواضع البعيدة منها، ولا أزال كلما علمت باشتداد الوباء ازداد من الحيطة ولا أفرط فيها اكتفاءً بإلقاء التبعة فى الإصابة على وزارة الصحة أو على قادم غريب من الخارج، أو على دسيسة من ناقلى الجراثيم.

أنت مسئول وتزداد المسئولية عليك كلما ازدادت أسباب الحذر والانتباه.

ويجب علينا جميعاً أن نذكر ذلك ولا ننساه، ومن نسيه فهو المسئول مهما يكن من شأن المجتمع الذى يعيش فيه.

غرور الشباب :

أما الغرور الذى ينفخه فى روع الشباب دجاجلة السياسة والاجتماع، فإنه ليخيل إلى طائفة من الجيل الناشئ أنهم جيل ممتاز بشهادة الميلاد أو بالولادة بعد سنة ١٩٣٠، لا قبل تلك السنة بسنتين أو بضع سنوات.

المعرفة «الممتازة»! :

وحقيقة الأمر أن الجيل الناشئ ممتاز بما يوجب عليه المزيد من اليقظة والاستعداد للعمل النافع، ولم يكن ولن يكون ممتازاً بما يعفيه من اليقظة ومن جهود العمل المضاعف بلا انقطاع.

إنه ولا ريب أوفر نصيباً من التعليم إذا قيس بالجيل الناشئ قبل ثلاثة أو أربعة قرون.

ولكن ماذا كان مطلوباً من الجيل الناشئ أن يعلمه قبل ثلاثة قرون أو أربعة ؟

حساب الجمع والطرح ومعرفة يسيرة بالقراءة والكتابة، وأسماء بعض البلدان وبعض الواردات منه، ويغنيه هذا للنجاح فى معترك الحياة سواء عمل فى التجارة أو الزراعة أو الوظائف الحكومية.

وعشرة أضعاف هذه المعرفة لا تكفى الجيل الناشئ فى القرن العشرين للبدء بالخطوة الأولى من خطوات الحياة، لأنه يعيش فى عصر العلاقات العالمية وعصر التجارب المتناقضة التى ينسخ بعضها بعضاً كل سنة بل كل شهر بل كل أسبوع.

فهل هذه المعرفة «الممتازة» باب من أبواب الغرور، أو باب من أبواب التواضع والشعور بالنقص والاستزادة من أهبة الكفاح ؟

الامتياز الموهوم :

على أن البلية الكبرى، أن المخدوع بهذا الامتياز الموهوم من شباب الجيل، لا يدرى كيف يغتر ولا نقول إنه لا يدرى كيف يعمل.

فمنذ سنوات جاءنى شاب يتميز من الغيظ لأنه بحث عن وظيفة فى الدواوين فلم يجدها ولم يخطر له أن يتحول من هذا المسعى إلى غيره.

قال : إننى أحمل الإجازة المدرسية التى يحملها رئيس الوزارة، فبأى حق يتربع على أكبر كراسى الدولة وأتسكع أنا على الأبواب ؟

ولم يكن من عادتى قط أن أشجع مغروراً على غروره ولا سيما المغرور فى سن الشباب، فأجبت صاحبنا بالجواب الذى يستحقه، وقلت له : إنك على حق ولكن بشرط واحد.

قال : ما هو؟

قلت : أن تذهب إلى شركائك فى حمل هذه الإجازة منذ عشرين سنة، وتحصل منهم على تنازل شرعى عن الشركة فى هذا الحق. وكن على يقين -ياصاحب الدولة- إننى سأذهب معك إلى ديوان مجلس الوزراء ولا أنزل منه إلا وأنت فى الكرسى وصاحبه متسكع على الأبواب.

دع صاحب الدولة هذا وتعالى إلى قضية من القضايا المرفوعة على المجتمع المسكين يقيمها عليه خادم سفرة، لا يحسن كتابة اسمه ولا يميز بين رقم ورقم من أرقام التليفون.

يجب على المجتمع المسكين أن يقدم لخادم السفرة هذا :

أولا : مائتين وأربعين قرشاً على الأقل ثمن علبتين من السجائر فى كل يوم، ثمن العلبة الواحدة منها أربعة قروش.

ثانياً : سبعين قرشاً ثمن سكر وبن وشاى.

ثالثاً : ورقة بخمسة وعشرين قرشاً فى يوم الأحد من كل أسبوع للفسحة والسينما مع من يشاء من خادمات السفرة فى الجيران.

رابعاً : ثمن بدلة فاخرة تشبه بدلة المخدومين أو بدلة زوار السينما فى المقاصير.

وهذا عدا الطعام والمسكن والكساء الممنوح من بيت المخدوم. وخادم السفرة هذا لا يزيد على الخامسة والعشرين، ولا يقدم للمجتمع مقابلا لهذه المطالب إلا عملا يسيراً يتلخص فى : صف الأطباق وغسلها وإحضار بعض السلع من بقال الحارة.

هل يخطر له أن يتنازل عن التدخين؟ أو عن الشاى بالكيزان؟ أو عن فسحة السينما ورهان السبق وفضول الفنجرة وفنجرة الفضول..؟

يا عيب الشوم، وكيف يكون إذن «مجدعاً» يباهى المجادع «بالجبا» على الحساب، ويفاخرهم بأن عشرة قروش على الدخان لا تكفيه فى اليوم؟ الدنيا قاعدة تعمل إيه؟ وصاحب الدار قاعد يعمل إيه؟ و «المجدع» قاعد يعمل إيه إن لم يستكرد صاحب الدار ليحصل على ذلك المقدار؟.

هذه الدعاوى على المجتمع شائعة فى زماننا، غير مقصورة على فئة من الفئات ولا على طبقة من الطبقات، ولو أن المجتمع أراد أن يجيبها لمزق نفسه تمزيقاً قبل أن يفرغ من حساب مائة دعوى، ودع عنك الألوف والملايين.

المتعلم « المخدوع » :

ونعود إلى صاحبنا «المتعلم» الذى تخيل أن إجازته المدرسية رخصة تخوله من باب المدرسة أن يتربع على كرسى الوزارة.

فهل تظن أن « المتعلم » المخدوع بهذا الغرور تكفيه الوزارة أو رئاسة الوزارة جزاء له على تلك المعجزة الخارقة ؟

كلا. بل من حقه هذه « الفيلا » يسكنها كما يسكنها التاجر فلان. وتلك الضيعة يملكها كما يملكها الزارع بدران، وتلك السيارة يقودها كما يقودها ذلك الشاب الميسور، وتلك الخليلة المليحة يستمتع بها كما يستمتع بها ذلك الفنان المشهور، بل من حقه أن يصطحب معه محضراً قانونياً ويخرج إلى الطريق ليوقع الحجز - تواً - على كل تحفة مشتهاة تقع عليها عيناه، ولو كانت هذه التحف مفرقة موزعة على خمسين أو ستين أو سبعين.

لماذا ؟

لسبب واحد. أنه متعلم وهم غير متعلمين، أو أنهم متعلمون وهو مثلهم جميعاً موزونين فى كفة واحدة وهو وحده موزون فى الكفة الأخرى من الميزان

إن هذا المخدوع يستريح، ويستريح المجتمع معه إذا علم أنه فى العشرين أو الخامسة والعشرين، وأن محصول النجاح إنما يجتمع فى الأربعين أو بعد الأربعين، وأن حسابه إنما يقوم على الموازنة بين ما أعطى الدنيا وبين ما أخذ منها، ولا يقوم على التمنى والادعاء ومطاردة الناس من حوله بالحسد والافتراء.

ولسنا نقول هذا جهلا منا بذنوب المجتمع وأخطائه، فإننا قد نعلم منها ما لا يعلمه الكثيرون من أصحاب الدعاوى عليه، وقد نعود إلى تفصيل تلك الذنوب والأخطاء فى مقال آخر نزيد فيه بيان المسئولية على من يعيشون فى مجتمع تكثر ذنوبه وأخطاؤه. ولكننا نقول ما نقوله ونعيده لمن يسمعه مستفيداً منه أو ساخطاً عليه لأننا نعلم أن الأساس الأول لكل إصلاح هو إصلاح الذات، وأن الشعور بالتبعة هو مناط هذا الإصلاح ومناط كل خلق وكل قانون.

الشـــباب

ليته يعود، .. كيف يعود؟ .. هكذا يعود..*

روت «أخبار اليوم» خبر الدواء، الذى كشفه طبيب مصرى وجربه فى نفسه فعاد إلى نحو السابعة والثلاثين بعد أن جاوز الخمسين، واسود شعره بعد مشيبه، وراجعه نشاطه بعد فتوره. وقال: إن الدواء لا ينفع أبناء السبعين وما فوقها، ولكنهم إذا تعاطوه قبل بلوغها لم يبلغوها قبل عشر سنين.

قالت الأخبار، وقد أحيل الاكتشاف إلى وزارة الصحة لبحثه وإبداء الرأى فيه.

نقول فى إيجاز: وخير أن ندع هذا الاكتشاف لذوى الخبرة الفنية يبحثونه فى أناة العلماء، فما من أحد يستعجلهم على ما نظن، إذ ليس بالشباب من حاجة عاجلة إليه قبل عشرين أو ثلاثين سنة، وما نحسب الشيخ قد تعلم شيئاً فى دنياه إن فاته أن يتعلم الصبر فى مدرسة التجارب، وأن يراض على صحبة الشيخوخة سنوات بعد سنوات، فإذا كان قد صبر عليها عدة سنين فلا ضير أن يصبر عليها عدة سنين وعدة شهور أو أيام.

ليبق الدواء إذن بين أيدى العلماء ما شاءت لهم أناة العلم وأمانة التحقيق..

ولننتظر نحن سواد «المستنفدين» فيه على طريقتنا أو على طريقة كل منا، فإنه ولا ريب مفاجأة لابد لها من تمهيد، ومن اليوم إلى أن تبدأ عمليات التصغير والتقدم والتأخير يكاد الوقت لا يتسع لاستقبال تلك المفاجأة المنظورة بما ينبغى للحادث الخطير، حادث الصدام بين البقاء والفناء.

---

* الأخبار فى ١٩٥٤/٩/١١

حلاوة بنار :

ومن عجلة الشباب أن يقال : وماذا فى الأمر كله أكثر من أنه خير مرموق مومرق ؟

سيعود الشباب إلينا بمشيئتنا، فماذا بعد ذلك من سؤال أو مراجعة : إن الأمر مفروغ منه وغنى عن التعليق، وإذا صح أن يقال عن خبر من الأخبار إنه غنى عن التعليق، فهو أصح ما يكون على هذا الخبر بغير تحفظ وبغير استثناء.

نعم بغير تحفظ ولا استثناء، ولو كان فى عودة الشباب ضياع الحكمة التى يدعيها الشيوخ، فقديماً قال شيخ من شيوخ الشعراء :

ليت الليالى باعتنى الذى أخذت   منى بحلمى الذى أعطت وتجريبى

ولم ينفرد ذلك الشيخ بتلك الأمنية فإنها أمنية كل شيخ.. كل شيخ بلا تحفظ ولا استثناء، وكذلك نقول بغير إبطاء، ونود أن نعيدها كما تعيدها الببغاء، بغير تحفظ ولا استثناء، إلا أننا مع هذا نقول بعد الروية كما نقول على البديهة : إن إعادة الشباب لحلاوة حلوة، ولكنها حلاوة بنار أحمى من حرارة الشباب.

وهذه بعض لفحات هذه النار.

هذه بعض الشبهات أو بعض «المشكلات» التى كتب على أبناء الفناء أن تلازم آمالهم وأعمالهم، ولو كانت أملا محققاً يرد الشيوخ منهم إلى الشباب.

١ - مشكلة أولى :

واأسفًا إذا كان معنى هذا الدواء أنه ينقل المرء من أوج الشباب إلى فراش الموت.

وا أسفاً إذا كان معناه أنه يذيقه عجز الشيخوخة مرتين بدلا من مرة واحدة.

ففى الأولى يدرك الإنسان نفسه قبل الشيخوخة فلا يعرف الشيخوخة ولا يعرف القنطرة المتوسطة بين عنفوان الشباب وانحلال الفناء، ولا نخال أنها نعمة يتمناها المتمنى، فإن الذى يتذوق من الكأس قطرات بعد قطرات تهون عليه الجرعة فى النهاية ولا يغص بها من مبدأ الأمر دفعة واحدة.

كنا نسمع من «حافظ إبراهيم» رحمه الله أنه سكن بعض الضواحى لأنها على حد تعبيره «سنة تحضيرية» للقرافة، وأنه يرجو أن ينتقل منها إلى سنة أدنى فسنة أدنى.. حتى يجوز الامتحان الأخير بغير مشقة.

ولا نحسب أن حافظاً كان وحيداً فى هذا الشعور، فمن الأسف أن ينتقل المرء من كل ما يحب إلى كل ما يكره مرة واحدة على غير استعداد.

وأما فى الثانية، ونريد بها بلوغ الشيخوخة ثم العودة إليها، فتلك مصيبتان بديلا من مصيبة واحدة، وليس فى هذا البديل كسب للمستبدلين.

٢ - ومشكلة ثانية:

والمشكلة الثانية من مشكلات الترياق أقرب إلى مشاكل الإدارة أو الحكومة منها إلى المشاكل النفسية.

إذا كانت سن الأربعين مثلا مشروطة فى عمل من الأعمال كالنيابة بمجلس الشيوخ أو كولاية المناصب القضائية العليا.

وإذا كانت سن الستين مشروطة للإحالة إلى المعاش أو لاستحقاق معاش من خزانة الدولة أو خزائن الشركات..

وإذا كانت السن عامة مشروطة لحالة من الحالات فى القانون أو فى العرف أو فى سجلات التاريخ..

فما العمل فى هذه الشروط بعد استعمال الدواء وثبوت المزية التى يستفيدها منه من يتعطاه؟

٣ - ومشكلة ثالثة:

ومن مشكلات الدواء ما يعترف الناس به بينهم وبين أنفسهم ولا يعترفون به جهرة لغير الأخصاء، ولكنها على كل حال مشكلات.

تلك هى مشكلة أصحاب الحقوق فى المواريث المنتظرة، وتلك هى مشكلة أصحاب الديون على حساب تلك المواريث.

وشبيه بها مشكلات شركات التأمين وفوائد التأمين عامة مع استخدام الدواء وبغير استخدام الدواء.

ويقاس على ذلك كثير.

٤ - ومشكلات شتى:

ولعل مشكلة المشاكل جميعاً تخصيص الدواء بأناس يقدرون عليه بين أناس يعجزون عنه أو لا يستفيدون منه.

مشكلة المشكلات إذن أب فى الثلاثين وابن فى الخمسين، أو صديقان يصطحبان من الصبا الباكر إلى الستين وما بعد الستين، ثم ينفصل أحدهما عن صاحبه فيعود إلى الثلاثين، ويتركه يمضى وحيداً إلى نهاية الطريق.

وإذا كان صاحب الاختراع لم يجربه فى النساء كما قال، فها هنا مشكلة خطيرة بين الأزواج، فإن الزوج ليترك زوجته فى هذه الحالة عند سن اليأس ثم يبنى بفتاة من سن بناته الصغيرات، وإنه لمعذور.

ولا نستطرد فى تفصيل هذه المشكلات فإنها تقبل الاستطراد إلى غير نهاية، ولكننا نكتفى منها بما تقدم ونسأل السؤال الأكبر فى هذا السياق وهو: هل مفارقة الشيخوخة كسب خالص فى جميع الأحوال وعلى جميع الاعتبارات؟

ليست حلاوة بغير نار :

هل يكسب الشيخ مائة فى المائة بمفارقة الشيخوخة ؟ وهل يأمن الخسارة كل الأمن بهذه المفارقة ؟

هل من الخير أن يحرم الإنسان مزية الخمسين ومزية الستين ومزية السبعين ولا يعرف من الحياة إلا المزية التى تنتهى - مثلا - بسن الأربعين ؟

يقول المتنبى :

خلقت أليفاً لو رددت إلى الصبا لفارقت شيبى موجع القلب باكيًا

ويحضرنى أمامى فى هذه الساعة، كتاب وصل إلى مصر هذا الأسبوع عن المكانة والقوة الشخصية، وأعيد طبعه فى شهر يونية الماضى لأنه نفد بعد أول طبعة لفرط الإقبال عليه.

وفى هذا الكتاب فصل مسهب عن مزايا الشيخوخة، يتلخص فى اعتبار الشيخوخة رخصة تعفى صاحبها من بعض القيود التى لا يعفى منه الكهول والشباب، وأنه يشعر بالغبطة بعد أداء الواجب فى معمعة الحياة، إلى غير ذلك وأشباه ذلك من الرخص والمزايا والتعلات.

ولا علينا من حب الشيخوخة بحكم الألفة كما يقول المتنبى، ولا علينا من الرخص التى ينالها الشيخ لأنه لا يدخل فى الحساب.

ولكننا على هذا وذاك نسأل : أليس فى مفارقة الشيخوخة خسارة على الإطلاق ؟

لا نعنى معرفة الشيوخ فإنهم قد يعودون بها إلى الشباب، فيصبح ابن الثلاثين الذى عاد إليها من الستين خيراً من ابن الثلاثين الذى تقدم إليها من العشرين لأول مرة.

ولكننا نعنى أن الشيخوخة فى بعض حالاتها نضج وتمام، وليست فى جميع حالاتها عجزاً وانحداراً إلى الفناء.

بل نعنى أكثر من ذلك أن بعض «النضج» قد يكسبه الشيخ بنقص بعض الخلائق وكبح بعض الدوافع، ويحسب مع ذلك كسباً محققاً بغير مراء.

من هذا فضيلة الحلم، لنقص فى سورة الغضب يقترن بمشاهدة العواقب والاتعاظ بأخطار الاندفاع والجموح.

ومن هذا فضيلة الاعتدال، لنقص فى الشهوات يقترن بالسآمة وتجربة اللذة النفسية مع اللذة الحسية.

ومن هذا تكرار الخبرة للمتعة الواحدة، درجة بعد درجة أو درجة أقل من درجة، على سنة الطباع فى كل متعة تعاد.

فى هذه الأحوال جميعاً يصح أن يقال إن فراق الشيخوخة حلاوة، ولكنها لن تكون حلاوة بغير نار، ولا مكسباً بغير خسارة ولا مفارقة بغير ندم.

وهكذا قسمة أبناء الفناء.

دواء له ماض:

وأهم ما يقال عن هذا الدواء الجديد أنه فى الحقيقة دواء قديم له ماضٍ عتيق، وأنه تجربة بعد عشرين تجربة أو أكثر من عشرين تجربة منذ فجر التاريخ.

فلا تعى ذاكرة التاريخ عصراً واحداً لم يوجد فيه أناس يجدون فى طلب الإكسير الذى يطيل الشباب، أو يعيده بعد ذهابه، أو يمد الأجل كله جملة واحدة، ويصنع غير ذلك من الأعاجيب والمعجزات كتحويل المعادن، وسق السلاح، وبث القوة فى كل شيء يتشربه من الحيوان والجماد، وقد كان الاعتقاد

الغالب عندهم، أن هذه المعجزة سر كامن فى عقار يعلمه السحرة والأطباء بإلهام من الغيب وما كان السحرة والأطباء عندهم إلا قريباً من قريب.

وتروى لنا الأساطير العربية أن لقمان الحكيم عرف سر هذا الإكسير، وأيقن أنه سيعمر فى دنياه عمر سبعة نسور، فجعل يربى النسر بعد النسر حتى انتهت حياة النسر السابع فمات معه ساعة رآه يضم جناحه ويلفظ أنفاسه ويغمض عينيه.

ومن المحقق أن هذا الإكسير قد وجد وقد عولجت به الجروح فعجل بشفائها واندمالها ولكنه لم يكن يرد الشباب أو يمد الأجل، وإنما كان مسحوقاً يرش على الجرح الدامى فيجففه ويشفيه. ولهذا يسمى بالإكسير من كلمة إكسيروس اليونانية xeros بمعنى جاف أو يابس. وقد عرفه أطباء العرب ونقلوه إلى الأمم الأوربية وحفظته هذه الأمم حتى اليوم بأداة التعريف العربية وهى الألف واللام فهو يكتب فى اللغات الأفرنجية بهذه الأداة.

سر مفستفوليس:

وعرفه الأوربيون فى القرون الوسطى، فأضافوه إلى علم الخرافات والشعوذات، واعتقدوا أنه سر من أسرار الشيطان يساوم عليه طلاب الشهوات بعد اليأس من الشباب، فيرتهن به أرواحهم ويجعلهم من حصة جهنم الحمراء، ويعطيهم مهلة من العمر ينعمون فيها بما يشتهون، ثم يتقاضاهم الثمن بعد انصرام الأجل فيندمون من حيث لا يغنى الندم، وينحدرون إلى الجحيم فى ذمة الشيطان الرجيم.

وعلى محور هذه الأسطورة تدور رواية «فوست» الخالدة بقلم «جيتى» شاعر الألمان الكبير. وهو نفسه كان يود لو عقد مثل هذه الصفقة مع «مفستفوليس» عدو النور المبين.

وفى القرن التاسع عشر:

وظلت خرافة الإكسير وسر الشيطان شائعة متتابعة فى الأقطار الأوربية الجنوبية، فنبغ من تلك الأقطار الطبيبان الروسيان اللذان اقترن اسماهما بسر تجديد الشباب فى أرجاء القارة الأوربية فى منتصف القرن التاسع عشر، إلى أوائل القرن العشرين.

هذان الطبيبان هما الدكتور متشنكوف، والدكتور فورنوف الذى يعرفه كثير من المصريين لأنه كان صاحب (عيادة) مشهورة فى حى شبرا ثم تركها لينشئ عيادته الكبرى فى باريس.

والأول من الطبيبين أصدق وأخلص فى بحوثه وأغراضه، فلم يكن يعنيه تجديد الشباب لتجديد الشهوات وإثارة الغرائز الجنسية، ولكنه عنى به لتصحيح الأبدان ودفع غوائل الشيخوخة قبل الأوان. وهداه بحثه إلى وصف اللبن الرائب للمرضى وغير المرضى، لأنه رأى أبناء الجنوب من الروس والبلقان يكثرون من أكله وتطول أعمارهم إلى ما بعد الثمانين.

أما فورنوف فقد اصطنع كثيراً من الشعوذة فى الإعلان عن علاجه، فزعم أنه يعيد الشباب بنقل غدد القرود إلى بنى آدم، وتحدث إلى صحيفة «الفجر» فقال: إنه سيعيش بفضل تجاريه إلى سنة ألفين ميلادية، فمات بعد ذلك بسنوات ولم يجاوز الخامسة والثمانين: وكان قبيل وفاته قد تزوج من فتاة يكبرها بنحو خمسين سنة، وتعمد أن يختارها من ذوات الشهرة العالمية، لأنها كانت قريبة لمدام «لوبيسكو» عشيقة كارول ملك رومانيا وزوجته الشرعية فى أواخر أيامه، ولكنه مات من غير عقب ونفض يديه قبل وفاته من دعوى تجديد الشباب، ليعلن عن تجاربه فى علاج آخر من معضلات الطب، وهو علاج السرطان.

وهنا القرن العشرون..

وتطورت المسألة فى القرن العشرين من مزيج الشعوذة والعلم، إلى مجال العلم الخالص الذى يرجى منه النفع على قواعد معلومة، وهى قواعد الاعتماد على الغدد ومفعولها المحقق فى تنشيط البنية الحية، وإن لم يكن فى ذلك تجديد للشباب بالمعنى المعروف.

ولا يزال بحث الغدد مقروناً بالحذر والتردد. لأنها تعمل فيما بينها بالتناوب على نظام خفى لم تنكشف بعد جميع بواطنه ومعقباته، فلا يؤمن تنشيطها بغير حساب، ولا يعرف على التحقيق رد الفعل الذى ينجم من عمل بعضها فوق ما تطلبه البنية منها، ولكنها فى رأى الثقات طريق الطب المفتوح الذى يختصر غدًا كثيراً من طرق الوقاية والعلاج.

فكرة شائخة..

فهذه الفكرة إذن فكرة شائخة عاشت مع الإنسان فى جميع حضاراته من عمر نوح صاحب الطوفان، فإن لم تفلح فى تجديد الشباب للناس فحسبها أن الناس يجددون شبابها فى كل زمن، فلا تكاد تموت حتى تبعث من جديد.

ولا نعتقد أن وهماً من الأوهام يلح على عقول الناس هذا الإلحاح ما لم تكن فيه ذرة من الدواعى الصحيحة التى لا ترجع كلها إلى المطامع الكاذبة، فلا فكرة الشباب المجدد، ولا فكرة الحجارة التى تتحول إلى ذهب، والجوهر من الأوهام الباطلة التى لم تمتزج بشىء من الحقيقة.

وعندنا أن الفكرة يدعمها رأيان صائبان تخلف أحدهما من تجارب الأقدمين، ونبت الآخر فى هذا القرن العشرين.

فأما الرأى القديم، فهو تقدير الطبيعيين الذين راقبوا أعمار الحيوان أنه

يعيش، أو ينبغى أن يعيش، ستة أضعاف الزمن الذى يحتاج إليه لتمام نموه ونضجه.

والإنسان «ينضج» أو يستوى فى نحو العشرين، فينبغى أن يعيش مائة وعشرين سنة، لولا أنه يجور على نفسه بشهوات الطعام وغيرها من الشهوات، ولولا أنه مع هذه الشهوات جميعاً، عرضة للمتاعب النفسية والمقلقات التى لا يتعرض لها سائر الأحياء.

وأما الرأى الحديث، فهو فعل الغدد الذى كان منسيًا أو مجهولا فى الطب القديم، فإنه ليصنع الأعاجيب اليوم، وسوف يصنع غداً ما هو أعجب وأجدى كلما تكشفت أسرار الغدد وأسرار التعاون بينها بغير إجهاد ولا اعتساف.

فإذا استطاع الإنسان أن يعتدل فى طعامه وشرابه وأن ينتظم فى أتعابه وألعابه، واستطاع مع ذلك أن يملك زمام وجدانه، ويكفكف بعض الشيء من لواعجه وأشجانه، فلا حاجة به إلى إكسير قديم أو جديد، وهيهات أن ينفعه الإكسير، لو عثر به بعض انتفاعه من العمر الطبيعى الذى يبلغ المائة ويجاوزها مقسوماً أحسن القسمة وأعدلها، ومستجمعاً لتجارب الحياة فى شبابها وكهولتها وشيخوختها، وممتازاً فى كل مرحلة منه بمزية لا يزهد فيها ولا يتركها باختياره ولو قدر على تركها، عمر غير مقصوص منه، وغير مرفو، وغير مرقوع، وغير محروم من نشاطه حيث يستحب النشاط، ومن سكينته حيث تستحب السكينة. . . وهكذا تحمد، أو هكذا تتم، تركيبة للحياة.

إذا كنت تبحث عن الرشاقة سافر إلى المريخ*

قرأت اليوم أن إذاعة (موسكو) أعلنت أن علماء السوفيت اكتشفوا دلائل جديدة، قد تؤكد وجود حياة على ظهر المريخ، وأن مرصد «بولكوفو» السوفيتى أجرى بحثاً عن المريخ، واستنتج من هذا البحث أن الأحوال الطبيعية على ظهره، قريبة جدًّا من الظروف المطلوبة لإبقاء الإنسان حيًّا.

فإذا صح الخبر فلابد أن يكون الكشف الجديد تحقيقاً نافعاً لمسألة الجداول المصنوعة على سطح المريخ، وبياناً فاصلا فى أمر هذه الجداول، التى يرى بعض الفلكيين أنها من عمل مهندسين عقلاء، وليست مجرد أشكال عارضة تتولد بالمصادفة.. فإن لم يكن هذا هو الكشف الجديد، فكل ما فيه إذن تكرار لمعلومات قديمة يرددها الفلكيون منذ أواخر القرن التاسع عشر، ويعيدونها على تفسيرات مختلفة إلى هذه الأيام.

وقد أقيم منذ سنة ١٨٩٤ مرصد خاص فى «أريزونا» لرصد المريخ خاصة، وتفرغ لرصده الفلكى الكبير برسيفال لويل، فانتهى من أرصاده الكثيرة إلى ترجيح وجود الأحياء العقلاء هناك، لأن الجداول التى يتكرر ظهورها خلال فصل الربيع المريخى لا يتأتى - لاستقامتها وانتظامها وتلوينها - أن تتكرر على هذه الصورة عرضاً واتفاقاً بغير تدبير مقصود.

ولكنها علامات تتفق عليها الأرصاد ولا تتفق الآراء فى تفسيرها ودلالتها على وجود الحياة.

فهناك علامات تدل فى رأى بعض الراصدين على وجود الثلج حول قطب

---

* الأخبار ٢١/١٢/١٩٥٩.

المريخ، ووجود الماء فى جداوله بعد فصل الشتاء.

وهناك علامات تدل على مساحات واسعة من الأرض المزروعة، وعلامات مثلها تدل على وجود (الجو) الذى يصلح لبقاء الأحياء، مع خفته وقلة رياحه.

ودرجة الحرارة هناك تتراوح بين ٩٥ تحت الصفر و ١٤٠ فوقه، فهى قريبة من بعض المواقع على الكرة الأرضية، وإن كانت ليالى المريخ شديدة البرد بالقياس إلى الكرة الأرضية.

والأوكسجين موجود فى المريخ طليقاً وغير طليق، وإليه يرجع احمرار لون الكوكب وتشبيه الأقدمين له بالميادين الدموية، وتسمية المريخ بإله الحرب عند أولئك الأقدمين.

بل يرى فريق من الفلكيين أن صخور المريخ قد امتصت كل ما فيه، أو أكثر ما فيه من الأوكسجين، فلم يبق له غير القليل من الأوكسجين الطليق الذى يقترن بوجود الأحياء، فإذا وجد الأحياء على سطحه، فالغالب عليهم أنهم من «ذوى الدم البارد»، أو من فصائل الأحياء التى تعتمد على الاختمار ولا تعتمد على الاحتراق، أو من قبيل النبات الذى يخزن جوه فى باطنه ولا يحتاج إلى أكسجين الجو، كما نحتاج إليه على الكرة الأرضية.

ولكنها كلها علامات لا تدل على شىء محقق تنقطع عنده الظنون والتفسيرات، حتى المزارع المزعومة، يقول بعضهم إنها ليست بمزارع وليست بنبات على الإطلاق، لأنها تبدو مع الأشعة (تحت الحمراء) مغبرة اللون، وينبغى على حسب المألوف أن تبدو معها بيضاء أو قريبة من البيضاء.. بل حتى الجداول العزيزة على العالم الأمريكى برسيفال لويل، يقول انطونيادى انها أشتات من البقع المتفرقة تلوح - لبعد المسافة - كأنها خطوط منتظمة، ويجوز أن تكون غباراً متناثراً من قذائف البراكين.

شىء واحد لا خلاف فيه، وليس هو ذلك بالشىء الهين عند طلاب

الرشاقة وأنصار النحافة من الأرضيين والأرضيات.

إن قوة الجاذبية على سطح المريخ معروفة مقدرة بالنسبة إلى قوتها على الكرة الأرضية، فمن كان وزنه على الأرض قنطارين فلن يزيد وزنه هناك على ثمانين رطلا، بغير حاجة إلى الصيام أو إلى الرجيم وبغير اضطرار إلى الصبر على العطش والجوع.

وسوف يستغنى المريخ غداً عن أحيائه الحائرين بين الوجود والعدم، لأنه سيظفر بالألوف من طلاب الرشاقة وأنصار النحافة بعد انتظام الرحلات بيننا وبينه، فيصبح السفر إلى بلاد الحمامات المعدنية (دقة قديمة) لا تليق بأبناء القرن العشرين، ولا يبقى على الأرض وزن ثقيل يستطيع بقفزة فى الفضاء أن يتقمص وزن الريشة بعد أيام، أو أسابيع..

ولن تفوتهم خفة العقول إن فاتتهم خفة الأجسام.

بين الحس والنظر*

نشرت أخبار اليوم أن رجلا بأخميم ولد أعمى منذ سبعين عاماً وعمل منذ نشأته نساجاً على النول اليدوى، وأنه يميز الألوان بلسانه..

ويسأل السيد حسين سيد أحمد عبد الحليم بشبرا البلد عن «المفهوم الجديد» الذى نفهم به طاقة الحواس الإنسانية بعد الاطلاع على هذا الخبر وأمثاله، «وإلى أى مدى يمكن أن ينوب الحس عن النظر على هذا المنوال..».

وقد استشهد السيد صاحب الخطاب بكلام للجاحظ فى علة اختصاص كل حاسة بعملها ثم قال.. «إن هيلين كيلر كانت تحاضر بدار الحكمة وتتوقف لتنحنى للتصفيق والإعجاب، وهى التى لا ترى ولا تسمع ولا تنطق.. وقد قالت للصحفيين عن سر معرفتها للصوت أن موجات الهواء قد وصلت لأرجلها من أثر التصفيق فأدركته.

ونقول إن الخبر الذى رواه السيد صاحب الخطاب عن هيلين كيلر، يهدينا إلى وسائل الاستعانة بحاسة اللمس على إدراك المسموعات أو المنظورات، وربما كان تمييز الألوان بذوق اللسان ميسراً لعامل أخميم، لأن مواد الصبغة معروفة بطعومها، كما نعرف طعم الحبر الملون أو طعم النيلة، ونميز بين روائح المداد التى تختلف صناعتها.. وربما استطاع عامل أخميم ذلك ولم يستطعه ضرير آخر يجهل مواد الصباغة فى اقليمه، ولا نهاية للرسائل المتعددة التى تقترن فيها المسموعات أحياناً بالمنظورات العيانية، بل المفهومات العقلية، كما نسمع صوت الطفل فنقدر عمره بالسنين.. أو نسمع صوت الغناء فنقدر أن صاحبة الصوت

* الأخبار ١٩٦٣/١٠/٢٢

امرأة جاوزت الثلاثين أو فتاة دون العشرين، وإذا اشتدت الحاجة إلى التميز بهذه الوسيلة دون غيرها تضاعفت القدرة على التدقيق فى إدراك الفوارق إلى الحد الذى تتساوى فيه الحاستان أو تتقاربان.

ومن المألوف عندنا فى كل يوم أن نعرف أنواع الأزهار بروائحها، وأن نعرف أنواع الأقمشة بلمسها وأن نعرف أنواع الآلات الموسيقية بنغماتها وألحانها.. وهذه تفرقة بين وظائف الحواس لا نحتاج إليها ولا تضطرنا الظروف العامة إلى التعويل عليها. فإذا احتاج المحروم من بعض الحواس إليها فالحاجة تفتق الحيلة وتبلغ بهذه الحيلة مبلغاً لا نتصور إمكانه حتى نراه.. وقد رأينا فى الصعيد رجلا أكتع يستخدم أصابع قدمه فى إخراج عيدان الثقاب من العلبة الصغيرة وإشعالها ونقلها مشعلة إلى الموقد مكانا بعيدا من مكان جلوسه ثم إخراج البن بالملعقة الصغيرة من الحق المغلق بعد فتحه، ثم صنع القهوة وتحريكها وصبها فى الأقداح وإدارتها بين الحاضرين على الصينية التى تكاد تضيق عنها.. ولو أخبرنا بذلك مخبر قبل أن نراه بأعيننا لما صدقناه لأنه لا يقل فى الغرابة عن تعويد اللسان أن يميز بين طعوم الأصباغ والألوان.

ضريبة الشهرة*

يقول زاخس إن هذه الرقصة تعرف فى بعض الجزائر الهندية الشرقية باسم (ماسيرى) أو (مسرى) تصحيفاً لكلمة (المصرى) التى تلقاها المشارقة من العرب، ولعلهم سموها بالمصرية لأن «مصر» أشهر البلاد التى يتكلم عنها الرحالون، ويتوافد عليها تجار الملاهى من جميع الأقطار.

هذه ضريبة الشهرة تؤديها مصر قديماً وحديثاً، ويؤديها هارون الرشيد فى زمانه، وفى هذا الزمان.

* الأخبار ١٩٥٥/٤/٢٥

obeikandl.com

لورنس دورويل ورباعية الإسكندرية*

«.. شرعت فى ترجمة كتاب للروائى المعاصر لورنس دوريل Durrell ، ثم قرأت تلخيصاً لسلسلة رواياته الأربع عن الإسكندرية كتبه الدكتور طه حسين فى بعض صفحاته الأدبية، ولاحظ فيه أن الكاتب لا يحسن المقالة عن المصريين، فترددت وتوقفت عن الترجمة وخطر لى أن أسأل الدكتور وأسألكم رأيكم فى هذا الكاتب ومكانته الأدبية، وفى كتبه التى تناسب الترجمة إلى لغتنا الغربية .. فهل تسمحون بإبداء هذا الرأى فى إحدى يومياتكم وإبداء رأيكم إجمالا فى ترجمته وترجمة أمثاله إلى اللغة العربية».

«س. ر» أديب ناشئ.

لورنس دورويل - على أية حال - لا يقول قولا حسناً فى أحد من «شخوصه» وأبطاله الذين يكتب عنهم، وأكثرهم من الأجانب والنزلاء بالثغر الإسكندرى يكاد عدد الوطنيين بالنسبة إليهم لا يزيد على خمسهم مع قلة الصفحات المخصصة لهم بالقياس إلى مجموع الصفحات فى رواياته ودواوينه ورحلاته أو مقالاته الوصفية.

ويلوح من قراءة الكاتب فى جميع منظوماته ومنشوراته، أنه أحد أولئك القصاصين والنقاد الذين يعتقدون أن وظيفة القصص أو وظيفة النقد الاجتماعى على الجملة أن يتحرى مواضع الريبة فيمن يكتب عنهم، فلا يكتب عن إنسان واحد لم يعرف له سرًّا أو هنة أو فضيحة صارخة أو هامسة فى بعض أطواء حياته، وهكذا تطرد كتاباته عن أبناء جلدته الإنجليز وعن الأوربيين والشرقيين جميعاً فيما تناولهم به من الأوصاف والتحليلات، ويكفى أن نعرف أنه سمى بنته

* الأخبار ١٩٦٠/٨/٢٤

« سافو » على اسم الشاعرة اليونانية القديمة وهو يعلم من هى سافو، وينظم فيها قصيدة مسرحية مطولة تزيد فيها صراحته على صراحته المعهودة فى سائر مؤلفاته.

ولسنا نرى ترجمة كتاب كامل لهذا القصاص الشاعر أو لهذا الشاعر القصاص على الأصوب، ولكنه إذا اختيرت من دواوينه ورحلاته، وفصوله الوصفية مجموعة وافية من هنا وهناك، ظفرت اللغة العربية بذخيرة لا يجوز إهمالها جملة واحدة بين ذخائر الآداب الغربية المعاصرة، ومن هذه الفصول صفحات مطولة فى قصة (مونتوليف) تنحى على السياسة البريطانية أيام الاحتلال، فى خططها المبيتة للتفرقة بين طوائف الوطن الواحد، فإنها صفحات قد تحذف منها كلمات معدودات وتبقى بعدها بقية لا يستطيع الوطنيون أن يضيفوا إليها كلمة حتى فى إنصاف تاريخهم الدينى القديم والحديث.

أما أسلوب هذا الأديب فهو نمط من الكتابة ينحو فيه نحو « جويس » الكاتب الأيرلندى المعاصر، ويفوقه فيه على ما نعتقد وقد سماه بأسلوب « البعد الرابع »، لأنه يتكلم عن جهات كثيرة وشخصيات متفرقة ثم يعود إليها فى زمن واحد، فليست سلسلته الرباعية عن الإسكندرية حلقات متلاحقة زمناً بعد زمن، ولكنها طبقات يتخلل بعضها بعضاً، ويتناول فى آخرها تتمة كلام تركه على اقتضاب فى أولها، ثم راجعه بعد مئات الصفحات كأنه يستأنف حكاية مستطردة جاوزها قبل سطور.

وقد تأثر « دوريل » ولا شك بأسلوب سميه « لورانس » رسول الأدب المكشوف فى العصر الحديث، وتأثر قبل ذلك بمذهب « الماركيز دى ساد » الذى تنسب إليه السادية، أى حب، الألم والعذاب، ولكنه لا يحسب من المقلدين فى كل ما تأثر به من مناهج الأدب والتفكير، لأنه لا يلبث أن يملك زمامه بعد بضع خطوات فى أول الطريق، وربما اتفقت له عبارات ومواقف بين الصفحات تسموا على أسلوب أساتذته أجمعين، سواء منهم جويس ولورانس ودى ساد.

عاش هذا الأديب بالإسكندرية وتنقل بين بلاد اليونان والبلقان والجزر (الإيجية) وأقام فيها وأتقن لغاتها ولهجاتها، ثم كتب عن هذه البيئات كلها بأسلوب واحد لا يقال فيه إنه شهادة حسنة أو شهادة سيئة، ولكنه أسلوب «الواقع» إذا علمنا أن الواقع فى اصطلاح الكاتب أن يكون البحث عما وراء الستار دائماً مقدماً على النظر القانع بما هو أمام الستار ، وذلك كله على هينة - ورواقة - بغير اجتهاد فى النبش والتفتيش.

ونحن نفضل شعر «دوريل» على نثره فى موضوعاته المختلفة ونتجاوز عما يتخلله أحياناً من «الشطحات» الرمزية لأن حسناته تعوض هذه السيئات.

والمال أيضاً.. ظالم أو مظلوم*

نحن نعتقد أن مالنكوف لا يملك السيطرة التى كانت محصورة بين يدى أستاذه ستالين، وأنه لم ينفرد بتدبير نكبة (بيريا) كما خطر للكثيرين عن اعتقال هذا ومطاردة أنصاره، ولكنهم هناك يخافون أن تعود سيطرة ستالين فى صورة «دكتاتور» آخر من طريق احتكار النفوذ والاطلاع على الأسرار وتوزيع الأعوان سرًّا وجهرة فى كل وظيفة من الوظائف «المفتاحية» كما يسمونها فى اصطلاحهم، ولم يكن أحد غير «بيريا» مستجمعاً لأسباب هذا النفوذ ومتمكناً من توزيع الأعوان حيث يقبضون على كل مفتاح من مفاتيح الدولة.

ولهذا فكروا من بادئ الأمر فى تقسيم العمل فلم يجمعوا بين رئاسة الدولة وسكرتيرية الحزب، كما جمعهما ستالين، وأعلنوا فى الأسبوع الماضى تهم «بريا» فكانت كلها خلاصة للسياسة التى وصل بها ستالين إلى السيطرة الشاملة طول حياته، فبريا إذن متهم بالتدبير الذى دبره ستالين ولم يزل يدبره منذ كان سكرتيراً للحزب قبل موت لنين إلى أن مات.

هذه كلمة فى الطريق.

أما الغاية التى نقصد إليها من التعليق على محاكمة «بريا» فهى الحكم على مذهب كارل ماركس بالموت، ولا حاجة فى هذا الحكم إلى «حيثيات» غير محاكمة بريا على استغلال النفوذ.

ما هو مذهب كارل ماركس فى كلمتين؟

مذهبه أن القضاء على الملكية الخاصة، وعلى رءوس الأموال يقضى على

---

* أخبار اليوم ١٩٥٣/١٢/٢٦

عوامل الاستغلال، ويبطل النزاع على السلطة الحكومية التى يحتكرها المنتجون.

طيب. وهو كذلك.

فلماذا يحاكم بريا ويحسب من أعداء الشعب أو أعداء البشرية.

هل نهب خزانة الدولة؟ هل احتكر المعامل ومصنوعاتها؟ هل جمع فى يديه رءوس الأموال الداخلية أو الخارجية؟

كلا.. إنه لم يصنع ذلك لكنه متهم بالتسلط والاستغلال.

سبحان الله.. إذن هناك تنازع على النفوذ والاستغلال بغير ملكية خاصة وبغير رءوس أموال؟

إذن هناك سلطة بغير إنتاج.

إذن هى الطبيعة البشرية تسخر المال فى سبيل السلطة، وليس المال المسكين هو الذى يسخر الطبيعة البشرية.

إذن صدق الشاعر مع بعض التعديل اليسير.

يقولون الزمان به فساد وهم فسدوا وما فسد الزمان

ونحن نقول:

يقولون الحطام به فساد وهم فسدوا وما فسد الحطام

لقد بلغ إفلاس الماركسية غايته بمحاكمة بريا وأمثاله، وقبل ذلك أعلن مالنكوف إفلاس الماركسية يوم وقف فى المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعى وشكا مرَّ الشكوى من «المحسوبية» فى اختيار الموظفين للمناصب الفعالة التى تحتاج إلى الكفاءة الممتازة.

سبحان الله العظيم..

إذن هناك محسوبية بغير الفلوس؟

هناك محسوبية الصداقة، أو محسوبية القرابة، أو محسوبية المشاركة فى الأغراض والأهواء وليست المحسوبية كلها من الثروات والأموال!

إذن هى المحسوبية من رأس الإنسان وليست من رأس المال لظالم المظلوم.

وقبل أن يحاكم «بريا» ويحكم عليه، لا مناص للقوم من أن يعلنوا طائعين أو كارهين أنهم حاكموا كارل ماركس ومذهبه فحكموا عليهما بالإدانة ثم حكموا بإفلاس هذا وذاك.

ونحسبهم يرضون عنا بعض الرضا إذ نستخدم كلمة الإفلاس فى هذا الموضوع، فإنهم لا يحبون شيئاً كما يحبون مادة فلس يفلس فلساً وفلوساً، ولا شيء عندهم فى تاريخ الأرض والسماء غير الفلوس والإفلاس.

الجوائز الأدبية :

ومن المال المظلوم إلى الجوائز الأدبية نقلة قريبة، لأن الجوائز الأدبية تستخدم المال أحياناً، وتثبت أحياناً أن المسكين مظلوم، وأن الإنسان لا يطلب المال لذاته إلا عن مرض نفسانى، كمرض الهوس بجمع الحصى أو عيدان الكبريت، أو الخرق الملونة أو ما شاكلها من المجموعات التى لا تنفع ولا تضر، وإنما يولع الناس بجمع المال عادة لغرض ينالونه به ولا ينالونه بغيره، فهو أداة كسائر الأدوات.

فى هذا الشهر تنتهى مواعيد الجوائز الأدبية فى كثير من البلاد الأوربية، وفى هذا الشهر نسمع بالغرائب فى اختيار الكتب والتنويه بالكتاب.

ومن هذه الجوائز ما تقبض منه الأكف على أقل من عدد أصابعها جنيهات أو ريالات.. فهل هذا كل ما يريده المؤلفون من الشهادة والتفضيل؟

ألمح هنا ألف رأس (ماركسى) يتطلع ليشتم ويتعالم بالرطانة الماركسية المعهودة.. وخلاصتها أن الكاتب غبى سخيف، وأن فائدة الجائزة مالية محققة

لأنها تزيد فى العدد المطبوع من المؤلفات المشهود لها بالامتياز والتفضيل.

ورد التحية بمثلها أو بأحسن منها واجب.

رد التحية للأغبياء السخفاء أن هذا غير صحيح فى أكثر الأحوال، إذ كانت الجوائز تقيد الموضوع أحياناً لأنه من الموضوعات التى لا تطرق ولا تروج. ونضرب لذلك مثلا جائزة يعرف المصريون اسم صاحبها لورد كرومر، مقدارها أربعون جنيهاً وشروطها أن يكون موضوعها دراسة تتعلق باليونانية القديمة، ويقاس على ذلك عشرات من الجوائز والمباريات.

المال مظلوم هنا كما هو مظلوم هناك، وإن كان ظلمه هنا ظلماً لا يخجله ولا يسخطه، لأنه عنوان للسبق والامتياز فى أشواط العقول والأذواق.

لو اجتمع الآدميون واتفقوا على تحطيم آخر درهم على ظهر الكرة الأرضية، أو فى جوفها لكان الاحتفال بتحطيمه معرضاً للتسابق والتنافس والاعتزاز بما يبق من هذه الذكرى أو ما يحفظ من أحاديثها فى سجلات البلاغة والفصاحة.

فتشوا يا هؤلاء عن رأس الإنسان، ودعكم من رأس المال.

حاكموا التاريخ وأبطاله كما تحاكمون بريا وأمثاله.. ويومئذ تعلمون من الظالم ومن المظلوم.

تشرشل وكبنلج :

وعلى ذكر الجوائز نعود إلى جائزة نوبل، لأن أخبارها المفصلة من مصادرها الرسمية لم تصل إلينا إلا منذ أيام.

بعد أن أعلن المجمع السويدى اختيار تشرشل لجائزة نوبل الأدبية فى هذا العام قصد إليه «الهرجونر هجلوف» سفير السويد فى العاصمة الإنجليزية وأبلغه هذا الاختيار وأنه وقع عليه «لأستاذيته فى عرض التاريخ والتراجم، وبراعته الخطابية التى ناضل بها دائما عن القيم الإنسانية الخالدة».

وقد أجاب تشرشل هذا التبليغ قائلا : « إننى لفخور جدًّا حق الفخر بتلقى هذا التشريف العالمى. فقد تلقيت كثيراً من التشريف الوطنى، ولكن هذا الاختيار أول تشريف ذى صبغة عالمية أتلقاه، ويحضرنى أن أول إنجليزى وجهت إليه جائزة نوبل هو رديار كبلنج، وأن أديبًا آخر أجيز بمثل هذه الجائزة هو برنارد شو، وليس فى طاقتى أن أتطلع إلى منافسة هذين النابهين، بيد أننى قد عرفتهما جيداً وأحسب أن تفكيرى إلى ناحية كبلنج أقرب منه إلى ناحية شو ومن جهة أخرى أقول إن كبلنج لم يخطر كثيراً على باله خلافاً لشو الذى كان يذكرنى أحياناً بكلمات مرضية ».

ولقد صدق تشرشل حيث قال إن تفكيره أقرب إلى تفكير كبلنج الذى يطلق عليه لقب شاعر الإمبراطورية، ويزيد بعضهم أنه شاعر الاستعمار empire لاشاعر الإمبراطورية imperialism .

وكبلنج هو القائل « إن الشرق شرق والغرب غرب وهيهات يلتقيان » .. فهل من أجل هذا الشعور يجاز تشرشل من قبل اللجنة السويدية ؟

لقد نعلم أن الشرط الأول من شروط نوبل فى جوائزه الأدبية والسنوية « أن تقرب بين بنى الإنسان ».

فهل ينطبق الشرط بهذا المعنى على ذلك الشاعر أو هذا الخطيب ؟

النقد المستقل :

ما أصعب الاستقلال فى النقد والاستقلال بالرأى فى المرحلة الحاضرة من مراحل الثقافة العالمية.

إن الدعايات التى تخل بموازين النقد كثيرة قديمة متجددة، وقل أن يوجد أديب لم ترفعه الأهواء عن منزلته أو تهبط به دون هذه المنزلة.

فالعصبية المذهبية ومصالح السياسة وتنافس الأوطان والأقوام - كل أولئك

كان له عمله فى إغداق الثناء على أناس، وكيل الذم والانتقاص لآخرين، تعصباً لهم أو تعصباً عليهم وبدافع مقصود وغير مقصود.

وقد ذكرنا فى هذه المقالات أسماء كتابنا الأقدمين، ونذكر الآن أننا حضرنا أناساً يفضلون كتابة المؤيد لأن صاحبه على يوسف ينتمى إلى الأزهر، وأناساً يفضلون كتابة اللواء لأن صاحبه مصطفى كامل حقوق، وهم حقوقيون، ولا يزال بيننا من يضع فى ميزانه حساب « الدرعمية » والجامعية ومدرسة القضاء الشرعى، وعقلية العلوم وعقلية الآداب، حين يتعصبون لهذا أو يتعصبون على ذلك، ولا نخال أن بلداً من البلاد يخلو من أمثال هذه العصبيات وهذه الدعايات، ولا نحسبها مقصورة على عالم الكتابة دون عالم الرياضة وعالم السياسة، وكل عالم له صبغة وعنوان.

إلا أنها فى الغالب دعايات مرتجلة عارضة، وما كان منها مدبراً من وراء ستار السياسة فهو محصور فى نطاق محدود.

الدعايات العالمية:

أما الدعايات التى تخل بميزان النقد حقاً فهى الدعايات العالمية التى طبقت الآفاق فى العصر الحديث، فليس فى العصر الحاضر كاتب عالمى يزنه الناقد دون أن ينظر فى علاقته بتلك الدعايات العالمية، وليس للنقد من عمل فى عصرنا هذا أهم من تصفية الشهرة العالمية فى ميادين الثقافة، وما من شىء أصعب من هذه التصفية على النقاد المخلصين.

وإنها لدعايات شتى وليست بدعاية واحدة.

إن منها الدعاية الصهيونية، ودعاية الشيوعية، ودعاية الهيئات الدينية والهيئات السياسية التى تحاول أن تصبغ الأفكار بما يوافق برامجها ومساعيها، وكل منها له بيننا نحن الشرقيين أثر محسوس.

منذ خمسين سنة يشتهر فى الآداب العالمية كتاب ليسوا هناك، وإن كانوا على حظ من الألمعية والطرافة فى باب من الأبواب.

لدفج، وموروا، وزفايج، وبروست، وريلكه، وكافكا، وسارتر وغيرهم وغيرهم ممن لا يسيرون مع هذا الرعيل.

إن زفايج من هؤلاء لنابغ حقيق بمكانه بين الأدباء العالميين، ولكنه ما كان ليبلغ هذا المكان بغير الدعاية الصهيونية، وقد بلغها الآخرون وفاقوه وهم دونه فى القدرة والإحسان، وسر هذه الحظوة أن لدفج وموروا يهوديان، وأن بروست وكافكا وريلكه وسارتر أمهاتهم جميعاً يهوديات.

ومعوّل الصهيونية فى بسط هذه الدعاية على وسائل كثيرة : منها دور النشر والطباعة، ومنها شركات الإعلان التى يتوقف عليها ثبات الصحف وتغزير مواردها، ومنها الأيدى الخفية التى تدخل فى المنظمات الدولية بلا استثناء، ومنها «الأونيسكو» المشهورة.. بل هى منها وفى مقدمتها على الخصوص.

والهيئات الشيوعية تعمل من جانبها ما تستطيعه للترويج والتشهير، ومعوّلها على الجماعات والآحاد الذين يدينون بمذهبها ويتطوعون لنصرتها أو ينقادون لأوامرها، وقلما يذكرون اسم الشيوعية فى محاربة هذا ومحاباة ذاك، لأنهم يخشون أن تنكشف الحيلة ويفتضح السر المستور.

وللجماعات الدينية قدرة هائلة على الدعاية الواسعة، ووسائلها تناسب العصر وتعتمد أحياناً على العلم والثقافة.

ولجنة نوبل لاتدخل فى عصبة من هذه العصب المختلفة، ولكنها على العموم تستنكر المذاهب المادية قطعاً، ولم يسبق لها قط أن أجازت صاحب نزعة يسارية من الماديين، ولعلها اختارت تشرشل فى هذا العام لمن يكرهونه لا لمن يحبونه، واليساريون بعض كارهيه..

إن القارئ الذى يبنى حكمه على هذه الدعايات مخدوع، وإن الناقد الذى

يغفل عنها لمختل الميزان. أما الكاتب الذى يملك استقلال رأيه بين هذه التيارات الطاغية فهو قديس.

وماذا تصدق من مصدق؟

بدأنا هذه التعليقات بمحاكمة من أعجب المحاكمات لأنها بمثابة اتهام صنم معبود أمام كهانه والمتعبدين بمذهبه.

ونختمها بمحاكمة لا تقل عنها فى العجب، ولكنها تستمد العجب من أطوار المتهم فيها، وهو الدكتور مصدق رئيس وزارة إيران قبل انقلابها الأخير.

أطوار مصدق لا تكاد تصدق؟

إغماء وبكاء وتحد وهجوم، فى نفس واحد.

وفى الناس من يقول إنه خداع واحتيال، وفيهم من يقول إنه تمثيل وتلفيق، فهل تراها من قبيل الدهاء أو من قبيل الفن الجميل؟

نحسب أن السؤال على هذا الأسلوب صعب الجواب، ولكن السؤال الذى لا صعوبة فى جوابه هو: هل يستطيع مصدق أن يغير هذه الحالة؟ هل يستطيع أن يمتنع عنها باختياره وأن يصطنعها كلها باختياره؟

نحسب أن «لا» هى الجواب القريب إلى كل لسان.

فى سلوك مصدق ولا ريب شىء من الاضطرار، ولكنه قد يزيد فيه، أو قد «يسوقها» كما نقول فى تعبيراتنا العامية، أو قد يتخذ من الضرورة فضيلة كما يقول الغربيون.

والأطباء النفسانيون يرجعون إلى أطوار البنية الحية فى الأحياء الأولى، لتفسير بعض الظواهر النفسية التى تعرض لهم من أطوار بعض الناس.

يرجعون إلى أحوال «التماوت» التى يلجأ إليها بعض الأحياء اضطراراً لإخفاء حركته عن أعدائه وكفهم عن مطاردته.

يرجعون إلى « النوم الشتوى » Hibernatior وهو تدبير حيوى تلجأ إليه البنية الحية فى أثناء جمود الشتاء للاكتفاء بأقل ما يمكن من النشاط والغذاء، فينام الحيوان شهوراً ولا يحتاج إلى طعام.

ويرجعون إلى حالة بيولوچية قد تنقلب إلى حالة نفسية برياضة من الرياضيات الشاقة التى يتدرب عليها الدراويش والنساك، وهى حالة الانحلال الشعورى. Conscious Katabolism أغرب هذه الأطوار وأبعدها عن الاحتمال.

وكل هذه التدبيرات الحيوية أو البيولوچية مألوفة فى عالم الحياة عليها يقع إعفاء البنية من مجهود ثقيل عليها، واكتفاؤها بأهون ما يتيسر من النشاط وتوتر الأعصاب.

ومنها مايكتسب بالمحاولة والتعود على درجات، ومنها ما يبتدئ اضطراراً ثم يستطاع المضى فيه على حسب الإرادة.

وقد تعرض مصدق منذ سنوات لصدمة نفسية متفق على تاريخها، وتلك هى صدمته يوم ماتت ابنته وحيل بينه وبينها وهى تحتضر وتفارق الوعى والحياة... فلا يبعد أن بنية الرجل قد اعتصمت يومئذ بنوع من الشلل النفسانى المخفف لجهود الصدمة، ثم جعل هذا الشلل يعاوده مع الذكرى الأليمة حتى راض نفسه عليه، وملك إرادته فيه، فأصبحت له قدرة فى نوباته على التحول من الاضطرار إلى الاختيار، ومن الاختيار إلى الاضطرار.

وأيًّا كان نصيب الفن أو الدهاء أو المرض من أطوار الرجل، فلقد كانت محاكمته - والحق يقال - أبرع « مسابقة سياسية » بين المحاكمة وبين الاتهام، وكان الرجل ظريفاً حقًّا حين هرول من المحكمة غاضباً منها، كأنما كان مدعوًّا فيها إلى وليمة !.

كانت ضربته الأولى ضربة معلم بارع حين قال للمحكمة إنه يحاكم لحساب الدول الأجنبية لأنه أمم آبار البترول !

وقوبلت هذه الضربة بأبرع منها حين تلا رسول الشاه تبليغه الذى يعلن فيه أن الرجل يستحق تخفيف العقوبة، إكراماً لوطنيته واعترافاً بفضله فى تأميم تلك الآبار!

فليس التأميم علة الإدانة بل هو شفيع البراءة.

ولم يفقد هذا السياف البارع ثبات قدمه ولا اتزان حركته أمام هذه الضربة الماضية، إذ كان منظوراً أن يستكين الرجل ويستسلم للتهمة، ويعترف بأنه أساء واقترف ما يستحق العقاب بعد تخفيف العقاب.

ولكنه قابل الضربة فى طريقها قبل أن تصل إليه، وكان على الرغم من تماوته وإغمائه واعيًا متيقظاً لا يسهو عمن حوله من الواعين المتيقظين.

إن الرجل أعجوبة من أعاجيب السياسة العصرية، بل من أعاجيب السياسة فى جميع العصور.

ولاشك أنه على خلق، وإنه لخلق متين لا يقبل المراوغة فى مواضعها المعهودة، وإن هذا لهو أعجب العجب من طبيعة هذا الرجل الذى يوزع مواقفه بين اليقظة والإغماء.

لا أذكر وهو فى القاهرة أنه استرسل أو أطنب منوهاً بصاحب التاج فى بلاده أو بصاحب التاج يومئذ فى هذه البلاد، فكان بدعاً بهذه الصراحة السلبية بين الوزراء ورؤساء الوزارات، وبخاصة حين يمثلون دولهم عند دولة أخرى.

أليس هذا نفوراً من المراوغة فى مواضعها خليقاً أن نستقر به من إنسان لم يعرف الروغان قط عن مرض أو اصطناع فى جميع حياته..

بلى وأيم الحق ..فكيف بمن يغمى عليه مرات فى كل يوم، ومن يقال عنه إنه يمثل فى كل مرة ويروغ من المقال الصريح..!

إن فى الأرض والسماء أسراراً لا تحيط بها فلسفتك يا صاح!

كذلك قال صاحبنا القديم شكسبير.

ولكن أين أسرار الأرض والسماء من أسرار النفس الإنسانية؟ وأين الكون الكبير من الكون الصغير؟

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

أى وحق الإنسان، ومن خلق الإنسان.

obeikandl.com

طوالع العام.. وطوالع العالم*

صناعة سهلة:

التنجيم صناعة سهلة، لأن المجهود الأكبر فيها يقوم به الزبون، ولا يبق على الصانع غير مجهود قليل، يشاركه الزبون فيه على أكثر الاحتمالات.

وأغبى الأغبياء هو الذى يتكلم عن المستقبل فيثبت كذبه مائة فى المائة قبل أن يأتى المستقبل، إن أكثر الناس يكذبون على الحاضر فى رائعة النهار فيصدقهم الناس مرة بعد مرة بعد مرات. فما أغبى المتكلم عن المستقبل الذى يتعرض للتكذيب فى الحال. حسبه أن يعثر على خمسة فى المائة من الأقاويل التى يلوح عليها القبول، ولا عليه بعد ذلك.. فإن «المجنى عليه» يتمم له الخمسة والتسعين الباقية وهو مستريح.

كلنا يحب أن يداعب الغيب المجهول. وكاتب هذه السطور يحسب أنه من أعداء التنجيم، أو من أعداء التشاؤم والتفاؤل، سكنت منزلا رقمه (١٣) واخترت رقما للتليفون مبدوءًا بـ (١٣) وهجمت على شؤم ابن الرومى فى معقله الحصين، ووضعت على مكتبى تمثالى بومتين غلب شؤم إحداهما على الأخرى فانكسرت، ولا تزال الأخرى تعمل عمل الاثنتين بكل ارتياح.

ومع هذا لا أكتم القارئ أننى أصطنع التنجيم بينى وبين نفسى فى كثير من الأيام، وطريقتى فى مداعبة الغيب أن أتناول كتاباً ثم أفتحه على صفحة ما، ثم أعد ست صفحات وأعد من السابعة ستة سطور، والسطر السابع هو المقصود.

وأمامى الساعة كتاب عن الحيوان أنوى أن أرجع إليه، وسيرى القارئ قريباً لماذا أرجع إليه. جربت فيه هذه الطريقة وانتهيت إلى الصفحة التاسعة والثمانين

---

* أخبار اليوم ١٩٤٥/١/٢.

فقرأت فى السطر السابع منها هذه العبارة : « إن الطيران الناجح ليلاً ينقض ما يقال عن اهتداء الحمام بالنظر فى معرفة الاتجاه ».

والحق أنه كلام موافق فى هذا المقام، وقس عليه كثيراً أو قليلا من هذا القبيل.

الشاطر « هانس » :

والشاطر هانس هذا هو اسم حصان سموه فى القرن الماضى بهذا الاسم Clever Hans لأنه برع فى إجابة الأسئلة على طريقة المنجمين.

يسأله السائل عن مجموع سبعة وثمانية مثلا فيضرب بقدمه خمس عشرة مرة. ويسأله سؤالا يجاب بالكلام، ثم يعرض عليه الحروف الأبجدية، فيضرب بقدمه عند كل حرف مطلوب، حتى يتم الجواب بكلمة أو اثنتين، وتألفت لجان من العلماء لمراقبته وكشف حقيقته. فارتفعت من أمامهم كل شبهة للغش والخداع، وتبين أخيراً أن الحصان يتفرس بنظره ويرى من حركات سائله أين يقف بضربات قدمه، وبلغ من دقته فى هذه الفراسة أنه يلمح علامات الإجابة الصحيحة وإن لم يقصد السائل أن يدله عليها.

هذا يستطيعه حصان، فهل كثير من المنجمين من بنى آدم أن يسأله السائل عن أسراره وآماله فيأخذ من ملامحه الجواب؟

كلا.. ليس بكثير، إلا إذا كانت معرفتنا ببنى آدم صحيحة جدًّا فوق اللزوم؟

والسياسيون أحصنة:

نعم، ولولا أن الشاطر هانس كان حصاناً ولم يكن حماراً لما كذب، بل يقول إنهم حمير.

والدليل بالإحصاء كجميع الأدلة التى يعتمد عليها فى هذه الأيام.

أرقام ولا كلام..

فماذا تقول الأرقام إذا سجلت على ساسة العالم أخطاءهم فى الطرق التى يسيرون عليها والطرق التى يتجنبونها، ثم سجلنا هذه الأخطاء على عدد مثلهم من الحمير؟

فمما لا شك فيه أن الحمير لا تخطئ فى اختيار طريقها مرتين، وإن هى أخطأت مرتين لم تخطئ أربع مرات. أما الساسة فلا لزوم هنا للبحث عن عدد الأخطاء فإنها لا تحصى ولا تستقصى. وأيسر من ذلك أن نعد الصواب وهو قليل جدًّا فى مراتب الأرقام، إلا إذا كانت من الأصفار.

ومن أراد التحقيق فليسمع منهم ما يقولونه فى مطلع هذا العام، وليذكر ما قالوه فى مطلع العام السابق، ولينظر بعد ذلك فى نسبة الصدق منه والكذب ونسبة الخطأ منه والصواب.

وليترحم بعد هذا وذاك على شهيد العلم والصدق فى القرن الماضى «الشاطر هانس».

وله أن يعلو قليلا أو يهبط قليلا فيذكر بالخير (حمار الحكيم) أطال الله حياته وابقاه.

من أين لك هذا:

ومن أين لك هذا سؤال مصحوب بالشتيمة المعهودة من كاتب لم يوقع خطابه باسم صريح ولا باسم مستعار ولكن الخطاب كله توقيع صريح باسم كارل ماركس.

واسم كارل ماركس يشمل كل تلاميذه (المهذبين) يسألنى كاتب الخطاب : من أين لك ما زعمت عن « السياسة السوفيتية » فى عهد مالنكوف ؟

وأجيبه بالإيجاز أنه ضرب من التنجيم، وأننى أفضل أن أكون فى معلوماتى التنجيمية تلميذاً للشاطر هانس ولا أكون تلميذاً للمعلم كارل ماركس « رحمة الله عليه ».

فكارل ماركس اللبيب سمع قبل مائة سنة بثورة فى باريس، فظن أن نبوءاته قد صدقت وذهب إلى باريس ليقبض بيده على زمام الحكومة الأوربية، أو الحكومة العالمية إذا ساعدت الظروف والفرص. قبل أن يسبقه الزحام إلى ذلك الزمام.

ذهب إلى باريس قبل مائة سنة ليقبض على زمام العالم، فخرج منها بعلقة مليحة . .

ونعتقد اعتقاداً لا يشوبه الشك أنه لو ذهب اليوم إلى الكرملين لخرج بنفس النتيجة . . مع الفرق بين « الف اكسو » وواحد (ناوله).

أى مع الفرق بين العلقة الباريسية والعلقة المسكوفية، وبين التكدير بالأمس و « التصفية » اليوم.

من أين لى هذا ؟ من مسألة بسيطة لا غرابة أن تفوت على الأستاذ كارل ولا تفوت حتى على الشاطر هانس.

من خطبة مولوتوف على ضريح ستالين، فإنه لم يذكر فيها مالنكوف بحرف واحد، وذكر فيها الجيش وأطنب فى ذكره. ولو كان مالنكوف هو الحاكم بأمره هناك لكان الصريع الأول مولوتوف وبقى بريا بمنجاة من السقوط والهلاك . .

وإذا شاء تلميذ الأستاذ (كارل) أن يعرف طرفاً من تنجيمنا دون أن يسألنا عن سر الصنعة، فليرجع إلى تحقيقات الصحفى المشهور محرر الشئون الخارجية

بوكالة الصحف المتحدة، وقد سجلها بعد ثلاثة أشهر قضاها فى البلاد الروسية وترجمتها «الأخبار الجديدة» فى الثامن والعشرين من ديسمبر الماضى حيث يقول: «وقفت على أخطر تطور فى روسيا للثورة البلشفية. إن فى روسيا الآن ثورة تتطور فى هدوء وبسرعة.. وقد أم هذه الطبقة المتوسطة الجديدة فى روسيا مديرو المصانع، وأساتذة الجامعة والعلماء والكتاب والمهندسون، وضباط الجيش ورؤساء العمال».

هذه التحقيقات بنت الساعة (نجمناها) نحن قبل ثلاث سنوات فى رسالتنا عن «فلاسفة الحكم فى العصر الحديث»، ولخصنا فيها الرأى الذى ينبئ بهذه النتيجة وهو كما جاء بالصفحة (١٠٦) من تلك الرسالة:

«إن حساب كارل ماركس قد اختل فى مسألة من أهم المسائل التى بنى عليها تقديراته ونبوءاته، وهى مسألة القضاء على أصحاب الأموال باستيلاء العمال على المصانع وإدارتها لحسابهم، واستيلاء الجند على الأسلحة واستخدامها فى مقاومة القادة والرؤساء. فقبل مائة سنة فى أيام كارل ماركس كانت الآلات الصناعية من البساطة بحيث يستطاع أن تدار بأيدى العمال، وكانت الأسلحة على مثل هذه البساطة بالقياس إلى خبرة الجندى وذكائه. أما اليوم فقد أصبحت خبرة المهندس لازمة كل اللزوم لتناول الأدوات الدقيقة، وتحصيل العلم الضرورى لتنظيمها فى جملة حركاتها، وأصبحت الخبرة الفنية التى يتدرب عليها المهندس العسكرى، أعظم وأدق من أن تسلم مقادها للجندى أو للثائر الذى لم يتدرب على استخدام الأسلحة المختلفة بالأساليب الفنية، ومن هنا نشأت طبقة غير طبقة أصحاب الأموال، وغير طبقة الصناع والعمال تشرف على أدوات الإنتاج ولا يتأتى الاستغناء عنها فى المجتمع القائم على الصناعات الكبرى. وهذه هى طبقة المديرين الفنيين.. وخبراء الصناعة وما إليها».

ونحن نؤكد لمن يسألنا من أين لك هذا. إن هذا من هذا، وإن هذا إذا وجب أن يكون واحداً من اثنين: الشاطر هانس أو المعلم كارل.. فنحن

نفضل الأول على الأخير، وكلاهما من مواليد القرن التاسع عشر، مع الفارق فى دقة الحساب.

الكرة الأرضية تدور يميناً:

وعلى هذا، وبعد العلم بمن أين لنا هذا نقول: إن الكرة الأرضية فى العام المقبل ستدور يميناً ولا تزال تدور إلى اليمين حتى يلتقى اليمين بالشمال.

ومنذ خمس سنوات قلنا إن المذاهب الهدامة لا تبق لها بقية بعد عشر سنين، ولم يبق منها اليوم غير خمس. فلينتظرها المتفائلون أو المتشائمون. فلعلها أسرع مما يظنون.

إن «أديباً» من العراق كتب بعد الثورة الصينية يسألنا: ألا تزال على رأيك فى هذا الميعاد؟

ولو لم يكن هذا «الأديب» وأمثاله ممن يأخذون بالظواهر لما فهم من الثورة الصينية أنها تنقض ذلك التقدير، ونحسب أننا الآن فى مقام التنجيم عن العام الجديد، نستطيع أن ننقص من السنوات الخمس الباقية خمسة أيام «بقشيشاً» لتلاميذ المعلم كارل، إذا بق منهم من يفضله على الشاطر هانس أو على حمار الحكيم.

طوالع العالم:

ومن التقدم، أو من التوسع، فى علم التنجيم أنه يتناول طوالع الكون كله فى أمثال هذه المحطات الزمنية. فإن أردنا نحن أبناء القرن العشرين أن نتواضع بعض الشىء فلا تقدم فى الأمر ولا توسع، لأن المنجمين ما زالوا منذ القرون الوسطى يتنبئون عن يوم القيامة ويحددون له التاريخ بالسنة والشهر واليوم، ويقولون قديماً إن القيامة قائمة فى سنة ألف للميلاد... فلما مضت سنة ألف نظروا فى التأجيل إلى أمد قصير أو طويل.

والظريف أن هؤلاء المنجمين الذين قرنوا موعد القيامة بميلاد السيد المسيح، لم يكن لهم علم قاطع بتاريخ ذلك الميلاد، واختلفوا فيه بين السنة الرابعة والسنة السابعة قبل الميلاد.

كان الراهب دروثمار يضرب للقيامة موعداً فى الرابع والعشرين من شهر مارس سنة ألف.. فتوافد الحجاج بالألوف إلى بيت المقدس من جميع الأقطار الأوربية ليشهدوا يوم القيامة بجوار مولد السيد المسيح.

ثم خاب الظن، إن صح هذا التعبير، فتفضل متنبئ آخر بتأجيل اليوم إلى سنة ١٥٣٧ لأن عمر الدنيا فى تقدير هذا المتنبئ - وهو فنشانت فرار الأسبانى - لا يزيد على عدد الآيات فى المزامير.

وحصل تعديل من جانب آخر فقال الفلكى الألمانى ستوفلر إن القيامة قائمة بطوفان يغرق العالم سنة ١٥٢٤، لأن زحل والمشترى والمريخ تقترن يومئذ فى برج الحوت.

ورصد المنجمون مذنبات المنظومة الشمسية بعد ذلك بقليل فجعلوا للقيامة موعداً عند مطلع كل نجم ذى ذنب... فمرت هذه النجوم بأذنابها واحداً بعد واحد «وعمر الشق بق» كما يقولون.

أما هذه الطوالع فى القرن العشرين فهى شىء محترم تصدر به الكتب العلمية ويستحق بعضها أن يقدمه العلامة أينشتين بكلمات يقول فيها «إنها مبنية على معرفة ثابتة سهلة الهضم جذابة الأسلوب».

وأحد هذه الكتب ظهر قبيل نهاية السنة الماضية، أى فى الموعد الملائم، فتفضل مؤلفه بتأجيل طويل لذلك الموعد المنتظر يمتد إلى ملايين السنين.

لهذه النهاية يجوز أن تصيبنا من جانب القمر، لأنه يتباعد عنا ويبلغ غاية البعد فى مدى خمسين ألف مليون سنة، ثم يقترب ويقترب حتى يختل نظام المد والجزر فتغرق الأرض بالطوفان.

هذا أو تصيبنا النهاية من جانب الشمس فتنفجر أو تنتحر، بعد أجل أطول من تلك الملايين.

هذا أو تصيبنا النهاية من أيدينا نحن يوم نبلغ الغاية من البراعة فى إتقان القذائف الذرية فننسف بها عالمنا مشهوداً لها فى الكون كله بغاية البراعة والإبداع.

ومن أسباب الطمأنينة لشركات التأمين أن المنجمين فى عصرنا هذا لا يزالون على عادات الصناعة من الكذب والخلط والتردد بين النقيضين، فمنهم من ينذرنا بالقيامة لأن الشمس تفقد حرارتها شيئاً فشيئاً إلى أن تبوخ وتموت، ومنهم من ينذرنا بالقيامة لأن الشمس تزداد حرارة بما يجرى فيها من عمليات الانشقاق والالتحام، فى الذرات والأجرام.

وأدعى من ذلك إلى الطمأنينة أن المؤلف يعول على رأى العلامة هويل الذى يقول إن الأكوان تتكون على الدوام فى أنهار المجرة التى تملأ السماوات، فإذا ذهبت الأرض فلتذهب غير مأسوف عليها، ولنا منها بديل فى كرة أخرى من تلك الأكوان.

ومن اليوم إلى أقرب تلك المواعيد وقت كاف يسمح لنا أن نصدق هؤلاء المنجمين أجمعين، أو نكذبهم أجمعين، فلا فرق بين التصديق والتكذيب على مسافة الملايين من السنين.

ألـوان الأيـام*

إن بعض الفلاسفة ينكرون وجود الزمن ويزعمون أنـه وهـم مـن أوهـام العقل الإنسانى لاوجود له فى الواقع، ولكن الإنسان يشعر بـه لأنـه يشعر بالحوادث تتوالى فيسمى هذا التوالى زمناً أو وقتاً أو ما شاء، من هذه الأسماء.

على كل حال هذه مسألة خلاف لكن المسألة التى لاخلاف عليهـا أنـه لا ينظر بالعين ولا يعرف له لون كان له وجود.

ولا ألوان إذن للأيام.

نعم لاألوان للأيام، وهذا معقول وصحيح، ولكننى مع هذا أقـول إننـى لم أذكر يوماً من الأيام المعدودة إلا رأيت له لوناً وميزته بصبغة يخـالف بهـا سـائر الأيام.

وهكذا أنت أيها القارئ، وهكذا كل إنسـان، لأننـا• مـطبوعون جميعـاً على تصوير المعانى الذهنية بصورة حسية تتفاوت فى الوضوح على حسب التفـاوت فى انطباعها على صفحات الوجدان والخيال.

وليس الناس على نمط واحد فى هذا التصور، فأما النمط الـذى أعـرفه مـن طبيعتى فهو تمييز الأيام المفرحة بألوان ربيعية كالتى نشاهدها أيام الربيع على وجه الأرض وتحت قبة السماء، وتمييز الأيام المكروهة بـالوان الجـو الـكالح المشـوب بالسحب والدواخين والأتربة، وكلها تبعـث فى النفس إحسـاساً خفيًّـا بـوجوب إزالتها، ثم تختلف الإزالة المطلوبة : هـل هـى كنس أو إزاحـة أو تنفيض أو تحطيم. . ؟

لكنها غاشية لايستريح الناظر إلى بقائها، فـلابد أن تـزال بحـال مـن

* أخبار اليوم ١٩٥٤/١/١٦

الأحوال. وتقترن هذه الصورة عادة بصورة المكان الذى حصلت فيه المزعجات أو المحزنات، أو المكان الذى يخطر اسمه على البال كلما ذكرت تلك المزعجات وتلك المحزنات.

مثال ذلك أننى كلما ذكرت كلمة الاحتلال ذكرت معها فى وقت واحد دخاناً يحيط بميناء الإسكندرية وصحراء التل الكبير وقلعة صلاح الدين، ووثبت بالذاكرة توًّا إلى حروب صلاح الدين.

وإننى كلما ذكرت وفاة سعد ذكرت غاشية ضبابية كابية تربط بين بيت الأمة وضريحه فى الأمام، وتحتها أشباح من الناس كأنها أشباح الظلام.

ومن هذه الأيام يوم « المصادرة » بمجلس الشيوخ، وأسميه يوم المصادرة لأننى هكذا أعرفه بين أمثاله من أيام الحياة البرلمانية، وأعنى به يوم مصادرة الحرية فى التعليق على مراسيم التعيينات عقب الاستجواب المعروف.

كلما ذكرت هذا اليوم ذكرت حجرة المعارضة ملفوفة فى غبار يكاد يغشى كراسيها والجالسين عليها، فلا يتبين الناظر وجوههم إلا وعليها قترة ووجوم ولا يزال يسأل: أين الفراشون؟ أين المراقبون؟ أين الموكلون بالنظام فى هذا المكان؟

وأطرف مافى هذه الصورة أننى لا أستعيدها مرة إلا استعدت معها وجه الأستاذ حافظ رمضان وصوت الأستاذ حافظ رمضان.

مع الأستاذ حافظ رمضان:

وسبب ذلك أننى كنت فعلا أحادث الأستاذ حافظ رمضان، وكنا قد وقفنا لحظة عند المنضدة ننظر إلى الكتبة وهم ينسخون عريضة الاحتجاج ثم اتجهنا معاً بحركة غير مقصودة إلى كنبة كبيرة نجلس عليها، كأننا نستريح من مسيرة ساعات.

وجلس الأستاذ حافظ يتأفف ويتبرم وكان أول كلامه : إلى أين ينتهى الجنون بهذا الولد الرقيع . . ؟

ولم أكن بحاجة إلى السؤال عن الولد المجنون، فكأنما كان الأستاذ حافظ يسمى فاروقاً باسمه فلا يحتاج السامع إلى سؤال.

ومضى الأستاذ حافظ يقول : إنها نوبات وقاحة ورقاعة، ولكنها رقاعة سمجة غاية فى فساد الذوق.

قال : تصور . . تصور أن هذا الولد يستدعى فى أحد الأندية سيدة متزوجة على مسمع من زوجها ويخلو بها فى حجرة مجاورة . . ماذا تسمى هذا ؟ فجوراً ؟ عبثاً ؟ هوساً ؟ إنه فى الحق نوبة مرض لا توصف بغير الجنون.

وكان الأستاذ حافظ يتكلم فيرتفع صوته شيئاً فشيئاً، كأنه فى عزلة عما حوله، واستطرد من قصة ذلك النادى التى سمع بها وأوشك أن يرتاب فى صحتها لغرابتها، إلى قصص أخرى عن ولع فاروق بتحقير كل من يصاحبه ويمشى معه، كأنه لايصدق أنه ملك ولايشعر بامتيازه عليهم إلا إذا استطاع أن يحقرهم وهم صاغرون.

نموذج حى :

ولم أكن فى ذلك الوقت قد قرأت مسرحية « كاليجولا » للأديب الفرنسى « البرت كامى » الذى تحدثنا عنه فى الأسبوع الماضى، ولعلها لم تكن ترجمت إلى اللغة الإنجليزية لأنها ظهرت بالفرنسية فى سنة ١٩٤٤ وغمرتها ضجة الحرب والصلح فى ذلك الحين.

ومن تداعى الخواطر أننى كنت اذكر الأستاذ حافظ رمضان وأتصفح البرت كامى فى وقت واحد، فتمثل لى حديثه عن فاروق وحديث كامى عن كاليجولا الإمبراطور الرومانى المجنون ووجدتنى أسائل نفسى متعجباً من هذه المشابهة بين

فاروق، وكاليجولا، وأكاد أتخيل أن فاروق كان يقلد زميله القديم أو أن الكاتب الفرنسى كان يتخذ من فاروق نموذجاً حيًّا لبطل روايته، فهما نسخة واحدة مع بعض التشويه هنا وهناك، كما تنطبع النسختان المتشابهتان فى الورق النشاف.

كدت أتخيل هذا لولا أنه خيال بعيد، ولكن الحقيقة أن هذه المشابهة الواقعية شهادة حسنة لعبقرية الكاتب صاحب المسرحية، فقد كانت الأطوار الغريبة التى تخيلها موافقة لشخصية الإمبراطور القديم كأنها صورة منقولة من الحياة بغير تصرف كبير، وكأنما كان فاروق نموذجه الحى فى النحت والتمثيل.

لكن أطوار «كاليجولا» قد امتازت بالصقل الفنى الذى ترك فاروق إلى جانبه كالنسخة «الغشيمة» بغير تنجير أو تنميق، فكانت رقاعته محرومة من الأناقة، إن صح أنه حرمان..

كان كاليجولا كما صوره «كامى» يداعب أعضاء مجلس الشيوخ الأجلاء وينادى أحدهم كما نادى نحن «توتو» وتوحة وميمى من أطفالنا المحبين، وكان يصطنع الاهتمام بشواغل الدولة فيركب المحفة مستغرقاً فى الحديث عنها مع الشيوخ الموقرين، ولا يزال يصطنع هذا الاستغراق والمحفة تتحرك والأقطاب الموقرون يهرولون إلى جانب السواس هرولة تخل بهيبة الوقار، وتكون التوصية قد سبقت إلى الخدم بزيادة السرعة إلى الحد الذى لايطيقه أولئك السادة الأجلاء، ولايدرون ماذا يصنعون.

وكان يلذ له أن يأمر بقتل الآباء والأبناء والأزواج والأعزاء، ثم يستدعى المفجوعين فيهم من ذوى قرباهم فيهيج أمامهم ويتوعدهم أن يطيعوه أو يقذف بهم إلى الجلاء الواقف بالمرصاد، ثم يأمرهم بالضحك، ويضحكون، فيأمرهم بالقهقهة، ويقهقهون... فيستزيدهم ويستعيدهم كأنهم فى مباراة..

ثم يقهقه هو، حقا لا تمثيلا، حين يراهم قد بلغوا من الحماسة فى القهقهة المغتصبة غاية المستطاع.

ويكرم النبلاء بدعوتهم مع زوجاتهم إلى مائدته وإلى حفلات رقصه وغنائه، ثم يخاصر إحدى الزوجات إلى مكان قريب.

ويكرم الشعراء أيضاً.. ولكن أى إكرام..؟

يأمرهم بأن ينشدوا قصائدهم وأن يسكت المنشد حين يسمع الصفير من فم الإمبراطور، ويتبعه الواقف إلى جواره على الأثر فينشد أبياته وراءه كأنها تتمة القصيدة المبتورة، وبين القصيدتين مفارقات كأبعد ماتكون المفارقة بين الغزل والرثاء وبين الحكمة والهجاء.. ثم يأمرهم بحمل ألواحهم وإخراج ألسنتهم ولحس القصائد من تلك الألواح، حتى لا أثر فيها ولابقية من مداد.. وذلك فيما يرى خير تقدير من ألسنتهم لتلك البلاغة المشتهاة..

مسكين فاروق.. إنه «كاليجولا» بغير فن وبغير معنى، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها فقد كانت سماحته نثراً مبعثراً يحتاج إلى الوزن والقافية، ولم يكن له خيال كاليجولا ولا خيال كاتبه الحديث.

وهذا هو المعنى:

ولو كان الكاتب الحديث منطقيًا مع نفسه لما أخرج «كاليجولا» من المادة «الخامة» التى كان فيها إلى هذه الصنعة المصقولة المتناسقة، لأن الدنيا كلها خبط عشواء فى رأيه ومذهبه، فليس أصلح لها من مزاج «خبط عشواء» كمزاج ذلك الإمبراطور المختل على الرغم منه وبمحض إرادته، وبحكم الفوضى التى خلقها والتى خلقت له قبل ولادته.

ولكن القافية لا تعذر.

ونريد بالقافية هنا سلطان الفن، حيث حكم على المؤلف حكمه المطاع فاضطره اضطراراً إلى وضع المعنى فى المسرحية التى كتبها ليقول إن الدنيا كلها «خبط عشواء» بغير معنى.

نعم ياصاح..

إن الفن أستاذ معلم لمن يحب أن يتعلم، والفن يقول لنا إنَ الخلق بغير معنى مستحيل، وإننا ساعة نخلق قطعة من قطع الفن نلمس هذه الحقيقة لمساً قوياً فى كل سطر وكل نغمة وكل ضربة بالريشة أو الفرشاة..

حتى هذه «اللخبطة» التى يسمونها المستقبلية وما فوق الواقعية إلى آخر ما يهذرون به من ذلك الهراء العقيم.

نعم حتى هذه «اللخبطة» نلمس وراءها الرغبة فى اللخبطة واجتناب النظام والغرض المرسوم فلا يستطيع الرسام أن يظهر للناظر أنه لا يقصد شيئاً إلا حين يقصد هذا ويتعمد أن يبرزه على وجه من الوجوه.

والعالم كله لو كان بغير معنى لما استطعنا أن نفهم ذلك ولا أن نفهم معنى الفوضى والاختلال، وإلا فمن أين تأتى لنا فكرة النظام وفكرة المناقضة للنظام.

ولمن شاء أن يقول إننا لا ندرك معنى ذلك النظام لأنه أكبر من عقولنا، ولمن شاء أن يقول إنه نظام لايحسب لنا حساباً ولا يجرى على هوانا، ولمن شاء أن يقول إنه نظام يغيب فيه الحاضر كما تغيب الصورة المنقطعة فى شريط الصور المتحركة، فلا نرى من القصة غير لمحة واحدة.

أما إنه بغير معنى، فهذا هو الكلام بغير معنى، ويكفى أن توجد كلمة المعنى فى لغة إنسانية واحدة لكى نتردد كثيراً قبل أن ننكر معنى الوجود ومعنى الحياة.

الأديب لا الإمبراطور:

ولقد تعمد صاحبنا «كامى» أن يختار «كاليجولا» دون غيره ليثبت سخافة الدنيا ويضرب فيها خبط عشواء، فماذا ثبت بعد هذا المجهود الفنى على يديه؟

ثبت أن الرجل «خبط عشواء» لا ينسجم مع الدنيا ولا ينسجم مع نفسه

وثبت أنه شاذ تتفرج الدنيا على شذوذه عشرين قرناً وتعجب لوجوده فيها يوماً من الأيام.

فهل من أجل ذلك يقال إن الدنيا ومن فيها خبط عشواء؟

وماذا تصنع الدنيا لتقول لنا إنها نظام ونظام ونظام، وإنها لا تطيق «الخبط عشواء» فى الحياة ولا بعد الممات؟

إننا نحسب أن «كاليجولا» شخصية لا رسالة لها فى عصر من العصور، لأنه شخصية مختلة معتلة سواء ظهرت فى القرن الأول للميلاد أو ظهرت فى القرن العشرين، وسواء نبتت فى علم الحضارة أم كانت من نبات الهمجية الأولى..

أما الشخصية التى تؤدى رسالتها النفسية الفنية فى ذلك القرن - نعنى القرن الأول للميلاد - فهى شخصية أديب ذكى ألمعى متزن القوى والملكات وليست بشخصية الإمبراطور المختل الفكر والشعور.

الشخصية النادرة الغريبة فى ذلك العصر هى شخصية «بترونيوس»، الكاتب الشاعر الفيلسوف الذواقة، الذى لقبوه فى زمانه «بالفيصل» لسلامة اختياره فى كل مسألة من مسائل الذوق والنقد والأناقة والتمييز.

هذه الشخصية النادرة رآها الألوف من رواد الصور المتحركة فى القاهرة ممثلة فى رواية «كوفاديس» من تأليف الكاتب البولونى التترى هنريك سينكوفيز الذى شغل كما شغل كامى بأعاجيب القرن الأول للميلاد، وتوفى قبل مولده بثلاث سنوات.

ولا نعلم كيف مثل المخرجون «بترونيوس» على اللوحة البيضاء، ولكننا نعلم أن الكاتب البولونى قد أحسن تصويره واستمد ملامحه جميعاً من التاريخ المأثور، ولولا التصرف الذى يلجأ إليه القصاصون لكانت صورته فى الرواية مضارعة لصورته الصادقة فى تاريخ «تاسيتوس» مؤرخ الرومان المشهور.. ولكن القصاص

البولونى زوقه قليلا بزواق الغراميات والعلاقات الخاصة التى صغرته نوعاً من التصغير ولم تستطع مع ذلك أن تخفى سجاياه التى قد ترفعه من بعض الجوانب إلى مقام فوق مقام سقراط..

بترونيوس هذا قد بلغ بالنفس الإنسانية غاية ما تبلغه من القوة بفضل الإيمان بالجمال والحياة، كلما عزت عليها قوة الإيمان بالحق وما هو أكبر من الحياة.

نظر حوله فإذا الدنيا تعطيه كل ما يشبع شهواته، ولا تعطيه شيئاً مما يشبع الروح، فعاش فيها كأنه غريب عنها يحتملها احتمالا ويتسلى فيها باللذات عن غائب مفقود، واصطبر ما وسعه أن يصطبر فى غير هوان ولا استكانة، فلما أحاط به الهوان ووجب أن يصبر عليه أو يفارق الدنيا، فارقها أعجب فراق وعاه لنا تاريخ بنى آدم وحواء.

قال عنه تاسيتوس فى الكتاب السادس عشر: «إن ذكراه جديرة بالمراجعة فى هذا السياق».

ثم قال «إنه كان ينام النهار ويسهر الليل فى قضاء واجبات الحياة والمتعة بمسراتها، وقد اشتهر غيره بالجهد والمحاولة ووصل هو إلى الشهرة على مهل وأناة، ولم يكن كغيره من المترفين على فسادهم وإفراطهم، ولكنه كان على الغاية من سلامة الذوق، فكل ما قاله أو أبداه يأتى هينا عفواً بغير كلفة فيروق من أجل ذلك ويشوق لما فيه من الدقة مع قلة الاكتراث وعلى أناقته تولى ولاية «بثيينا» وكيلا فقنصلا فامتاز فى سياستها بالهمة والاقتدار».

ثم أشار تاسيتوس إلى خصومه الذين حسدوه لكفايته، وإعجاب نيرون بلباقته وأستاذيته، فأوغروا عليه ذلك المجنون الآخر من عواهل الرومان، فأنف الرجل أن يتوسل ويتشفع وآثر الموت على الحياة.

وفى ذلك يقول تاسيتوس: «إنه لم يشأ أن يذبل ويذوى بين الخوف

والأمل، ولم يشأ كذلك أن يقضى على حياته بضربة عنيفة قاضية، ولكنه فصد بعض عروقه ثم ربطها برفق كما بدا له وجلس إلى أصحابه يحدثهم، فلم يلمح عليه أحد منهم أثراً للهم أو الوجل، ولم يحادثهم ليستمع إلى كلام فى خلود النفس أو كلام من عظات الحكماء، بل كان حديثهم كله يدور على الشعر اللطيف والطرائف المستحبة، ونظر فى شئون خدمه فكافأ بعضهم وأمر بجلد الآخرين، وذهب لينام ففارق الحياة وهو نائم بغير عناء، ولم يتملق فى وصيته نيرون أو تيجلينوس كما فعل غيره فى وصاياهم، بل عرض فيها لمساوئ نيرون ودعارته مع البغاة والبغايا وأرسلها إليه مطبوعة بخاتمه، ثم حطم الخاتم مخافة أن يستعمل بعد موته فى إيذاء أحد من الناس».

أراد المؤرخ الكبير أن يعقد المقارنة فى هذا الموقف بين بترونيوس وسقراط الذى تجرع السم ثم جلس ينتظر الموت ويتحدث إلى أصحابه فى الخلود وبقاء النفس بعد الموت، فهو قد واجه الموت بقوة مستمدة من الخلود،وتلك قوة لم يرزقها بترونيوس فى مثل موقفه، ولكنه وجد فى ذهنه الصفاء الذى يسعده على رواية الشعر الجميل والاستماع إليه ويتيح له أن يفرغ لشئون الدار والخدم كما كان يفرغ لها سائر أيامه بعيداً من شبح القبر الذى يترقبه بعد ساعات ثم يذهب لينام فينام.. ولا يقلقه أنها النومة التى لا يفتح بعدها عينيه وليس من ورائها غير الفناء بلا رجاء.

أعظم من سقراط:

فهو بحق أعظم فى هذا الموقف من سقراط.

وهو بحق صاحب رسالة فى القرن الأول للميلاد على مقربة من أكبر معترك بين الوثنية والدين: رسالة لا تعدها رسالة فى الدلالة على غربة الحياة.. إلا أنها غربة من نوع آخر غير تلك الغربة التى يحسها «كامى» ومن نهج معه فى طريق، إذ هى غربة الذوق السليم يعانيها فيصل الأذواق، ويقول فى رسالته التى

برهن عليها بحياته وموته إن الإنسان مخلوق ليؤمن بشيء أعظم من الحياة، وإلا فالحياة عنده عبء يحتمله احتمالا ولا يبالى أن يخرج منه كما يخرج من فرجة مملولة أو من متحف فيه سر مفقود.

رسالة بترونيوس أن افتقاد الإيمان فى الدنيا من الكياسة وسلامة الذوق، وليس قصاراه أنه وجهة فكر، أو علالة حسن، أو قبلة ضمير.

obeikandl.com

بعد يوم*

بعد يوم نحتفل فى مصر بذكرى ميلاد الدنيا، ونفرُحها بشبابها.. لأن بعضهم يقول إن عمرها بعد غد لا يزيد على سبعة آلاف سنة.. فى حين أن العارفين بهذه العجوز المتصابية يقولون إن سبعة آلاف مليون سنة أقل من سنها عند الرضاع.

والبحث فى الأصول متعب على كل حال، وفرحة الدنيا بشبابها تسرها وتسر أبناءها، ولاتسوء أحداً.

فليكن عمرها بعد غد ما يكون سبعة آلاف سنة، أوسبعة آلاف مليون سنة، أو سبعة وبعدها أصفار لا تنتهى، أوسبعة وقبلها أصفار بلا أول يعرف ولا آخر يوصف.

ليكن عمرها بعد غد ما يكون، فهى قد ولدت بالسلامة، وهى تذكر لنا مولدها بعلامات، وعلى حسب هذه العلامات نعرف يوم الميلاد بغير تعداد.

من علامات الميلاد شمس تعتدل وأرض تنبت الثمر والبقول، وطير تمرح، وحيوان يسرح، وإنسان بينها يمشى على قدمين، وليس يهمه أن يمشى بهما إلى أى مكان.

شمس تعتدل قبل كل شيء.. وشمس تعتدل قبل كل شيء معناها فى عرف الأقدمين نهار وليل مستويان.

وهذه أول علامة، فهل هى صادقة؟

لا نظن.. أوهى غير صادقة على التحقيق، وتلك بعض العلامات على كذب الدنيا فى مسألة العمر، وغيرها من العلامات كثير.

قالوا إن الدنيا خلقت معتدلة ثم اعوجت باختيارها، فاختلف النهار والليل وهذا أول اختلاف، ثم جعل النهار ينقص والليل يزداد حتى بلغا غايتهما من النقص والازدياد فى مولد الشمس الجديد آخر العام.

أما بعد غد - يوم شم النسيم - فبينه وبين ذكرى ميلاد الدنيا أربعة وثلاثون يوماً، أى أكثر من أربعة أسابيع.

لماذا ياترى هذا التأخر فى القيام بواجب الاحتفال بتلك الذكرى السعيدة؟ السبب مرة أخرى هو الاختلاف. أى اختلاف؟ أهو فى هذه المرة اختلاف الليل والنهار؟ .. كلا وألف مرة كلا، بل هو اختلاف أبناء آدم وحواء، واختلاف أتباع موسى وأتباع عيسى من جهة، ثم اختلاف أتباع عيسى من بعض الجهات.

إن أتباع موسى وأتباع عيسى لا ينبغى أن يحتفلوا بعيد الفصح فى يوم واحد، فلا بد من تقديم أو تأخير.

وبعد تعطيل العيد عشرات السنين فى القرون الأولى، بقى من بقى على الموعد القديم، واتفق من اتفق على موعد جديد، وهو يوم الاثنين الأول بعد يوم الأحد الأول، بعد القمر الأول، بعد يوم الاعتدال..

ولا يظن المتعجلون أن الحكاية بهذه السهولة التى يتصورونها، وأن ذوى العقول وذوى الأيدى قصروا فى بذل الجهد الجهيد للتوفيق والتوحيد.

إن عصبة الأمم على جلالة قدرها عالجت هذه المشكلة قبل ثلاثين سنة - أو بالضبط فى سنة ١٩٢٥ - وحاولت أن تثبت عيد الفصح فى يوم واحد يحتفل به العالم كله، فعجزت عن هذا التوحيد كما عجزت عن كل توحيد، وانتقلت إلى رحمة الله قبل أن تثبت ميلاد الدنيا من جديد.

وظن البرلمان الإنجليزى بجلالة قدره أنه مستطيع مالم تستطعه عصبة الأمم بجلالة قدرها، فظل ثلاث سنوات يبحث هذه المشكلة إلى سنة ١٩٢٨.. ثم

قرر الاحتفال بالعيد يوم الأحد الأول، بعد يوم السبت الأول، من شهر أبريل. وإلى الآن لم يعمل أحد بذلك القرار.

يوم كانت الدنيا دنيانا :

على أن أبناء مصر - يوم كانت الدنيا دنياهم يحتفلون بميلادها على هواهم - كان لهم يوم لا يتغير لعيد الربيع وعيد الاعتدال، وكان أبناء الدنيا جميعاً يحتفلون معهم بذلك العيد فى موعد فلكى واحد، وكان من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب يسمى على اسم الزهرة ربة الجمال والحسن والاعتدال وما اسمه اليوم عند أبناء أوربا الوسطى وأبناء أوربا الغربية ؟

اسمه « ايستر » من الاسم الجرمانى القديم Eostre من اسم الزهرة « اشتار » أو عشتار وهو اسم النجم عندهم فى أكثر اللغات، فهل هو إلا عارية من الشرق الذى يعيرونه ويعيرونه الآن. والحق على الدنيا بعد كل هذا.

لقد جربتنا الدنيا قديماً فوجدناها ووجدنا عيد ميلادها، وفرحناها بشبابها. فلتجرب اليوم من تختارهم ، وتقبل عليهم، وتبيض لهم على الوتد كما يقال. . فإنهم فرقوها ومزقوها وحسبوا عمرها بملايين السنين، بل بملايين الملايين.

تستاهل. . فإن كان قد ساورها الندم بعض الشيء فطريق الشرق معروف، والعود أحمد، ولو بعد ألوف وألوف.

شم النسيم فى الشتاء :

والخطب مع هذا هين إذا وقف عند هذا الاختلاف بين قمر وقمر وبين أسبوع وأسبوع وغاية فرقه أو فروقه لا تزيد على أسابيع.

أما الخوف الأكبر فهو أن نترك شم النسيم يزحف ويزحف حتى نحتفل به فى الشتاء ولا حمص أخضر يومئذ، ولا حنطة فى الحقل، ولا حملان من مواليد الحول فى الربيع.

إن الهرم الأكبر بجوانبه الأربعة نحو الجهات الأربع يدل على أن المصريين أيضاً قد عرفوا هذا الخطر قديماً فحسبوا الوقت وحسبوا مواعيد الفصول وحسبوا اتجاه الفلك إلى الشرق والغرب والشمال والجنوب، وخرجوا من ذلك بتصحيح دقيق يعودون إليه ثم يعودون إليه على توالى القرون.

بعد ألوف السنين :

أما نحن أبناء العصر الحديث فإن دام بنا الإهمال على هذا المنوال فسوف يحتفل - من سوف يحتفلون بشم النسيم - فى إبان الشتاء.

واحسبها على أصابعك أيها القارئ اللبيب.

السنة الشمسية ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وخمس ساعات وثمان وأربعون دقيقة وست وأربعون ثانية، لا تنقص ولا تزيد.

والسنة على حساب التقويم ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وست ساعات.

فالفرق بينهما إحدى عشرة دقيقة وأربع عشرة ثانية. اجمعها واحسبها واضربها تجد أنها تفرق يوماً كل مائة وثمان وعشرين سنة.. فإذا دام الحال على هذا المنوال ألف سنة بعد ألف سنة فلا «ملانة» ولا بصل ولا قمح للطعام فى حقول الشتاء.. ولا شم نسيم على الطراز القديم. إن بقى نسيم:

والعزاء الوحيد يومئذ - إن صح أنه عزاء - أن شم النسيم سوف يأتى بغير نسيم وبغير أنوف تشم النسيم.

ما وظيفة القذيفة الذرية إن لم تعمل هذه العملة وتنقل هذا اليوم السعيد إلى يوم سعيد آخر.. ما هى وظيفة القذيفة الذرية إن لم تخربها وتجعل عاليها سافلها وتحول ذكرى ميلاد الدنيا إلى ذكرى وفاتها يرحمها الله، أو يلعنها الله. وإذا لعنها الله فيوم وفاتها عيد سعيد، لعله أسعد من يوم ميلادها القديم أو الجديد.

فى كل يوم نسمع عن الذرة التى تحطم إذا انفلقت، أو نسمع عن الذرة التى تحطم إذا التحمت، وقد نسمع غداً عن الذرة التى تحطم وهى مفلوقة وتحطم وهى ملحومة، وكم عنصرا عندنا فى الطبيعة الدنيوية ؟.. لقد كادت تبلغ المائة مطبوعة ومصنوعة، وكل منها يشتمل على ذرات، وليست ذرة بأحسن من ذرة.. وليس أحد بأحسن من أحد..

فإذا انطلقت الذرات مفتخرة بعناصرها معتزة بجواهرها، وتسابقت فى التحطيم والتهشيم من هيروشيم إلى ألف هيروشيم، فنعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وقل من الآن يارحمن يارحيم، على هذا العالم « المرحوم » من جديد وقديم.

وبعد قرون وقرون.. يحتفلون بشم النسيم، ولكنه احتفال أرواح بذكرى الوفاة، وليس احتفالا بالميلاد على هذا التقويم أو ذلك التقويم، وفوق كل ذى علم عليم.

والأطباق الطائرة:

وكأنما هذه العناصر الأرضية لا تكفى للقيام باللازم كله حتى تعان عليه بجنود من السماء على طبق، أو على أطباق.. وتقول لنا أخبارنا الصحفية إن « فريقاً من علماء نيوزيلندة وزملائهم فى القارات ينتظرون اليوم الخامس والعشرين من شهر يونيو المقبل بصبر نافد... ويتوقعون وصول فريق من سكان المريخ فى الأطباق الطائرة زواراً لكوكبنا المتواضع، وأنهم ليشعرون بخيبة أمل كبيرة إذا لم تصل هذه الأطباق حاملة سكان المريخ..

يقول رئيس الجماعة : إن الأطباق الطائرة تأتى عادة من المريخ، وإن المريخ فى الخامس والعشرين من يونيو المقبل سيكون فى اتجاه الأرض مباشرة وعلى خط مستقيم معها ومع الشمس ولا تزيد المسافة بينه وبين الأرض على أربعين مليوناً من الأميال ونحو نصف مليون..

أما إذا لم تصل هذه الأطباق فى الموعد المنظور لموعدها إذن سبتمبر سنة ١٩٥٦.. إذ لا تزيد المسافة بينها يومئذ على خمسة وثلاثين مليونا ونحو نصف المليون..

مشيناها خُطاً كتبت علينا ومن كتبت عليه خُطاً مشاها

ولكن «المضروب واع»:

فى يوم كيوم شم النسيم المقبل: خرجنا إلى الريف وقضينا الصباح فى الحقول، وأمر مضيفنا بإعداد الطعام فى الحقل، فأشرفت على الطبخ والتحضير فتاة فلاحة يصحبها ولدها الصغير لا يزيد عمره على ثلاث سنوات.

ونوديت الفتاة من جانب الغيط المجاور فأسرعت إلى تلبية النداء وتركت ولدها الصغير إلى جانب النار، فجعلنا نصيح بها: «خديه معك» فإن بقاءه إلى جانب النار غير مأمون.. ولم تكترث الفتاة أقل اكتراث، بل جعلت تقول وهى منصرفة إلى موضع النداء: لا تخافوا عليه: «المضروب واعى».

وانطبع هذا المنظر فى ذاكرتى، لأنى لم أزل أنظر إلى ناحية الطفل حتى عادت إليه أمه، وثبت حقا أن «المضروب واع» بغير كلام.. لأنه على تحويمه حول قدر الطعام لم يقترب من النار أكثر من بضع أقدام.

وأخشى أن أقول .. أو على الأصح أرجو أن أقول إن نوعنا البشرى - حفظه الله - مضروب واع كذلك المضروب بين إغراء الطعام والخوف من النار.

لقد عرف هذا المضروب سر النار من أيام سكنى الكهوف، وسر النار مع حفظ النسبة لا يقل عن سر الذرة فى أخطاره ومنافعه وأضراره، وها هو ذا يحمى نفسه من خطر النار عشرات الألوف من السنين، ولو شاء لا حترقت بها الديار وهلك بها الديارون.

وأغلب الظن أن «المضروب» سينجو من هذه النار الحديثة وينتفع بها فى أمور لا تخطر الآن على بال.. أكبر الظن أنه سينتفع بها فى كبح البهيمية التى تلبس لباس الوحشية فى هذا العصر المخيف، وأنه سيعلم بها أصحاب العدد الكثير قيمتهم إذا تطاولوا بها على أصحاب الرأى والنفع والتدبير

أما أطباق المريخ فسوف يطولُ انتظارها بعد يونيو هذه السنة وبعد سبتمبر سنة ١٩٥٦.. فقد جربنا تسكع هذه الوفود العلوية بين أجواز الفضاء قبل الآن، ويخيل إلينا أنها تنوى وتعدل منذ أجيال، أو يخيل إلينا أنها تستقبل الأرض ثم تقترب منها، ثم تلمح ما فيها عن كثب فتعود أدراجها وتيمم ناحية أخرى من المنظومة الشمسية أو ما يحسن فى عينيها من المناظيم.

منذ خمسة وعشرين قرناً تحدث النبي حزقيل عن هذه الأطباق حيث قال فى الإصحاح الأول من سفره: «وإذا بكرة واحدة على الأرض بجانب الحيوانات بأوجهها الأربعة.. منظر البكرات وصنعتها كمنظر الزمرد، وللأربع شكل واحد وصنعتها كأنها كانت بكرة وسط بكرة».

وعاد إلى ذكر هذه البكرات فى الإصحاح العاشر فقال: «بكرة واحدة بجانب الكروب الواحد وبكرة أخرى بجانب الكروب الآخر. ومنظر البكرات كشبه حجر الزمرد، ومنظرهن شكل واحد للأربع، كأنه كان بكر وسط بكرة».

وقد صح ما قاله حزقيل عن الخسوفات والكسوفات بحساب الفلك، وصحيح ما قاله عن البكرات وعن شكلها وعن لونها، لأنها ظاهرة تكررت فى أزمنة كثيرة ومنها زماننا هذا على أصدق ما قيل من أوصافها، بعيداً من التهويل والتشويق والتشويش.

وقد كان من أنبياء العهد القديم أنفسهم من يحذر قومه من تفسير هذه الظواهر على غير وجهها كما قال إرميا فى إصحاحه العشر: «لا تتعلموا طريق الأمم ومن آيات السماء ولا ترتعبوا. لأن الأمم ترتعب منها..»

وليس أكثر من هذه الظواهر التى رواها بلينى الطبيعى ورواها الطبيعيون والمؤرخون بعده إلى القرون الوسطى وما بعد القرون الوسطى، ومنها ما يشبه هذه الأطباق أو تلك البكرات، ومنها ظهور الأسهم والحراب والسيوف كأنها سراب السماء، ومنها ظهور شمسين أو ثلاث شموس فى وقت واحد، وقد رآها بلينى وتحدث عمن رأوها واعترف بعجزه عن تفسيرها على وجه مقبول.

وقد أحصى المؤرخون منذ القرن السابع عشر ألواناً من هذه الظواهر فى أنحاء القارة الأوربية، ولاتزال الكرة الأرضية بمأمن من طوارق تلك النذر إلى هذه السنة بعد منتصف القرن العشرين.

أما فى العصر الحديث فقد أحصى العالم الفلكى (دونالد منزيل) أستاذ الظواهر الجوية بجامعة هارفارد أمثلة متفرقة من هذه الظواهر التى تشبه الكرات أحياناً وتشبه الأطباق أحياناً أخرى، ونقل منها صوراً ونماذج مما شوهد فى بحار اليابان وكوريا ومما شاهده ركاب الطيارات، وركاب السفن، وقد سجلوا مشاهداتهم فى المجلات والكتب قبل القرن الحاضر، ولايزالون يسجلونها لتحقيقها وتفسير أسبابها، كما يسجلونها لتزويد الناس بالمخاوف المشتهاة، وهى على ما يظهر مشتهاة متمناه، يجدون منها الكثير حقًّا وفعلا فلا يقنعون بها، ولا يغنيهم ذلك عن اختراعها والإضافة إليها من صنع الوهم وتلفيق الخيال.

ولتكن تلك الأطباق الطائرة ما تكون.. لتكن إذن رسلا متسكعة، فى أجواز الفضاء، تغتنم فرصة الانطلاق من المريخ أو من الزهرة لتطوف الكون كله قبل أن تبلغ محطة الوصول على الكرة الأرضية.. ولتكن فرجة سماوية من قبيل النيازك والصواريخ، يتشاغل بها سكان الفلك الأعلى جادين أو لاعبين.. ولتكن على أسوأ الظنون نذراً تتوعد سكان الأرض بغارة من الأعداء أو بنقمة من الفضاء.. إنها كيفما كانت ليست بالخطر المستعجل ولا من البدع المخيف ولا من طوارئ الزمن الجديدة عليه.

وإن الخطر الذى تبدو طوالعه فى القرن السادس قبل الميلاد ثم يأتى القرن العشرون وهو باق حيث كان وكما كان لمستطيع أن يبقى بعد اليوم عدة قرون، ولواجد فى القرن الأربعين من يقول: هكذا كانوا يخافون قبل خمسة آلاف سنة، وهكذا كانوا يخافون فى عصر القذيفة الذرية، وهكذا نخاف اليوم، أو لا نخاف.

والمضروب واع.. والمضروب «رد شقاء».. والمضروب يجب أن يفزع كما يفزع الأطفال، وهم يعرفون من يفزعهم ويستعيدونه اللعبة وأعينهم مفتوحة فى الظلام، وفى النور.

يوم من أيام الحياة:

ولنترك مرصد المستقبل يطلع لنا شم النسيم فى الصيف أو الشتاء. ولنرجع إلى ماضيه لنذكر بحق أنه يوم من أيام الحياة: منذ أكثر من ثلاثين سنة، دعانا صاحب مكتبة من أبناء الحى الحسينى إلى شم النسيم فى علوة الدراسة، وقال إنها مصطاف الصالحين، وإنها إذا راق الجو فيها لم يكن له نظير، وإذا تغير وتكدر فهو كذلك فى كل مكان.. وكان ظريفاً حقًّا صاحبنا صاحب المكتبة.

كنت مع الأستاذين المازنى والسندوبى، وكنا نمر ببرج «الظفر» فنقول: هكذا تنقلب التواريخ فى مصر، فما أبعد الشقة بين برج الظفر كما كان بالأمس وبين «البرج الزفر» كما يسمونه اليوم.

فقال صاحب المكتبة: خلوه «زفر» هذا النهار، فائدتكم بعد ساعة كلها زفر: فسيخ وطعمية وحباش وبصل وكل ما تشتهون من هذا القبيل.. ولولا أننا أتينا على تلك المائدة فعلا لما صدقنا أننا فعلناها وأقدمنا على تلك المجازفة. وكذلك أثبتنا لأنفسنا أننا كنا فى يوم من أيام الحياة.

إن لنا أصدقاء مشغولين على الدوام بتنظيم الوجبات على حسب المواد وخصائص الغذاء.

مقدار كذا من مولدات الحرارة ومقدار كذا من مولدات اللحم والشحم والعظام، ومقدار كذا من فيتامينات الأبجدية جمعاء : باء ودال وسين، وغيرها من ودائع الأنابيب والعلب والمعاجين.

وحسن ولا ريب تنظيم الطعام على حسب مطالب الأجسام، ولكن الذى أخالفهم فيه أن البنية الحية ينبغى أن تبق بنية حية مع كل نظام وعلى كل طعام، وأول خصائص البنية الحية أنها تعوض النقص، وتقاوم الضرر، وتحتال على توجيه الزيادة إلى النفع والسلامة، فإذا كنا نعطيها كل شىء فى كل يوم بمقدار لا يزيد ولا ينقص، فقد خرجت من عداد الأحياء ودخلت فى عداد الآلات، وأصبحت بعد زمن قد تعودت أن تتلق لوازمها وفقدت مزية التعويض والتمثيل وتدارك النقص وتصريف الزيادة..

فلابد للحياة من مزايا الحياة.. لابد نعم من التنظيم والتقسيم ولكن على هذا الشرط بعد كل نظام ومع كل طعام، وهو شرط الاعتماد على البنية الحية من آن إلى ان.

لقد كان شم النسيم على تلك المائدة يوماً من أيام الحياة ولا جرم، فقد كانت الحياة وحدها تعمل بغير قيد ولا رقابة، وتغلبت وحدها على نصائح الطب وتصيف الوجبة « والرجيم » وحبذا الفضل فى ذلك لشم النسيم.

obeikandi.com

هـذه الزلازل*

كثير على بلاد المغرب أن تصطلح عليها زلازل السياسة وزلازل البراكين فى وقت واحد، ولكننا نحن بنى آدم نصاب ونحن متحفزون للخطوب، متقلدون عدتنا للشدائد، خير من أن نصاب ونحن وادعون لا نتوقع هولا من الأهوال، ولا تخطر لنا الشدة على بال، وعسى أن تكرهو شيئاً وهو خير لكم.

ومن لم يسلم للنوائب أصبحت   خلائقه طرًّا عليه نوائباً

ونعود مرة أخرى فنقول مع أبى تمام:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت   ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

دنشواى وزلزال مسينى:

من المألوفات فى تداعى الخواطر عند الذين حضروا أيام دنشواى وتتبعوا جرائدها، أن يقرنوا بينها وبين الزلزال الجائح الذى دمر مدينة «مسينى» فى إيطاليا، وهى تلك المدينة التى يحفظ لها الأدب الأندلسى أبيات شاعره ابن حمديس إذ يقول فيها مجنساً «من ذا يمسينى بمسينى» إلى آخر ما قال..

وليس اقتران دنشواى بزلزال مسينى من قبيل المجازات التى تنعقد فيها المشابهة بين زلزال الثورات النفسية وزلازل البراكين، ولكنه من قبيل العلاقات التاريخية أو علاقات الواقع كما سنراه بعد قليل.

إن كارثة دنشواى إحدى الحوادث الكبرى التى يتمثل فيها العقل واللسان معاً بالآية القرآنية الكريمة (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم..).

فلو أن ديوان الإحصاء نيط به أن يقسم حوادث التاريخ المصرى الحديث

---

* أخبار اليوم ١٩٥٤/٩/١٨.

بين بابى النعم والمصائب، لما تردد فى وضع هذه الحادثة بالخط البارز تحت باب المصائب، أو المصائب الكبار.. ولكننا لا نعرف حادثة واحدة كان لها من الفضل على النهضة المصرية ما كان لهذه المصيبة المكروهة على غير حسبان.

لقد كان كرومر يسمى نفسه صديق «الجلاليب الزرق»، ويقول إنه لا يبالى الصيحة المصطنعة من لابسى الطرابيش ولابسى الكسوة المقصبة ما دام «الجلباب الأزرق» يعرف له فضل الإصلاح والإنقاذ من السخرة والكرباج والضرائب والأتاوات.

ولا تكتم الحق.. فقد كان له مصدقون بين المصريين وغير المصريين فى هذا الذى كان يدعيه.. فلما وقعت الكارثة، وبطش الاحتلال بالفلاحين الأبرياء تلك البطشة النكراء، لم يبق فى مصر فلاح يضن بالجلباب الأزرق كفنا للاحتلال، ولو لم يملك سواه.

ولم تمض شهور حتى ظهرت الأحزاب المنظمة تطلب الجلاء والدستور وينادى بعضها بطلب «الاستقلال التام».

وسرت الضجة من مصر إلى الخارج، فخاضت فيها الصحف وكتب برناردشو مقالاته وتحقيقاته التى سجلت الوصمة تسجيلا لا فرار منه على كرومر وأعوانه من المستشارين المتجبرين، فطاحت به قبل أن يمضى على الحادثة عام.

وكان كرومر هذا معدوداً من بناة الإمبراطورية، بلغ من اعتداده بنفسه أنه كان يتقدم قرينته فى الحفلات على سنة الملوك، وأنه التمس الإذن مرة بمقابلة الملك «إدوارد السابع» فجاءه الجواب بالموعد بعد ثلاثة أيام، فلم يشأ أن ينتظر هذه الأيام الثلاثة وأرسل إلى القصر الملكى يقول إنه مستعجل.. وأنه ينوى السفر غداً إلى الريف.. قال الملك ادوارد السابع وقد أبلغ هذه الطرفة النادرة: إن اللورد المحترم قد نسى أنه ليس فى القاهرة. وأننى لست الخديوى عباس.

فلما أطبقت الحملة على هذا الحاكم بأمره، عز عليه أن يعترف بالخطأ وأن يعتذر من شططه، وأصر على صواب عمله، ورمى المصريين بالتعصب الأعمى، وكراهة الأجانب، والنفور من كل حضارة «مسيحية».. وزعم أنهم كانوا يتصايحون بطلب الجهاد بعد حادثة العقبة، لأنهم أرادوا ضمها إلى دولة الخلافة الإسلامية، فغضبوا على الإنجليز لأنهم أبقوها فى داخل الحدود المصرية.

وإن هذه المعمعة الدائرة بينه وبين زعماء الحركة الوطنية إذ تثور الزلازل بإيطاليا وتدمر مسينى وما جاورها، ويهيب الفاتيكان بالعالم الإنسانى فى طلب المعونة العاجلة فيستجيب له القادة المصريون، ويثبتون للعالم أنهم سبقوا الأمم الأوربية إلى النجدة، وبادروا إلى جمع التبرعات وإقامة الحفلات، فظهر اسم مصر فى مقدمة الأمم وكان هذا «الجواب العلمى» أقوى تفنيد لدعوى اللورد كرومر، ودعوى المستعمرين أجمعين.

ومن ذكرياته الأدبية :

ونظم حافظ إبراهيم قصيدته فى الزلزال لتلق فى إحدى هذه الحفلات، ومن أبياتها هذه الأبيات البليغة :

ما «لمسينى» عوجلت فى صباها ... ودعاها من الردى داعيان
خسفت، ثم أغرقت، ثم بادت ... قضى الأمر كله فى ثوان
رب طفل قد ساخ فى باطن الأ ... رض ينادى : أمى. أبى. أدركانى
وفتاة هيفاء تشوى على الجمر ... تعانى من حره ما تعانى
وأب ذاهل إلي النار يمشى ... مستميتا تمتد منه اليدان
باحثاً عن بناته وبنيه ... مسرع الخطو مستطير الجنان
تأكل النار منه لا هو ناج ... من لظاها ولا اللظى عنه وان

وكالعادة التى لا فكاك منها، شغلت الأندية الأدبية بالقصيدة ونقدها، وأعطاها بعضهم فوق حقها، ونزل بها بعضهم دون حقها.. وكان من هذا

النقد الذى دون حقها، أنهم أخذوا عليه استعمال حرف العطف «ثم» مرتين فى هذا الزلزال الجارف الذى لم يطل غير لحظات، وأنه «زنقته» القافية فقال عن الأب إنه «تمتد منه اليدان». وما أراد إلا أن يقول: «يمد يديه». فلم تسعفه القافية ووقع فى هذه الضرورة المعيبة.

لم يكن هذا النقد منصفاً فى الواقع، لأن قوله «تمتد يداه» أبلغ فى هذاالمقام من «يمد يديه»، كأنه لذهوله تتحرك أعضاؤه وهو لا يدرى، وتسرع به خطاه وهو لا يعلم إلى أين يذهب، وأما حرف العطف مع التراخى فهو أوفق لهذا المقام الذى تمر لحظاته كأنها أجيال، لعظم ما تخللها من الأهوال.

وكاد حافظ يطير فرحاً حين علم بدفاعنا عنه، ولكنه لم ينس صراحته حين لقينى بعد ذلك، بل قال لى همساً كأنه يستودعنى سرًّا: والله يا فلان.. إنها لرمية من غير رام. ولكن ولا تقل لأحد.

قلت: وهى على ذلك لم تخطئ شرط البلاغة، لأن الشاعر قد يأتى عفواً بأبلغ من معانيه التى يتكلف لها ويتعب فى تنقيحها.

ومع الفلسفة:

ويقضى سوء حظ الجزائر أن تكون لها سوابق فى الزلازل الجائحة لعلها تختم بهذا الزلزال الأخير.. لقد كان لها نصيبها من زلزال «لشبونة» عاصمة البرتغال الذى دمرها فى سنة ١٧٥٥ وقيل عنه بعد ذلك إنه زلزل من العقول والعقائد أضعاف مازلزله من المواقع والديار.

كان حقًّا كأنه الغارة المرتبة بخطة مرسومة، لأنه حدث والناس فى المعابد يحتفلون بعيد من أكبر الأعياد عندهم وهو عيد جميع القديسيين.

وبلغ ضحاياه ستين ألفاً مات بعضهم تحت الردم ومات غيرهم بالحرائق التى اشتعلت فى البيوت من نيران المواقد المعدة لطعام الموائد فى ذلك العيد.

obeikandi.com

ولم يكف الردم والحرق حتى أُعينا بطوفان من المد المفاجئ أخذ من وجده في طريقه وهبط به إلى هاوية فى قاع البحر لم تظهر منها بعد ذلك جثة واحدة ولا أثر واحد من آثار البيوت والسفن الكبار والزوارق الصغار.

وصنع الزلزال صنيع التتر الأقدمين إذ كانوا يخربون المدينة ثم يرجعون إليها فى غرة من أهلها العائدين إليها كأنهم يسخرون من طمأنينتهم ومن أملهم فى السلامة والأمان، وهكذا صنع الزلزال بأهل لشبونة يوماً بعد يوم حتى ترك الناس ودائعهم فيها وأوجسوا من عاقبة البحث عنها، خوفاً من بغتة لاحقة من بغتات هذا الزلزال الغدور.

ويحدث هذا كله فى عصر الفلسفة وإبان الجدل بين القائلين بالعناية الإلهية، والقائلين بالكون الذى لا قصد فيه ولا عناية ولا دليل فى حوادثه على نظام غير نظام الضرورة.

ويكون مذهب الفيلسوف «ليبنتز» أروج المذاهب فى ذلك العصر الحائر.

ويكون فولتير بمرصد لهذا المذهب ينصب عليه بكل ما أوتى من قدرة على السخرية والمغالطة.

أما مذهب ليبنتز فخلاصته أن عالمنا أحسن العوالم الممكنة، لأنه يجمع ألوف الألوف من الممكنات التى لا تجتمع معاً إلا بنقص فى كل منها، فليس فى الإمكان كما قال الإمام الغزالى من قبله أبدع مما كان.

وأما مذهب فولتير فقد يلخصه من شاء فى تلقفه للحوادث التى من قبيل زلزال لشبونة، كأنها - كما قال بعضهم مجارياً له فى سخريته - غوث تسوقه له العناية الإلهية لإنكار العناية الإلهية.

ولقد تناول نكبة لشبونة فى قصة «قنديد» فلم يكفه ما فيها من الفجائع والفظائع حتى يضيف إليها تحفة من تحف محكمة التفتيش، فيصف لنا هذه المحكمة وهى «تحقق» أسباب الزلزال ووسائل الوقاية منه فى المستقبل، فلا تعرف

له سبباً، إلا أن الناس يعصون رجال الدين ويتزوجون بغير إذنهم، وعلى غير سنتهم، ويستبيحون من الطعام مالم يبيحوه ومن الكلام مالم يقبلوه، ثم تصادف القسمة المشئومة تلميذ الفيلسوف الذى يتغنى بأحسن العوالم الممكنة، فيخرج من تحت السياط وهو يلعن أحسن العوالم، ويتمنى لو قذف به إلى أقبحها وأسوئها وليس فى الإمكان عنده أسوأ مما كان.

وفى الدين :

والشائع حتى اليوم على ألسنة العامة وبعض الخاصة أن الزلازل كثرت فى الأزمنة الأخيرة ولم تكن بهذه الكثرة إلى القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر للميلاد، وتعليلهم لكثرتها فى هذه الأزمنة أنها غضب من الله على خلقه لتماديهم فى الزندقة والجحود واجترائهم على المعاصى والموبقات.

أما العلماء المختصون بتكوين الأرض فينظرون إلى المسألة من وجه آخر ويقولون إنها لم تكثر ولم يظهر لهم داع لكثرتها على حسب المعلوم من أسبابها، وإنما تراقب العوارض الطبيعية فى العصر الحديث مراقبة علمية، وتتقدم أدوات الرصد ووسائل نقل الأخبار فيعلم الناس بكل زلزال يقع فى جوانب الكرة الأرضية بعد أن كان العلم به مقصوراً على سكان الأقاليم القريبة منها.

إلا أن الكتابة عن الزلازل والاهتمام البالغ بجمع أخبارها التاريخية والعصرية قد كثر ولا ريب كثرة عظيمة بعد زلزال لشبونة، وقد اصطبغا فى كل فترة بالصبغة التى تلائمها من الشعور الدينى أو الآراء العلمية، وأحصى أحد المختصين فى تقرير كتبه إلى المجمع البريطانى كل ما أمكن العلم به من زلازل الماضى والحاضر فبلغت فى حسابه (٦٨٣١) زلزالا لم يحدث منها قبل ميلاد المسيح غير ثمانية وخمسين، وعقب الدكتور «منجوبنتون» على هذا الإحصاء فى كتابه عن الزلازل وتاريخها وظواهرها وأسبابها المرجحة فقال إن هذا التفاوت بين عددها قبل الميلاد وبعده يسوغ لنا أن نفسر نبوءة السيد المسيح تفسيراً

obeikandi.com

طبيعيًّا، إذ يقول إن الزلازل علامة تسبق قيام ملكوته على الأرض، ولم يستطع الدكتور أن ينسى الأمانة العلمية فعاد يقول إن الكلمة التى فى الإنجيل تفيد باللغة اليونانية معنى الهرج والمرج والقلاقل والهيجانات، ولا تنصرف إلى الزلازل الأرضية وحدها، ومضى مستدركاً فقال إن الدنيا التى كانت معلومة قبل الميلاد محدودة وليس وراءها فى بقاع الأرض أمم تحسن رصد العوارض الطبيعية وتدوين حقائقها، بل ضرب مثلا مستمداً من بحوث الدكتور «دوبنى» الخبير بالبراكين، فروى عنه أنه كشف فى بلدة «لبسا» بين رومة ونابلى حجرات تحت الأرض بعدة أقدام تدل على عمران قديم قوضته الزلازل وليس فى التواريخ الرومانية خبر عنه على الإطلاق.

ومن الحسن أن يتدين العالم ولا ينسى الأمانة العلمية، فإن الزلازل التى ظهرت دلائلها بعد كتاب الدكتور منجو، أكبر وأضخم من أن يذكر إلى جانبها زلزال علم به الناس قبل الميلاد وبعد الميلاد، وكل هذه الزلازل التى كتب عنها لا تعدو أن تكون مفرقعات أطفال بالقياس إلى زلازل قبل التاريخ.

فواحد من هذه الزلازل قذف بالقمر من فجوة المحيط الهادئ فألق به حيث يدور الآن فى مجراه، وترك موضعه الذى يدل عليه مرصوفاً بالصخور النارية التى توجد فى الطبقة الوسطى من الأرض خلافاً لطبقة الصخر المحبب فى قيعان المحيطات الأخرى.

وزلزال آخر من هذه الزلازل العاتية فصل القارتين الأوربية والإفريقية، وملأ الفجوة بينهما بالبحر الأبيض المتوسط حيث تعبر الطيور المهاجرة إلى اليوم كأنها لم تعلم بهذا الطارئ الجديد فى عرض الطريق.

وزلزال من هذا القبيل فصل العالمين القديم والجديد وترك الدلائل عليه فى البقاع البارزة التى تواجهها البقاع الغائرة من الجانب المقابل، فلو رسمت هذه الخرائط على الورق ثم قصصتها وضممتها لم يبق بينها من فجوات غير أماكن الجزر المتفرقة فى المحيط الأطلسى هنا وهناك.

وزلزال من ذلك الطراز قذف بالقارة الأسترالية بعيداً من آسيا ولم يزل فراغها باقياً فى المحيط الهندى لو استطاعت أن تعود إليه.

فأين غضب اليوم من غضب الأمس إن كانت هناك غضبات سماوية وراء هذه الهزاهز الأرضية.

لا حاجة بالسماء اليوم إلى الغضب ولا حاجة بالطبيعة كلها إليه، فما على الطبيعة فى زماننا هذا إلا أن «تهدئ أعصابها» كل الهدوء وأن تدع للإنسان نفسه مهمة الغضب على الإنسان، ولا نخال أن هذه الطبيعة تطمع فى رقم قياسى للغضب يساوى تلك الغضبة الموعودة إذا تمت كشوف القذائف الذرية وأمكنها على ما يقال أن تنسف الكرة الأرضية أو تنحرف بها عن قانون الجاذبية.

حلم الطبيعة إذن ولا مؤاخذة، فلا حاجة بها بعد الآن إلى الفوران والثوران، وإن فى سوق السلاح القديم لمتسعاً لكل بركان.

مبالغات زمان:

فى أحد المراجع التى حصرت زلازل الماضى والحاضر سلسلة من الأوصاف عن زلزال غرناطة وما حولها قبل سبعين سنة ومن تلك السلسلة شذرة من رسالة مكاتب «الستاندارد» يبلغ بها غاية التهويل حيث يقول: «ما من قوة مدفعية تستطيع قذائفها أن تدمر المكان مثل هذا التدمير».

كان هذا أقصى المبالغة قبل سبعين سنة.. كان غاية وسع الزلزال أن يضارع المدافع فى قدرتها على التدمير، فماذا يقول صاحبنا لو أراد أن يصطنع هذا الأسلوب فى التهويل على أنقاض هيروشيما؟

لو قال إن عشرة زلازل لا تستطيع بحممها ودواخينها أن تدمرها مثل هذا التدمير... لاتهم بالاعتدال المفرط، إن كان فى الاعتدال إفراط.

ولعل اليابان أصلح المواقع لهذه المقارنة بين زلازل البراكين وزلازل القذيفة الذرية، فقديماً عرفت زلازل البركان فلم يصبها من أهوالها خطب أعظم من طغيان الماء على جزيرة صغيرة أو سفح منحدر.. وأين هذا من مدينة عامرة أوشكت أن تطير دخاناً فى الهواء؟

هنيئا للإنسان هذا السبق فى مضمار العدوان، وعفاء على مبالغات «زمان» إلى جانب الحقائق المشهودة فى هذا الزمان.

الجبل والهرم:

كان فى العالم عجائبه السبع قبل أن يحترق هيكل ديانا وتندك حدائق بابل وتعصف الزلازل بتمثال قبرس ومنار الإسكندرية.

ثم بقيت فى مصر أعجوبة الأعاجيب قاطبة وهى الهرم الأكبر، فزاره فى أيام الحرب العالمية الأولى ألوف من الأمريكيين طلاب العجائب، وكثير منهم على التحقيق لا يعرفون كيف يتعجبون.

ومن هؤلاء الكثيرين جندى نظر إلى الهرم من فوق إلى تحت ومن تحت إلى فوق بغاية الازدراء، وشعر بالخيبة وهو يلتفت إلى زملائه ويقول لهم كأنه يحاسبهم على تهويل التاريخ: أهذا أعجوبة الزمن القديم؟

وكان مع الزائرين صحفى يكتب فى الصحافة الأجنبية المحلية فسأله متلطفاً: وما الذى تنكره من هذه الأعجوبة؟

قال: إن التل الذى بجوار قريتنا لأكبر من هذا الهرم مرتين..

قال الصحفى: وهل لا يستحق الإعجاب فى نظرك عمل من يد الإنسان يناظر جهد الطبيعة فى طوال السنين.

قال الجندى: أما إن كان هذا سر الإعجاب فنعم.

ونقول مع الجندى : ونعم أيضاً إن كان هذا سر العجب من قدرة الإنسان بين الهدم والبناء.

قصاراه أن سابق الطبيعة فى البناء أن يبنى نصف تل فى قرية.

وليس قصاراه إذا سابقها فى الهدم أن يزيد على عشرة زلازل، فما قنع بعد ولا يلوح عليه أنه قانع غداً بهذا الشوط.

ما على الطبيعة اليوم أن تضع نقمتها فى قرابها وأن تطوى صواعقها فى سحابها ؟

وعلام التعب بزلازلها العتيقة وفى الزلازل المصنوعة على اليدين غنى عنها، ولا اعتراف ولا ثناء.

obeikandl.com

سبت النور*

مضى اليوم كما تمضى أيام الجمع كلها منذ ثلاثين سنة.. راحة تامة أو شعور بالراحة التامة، وهو فى أثره النفسانى أنفع من الراحة الجسدية.

وأحسن ما لهذا اليوم من حسنات عندى أننى أذهب ليلته إلى فراشى وقد أحسست أننى طرحت عن كاهلى كل عبء وكل تكليف من تلك الأعباء والتكاليف التى تعودنا جميعاً أن نستقبل بها صباح كل يوم، ولا يحدث كثيراً أننى لبثت فى فراشى بعد الموعد صباح يوم الجمعة، بل يحدث أحياناً أننى أبرحه قبل موعدى فى كل يوم، وتفسير ذلك غير عسير. فإننى أستوفى الراحة فى ساعات قليلة ولا أستوفيها فى ساعات كثيرة مع التفكير فى الشواغل والأعمال.

يوم جمعة انتزعته من «سبوت» إسرائيل.. وقد كانت أمامى قبل عشر سنين أسرة يهودية قوامها زوج وزوجة وطفلة صغيرة، ولا خادم فيها.. وكانت صناعة الزوج عملا هندسياً فى وكالة من وكالات المصابيح الكهربائية والثريات والأسلاك وما إليها.

وفكاهة القصة فى هذه الصناعة أنه كان يستدعى أحياناً إلى بيوت الحى لإصلاح الخلل فى النور، ولكن امرأته تستدعينى أو تستدعى الطباخ مساء كل سبت لندير لها مفتاح النورالسهار، فتدق جرس الباب مرة أو مرتين أو مرات حتى يفتح لها، ثم تكرر لنا رجاءها المألوف ليالى السبوت.

وكنت اداعبها إذا وجدت فراغاً من الوقت فأسألها: أتظنين أن «يهوا» يأخذ باله من تحريك مفتاح الكهرباء ولا يأخذ باله من الضغط على جرس الباب؟

---

* الأخبار ١٩٥٤/٩/٢٤.

وتضحك وهى لا تظن أن المسألة تحتمل أقل جدال، وقد تجيب قائلة إن الله يمنعنا أن نشعل النور، ولكنه لا يمنعنا أن ننادى أو ندق الجرس للنداء.

وكان عندى صديق كثير الدعابة فى إحدى هذه الأمسيات، فقال لى على مسمع منها: لا بأس.. لا بأس.. لا بأس.. تردها لك يوم الجمعة.. أسمعت يامدام؟ وسمعت المدام ولم تفهم، فقلت له عليك أن تتولى إفهامها وإلا ساء التفاهم ياصاح!

وراح يفهمها أن جارك هذا يقدس يوم الجمعة كما تقدسون أنتم يوم السبت، والعجب له أنه لم يسألك يوماً أن تديرى له مفتاح النور.

ولم يكن صاحبى يبالغ كثيراً وراء ما تسمح به القافية، فإننى فى الحق أقضى يوم الجمعة بلا جهد ولا عمل ولا شاغل من الشواغل التى تشبه الجهود والأعمال، وقد أضرب عن فض رسائل البريد وعن الرد على التليفون، ويخطر لى أننى مدين لهذه العادة بالقدرة على كثرة العمل وانتظامه، وحبذا لو جرب ذلك من يشك فيه، فإنه سيرى أنه يطيق فى أسبوع بيوم راحة فوق طاقته عشرة أيام بغير راحة على انتظام.

مع طه حسين:

اليوم يوم الأحد.. ولم أعلم ذلك من مراجعة التقويم ولا من تاريخ الصحيفة، ولكننى علمته - حسب العادة - من تقويم الطريق.

تقويم الطريق يقول لى «إنه يوم الأحد» إذا رأيت أسرة كاملة خارجةبثياب الزينة.. ففى سائر الأيام يخرج الرجل وحده بثياب العمل. ويخرج الصبى أو الصبية بثياب المدرسة إلى سيارتها الحافلة وتخرج ربة الدار بعد حين بحقيبة السوق. أما يوم الأحد فهو اليوم الوحيد من أيام الأسبوع الذى يخرجون فيه مجتمعين متزينين. وقد قال لى تقويم الطريق إنه يوم الأحد مرة بعد مرة، وطفق يكرر هذا الإعلان كلما وقفنا على الشرفة بين فترات الجلوس.

ثم قدم إلى زائران أحدهما من الإسكندرية والآخر من أسوان، متلطفين فى السؤال. ثم دق جرس الباب وجاءنى الطباخ المعروف بسهواته يقول: إنه الدكتور طه حسين.

وموضع. الكرامة المعجزة أن الطباخ يعرف الدكتور طه ويذكره وهو الذى كان قبل خمس وعشرين سنة يرد على التليفون فيضع السماعة بغير اكتراث ويأتى من المكتب إلى حجرة الجلوس على مهل ليقول لى: واحد اسمه مصطفى النحاس.. نقول له إيه؟

إن الزمن يتقدم ولا كلام.. وإن لم يكن من علامات تقدمه فى ربع قرن غير هذه العلامة لكان فيها الكفاية.

لم يعلم الدكتور بخبر الإصابة إلا فى السفينة، ولم يمض يوم عليه فى القاهرة حتى بادر بالسؤال ثم جشم نفسه بين شواغل العودة من السفر فزارنى عائداً مشكوراً على هذه الأريحية الأخوية، وإن تكن أريحية يعرفها له الأصدقاء والزملاء فى جميع العوارض والمناسبات.

سألت الدكتور عن رحلته، وحدثنى بين أحاديث شتى عن أولئك العلماء المنقطعين للدرس الذين يشبون ويشيبون ويبلغون الثمانين أو يجاوزونها وهم بين الجامعة والمكتبة والمطبعة والأندية العلمية والأدبية، وسرنى أن أعلم منه أن واحدًا من هذه النخبة الممتازة قادم إلى مصر لإلقاء محاضرات فى إحدى الجامعات عن « الاستاتيكى ».

وقال الدكتور: قرأت فى بعض الصحف أنك مشغول بتأليف كتاب فى هذا الموضوع. فلعله خبر صحيح؟

قلت: صحيح فى النية، ولكننى أرجأت الشروع فيه لأنه عمل كثير العقبات وأولها عقبة المصطلحات، وحسبنا المصطلح الأول وهو اسم العلم كله. فماذا نسميه؟ أنسميه علم الجمال؟ أنسميه فلسفة الفن الجميل؟

قال الدكتور : لا هذا ولا ذاك يؤدى معناه المقصود، ولكن نصنع به ما صنعنا بالموسيقى، ونحن لم نترجم الكلمة بل أخذناها كما هى فسرت على كل لسان. »

وإننى، على تفضيلى الترجمة كلما تيسرت، أرى مع الدكتور أن إبقاء الكلمة أصوب من التعبير عنها بعلم الجمال أو فلسفة الفن الجميل، وأود أن يسهم الأدباء معنا فى اختيار كلمة تغنى عن التعبير، إن استطاعوا العثور عليها.

إن أصل الكلمة اليونانية يفيد الحس، وقد يفيد الحس المرهف، ولكنهم بطبيعة الحال لا يقولون عن ناقد الجمال أنه صاحب حس ويقصدون بذلك مجرد الحس الموهوب لكل حى أو لكل إنسان، وإنما قصدوا فى مبدأ الأمر أنه الحس الذى يفطن لدقائق المحاسن وخفاياها، ثم قصدوا منها قواعد هذه الفطنة كلما وضحت للذهن وتيسر للتعبير عنها وتطبيقها على كل شىء جميل، وليس البحث مقصوراً على الفن الجميل أو المحسوسات الظاهرة. بل هو أعمق من ذلك جداً فى المعانى المجردة التى نتعرف بها الجمال من حيث هو حقيقة كونية، بل حقيقة تتفرع عليها هذه الأحاسيس الإنسانية بالصور المنظورة والصور المتمثلة فى الخيال.

ويبدو لنا أن الذين تكلموا عن الذوق فى آدابنا العربية قصدواإلى شىء من هذا القبيل فى إشاراتهم الأولى، ولا شىء غير «صقل المحاريب» يجعل «علم الذوق» مرادفاً «للاستاتيكى» كما يفهمونها فى الدراسات الفلسفية والأدبية.

وصقل المحاريب دمغة يقرها شيخنا المعرى رضى الله عنه، وله رعاية ملحوظة فيما نعلم عند الدكتور طه، وها نحن أولاء - نضع الكلمة فى أول محراب وننتظر ما تصير إليه بعد جولة قريبة فى سائر المحاريب.

الاثنين:

بين العصا والعكاز:

تركت اليوم العصا لأجرب المشى بغيرها. وفى الأسبوع الماضى تركت «العكاز» لأجرب المشى بالعصا. وأحمد للعكاز والعصا معاً أننى قد تعلمت منهما شيئاً كنت أحسب أننا جميعاً نفرغ من تعلمه وعمرنا لا يزيد على سنتين اثنتين. وذاك هو المشى على القدمين، أما اليوم فلى أن أقول إننا جميعاً نمشى مشية «مغلوطة» وإننا لو قصدنا بحسن السير معنا الحرفى لم يوجد واحد من عشرة يظفر بشهادة «حسن السير والسلوك» المعهودة.

وإذا كان المشى الصحيح هو المشى الذى يكلفنا أقل جهد ويحملنا أقل ثقل فليس منا من تصح له هذه المشية، لأننا ننحرف تارة بزاوية القدم ونميل تارة أخرى إلى غير الجانب الذى يحسن أن نميل إليه، ونضع القدم فى كل خطوة كأننا نريد أن نسوخ بها فى باطن الأرض ولا نريد أن ننقلها على الأثر. وليس منا من يلتفت إلى هذا الغلط ما دام قادراً على «بعثرة» الخطوات حيث يشاء وكما يشاء، ولكنه يلتفت إليه إذا اتقى الألم فى كل خطوة وشعر بالحذر من كل فلتة. فهاهنا يقول مع الشاعر حقاً لا مجازا «قدر لرجلك قبل الخطو موقعها».

وقد كنت ألاحظ على أهل البادية مشية خاصة لا أعرف سرها، ولكننى أظنها اليوم هى المشية التى يصبرون عليها أطول الأوقات ويشعرون معها بأخف الأعباء وأقل المتاعب. وهكذا ينبغى أن يكون الخطو السليم.

وشىء آخر عرفته مع العصا والعكاز ولا أقول عرفته من العصا والعكاز، فإنى بحمد الله لم أعرف شيئاً من هذين المعلمين القديمين. عرفت مع العصا والعكاز أن المسافة بين الوعى الظاهر والوعى الباطن بعيدة جداً لا تعبرها الحواس ولا الأعضاء فى شهور.

فقد لزمت السرير شهراً عاجزاً عن الحركة[1]، وتحركت بمعونة العكاز والعصا أكثر من أسبوعين، ولكننى لم أر فى النوم قط أننى عاجز عن الحركة أوأننى أستعين بعكاز وعصا، ولا أرى نفسى ماشياً إلا كعادتى بغير اختلاف.

لا جرم تستغرق الأعمال الواعية آلاف السنين حتى تتحول إلى عادات متواترة أو حتى تشبه الغرائز التى نعملها ولا نعيها.

(١) كان الأستاذ العقاد فى صيف ١٩٥٤ خارجا من مكتبة دار المعارف بميدان المنشية بمدينة الإسكندرية حاملا آخر ما أصدرت المطابع فزلت قدمه فوقع على الأرض فنقل إلى منزله هناك ولازمه الأطباء ما يقرب من الشهر والنصف حتى التئم جرحه وعاد لاستئناف نشاطه المعهود.

obeikandl.com

الشباب العائد*

فطيرة الحلوى المعهودة أرسلتها إلى صاحب لنا يحتفل بعيد ميلاده مع السكوت عن سنة الميلاد..، وعادته معى أنه لا ينسانى فى ذكرى ميلادى ولا يفوته اليوم دون تحية منه فى البريد أو مع باقة من الريحان.

وكنت أرسل إليه الحلوى ومعها خمسون شمعة يوقد منها ما يشاء ويطفىء ما يشاء. وأرسلت الخمسين فى هذه السنة على حسب العادة، فأعاد إلى فى اليوم التالى ثلاثين منها ملفوفة فى صحيفة قديمة ظهرت فيها صورة الدكتور «عبد الفتاح سلامة» صاحب الدواء الذى أراد به إعادة الشباب. أفاد الدواء فى شيء والسلام.

أغلاط العنوان:

أما هذه فهى الغلطة الخالدة التى لا ينقضى أسبوع دون أن تتكرر بأجزائها الأربعة، ونعنى بها غلطة فى التليفون ذات أربعة أجزاء: كوتاريللى، وأبو زعبل، والأستاذ فلان، والوجيه فلان، من سكان مصر الجديدة، وكل رقم يخاطبنى به المتكلمون يقترن بواحد من هذه الأرقام، وبغيرها من الأرقام.

والحمد لله على يقظة شرطة الآداب، فإن «غيرها» من الأرقام لا يطول بها الأجل ولا تتكرر أكثر من مرة أو مرتين ثم نستريح منها ومن مؤذياتها أو أضاحيكها إلى غير رجعة، وهذا مثل من تلك المؤذيات أو تلك الأضاحيك:

- حميدة موجودة؟ أنا فلان.. قل لها تكلمنى.

- حميدة لا تريد أن ترى خلقتك.

---

* الأخبار ١٩٥٤/١٠/١٥.

ـ الله.. الله.. أبو حنفى.. جرى إيه.

وتوضع السماعة فى موضعها، ويترك العاشق المفتون يبحث عما جرى مع أبى حنفى والسيدة المصونة.

وأغلاط التليفون نعرف علتها ويكفى لتكرارها أن يتجاور الرقمان.

أما العجب فهو من أغلاط العنوان، ولا يمضى أسبوع كذلك دون أن تتكرر أغلاطه بين شارع السلطان سليم وشارع السلطان حسين.

كلاهما سلطان.. ولكن ما أبعد المسافة فى اللفظ وفى الزمن وفى المكان بين حسين وسليم وبين القرن التاسع عشر والقرن السادس عشر، وبين القاهرة والقسطنطينية.

وأمامى الآن مجلة مصرية كتب على غلافها «فلان بشارع السلطان حسين»، وبالأمس فقط، زارنى بعض رجال الإذاعة فأوشك عامل الترام أن «يهديهم» إلى شارع السلطان حسين. وهذه ظاهرة حسية نفسية حقيقة بأن تعلل.

وتعليلها عندى أن السلطان حسين «شخصية» عصرية منظورة، وأن السلطان العثمانى شخصية تاريخية لا يكثر الكلام عنها فى هذه الأيام. وآية ذلك أن اسم «سليم الأول» يطلق على شارع مقارب لنا ولا يغلط أحد بينه وبين شارعنا.

والباعث على تسمية الشارعين باسم السلطان العثمانى الذى فتح مصر أنه مر بها قبل التقاء جيشه بجيش المماليك فى ناحية «العادلى» أو الوايلية. رحم الله «التنظيم» القديم.. أما كان فى واحد منها الكفاية لتسجيل هذه الذكرى.

obeikandl.com

الأطباق الطائرة

الأطباق الطائرة.. نحن فى مصر مقتصدون فى الكلام على هذه الأطباق، فقد أصبحت عند الأوربيين والأمريكيين موضوعاً من موضوعات اليوم فى المؤلفات والقصص وأخبار الصحافة. وكلهم متفقون على رؤيتها..

ولكنهم يختلفون فى تفسيرها من الوهم الحسى إلى الوسائل الفلكية إلى ما هو أغرب من ذلك وأبعد وأعمق، وهو تفسير يعنينا بصفة خاصة نحن المصريين.

بعض هذه الآراء ينكر تفسيرها بالوهم الحسى وبالظواهر الجوية ويستند فى إنكاره إلى أسباب علمية يدخل فيها اللون والاتجاه من الحركة الأفقية إلى الحركة الرأسية، والخطط التى تدل على التسيير وإرادة المسيرين.

أما التفسير الراجح عند هؤلاء فهو من قبيل العلوم الغيبية التى يقول أصحابنا أنها كانت معلومة عند قدماء المصريين، وأن قيام الهرم الأكبر فى موضعه يدل على هذه المعرفة، أو يدل على معرفة المصريين الأقدمين بالمغناطيسية الأرضية وقدرتهم على عزل هذه المغناطيسية والتوفيق بين هزات الصوت وهزات النور وهزات المغناطيسية.

وآخر المؤلفات التى تشرح هذه «النظرية» كتاب ألفه أديب درس الهرم الأكبر سنوات وساعده فيه أستاذ من مدرسى الفلسفة على علم بالرياضة، واسمهما دسموند ليزلى وجورج أدامسكى وكلاهما خليط فى نسبه بين أوربة الوسطى وأجناس القارة الأمريكية.

ويقول الباحثان إن النظر فى حركات هذه الأطباق خليق أن يعود بنا إلى معرفة السر الذى تتفق به الهزات فى كل حركة كونية، وليس فى الكون قوة ولا طاقة إلا ومرجعها إلى هذه الهزات. نقول: نعم. ولا استثناء لهزات العقول.

معاكسات التليفون :

قرأت اليوم محاكمة المتهم بمعاكسات التليفون، ولاشك أن هذه المعاكسات صناعة لها «اختصاصات» ولها مختصون، ولها مختصات. فليس الجميع سواء فى المعاكسة وأغراضها وأساليبها.

وأذكر أننى سمعت على الأقل خمسين أو ستين صوتاً فى هذه المعاكسات وكنت أميز أصحابها بأشخاصهم أو أشخاصهن على حسب أصواتهم أو أصواتهن، وهؤلاء غير أصحاب الغلط المتكرر فى الأرقام[1]. وقد استرحنا أخيراً من هذه الصناعة بجميع اختصاصاتها. ولكنهم لم يستريحوا منا.

فنحن لا نجيب على التليفون بعد الساعة «كذا» من المساء، وقد يستمر دق التليفون بعض الليالى ساعتين، ولا جواب ولا سماعة ترفع ليستريح أصحاب الصناعة بجميع اختصاصاتها. وقد استراح أتعب المتعبين.

---

(١) تراجع صفحة (١٠٢) تحت عنوان أغلاط العنوان.

obeikandl.com

سحر الجواهر... وسحر الكواكب*

للجواهر سحر نافذ.. أقول ذلك وأنا لا أذكر أننى رأيت شيئاً من الأشياء التى يسمونها بالسحر فصدقته ورأيت فيه قوة غير قوة الخداع والخفة.

ولكنى أقول كذلك أننى لو صدقت السحر غاية التصديق، لما استطعت أن أنسب إليه فعلا أقوى من فعل الجوهر الذى نراه من بعيد أو من قريب.

وللجوهر سحر لا شك فيه.. للجوهر سحر لا تفسره قيمته المعلومة، ولاجماله المحسوس، ولا زينته فى النظر.. لاتفسره ألف جنيه يباع بها.. ولا تفسره لمعة فيه أو لون يثبت عليه، ولا تفسره الحلية ولا الوجاهة، ولاشيء مما يقاس ويوزن ويسحب بالارقام.

وماهو السحر؟

هو كل مجهول لا نراه ولكنك تلمس قوته وترجوه أو تخشاه.

ونحن قد نتخيل هذه القوة وندرك أسبابها أو نخمنها ونقدرها.

هى الفتنة التى تتخيل الحسناء أنها تخلب بها الأنظار.

هى الثقة التى يتخيلها صاحب الجوهر أماناً من الفاقة وعنواناً للجاه والثروة.

هى الحذر الذى ينفى الثقة ويزلزلها..

هى النشوة التى تشبه السكر فى جميع أغراضه ولوازمه، وقديما كان السكران ينكر السكر فى اللحظة التى يأخذه فيه السكر ويغلبه ويحس أنه لا يقدر عليه.

وقديما كان هذا شأن السحر والهوى فى عقول المسحورين:

* أخبار اليوم ١٩٥٤/١١/١٦.

يقولون مسحور يجن بذكرها ! وأقسم ما بى من جنون ولا سحر
وأقسم ياصاحبى أنك لمسحور ومجنون.

وكل فعل يقال فيه هذا المقال فهو من السحر وإليه، أو السحر كله منه وإليه.. . مفعول مجهول لا تفسره القيم المعلومة، وقد تفسره على ذلك النحو الذى يزيده غموضًا على غموض، ذلك هو سحر الجوهر الفعال.

وهو إلى حد كبير سحر « الفلوس » فى نفوس الناس.. فربما كان بلاء الفلوس جميعاً أنها أصبحت عندهم قيمة مبهمة لاتفسرها الحاجة إليها ولاتفسرها قدرتها على الشراء.

ولن يستريح الناس من شرورها إلا اذا أصبحت «فلوساً» ليس إلا، وحسبت قيمتها بمقدار ماتشتريه.

كنز الجميع:

ولنجرب من سحر الجوهر أن نذكر لطائفة من الناس أن جوهرة نفيسة ضاعت، أو أن كنزاً من الجوهر النفيس ضاع.. ولاحظ فى الحال أثر ما تقول. إنهم يحسون كأنما هذه الجواهر قد ضاعت منهم وأنها ينبغى ألا تضيع.

كيف يضيع هذا الكنز الثمين ؟

كيف يقال عن الحسناء - مثلا - أنها جوهرة مكنونة مبالغة فى صيانتها وإعزازها ثم تقول عن جوهرة من الجواهر أنها ضاعت ولم ينقذها أحد من الضياع..

تحدثنا فى مقال عن جواهر الخديو عباس التى ضاعت ولم يعثر عليها كما قال أغاخان فى مفكراته.. وتحدثنا فى المقال نفسه عن كوكب المريخ وغيره من الكواكب المهجورة. نحن فى عصر الإحصاء يا صاح.

وحكم الإحصاء هنا أن الجواهر أنفس عند الناس من الكواكب بنسبة ثلاثة إلى واحد، وأن سحرها اليوم أفعل من سحر النجوم. لماذا؟ .. لأن النجوم بعيدة؟

كلا ياصاح. أن الجواهر لأبعد منالا من النجم عند كثير من الناس. ولكن الجواهر تسحر اليوم حيث لا تسحر النجوم ذات الطوالع والأرصاد.

ونعود إلى فعل المجهول أو الفعل الذى بعضه مجهول معلوم. إن علم الفلك قيد النجوم بقيود من الحساب لا تخطئ لمحة عين، وأما الجوهر فلم يوجد بعد علم من علوم الفلك أو الأرض يقيده هذا التقييد.

أمثلة لها جواب :

من الأسئلة التى سُئلتها حول قصة أغاخان سؤال عن جواهره التى خطفت منه، وسؤال عن الجواهر التى وزن بها عند الاحتفال بميلاده. وهما سؤلان لهما جواب من كلام أغاخان. أما الأسئلة الأخرى عن جواهر الخديو وأمواله فنى ذمة التاريخ أو فى ذمة الذين سرقوها وهى ذمة فيها ولاشك متسع للجميع.

البقشيش :

إن الأديب الذى سألنى عما قاله أغاخان عن جواهره المخطوفة قد أحسن صنعاً؛ لأن القصة تستحق الرواية ولا تهمل إلالتقديم غيرها عليها، مماهو أعم وأهم فى نظر التاريخ.

كان مسلك الرجل عند خطف جواهره، مسلك الفيلسوف الساخر الذى شبع من الدنيا وشهد غفلة الناس، وجرب الخوف والرجاء كل يوم فكذب كلا منهما مرات بعد مرات.

وقد رواها بعد أن كاد ينساها، أو هو يحب أن يفهم القارئ أنه كاد ينساها، فلم يذكرها إلا فى ختام الفصل كأنها بقية من «عفش» المسافر تذكرها قبل أن يودع القطار.

قال بعد بضعة سطور من التمهيد : « ..وزجوا بفوهات بنادقهم إلى داخل السيارة وكانت إحداها على مدى قراريط من زوجتى، والأخرى فوق صدرى ولم نشعر بالخوف المعهود فى هذه الحالات، ولا أقلقنا أمر الشعور به، وأذكر أننى رأيت يدى الرجل الذى وضع السلاح على صدرى ترتجفان فى عنف ووجل وخطر لى أن السلاح على هذا خليق أن ينطلق كأنه سينطلق بعيدًا منى، وقالت لى خادمة زوجتى بعد ذلك أنها كانت تفكر بغير اضطراب متسائلة : ومتى يقتلون الأمير؟ وكانت زوجتى إلى جانبها لا تحس فزعًا ولاخوفًا على الإطلاق، وقلت لهم بصوتى المعتاد فى الحديث : إننا لا نقاوم.. خذوا كل ما تريدون ».

« واختطف أحدهم حقيبة الجواهر التى كانت فى حجر زوجتى، وقال وهم يتراجعون إلى سيارتهم : كونوا لطافاً ودعونا ننصرف.. وكادوا يثبون إلى سيارتهم حين عادت إلىّ فكاهتى ووجدتنى أناديه : تعال.. تعال.. إنك قد نسيت بقشيشك.. وعاد أحدهم فأعطيته حفنة من الفرنكات كانت فى جيبى قائلا :

إليك البوربوار.. خذ البقشيش. Pour boire

فأخذه وهو يردد فى طريقه إلى السيارة : مرسى.. مرسى.. مرسى. »

« ...وبعد أربع سنوات على التقريب قبض على ستة أشخاص وحوكموا فى سنة ١٩٥٣ وحكم على ثلاثة منهم، وهذا على ما أظن كل ما يستحق أن يقال عن هذا الحادث الفريد من نوعه بين تجاربى الطويلة ».

أما وزن الأغاخان بالجواهر فى سن السبعين وما قبلها فهو صحيح، وتشمل المفكرات على صور له وهو يجلس فى الميزان، ويؤخذ من تقديره لبعض الهدايا النقدية التى جمعت له فى إحدى هذه المناسبات أن قيمته بسعر الجواهر بلغت نصف مليون جنيه، ولايدل هذا على نفاسة نادرة فى قيمة جميع الجواهر التى تبرع بها المؤمنون، مع المعروف من ضخامة الأمير الموزون.

الكوكب المهجور :

هذا عن رسائل الجواهر.

أما رسالة الكوكب المهجور فصاحبها يسأل : ماهى الدلائل التى تنفى وجود الحياة على المريخ ؟

ونحسب أن المطلوب هو حصر الدلائل التى تثبت وجود الحياة هناك، وليس فيما نعرفه دليل يثبتها أو يرجحها بسبب متفق عليه. فمن العلماء من يفسر اللون الأخضر المتغير على سطحه بوجود الماء والنبات، ومنهم من يعتبر هذا الظن من الشطط البعيد كما قال العلامة جيمس جينس.

وقد كان القائلون بوجود الحياة على المريخ يستندون إلى الخضرة التى تشاهد عليه وتختفى بعد حين وكانوا يظنون أنها تشبه مواسم الزرع على الكرة الأرضية، ولكنهم كانوا يشاهدون فى منظار الطيف لونًا أقرب إلى اللون الأزرق مخالفاً لما على الارض من لون « الكلوريفيل » الأخضر الذى يمتص قبساً من اللون الأحمر ويبدو كالبياض فى المصورة الشمسية، وتلك عقدة لم ينجح فى حلها جماعة القائلين بسكنى المريخ.

وأخيرًا ظهر فى المراصد الروسية على المناطق الثلجية أن النبات القريب من هذه المنطقة يشبة فى تلك البقع التى تظهر على المريخ وتختفى من حين إلى حين فكل ما يقال إذن على سبيل الترجيح أن الثلج يطغى على المريخ أو يكاد ولو ثبت هذا لما كان دليلاً راجحًا على وجود الأحياء فيه الآن أو قبل الآن.. ودعوه يا قوم يكون كيف يكون :

والله ما فى الحياة شىء تسأسى على فقده العيون

وصدق أبو العلاء، لو أنهم يعقلون.

obeikandl.com

ذكــاء الحمــار*

زرت اليوم صديق الأستاذ حافظ جلال بضاحية الهرم على ترعة المريوطية.

وحدثنى الأستاذ عن أحدث مشاهداته فى حديقته الجميلة، وحديقته هذه فى الواقع مختصر مفيد لحديقة الحيوانات ماعدا قسم السباع وبعض الحشرات، لأنه يربى فيها الطير والماشية والقطط والكلاب ويعهد بالإشراف عليها أحياناً لأبنائه الأذكياء الظرفاء، وعلى رأسهم السيد ممدوح.

ومشاهدته الأخيرة فى قسم الطير بيضة مستطيلة فى جانب منها محة وزلال وفى الجانب الآخر كتكوت صغير.

ظاهرة نادرة تضاف إلى أندر الظواهر فى علم الأجنة.

أما الظاهرة التى تستوقفنى دائما فى هذه المجتمعات الحيوانية فهى غباوة كل حيوان من حيوانات التموين إلى جانب الحيوانات التى تستخدم للحركة وسائر الأعمال الإنسانية التى تشابهها.

سألته عن العجل الصغير الذى رزقته جاموسة السيد ممدوح، ولم يكن هناك محل لتسميته باسمه لأن البقر والجواميس والشاء والدجاج لا تعرف الأسماء.

وهذه آية الغباء عندما يكون التموين صفوة منافع الحيوان.

إن الحمار مضرب المثل فى الغباء يعرف الاسم والتسمية وتناديه باسمه فيلتفت إليك.

فهو شخصية مميزة مسماة.. أما حيوان التموين فقطيع من النكرات، ولنا أن

---

* الأخبار ١٩٥٤/١٢/١١

نزيد بذلك تقسيماً آخر إلى أقسام الحيوان، أو إلى الأنواع وأشباه الأنواع والعائلات والفصائل والفروع.

حيوانات مسلوبة الشخصية وهى التى تؤكل أو تقتنى قبل كل شيء للأكل والتموين.

وحيوانات ذات شخصية تقبل التسمية وتحمل الأعلام، وهى التى يتحرك بها الإنسان أو تتحرك مع الإنسان، ولو كانت من كلاب الصيد والحراسة وقطط التدليل ومطاردة الفيران.

obeikandl.com

صناديق أوراق..*

أو معايير أخلاق وأذواق

جرت فى الولايات المتحدة، منذ أسابيع، انتخابات نيابية شغلت أذهان الساسة فى القارة الأمريكية وفى جميع القارات التى تحملها هذه الكرة الأرضية، لأن سياسة «العم سام» قد أوشكت أن تختلط بكل سياسة عامة فى هذه الكرة، فمن الطبيعى أن يهتم بها كل من يهتم بالسياسة العامة وعلاقتها بالكتلة الغربية ثم علاقتها بالكتلتين على الإجمال.

وقد علقت صحف العالم الكبرى على نتائج الانتخاب، واختلفت فى تعليقها على حسب الخطط والأغراض، فقالت صحف روسيا غير ما قالته صحف إنجلترا وفرنسا، وانقسمت الصحف فى إنجلترا وفرنسا شعباً وأحزاباً بين الترحيب والتشاؤم، ولم تتفق صحف الولايات المتحدة نفسها فى تعليقاتها وتأويلاتها، ولكنها على الجملة كانت صاحبة الدار التى يصح أن يقال عنها إنها أدرى بما فيها، وقد بدأ من أقوالها أنها لا تهتم بالنتائج كما اهتمت بها الصحافة العالمية، لأنها تعلم أن الانتخابات لم تكن دائرة على مسائل عالمية أو أساسية فى الشئون الأمريكية، فهى على الأكثر منافسات بين المرشحين يظفر بها كل مرشح بما تؤهله له مزاياه وهى قبل ذلك كله منافسات تدور حول مكانة «أيزنهاور» الشخصية ومكانته القومية بمعزل عن خلافات الأحزاب وبرامج الساسة.

على أن الانتخابات لا تعنينا من جانبها السياسى فى مقالنا هذا، وإنما يعنينا منها جانب آخر جديد بالعناية فى الوقت الحاضر، لأنه يعرض للأنظار مبادئ فن جديد يخلق فى هذه السنوات، ويتوقف عليه الكثير فى العصور المقبلة حيث يتصل الأمر باستصلاح أحوال الشعوب كلما عرض لها عارض خطير من عوارضها الداخلية أو الخارجية.

---

* أخبار اليوم ١٩٥٤/١١/٢٧.

فن الاستفتاء :

لاتجرى الانتخابات الأمريكية إلا وكانت فيها فرصة واسعة لضروب من المحاولات والتجارب والمراهنات تستحق الفرجة وتستحق الدراسة، لأنها تعتمد على خبرة يعرفها خبراء الجماهير الذين تمرسوا بأعمال الصحافة والدعاية وتوسلوا بما عندهم من الوسائل لسبر أغوارها واستطلاع دخائلها واستخراج الدلائل والعلامات من كل وجهة تتجه إليها.

وتقوم بهذه التجارب والمحاولات معاهد خاصة يبذل فيها خبراء هذا الفن الجديد غاية الجهد للتفوق وكسب السمعة القومية والعالمية، وقد يقوم المعهد أو يسقط حول تجربة واحدة تختلف نتائجه فيها ونتائج الواقع بنسبة ظاهرة، وقد ينجح المعهد عشر مرات ثم يخفق مرة واحدة، لأنه اعتمد على طريقة فى الاستفتاء تصلح لفترة من الزمن ولا تصلح لكل زمن وكل حال.

والمقارنة بين هذه الطرق متعة وفرجة ودراسة نافعة بل ضرورية فى هذه السنوات، لأن هذه الطرق امتحان «عملى» لما يدعيه أقطاب علم النفس وعلم الاجتماع وخبراء الصحافة والدعاية وكل منهم يعلن وسائله وأسباب نجاحها، ويعلن وسائل المزاحمين وأسباب فشلها وإخفاقها، وتنطبق هذه الوسائل جميعًا على نتائج محدودة يراجعها من يشاء فيحكم لها أو عليها بما يراه.

وهناك طرق لكل نوع من أنواع الموضوعات التى يجرى فيها الاستفتاء، وهناك طرق لامتحان النجاح والإخفاق فى كل طريقة خوفًا من نتائج إخفاقها على المعهد الذى يجريها، ومن الأمثلة على ذلك أن معهدا من المعاهد أراد أن يجرب الاستفتاء المكشوف فى مسألة أخلاقية يتحرج المسئولون من التصريح بآرائهم الحقيقية فيها، فجعل للجواب ورقة واحدة ذات قسمين أحدهما للجواب الصريح والآخر للجواب السرى غفلا من الأسماء، فظهر من الإحصاء أن الفرق كبير بين الأجوبة الصريحة التى يقال فيها «لا أعلم» وبين الأجوبة السرية التى تبدى رأيا إلى النفى أو إلى الإثبات، وكان من جراء ذلك إبتداع الأسئلة «التخمينية» التى تتم على الوعى الباطن على زعم الخبراء النفسانيين.

المراهنة والاستفتاء:

بدأت تجارب الاستفتاء للمراهنة عليها قبل مائة وثلاثين سنة، فابتدعت صحيفة هارسبرج بنسلفانيان Harisbarg Pannisylvanion طريقتها التى سمتها (انتخاب القش) لسؤال أصحاب الأصوات عن نصيب كل من المرشحين الأربعة الذين تنافسوا على الرئاسة سنة ١٨٢٤، وجاءت النتائج ببعض الخطأ ولكنه كان أقل من الخطأ فى كل نتيجة قدرها المتكهنون بغير استفتاء.

وانفتح باب المراهنة على الاستفتاء فابتدعت كل صحيفة طريقتها التى تجذب بها المتراهنين إلى قراءتها، وكانت هذه المراهنات بطبيعتها موافقة للمزاج الأمريكى فى صميمه لأن الهجرة الأمريكية كلها إنما هى مراهنة على المجهول.

ثم تطورت أساليب الاستفتاء فى السنوات الأخيرة مع تطور الدراسات النفسية ووسائل البحث عن خفايا الشعور فى النفس البشرية على اجتماع وعلى انفراد، ولا تزال هذه الأساليب متطورة متجددة حتى تنتظم فى عداد «العلميات» ويكون لها عملها المعترف به فى استطلاع الآراء وتحقيق المشارب والدعوات.

وبعض النماذج من طرق الاستفتاء تساعد على التجربة فى مصر ولو على سبيل التسلية والتدريب، ثم يأتى - وسيأتى لا محالة - دور الجد فى الاعتماد على الاستفتاءات من هذا القبيل.

طريقة العدد:

فمن هذه النماذج طريقة العدد التى اتبعتها صحيفة «الخلاصة الأدبية» Literary Digest وصدقت معها مرات فى انتخابات الرئاسة وغيرها.

وعلى هذه الطريقة اعتمدت الصحيفة حين أعلنت نجاح الرئيس هربرت هوفر قبل نيف وعشرين سنة، فكانت نسبة الأصوات عندها نحو ثلاثة وستين فى المائة ونسبة الأصوات الانتخابية نحو تسعة وخمسين، وظهر أن الخلل اليسير يرجع إلى حالة الجو لا إلى الخطأ فى التقدير.

obeikandi.com

كانت هذه الصحيفة توزع الأسئلة على مشتركيها وعلى الأسماء التى فى دفاتر التليفونات وأندية السيارات وصفحات الدليل العام الذى يجمع أسماء المشهورين وأصحاب المتاجر والدكاكين.

وكانت تسأل صاحب الاسم عن صوته وعن رأيه فى جملة الأصوات من الحزبين، فتعرف الاتجاه من عددالأصوات كما تعرفه من مختلف التقديرات.

وصدقت هذه الطريقة سنوات حتى اختلت غاية الاختلال على عهد الرئيس فرنكلين.

وبحث طلاب النجاح فى هذه النبوءات عن أسباب الخلل لأنها أصبحت فى الواقع أهم من نتيجة الاستفتاء، إذ كان الاستفتاء بعدها عبثًا ضائعًا قبل تصحيح الخطأ الذى أفسد النجاح فى التجارب الماضية، ولا بد له من سر لم يلتفت إليه.

وتبين بعد البحث أن الاعتماد على أسماء المشتركين فى التليفون وأصحاب السيارات والأماكن المشهورة كان من الأدلة الصادقة حين كانت النسبة بين الديمقراطيين والجمهوريين متعادلة فى هذه الطبقة : طبقة الأغنياء والأوساط الذين يشتركون فى التليفون ويقتنون السيارات ولكن الرئيس روزفلت استطاع أن يسلك فى سياسته خطة تستميل إليه طوائف العمال الصناعيين ولا تقابلهم من أبناء الجنوب طوائف الفلاحين، فاختل الميزان بما طرأ عليه من هذه الأصوات التى تعد بمئات الألوف ولا تتوازن بين الكفتين.

طريقة الدرجة :

واعتمدت طريقة الدرجة بعد طريقة العدد فى موضوعات الانتخاب وما يجرى مجراها من شئون السياسة والاجتماع.

وتقوم طريقة الدرجة هذه على تقسيم المجتمع إلى ثلاث طوائف وتقسم كل طائفة منها إلى ثلاث درجات.

والطوائف الثلاث هى طائفة الأغنياء وطائفة المتيسرين وطائفة الفقراء. والدرجات الثلاث فى كل طائفة هى العليا والوسطى والسفلى.

ويحتاج حصر الطوائف، للانتفاع به فى هذه الطريقة، إلى شىء من البحث وشىء من الفراسة، فلا بد فيه من النظر إلى أحياء السكن وأنواع العمل إلى جانب الاشتراك فى التليفون واقتناء السيارة وأسماء الأندية ومراكزها.

وإذا تيسر الحصول على أسماء العمال من مصانعهم بقيت أسماء المتعطلين بغير عمل، وهم فى بعض الأوقات عدد غير قليل.

إلا أن العلم به، تقديرًا أو تخمينًا، لا يعسر على أصحاب معاهد الاستفتاءلأن أسماء العمال الصناعيين محصور فى الدواوين وفى النقابات، فمن لم يكن منهم عاملا فهو متعطل، ومن كان متعطلا فرأيه معروف على وجه التقريب بغير استفتاء، ويندر جداً أن يكون من هؤلاء المتعطلين ناخب محافظ أو شديد المعارضة للمتطرفين.

وتصدق طريقة الدرجة حيث خابت طريقة العدد، ولكنها لم تسلم من علة خطرة بعد حصول المرأة على حق الانتخاب، فإن عددًا كبيرًا من النساء يحسب من العاملات وهو لا يعمل ليكسب رزقه ولا ينوى أن يعمل لكسب رزقه اكتفاء بوظيفة الزوجة المنزلية فى بيوت العمال وغير العمال، فإذا حسبت أصواتهن بين أصوات المتعطلات فهو خطأ كبير ، وإذا اعتبرت الزوجة ربة البيت كالعاملة المتعطلة فى ميولها الاجتماعية لم تصدق نتيجة الحساب، وربما كانت الكثيرات منهن محافظات متدينات كراهة منهن لاشتغال أزواجهن بأعمال المتطرفين من دعاة اليسار.

طريقة المزاج :

وهذه الطرق أو الأساليب كلها للاستفتاء فى نتائج الانتخاب أو التقلبات الحكومية والحزبية، بل وضع بعضها للاستفتاء فى هذه النتائج وفى غيرها من

شئون الجماعات، كالعقائد الدينية والمذاهب الأخلاقية والعلاقات الجنسية، ومدارس التصوير والتمثيل، وأذواق الجمال، وأزياء الملابس، وأبواب التسلية والرياضة ، وظهر أن تقسيم الناس حسب الأمزجة أصح وأجدى من تقسيمهم حسب الوظائف والمراكز الاجتماعية فيما يدور حول المعتقدات والأذواق، وألف خبير من الثقات فى هذه الشئون - وهو الدكتور سبرانجر Spranger كتابًا خاصًا سماه نماذج الإنسان، شرح فيه تجاربه التى إنتهى منها إلى تقسيم الناس إلى ستة أمزجة توجد فى كل طبقة وفى كل بيئة، وقد توجد على اختلاف فى الأسرة الواحدة.

فمن الناس صاحب المزاج «النظرى» الذى يشغله أن يفهم موضع الحقيقة، ويقضى حياته طالب معرفة ومصحح آراء وأحكام، ويسمى هذا المزاج أحيانا بالمزاج العلمى لكثرته بين المشتغلين بالمعارف والفنون.

ومنهم صاحب المزاج «الاقتصادى» الذى يشغله ما ينفعه وما يستفيد منه فى موارد رزقه، وهو يهتم فى حياته الخاصة وفى المسائل العامة بالأسعار والمشتريات والمحاصيل والثروات، ويدعوه الانقطاع لهذه الشواغل أحيانًا إلى معارضة الأمزجة الأخرى ولاسيما الأمزجة النظرية.

ومنهم صاحب المزاج «الذوق» الذى يشغله والتنظيم والشكل والمظهر، وقد يفضل عقيدة من العقائد لأن محافل الصلاة فيها أفخم وأجمل، أو لأن الصورة الكونية التى تدين بها أروع وأعظم، ولا يكون صاحب المزاج الذوق لزامًا قليل الاكتراث بالنظريات والاقتصاديات ولكن النظريات والاقتصاديات، لا تستهويه إذا لم توافق ذوقه واستحسانه فى معرض التنسيق والتنظيم.

ومنهم صاحب المزاج «الاجتماعى» وهو مطبوع على الألفة والاشتغال بأحوال الجماعة ومطالبها.

ومنهم صاحب المزاج «السياسى» وهو كصاحب المزاج الاجتماعى فى اشتغاله بأحوال الجماعة ولكنه يهتم بالتزاحم على النفوذ والحكم قبل اهتمامه بشئون المعيشة وأحكام القانون والإنصاف وتقاليد العرف والعادات.

ومنهم صاحب المزاج «الديني» وهو الذى يبنى علاقات هذا العالم على الأوامر والنواهى التى يتلقاها من العالم الآخر، ويحاسب نفسه على أعماله كأنه منظور إليه حين يعملها من وراء حجاب، ولا يستبيح المحرمات إلا من قبيل المغالطة والمزاوغة، فيكثر منها كلما احتاج إليها وتعذر عليه أن يعيش على وفاق الأوامر والنواهى من جانب الغيب.

كيف تعرفهم:

ومن السهل أن تميز بين أصحاب هذه الأمزجة بطائفة من الأسئلة فى مقدمة الاستفتاء ثم تتبع الأسئلة الأولى بما تريد أن تستفتيهم فيه.

ومن ذلك أن تكتب له أسماء بعض المشاهير وتسأله: من تفضل أن تراه من هؤلاء؟

ومنها أن ترسم له أشكالاً محدودة وأشكالاً مبهمة وأشكالاً ناقصة وأشكالاً متناقضة وتطلب منه أن يختار منها شكلاً على علاته ويصلح شكلاً آخر على هواه.

ومنها أن تكتب له جملا مقتضبة وتطلب منه إتمامها برأيه وتقديره: فيقال له مثلاً: «إن الزعيم الديمقراطى ينبغى أن يكون..» ويترك له مكان ثلاثة أوصاف أو أربعة يملأها على حسب إختياره.

أو يقال له مثلاً: «إن رئيس العمل المثالى هو الذى يعامل المرءوس على الوجه الآتى...» ويترك له أن يكتب الوجه المفصل أو الوجوه المفضلة بالإيجاز.

وقد تكتب الفكرة فى الورقة وتحتها خمسة مواضع بيضاء، يملأ منها المسئول موضعًا واحدًا يعبر عن رأيه بين موافق مع التأكيد، وموافق، وغير متأكد، ومنكر، ومنكر مع التأكيد.

ويصطلح الخبراء على علامات الأمزجة قبل توجيه الأسئلة، أو يكتفون بالسؤال ويذكرون الأجوبة بغير اصطلاح على علامة من العلامات.

فتش عن الاستفتاءات :

ومن دلائل هذه « الاستفتاءات » أن الشماليين والجنوبيين فى الولايات المتحدة سواء فى النفور من نفوذ اليهود، وإذا قيل الشماليون فهم على الجملة ديمقراطيون، أو قيل الجنوبيون فهم على الجملة جمهوريون.

ومتى كان الديمقراطيون والجمهوريون سواء فى النفور من اليهود، فمن أين يأتى هذا النفوذ اليهودى فى الشمال دون الجنوب؟

الجواب عن ذلك يغنى عن عشرات الأجوبة وعشرات الأسئلة حول الشئون الأمريكية والشئون العالمية.

الجواب عن ذلك أن الشمال مجال المشروعات الاقتصادية وأن الجنوب مجال الزراعة والتجارة المتفرعة عليها.

ومن الميسور جدًّا أن يحتل اليهود بعض المراكز « المفتاحية » فى أسواق الشمال ليتمكنوا من التأثير فى سياسة الديمقراطيين.

أما فى الجنوب فليس ذلك من الميسور جدًّا، ولا من الميسور بغير إحتيال كبير ينكشف أمره على الأثر.

وقد تقدم فى هذا المقال الانتخابات الأمريكية لم تكن دائرة على مسائل عالمية أو مسائل أساسية فى حكومة الولايات المتحدة ، وإنما كانت تدور على الأكثر حول « الشخصيات » وما لها من المزايا وما وراءها من النفوذ الصريح أو المستور.

فينبغى أن يضاف إلى ذلك أن نفوذ اليهود معظمه مع الديمقراطيين، وأن القليل من هذا النفوذ يناصر الجمهوريين ، ويكفى أن نعلم أن أهل نيويورك يسمون مدينتهم - تهكما وسخرية - مدينة اليهود للتقارب اللفظى بين Jew-York, New York, يكفى أن نعلم هذا لنعلم السر الذى وراء السيطرة اليهودية على

الحزب الديمقراطى، فإن اليهود لا يسيطرون عليه لكثرة عددهم فحسب، بل ترجع السيطرة عليه إلى أفراد معدودين يحتلون المراكز «المفتاحية» فى عواصم الأعمال، ويعرف المطلعون من الأمريكيين ذلك فلا يملكون أن يغيروه وقد يصعب عليهم أحيانًا أن يصرحوا به لغلبة اليهود على الصحافة وشركات الإعلان.

وشاهد من «اليونسكو»:

والشاهد على احتيال اليهود للوصول إلى مراكز النفوذ فى المؤسسات الكبرى ظاهر من سلوك المؤسسة العالمية، الإنسانية، التعليمية، الوحيدة فى العصر الحديث...

وإنه والحق يقال لمن المضحكات المبكيات.

فالمؤسسة العالمية الإنسانية التى تنفق عليها دول العالم فى هذا العصر هى «اليونسكو» تقدست أسرارها.. وإنها لكثيرة الأسرار.

هذه المؤسسة لم تنشر حتى اليوم بحثًا واحدًا فى مصلحة العرب، وتتدفق منها كل عام بحوث فياضة أو موجزة لمصلحة واحدة هى مصلحة إسرائيل ومصالح اليهود فى أقطار العالم جمعاء.

ولقد وصل منها هذا الأسبوع خمس عشرة رسالة نذكرها بعنواناتها إذا شاء القراء وكلها فى موضوع واحد هو موضوع «العنصر» والحملة على أعداء اليهود المعروفين فى الغرب باسم أعداء الساميين Anti – Semites.

خمس عشرة رسالة فى موضوع واحد للدفاع عن اليهود، وتسمى اليونسكو بعد ذلك مؤسسة عالمية إنسانية ينفق عليها العرب بين المنفقين.

معايير أخلاق لا صناديق أوراق :

ونختم المطاف بالعود إلى حديث الانتخاب وحديث الاستفتاء ، لنقول إن الأمم فى هذا الزمن إنما تفهم بمعايير أخلاقها وأذواقها : وإن صناديق الانتخاب لكاذبة إن لم تصدق فى التعبير عن هذه المعايير.

ومن هذه المعايير نعلم أن خمسة ملايين يهودى فى بيئة واحدة يصنعون كثيرًا بل كثيرًا جدًّا، فى السيطرة على المواقف السياسية.

وهل أعجب من سيطرتهم على اليونسكو الموقرة وهى عالمية إنسانية بشهادة الجميع ؟

openkandl.com

الأوليمب للإيجار*

مضت ساعة و «جوبيتير» العظيم - رب الأرباب - ينتظر الأعضاء الخالدين فى مجلس الأوليمب ولما يحضر أحد من أرباب الدرجة الأولى ولا أرباب الدرجة الثانية ، على خلاف العادة فى مواعيد هذا المجلس الأبدية.

فما كان من عادته أن ينتظر ساعة أو بعض ساعة، لأن أتباعه من أولئك الأرباب كانو يسبقونه إلى الموعد ولا يتخلفون عنه لحظة واحدة لعذر من الأعذار.

أما فى هذا اليوم فقد اختلف الأمر واختل هذا النظام، ومضت الساعة ولم يحضر أحد، ولم يظهر من بوادر الحركة فى الفلك الأعلى أن أحدًا منهم ينوى الحضور.

ومضت ساعتان.

ومضت ساعات ثلاث.

ودار جوبيتير بعينيه كأنه ينوى أن يصنع شيئاً من تلك الأشياء التى كان يصنعها ارتجالا إذا غضب. كان فى نيته أن يقذف بالصواعق ويضرب بالرعود والبروق، لولا أنه تذكر موانع الصواعق التى كفت أذاها عن مساكن البشر فضلا عن معاهد الأرباب، وبقيت عنده بقية من وقار الآلهة المعبودة فلم يبتذل غضبه فى البذاء أو الهراء بديلا من صواعق النيران، ونظر فى حزن مكظوم وصبر مكتوم إلى زمرة الحجاب من حوله يأمرهم أن يبحثوا عن الأرباب الهاربين حيث وجدوهم فى مغاور الأرض أو على قنن الجبال ومتون السحاب.

---

* أخبار اليوم ١٩٥٥/٢/١٢

ولم يكن أيسر من هـذه المهمـة - فيما مضى - على حجـاب الأوليمـب الخالدين، فإنهم كانوا يذكرون أقوامًا غـير نـاسين ولا غـافلين، ومـاهو إلا أن يظهر الحاجب العلوى أمام رب متسكع فى الطريق أو كسلان لا ينشط لـواجب الأرباب والمعبودات، حتى يسبقه مهرولا إلى أبواب الأوليمـب يـدركها مفتـوحة، قبل أنْ تقفل فى وجوه القادمين، وما كانت تنتظر قادماً قط بعد حضور جوبيتير العظيم فى موعده « المحتوم ».

وتبدل هذا كله فى هذه المرة مع الحجاب، ومع الأرباب.

لا أحد من الأرباب يكترث للموعد ولا للتنبيه ولا للتذكير.

لا بشاشة ولا نشاط ولا خفة للحضور فى الموعد المقـدور ولا بعـد الموعـد المقدور.

الربوبية فقدت زهوتها وتجردت من هـالتها، وأوشـكت أن تـكون « تهمـة » تلاحق الأرباب المساكين، فيولون عنها معرضين، بل يهربون من أعلى عليين إلى أسفل سافلين.

وطال الحوار والإقناع، وتكررت الدعوة والامتنـاع، فلما رجع الحُجاب إلى ديوان « الأوليمب » لم يكن معهم غير أربعة من الأرباب الذين طالت عليهم محنة الربوبية فلم يقدروا على نسيانها كل النسيان ومن ورائهم رهط من أرباب الدرجة الثالثة أو من تلاميذ الربوبية الذين لا يقدمون ولا يؤخرون.

ـ أهلا بالأرباب المسخرين.

. . . فلم يجب أحد.

ـ أهلا بالساقة المسوقين . .

. . . فلم يجب أحد . . .

فعدل جوبيتير الحزين الكئيب عن لجلجة التبكيت والتأنيب، وهتف قـائلاً، وأوجز متسائلاً :

- هل نسيتم الموعد أيها السادة أو نسيتم أنكم أرباب مسئولون؟

فكان جوابه صوتًا واحدًا من أفواه شتى: لم ننسى أننا أرباب، ولكننا لا نريد بعد اليوم أن نحسب فى زمرة الأرباب. وأغناه عن المزيد من السؤال أنه سمع صائحا يعرف صوته يقول؟:

- وهل رب بغير قربان؟ وهل رب بغير محراب؟

ذلك صوت المريخ المكدود، وما من صوت فوق السحاب أو تحت التراب أبين من صوته المعهود، وإن غيرته الأصداء ونالت منه الجهود.

وكأنما روع الأوليمب بهذه الصيحة المكبوتة، فغلب عليه صمت كصمت الأموات.

وتتابع السؤال بعد السؤال ، من فم الإله الأكبر ولا من سميع ولا مجيب. ثم سمعت أصوات ثلاثة من الأربعة تقول:

- تكلم أنت يارب الحرب والقتال، فإنك رائد الشجعان وقائد الأبطال.

ثم سمعت أصوات ثلاثة من الأربعة تقول:

- أو تكلمى أنت ياربة الحب والجمال، فما من شجاعة أشجع من التيه والدلال. ثم سمعت أصوات ثلاثة من الأربعة تقول:

- بل تكلم أنت ياعطارد البيع والشراء وسيد الساسة والخطباء، فإنك لوذعى اللسان ألمعى الذكاء.

ثم سمعت أصوات ثلاثة من الأربعة تقول:

- ومالك لا تتكلمين ياربة الحكمة والدهاء، وأنت من رأس جوبيتير قد ولدت، ولم تلدك حواء من معشر النساء؟

ولا يعلم الراوى كيف انتهى صمت الأموات ولا كيف استجيبت هذه

الأصوات، ولكنه يعلم أن «فينوس» ربة الحب والجمال هى التى توسطت المجال، وأفاضت فى خطاب طويل عن المحاريب والقرابين وعن الحمائم والرياحين، يلخصه هذا المقال.

حديث فينوس:

تكلمت الربة طويلا فقالت مافحواه: إنها فى هذا العصر ربة «غير ذات موضوع» .. أو غير ذات رسالة.. لأن رسالتها هى الإلهام فى أسرار العشق والهيام واللعب بالأوهام والأحلام، ولا عشق ولا هيام فى هذه الأيام،وإن كان عشق هنا وهيام هناك فلا أسرار هنا أو هناك ولا أحلام...!

قالت الربة المهجورة الموتورة: إننى بحثت عن الفتاة الغريرة التى تتعلم منى سرًّا من أسرار الهوى تجهله فلم أجدها، وبحثت عن الفتاة التى تسألنى أن أجتذب إليها حبيبها لأنها تخجل من السعى إليه فلم أجدها، وبحثت عن الفتى الذى يطلب الوفاء من حبيبته أو يدين بالوفاء لها فلم أجده، وبحثت عن الفتى الذى يناجينى مرتين عن عاطفة واحدة فلم أجده، وأفنيت الأيام بحثاً عن العاشقين والعاشقات فألفيت الحب كله ينتهى قبل أن يبدأ الغزل، وكثيراً ما ينتهى الغزل قبل أن يبتدى السلام ولا أقول الكلام.

وتخفيت برهة من الدهر أجوس خلال المشارق والمغارب، وأصاحب الجنسين من كل ملة ونحلة، ومن كل جيل وعمر، وأهبط بالسن من الثلاثين إلى الخامسة والعشرين إلى العشرين إلى ما دون العشرين عسى أن أجد واحدة تتعلم منى ما تجهل، فلا أرى إلا أستاذة بعد أستاذه تذكرنى مانسيت من فنون الفنون وأعاجيب الألاعيب والأساليب، واتفق يوماً أننى رايت إحداهن حائرة فى علاقة من علاقاتها الكثيرة فقلت لها: ولم لا تسألين فينوس؟

فقالت: وأين يكون ياترى معهد هذا الطبيب؟

قلت : أى طبيب يا بنية ؟ .. أنه ليس بطبيب ولا بإنسان .. إن فينوس يا هذه ربة الحب والجمال، وما هممت أن أشرح لها ما أعنيه حتى نظرت إلىّ ساخرة وضحكت منى ضحكة فاترة، وقالت وهى ترد إلىّ الجميل بمثله :

ـ ما أحسبك يابنية إلا من عجائز الجيل القديم فى هذا الزى الحديث .. إننا يابنية لا نستشير الربات والأرباب فى شئون الحب والأحباب، ولكننا نبحث عن معهد الطبيب النفسانى المجرب فى هذه المعارف والخفايا لعله يترجم لنا لغة الوعى الباطن أو يحل لنا مشكلة العقد النفسية أو يطلق لنا عقلة من الهوى المكتوب أو نوازع الطبع المكتوم . . .

وقديمًا كنت أعجب ولا أدرى أين ذهبت تلك الحمائم الناصعات من هدايا العذارى على محرابى ، وأين غابت تلك الرياحين العاطرات من نفحات الشباب على ذلك المحراب، فالآن قد بطل العجب وعرفت السبب وآمنت بهوان الربوبية التى يكفر بها عبادها المخلصين فى عبادتها، وصدق ما قيل الساعة فى هذا الجناب : لا أرباب بغير قربان ولا محراب !!

حديث المريخ :

وابتدأ إله الحرب من حيث انتهت إلهة الحب، فلم يسهب فى بيانه لينطق بلسان حاله دون لسانه. فقال :

ـ كنت ربًّا حين كانت الحرب عبادة. فلما أصبحت بضاعة تقذف بها معامل الصناعة، غرق المعبد فى لجة السوق، ولحق الخالق بالمخلوق واستوى السابق والمسبوق.

وكنت ربًّا حين كان السلاح حلية العاطل وزينة الراكب والراجل، فلما أصبح السلاح شطرة من كل ذرة، ألقيت بسلاحى القديم ونظرت إلى ميدان الكفاح، فإذا بكل شىء سلاح.

وتخفيت حقبة من الدهر كما فعلت أختنا فينوس، فكدت أن أخرج من ديارهم بإنذار من صحف «المتشردين».. لأننى كنت بينهم الوحيد الذى لا يستعد للحرب كما يستعدون ولا يعمل لها كما يعملون، فكل من على الأرض مريخ، وكلهم - ماعداى - مريخيون!

حديث عطارد:

ولما نهض عطارد يتكلم ويتلعثم لم يصدق أحد أنه سيد التجار والشطار وخزنة الدرهم والدينار، وأنه أمام كل داعية ثرثار من ساسة الأمصار، فقد كان يتكلم فلا يعنيه أن يتحذلق ويتملق ولا أن ينفرد بالقول فيتدفق ويتشدق وما زاد على مقتضى الحال حين قال: إنه دار بالليل والنهار، يعرض حمايته على كل سمسار أو سائس غدار، فألفاهم فى غنى عنها بما لديهم من أساطيل الماء والهواء، وجحافل الغبراء والزرقاء، وما فى حوزتهم من سلع مفروضة على الضعفاء، يبيعها من لايريد البيع ويشتريها من لا يريد الشراء، فإن بقى له نصير معين،فنخبة من الناظمين الناثرين على قول بعض الشعراء:

ونحن معاشر الشعراء ننمى ... إلى نسبٍ من الكتاب دان
أبونا عند نسبتنا أبوهم ... عطارد السماوى المكان

حديث منيرفا:

واستأثرت منيرفا - ربة الحكمة والحيلة - بختام الأحاديث لأنها كانت أحب الحاضرين والحاضرات إلى أبى الآلهة، فقد ولدوا له جميعًا من زوجاته وخليلاته إلا هذه الربة وحدها دون سواها كان لها أبًا وأمًا ومرضعًا وأستاذًا فى وقت واحد وفى جمع الأوقات... إذ ولدها من رأسه ورباها من ذات فكره وحسه وتعهدها بالتعليم قبل أن تعرف درسًا غير درسه، فلما نهضت للكلام آثرها بمسك الختام، وأرضاه عنها أنها لم تزهد فى بنوته وإن زهدت فى ربوبيته على أبناء الفناء، تحت الغمام وفوق الرغام!

قالت وهى تتجه إليه بالنداء :

- أبتاه، وسيداه !

أتذكر يوم تناقشت أنا ونبتون فقضيتم لى عليه لأنه جاء إلى الدنيا بالحصان وجئت لها بشجرة الزيتون !

قلتم يومذاك أن الحصان مطية الحرب وأن الزيتون ثمرة الخير والسلام، فاليوم أنتم تعلمون ماذا يصنعون بالزيوت والدهون، فقد بات الحصان اليوم وهو أقرب إلى السلم من غصن الزيتون.. !

أما الحكمة فلا حكمة، وأما الحيلة فلا حيلة، ورجحت الكثرة على الخبرة، وغلب العدد على الرشد، وعمت جهالة الجهلاء، وماتت بغيظها الحكماء...

جوبيتير يتكلم :

وقاطعها أبوها كأنه يسألها وهو فى الحق يسأل كل من حوله وحولها..

قال : فماذا إذن تريدون ؟ وبماذا إن شئتم تشيرون ؟

قالوا بصوت واحد كأنه الرعد الصاعد :

- عد إلى الصولة والصولجان وخذ بشمالك أزمة الصواعق والنيران، ولاعليك من عودة الزمان، فإنه عائد لامحالة كما كان !.

قالوها وهم يجهلون ما يقولون، ولبثوا ينتظرون ما يكون، فلولا ثمالة من حياء، لأجهش أبو الأرباب بالبكاء، ولكنه تمالك وتماسك، وقال فى حسرة وعبرة، يدركها الأبناء ولو كانوا من أبناء السماء:

- إنكم تتحدثون عن الصولجان، فماذا بقى من الصوالج فى كل مكان، حتى تريدوا له البقاء فى هذا المكان؟

وأنكم تتحدثون عن الصاعقة، فهل نسيتم عمود الصواعق على الجدران وبين الأركان فى كل بنيان؟

لقدغضبت على بروميثوس لأنه نقل البروق والرعد من حظيرة السماوات إلى خلائق الأرضين وهان ما صنعه بروميثوس عندما صنعه ذلك البشرى اللعين المسمى فرنكلين. . . فإنه أقام عموده ورفع بالعصيان بنوده، فرمى الصواعق بالشلل، وأصاب الوعود بالفشل، فلا تضرب ذات الشمال ولا ذات اليمين.

قال المريخ : إذن نحن على صواب !.

قالت فينوس : لا أرباب بغير قربان ولا محراب.

قال عطارد : وفيم الحساب وقد أخطأ كل حساب؟

وقالت منيرفا : وهذا إذن فصل الخطاب.

وعاد جوبيتير يقول : نعم هذا فصل الخطاب، وأنتم جميعاً على صواب بل على أتم صواب، ولآخر مرة أقول : أيتها الربات وأيها الأرباب.

أقولها الآن، وإلى آخر الزمان، وأسبقكم إلى مكان غير هذا المكان.

أصوات : إلى أين؟

جوبيتير : إلى الهاوية!

منيرفا : الهاوية؟ أنسيتم القذيفة الذرية وأنتم عزل حتى من القوس والرمح والمدية، وحتى من النار السماوية والصاعقة العلوية؟.. إن الأرض كلها اليوم «منطقة خطر» ما سفل منها قبل ما علا، وما بطن منها قبل ما ظهر..!

وطال الضجيج والحوار، واختلط الأرباب الصغار بالأرباب الكبار، ثم أجمع الرأى على اختيار « النجيمات » المتناثرة، فإنها فى منظومة الشمس لا إلى الدنيا ولا إلى الآخرة...

صلح صائح : ومتى الموعد بهذه الكرة الأرضية؟

وقال قائل : إلى غير موعد!

ونادى مناد : إلى غير رجعة!

وقال قائلون ونادى منادون : بل نخدع أنفسنا إذا زعمنا أننا فى النجيمات

لانمتحن بالحنين إلى هذا الفلك الساحر، ولن نشق بفراقه مع الزمن الدائر، فاجعلوا لنا موعداً نرقبه، واتركوا هنا رسولا يتعقبنا ونتعقبه، فعسى أن تصدق الأحلام وتتبدل طوالع النور والظلام.

* * *

قال الراوى : ورأيتهم بعد ذلك يرحلون زرافات زرافات، ويغلق رسولهم على الأرض باب «الأوليمب» بحلقات فوق حلقات.

قلت : ماذا ؟ أللإيجار ؟

قال : نعم. إلى خراب أو عمار.. !

ولم يزل هنالك ينتظر، ولاندرى عاقبة الانتظار.

طبق صلصة:

وقال الراوى بعد حين : ثم تتابعت رسائل الراحلين والراحلات، من الشهب والنيازك والأطياف والعلامات.

وصعد إليهم رسولهم ذات يوم فسألوه : وماذا يقول الأرضيون حيث يبصرون ما يبصرون ؟

قال الرسول : إنهم يسمونها أطباق الصلصة Soucers.

قالوا : ويحهم من جائعين لا يشبعون، ومن منهومين بالزاد والعتاد لا يقنعون ولا يؤمنون بغير البطون... أيحسبون أن السماء تمطرهم بالبوارق العلوية والظواهر الجوية لتحضير المائدة و «فتح الشهية» ؟.

ومن وراء الكواكب والنجوم يهتف بهم هاتف غير منظور ولا معلوم : «الآن تهبط الأرض إلى حضيضها...»

ويعيد الهتاف من وراء الهالات والأطياف : والآن تهبط على الأرض بشائر السماء.. !

صـور الأيام*

ندور بدولاب الزمن فيدور معنا فى طواعية ولين إلى أوائل القرن العشرين حيث نكتب هذه اليوميات تحت تاريخين يفصل بينهما نصف قرن من الزمن العجول، وقلما ينفصلان.

نكتبها فى أسوان.

وكلما نزلنا بأسوان برزت أمامنا للزمن صفحتان أو خريطتان، إحداهما صفحة الماضى وهى قريبة واضحة كأنها هى الجديدة فى رسومها وصبغة ألوانها، والأخرى صفحة الحاضر وهى بعيدة حائلة كأنها هى العتيقة التى تتراجع فيها الرسوم والأصباغ، وكل بقعة نعبرها يتجمع لنا عندها من ذكرياتها وخواطرها أضعاف ما تعطيه من أخبار حاضرها كأنها فعل له ماض وليس له مضارع ولا أمر فى صنع الأزمنة الثلاثة.

يوم الجمعة:

أن تعرف « أن واحد زائد واحد » والسنة منقوطة!

والمكان صحن الدار تحت ظلال المئذنة التى تطل عليه من المسجد القريب، والمؤذن يصعد الدرج وينشد « الأولى » بصوته الرنان الجميل الذى يجوب الآفاق حوله إلى أمد بعيد، ونحن نراه بأعيننا يدور ويدور ثم يخص الناحية الشرقية بوقفة أطول من وقفاته إلى سائر الجهات.

وتلك دعوة إلى أذان « الثانية » أو إلى النشيد الثانى من أناشيد يوم الجمعة قبل التكبير.

* الأخبار ١٩٥٥/٢/٤.

ونشيد الثانية من حصتنا فى ذلك اليوم.

وهذا النشيد الثانى من أناشيد الأذان يوم الجمعة، هو أحد الموضوعين اللذين ننظم فيهما الشعر أول ما نظمناه فى العاشرة من العمر وقبل ذلك وبعده بقليل!

أما الموضوع الآخر فهو نداء الحرب والجلاد، على سنة الأقران والأنداد، من أبى ليلى المهلهل إلى عنترة بن شداد.

وكنا فى المدرسة ثلاثه جيوش. جيش مصر، وجيش الدراويش، وجيش الاحتلال يتولى قيادته من يوطن نفسه على الهزيمة الدائمة ويكون من قسمته – على حسب الدور – أن يمثل كبش الفداء.

وكان من واجب القائد أن يتقدم الصف ويبدأ المعركة بمبارزة شعرية يتغنى فيها ببطولته ويتوعد فيها العدو المغرور بالويل والثبور وعظائم الأمور.

وتستعار هذه الأبيات عامة من غزوات : عنترة، وسيف بن ذى يزن، وبنى هلال، ولاتتوافق فيها الأسماء والأفعال وإنما على مقتضى الحال.

وأعالج نظمها والتوفيق بين أسمائها وأفعالها، فليس مقادها وأطمع فى نظم غيرها لغير ميدان القتال.

وهكذا كنت أنظم للحرب وللأذان فهل تغيرت الحال حين تغير الموقع والأوان؟

لاأظن...

وصدق من قال إن الطفل أبو الرجل، فخلاصة ما نكتبه بعد خمسين سنة فى الطبيعة وفيما بعد الطبيعة، موضوعان أو موضوع واحد فى كلمة واحدة جهاد.

يوم السبت:

واليوم تبدأ مشكلة الأسبوع : كل أسبوع.

وهى مشكلةيحلها فى هذا الزمن موقد «بريموس» الذى يهئ طعام الإفطار فى دقائق معدودات.

ولكنها لم تكن تنحل يومئذ قبل ساعات، تنقضى فى إشعال الحطب أو الفحم وتشغيل المنافيخ والأفواه.

ودون ذلك وينفد صبر التلميذ الغيور على ميعاد الجرس، فيفلت من الباب ويتحدى العقاب، ويذهب إلى المدرسة بغير إفطار غير ورق الكتاب.

وتأتى صانعة الزلابية فى بيتها القريب فتحل المشكلة، لأنها تنهض من أذان الفجر وتوقد نيرانها لإفطار المئات من سكان المدينة الغرباء، وحسب التلميذ الغيور ميعاد الجرس ثمانى لقم من الزلابية بمليمين : كل «طورة» بمليم.

ويلتقمها على عجل ويدرك العم «وردى» على باب المدرسة قبل أن يدق جرس «الجمباز»... ودع عنك جرس الدخول.

- بدرى ياعباس.
- لاباس ياعم «وردى».

ويعيش عم وردى هذا فراشاً للمدرسة بعينها حتى يرى تلاميذ السنة الأولى فيها يعودون إليه نظاراً للمدرسة الثانوية، وحتى يرى من تلاميذها من يعودون إلى المدينة رؤساء وزارات ووزراء معارف ووزراء على الإجمال،ومنهم على ماهر وأحمد ماهر وصالح حرب وآخرون.

ويدخلون المدرسة فيجدونه على بابها حيث كان، ويناديهم بأسمائهم كما كان يناديهم وهم فى البنطلون القصير.

وقد عدت إلى المدرسة بعد فراقها أربعين سنة ،فما وقع نظرى عليه حتى ثبت قدماى فى موضعهما وخيل إلى أن شريط الزمن قد أفلت من البكرة ومضى يدور أربعين سنة إلى الوراء.

وكان صوته غريباً بما غاب من ذكراه وما حضر من معناه...

استغرب الرجل أن يلمح الشيب فى مفرق التلميذ الصغير، كأنه يحسبه باقياً على الزمن كما رآه.

صوت غريب يوقظ السامع من حلم غريب :

يوم الأحد:

واليوم يوم الرياضة، ولك أن تقول «يوم رياضة الرياضات».. لأن الأسبوع كله رياضة عند السائحين المقبلين إلى أسوان من أقطار العالم، ويومهم هذا هو الموعد المختار لرياضة الرياضات.

ونحن على شارع النيل:

وعلينا أن نذكر جيداً شارع النيل، لأن النهر الخالد أكبر علامة على مكان المدينة من القطر، ومكان القطر من القارة الأفريقية، وأمامك فى كل مكان مائة قبعة فى جانب كل عمامة وطربوش.

أشكال وألوان، وفرسان وحسان، ونماذج من أمم الغرب ولهجات من كل لسان.

وتأتى ساعة السباق أفانين فى كل أسبوع لأنه يوكل إلى «خبراء» متطوعين من أعيان السائحين. يختار كل منهم «فناً» من المباراة يمتاز به على سابقيه، وعلى لاحقيه.

سباق فى أكل البصل، وسباق فى مص القصب، وسباق فى العدو بين

الأشواك، وسباق فى السباحة على الظهر. وسباق على الحمير إلى خلف السائق، وسباق بين الخيل والإبل مشتركات فى حلبة واحدة، وهو أبرع وأمتع ما يكون من ألوان السباق.

الجمل الوئيد الصبور يسابق الجواد الأصيل ويسبقه مرة بعد مرة فى جولة بعد جولة.

إنك لا تصدق هذا حتى تراه بعينيك.

وأعجب من هذا أن يقف السائق على ظهر الجمل ولايتناول زمامه إلا بإحدى يديه.

ولقد أخذ العجب غاية مأخذه من فرسان الأوربيين الذين شهدوا هذا السباق، فكتبوا يمثلونه ويصفونه، ونقلوا الروايات عن أبطاله من قبائل البجاة، ولم ينسوا منها رواية تغريهم بتصديق الخرافات... فإن هؤلاء البجاة من نسل الجان الذين يسمون بين قبائل الجن «بنى الهفهاف؟».

ليس الجمل عريقاً بين قبائل البجاة بالقياس إلى تواريخ الدواب فى الصحارى المصرية، لأنهم لم يستخدموه قبل عهد الرومان ولكنهم عرفوه وجربوه فمازالوا يروضونه ويدربونه ويستجلبونه ويستخلصون من ذريته حتى خلصت لهم هذه الفصيلة التى تسبق الخيل وتصبر حيث لاتصبر على السير الحثيث والسفر الطويل.

وما أكثر ما يتعلمه الحيوان لو شاء الإنسان أن يعمله.

وما أكثر ما يتعلمه الإنسان لو شاء أن يعلم نفسه.

ولكنه قلما يشاء..

obeikandi.com

يوم الاثنين :

يوم بغير لون خاص بين أيام الأسبوع، يحصل فيه ما يحصل فى يوم الثلاثاء او يحصل فى يوم الأربعاء.

إلا أنه ربما كان هو اليوم المفضل الذى يختاره كبار القوم من السائحين لزيارة المدرسة واختبار التعليم الحديث فى هذه البلدة الإفريقية..

وأكرم مايكونون أتعب مايكونون. فقد كانوا يشكرون المدرسة فيدعون ناظرها ومن ينتخبهم من تلاميذها إلى «مأدبة شاى» فى الفندق الكبير، وهنا الربكة أو «اللخمة» حين يجلسون كل صبي منا إلى جوار بنت أو فتاة ولا ندرى كيف نبدأ معهن الحديث.

على أننى أذكر حديثاً من تلك الأحاديث لا أخاله يصدر من غير فتاة..

قالت الصبية وهى تلتفت إلى بقايا الأثار فى الجزيرة : إن أجدادكم الفراعنة كانوا ينظرون بعيداً إلى المستقبل.. كانوا يحبونكم جدًّا ولا ريب!

قلت : كيف؟

قالت : لأنهم يتجشمون كل هذه المشقة فى بناء الآثار لتبق بينكم فرجة ونزهة.

وأعجبنى الخاطر وحفظته زمناً أطول من عمر الصبية اللعوب، ثم بدأ لى أن براعة الحديث أكثر من حقيقته، فما أخال الأجداد - كما قالت - شغلوا بالمستقبل أو بأبنائه، ولكنهم على عادتهم قد شغلوا بالماضى فأحبوه وأحبوا أن يصبحوا هم أنفسهم ماضياً لكل حاضر بعدهم :

يوم الخميس :

كانوا حديثاً حسنًا بعدهم　　فكن حديثاً حسنًا لمن أتى

نصف يوم أو ثلاث حصص، وبقية الحصص إلى الساعة الواحدة مناظرات

ومطارحات يدعى إليها كل وافد على المدينة ذى شهرة فى علم أو فن أو خبرة رياضية، ما لم يكن مغضوباً عليه من ذوى السلطان (وحدث فى سنة متأخرة أن مصطفى كامل والأمير حيدر وصلا إلى باب المدرسة فأبلغهما الفراش أن الناظر غير موجود).

وكان أكثر الزائرين يتكلمون بلغاتهم الأوربية ولا نفهم من ترجمتهم إلا اليسير.

وكان بعضهم من أبناء العربية ولكنه يخوض فى أمور لانفهم منها إلا بمقدار ما نفهم من اللغات الأجنبية.

أحد هؤلاء «عثمان الموصلى» الذى كان يلقب بخليفة الموصليين إبراهيم وإسحاق، وكان مرضياً عنه فى الدوائر العليا وهو الذى حول قصيدة الهجاء «فى الخديو عباس» إلى هجاء لناظمها السيد توفيق البكرى فقال فى تشطيرها :

قدوم ولكن لا أقول سعيد (على فاجر هجو الملوك يريد)
(لئام لهم بيت من اللؤم عامر) وملك وإن طال المدى سيبيد

وسمعنا أن أستاذ الموسيقى الأشهر سيحاضرنا فى هذا الفن الجميل، فأعددنا أسماعنا وتخيلنا المعازف وآلات الطرب وفرقة الغناء من ملائكة السماء.

ويحضر الرجل فريداً بغير سند، ويوقع لنا أبياتاً من الشعر بصوت خشن غليظ أضحك السامعين من التلاميذ، وإن كتموا الضحك عن النابغة الضرير.

ويعلم الله أن هذه المحاضرات تفيد وإن ضحك منها السامعون، فمنذ سمعنا ذلك الصوت الخشن الغليظ علمنا أن الموسيقى شىء غير نقر الدفوف وحلاوة الترطيب والتطريب..

وينقضى الأسبوع دواليك.. ونحمد الله على نشأة تعرض أمامنا أطراف الزمن من أوائل الحضارة الفرعونية إلى حضارة الغرب الحديث، وتزور المتحف الأثرى فلا نرى فيه إلا القليل مما لا نراه فى البيوت.

حالات نفسية*

وصل إلىّ اليوم الخطاب العاشر أو الحادى عشر من شاب يوقع خطاباته باسمه كاملا وأشير إليه هنا بحروفه الأولى (ع.ح.ع) ويتردد كلامه فى خطاباته جميعاً على الشكاية من نقيصة نفسية تعذبه وتقلقه ويقول إنه يستغيث بى لعلى أهديه إلى طريق الخلاص منها، وقد لقينى أكثر من مرة فأفضيت إليه بما فى وسعى من نصيحة، ولكنه يعيد الكرة فى الكتابة بأساليب شتى، تختلف موضوعاتها ولايختلف محورها فى كل خطاب.

ومن حين إلى آخر تردنى خطابات من هذا القبيل، لاأحب أن أهملها لأن إهمالها قد يكون جناية على أصحابها، ولاأريد أن أدعى لنفسى صفة الطبيب النفسانى، وإن كنت أقرأ التصانيف التى تكتب فى الموضوعات النفسية.

وبالطب النفسانى، أو بغير الطب النفسانى، أرانى على يقين من حقيقة واحدة لايخامرنى الشك فيها، وهى أن أخطر الأخطار على الإنسان هو زوال ثقته بنفسه كل الزوال وأنها تتضح فى نظره حتى لايحسبها قابلة لشيء من القدرة أو شيء من الاحترام.

وأس الدواء كله أن تبقى فى النفس بقية محترمة عند صاحبها، ولاريب أن العراك النفسانى دليل صحيح على هذه البقية، لأنه دليل على قوتين تتصارعان بين الكرامة والمهانة، وبين الرغبة فى الخلاص والخوف من السقوط، ولاتوجد هاتان القوتان فى النفس التى اطمأنت إلى هوانها ولم تجد فى طواياها سخطاً على الهوان.

فليكن هذا مبدأ الخطوات المسددة فى طريق العلاج وليكن العراك نفسه

* الأخبار ١٩٥٥/٣/٢٨.

مدداً للثقة وتجربة صالحة للدواء، وليكن لهذه الثقة معين صادق فى علم صاحب الشكاية بأنه لم يجن على نفسه وإنما جنت عليه المصادفات.

أذكر أن شاباً من شرق الأردن كتب إلى يقول إنه يشعر بالخزى بين زملائه لاشتهار أبيه برذيلة شائنة يخجل منها، فكتبت إليه أؤكد له عن إيمان بما أقول أنه جدير أن يرفع رأسه بين زملائه لأنه مدين بالفضل لنفسه وليس مديناً به للاقتداء بأبيه كسائر أولئك الزملاء. فإذا كانت كرامة زملائه من تربية الآباء فهو صاحب كرامة أنشأها لنفسه ولم يكتسبها كما اكتسبوها.

وقد علمت من رسائل هذا الشاب أنه استراح إلى هذه الثقة، وكتب إلى من شرق الأردن ومن مصر بعد ذلك شاكراً راضيًا عما صار إليه.

وخليق بصاحب الخطابات (ع.ح.ع) أن يستمد الثقة من ذلك القلق وذلك العراك، وعليه أن يعلم أنه الآن أفضل من كثيرين لايشعرون مثل شعوره، وعليه أن يصبح برغبته واجتهاده أفضل مما هو الآن.

الضحك :

أشهد أن الضحك مادة ضرورية من هذه الحياة. وأن القدرة على الإضحاك، أو على انتزاع الضحك عنوة عند اللزوم، وتكملة لازمة لكل صناعة حتى صناعة التسول.. بل لعلها أحوج الصناعات إلى هذا المزيج.

منذ نحو شهرين يلقانى فى طريق سائل مسكين يبدو عليه التعب والحاجة إلى المعونة، وسمعت منه أفانين فى شفاعة كل يوم ووجوب الحسنة فيه لسبب يتعلق بحرمة اليوم أو حرمة الأسبوع أو حرمة الشهر من محرم لما فوق، إلى هذا اليوم!

واختلف طريق من طريقه أيام الأربعاء والخميس والسبت، ولم أبرح المنزل يوم الجمعة كعادتى، ولم أبرحه يوم الأحد إلا لأذهب إلى دار الإذاعة وأعود منها بالسيارة.

ثم صادفنى فناولته النصيب اليومى المعلوم.

فقبض يده محتجاً وقال: كلا يا أستاذ.. أنت عليك ستة أيام ،وهذا شهر رجب الحرام.

وكانت مفاجأة مضحكة.. فألقيت نفسى أخرج المبلغ المطلوب وعليه الفوائد، وسألته: ترى هل تحل الفائدة فى شرعك على الأيام الحرام؟

فأبدع فوق إبداعه وأجابنى قائلاً: وهو يهم بالذهاب: يمحق الله الربا ويربى الصدقات.

ولم أره بعد ذلك، فهل تراه اطمأن إلى «التوفير» على هذا الحساب؟

obeikandl.com

حظك هـذا الأسـبوع*

من طبيعة الإنسان أن يعالج مفاتيح الغيب بكل وسيلة ،وقد يجعلها تسلية ويعلم أنها تسلية، ولكنه مع ذلك يحاولها ويتفائل بما يراه إذا وافق هواه.

لذلك تروج الحلوى التى تدس فيهـا كلمات « البخـت » كأنهـا مـن أسرار النجوم.

ولهذا نستشير ورق الشجر ونقطفه ورقة ورقة لننظر إلى الورقة الأخـيرة هـل يأتى دورها على « نعم » للموافقة والتبشير أو على « لا » للمخالفة والتحذير.

ولهذا أصبحت اليوم على نية مشروع يهمـنى فسـألت تقـويم البخـت فى صحيفتين يوميتين، وقلت فى نفسي : ستكون تسلية حسنة لوتناقض البختان.

ولكنهما لم يتناقضا ولم يخالفا أسلوب التنجيم وأسـلوب الحكيم فى النصـيحة والتحدث عن الغيب.

قالت لى إحدى الصحيفتين : « يوم حافل بالنشاط والعمل المثمر ».

قلت : خير. . . مشروع على الأقل قـد نشـطت فيـه الآن، وبشـارة الثمرة المرجوة فى ضمير الغيب.

وقالت لى الصـحيفة الأخـرى : « إذا كان فى نيتـك خفض مـيزانيتك إلى المستوى المعقول فالوقت الحاضر هو أفضل الأوقات لذلك ».

قلت : مليح. . ! إن الضرب فى اثـنين كالقسـمة على اثـنين فى تقـدير الواردات والمصروفات وخرجت من سؤال النجوم راضياً عن الجوابين !

إذا أرادت الصحافة أن تحسب هذا الباب بحساب المادة الصحفية المطلوبة

---

* الأخبار ١٠/١٠/١٩٥٥.

فلتذكر أن كاتب هذه السطور - مستطلع البخت - يتحدى التفاؤل والتشاؤم، ويضع على رأس القائمة فى هذا التحدى أنه يكتب عن ابن الرومى ولاينقطع عن قراءته ولايخشى مع هذا شؤمه الذى ضربت به الأمثال.

اعتقد فى البخت ما شئت.

لكنك تسأله ولاتكف عن سؤاله، وتجيب أنت بلسانه إذا سكت أو غالط فى الجواب.

obeikandl.com

الطربوش*

الطربوش يفارق الرءوس ،أو الرءوس تفارق الطربوش، ومن اليسير أن ترى ذلك بنظرة واحدة إلى الشارع فإن اللون الأحمر الذى كان يواجه عينيك من كل رأس لم يبق منه غير بقعة هنا ورقعة هناك، وكلها فى طريقها إلى الزوال..

وأرانى لم أبصر هذه الحقيقة المحسوسة من طرابيش الشارع كما أبصرتها من طرابيش ثلاثة زالت من الرءوس ثلاثة، وكل أصحابها من أبناء العشرة السابقة ومن أقطاب الهيئات العلمية «التقليدية».. وهى آخر من يخرج على التقاليد.

ولانظن أن أحداً ينظر إلى شارع فى القاهرة بعد عشر سنين فيلمح فيه طربوشاً واحداً على رأس واحد، إلا أن يكون ذلك فى موسم التنكر، إن قدر لمواسم التنكر بقاء بعد عشر سنين.

غير مأسوف عليه.

ويذهب الطربوش من مصر مأسوف عليه.

لأنه فى الواقع لم يكن إلا ضريبة على الرءوس لامسوغ لها من جونا ولا من ماضينا.

أى لا مسوغ له من الجغرافية ولا من التاريخ.

فالجو المصرى أحق الأجواء أن ينظر إلى اللون الأحمر كما ينظر إليه الديك الرومى ليثور عليه كلما رآه.

والتاريخ المصرى لا يذكر الطربوش قبل عهد الترك العثمانيين، والترك

---

* أخبار اليوم ١٩٥٥/١٠/١٥

العثمانيون أنفسهم لم يلبسوه قبل فتح القسطنطينية وانتزاعهم عادات المغلوبين كما انتزعوا منهم الدولة والسلطان.

لباس أخذته مصر على الأرجح من الترك، وأخذه الترك من اليونان، فليس له عندنا حق الجو ولا حق التاريخ العريق، ولعله فى زواله اليوم علامة مكشوفة على تحرر الرءوس من حكم العادة ومن حكم السيادة، وما أملحه وأصلحه لو كان فى زواله علامة على تحرر الرءوس من الداخل! تحرر الرءوس من الجمود الراسخ والجهل المنحوس.

غرائب العادات:

ومن غرائب العادات أن هذا الطربوش الذى أخذناه على الأرجح من الترك بعد الفتح العثمانى - قد أوشك أن يخلق فى السياسة المصرية التركية أزمة عنيفة، لأننا نلبسه ونتخذه شعاراً للرأس فى الحفلات الرسمية، بعد أن تخلى عنه مصطفى كمال وأمر الأمة التركية كلها بالتخلى عنه، حتى أئمة المساجد ورجال الدين.

حدث ذلك يوم أن أقام الرئيس التركى حفلة استقباله الكبرى ودعا إليها سفراء الدول بملابسهم الرسمية بطبيعة الحال ودخلوا جميعاً عراة الرءوس ودخل سفيرنا وحده وعلى رأسه طربوش!

لقد كان الطربوش الوحيد الذى بقى فى العاصمة التركية، لأن رئيس الدولة يحرم الطرابيش ويريد أن يتخلص منها ليتخلص معها من القديم كله، داخل الرءوس وخارجها على السواء.

وتصور أن رئيس الدولة هذا يفتح عينيه فيرى أمامه طربوشاً تحت سقف داره.

وتصور قبل ذلك موقف سفيرنا الدقيق.

«إن خلع الطربوش فى العرف الرسمى استخفاف واحتقار، ولو أن الصدر الأعظم - مثلا- خطر له يوماً أن يدخل على الباديشاه بغير طربوش لفقد رأسه كما فقد طربوشه بلا مراء. فإذا كانت ظروف الزمن لا تسمح بفقد الرءوس بهذه السهولة فالصدر الأعظم ولا شك فاقد كرسيه وديوانه مدى الحياة.

وحار السفير المصرى ماذا يصنع؟ إن خلع طربوشه حق لرئيس الدولة أن يحسبها إهانة إذا شاء.

وإن أبقاه أبقى الطربوش الوحيد فى دار الرئاسة العليا، حيث تصدر الأوامر بمصادرة الطرابيش ومطاردة الطرابيش وعقاب من يلبسون الطرابيش.

وكان السفير المصرى يقظاً فلمح من عينى أتاتورك أنه لا يريد الطربوش واعتبر ذلك إذناً بمخالفة العرف الشائع فى التقاليد الرسمية، فوضع طربوشه على أقرب شماعة، واتقى بذلك أزمة عنيفة كانت وشيكة أن تحدث فى الحفلة وفى العلاقات الدولية، لو أن أتاتورك هجم على السفير إحدى هجماته التى تعودها بعد الكأس الخامسة أو السادسة من العرق، وخلع الطربوش بيده من رأس السفير.

وحتى على هذا حدثت الأزمة بغير عنفها المحذور حين وصل الخبر إلى القاهرة، وقيل إن السفير خلع طربوشه لأنه أحس أنه سيخلع بغير اختياره، وكادت علاقات مصر وتركيا أن تنقطع لولا اعتذار لطيف من جانب بعض الوزراء.

الطربوش الأبيض:

وحدثت نقيضة أخرى من نقائض العادات فى القاهرة أيام إغارة النمسا على بلاد البشناق التابعة للدولة العثمانية.

فقد كانت مصر كلها تلبس الطربوش ولا يصنع طربوش واحد من ملايين الطرابيش فى بلدة مصرية، وإنما كانت الطرابيش على أصنافها المتعددة تستورد من النمسا حيث لا يلبس طربوش واحد فى بلادها.

فلما أغارت النمسا على ولاية البشناق التركية، بعد إعلان الدستور، هاجت خواطر المصريين لهذا العدوان وقرروا مقاطعة النمسا والإضراب عن شراء بضائعها، وعلى رأسها الطربوش!

وماذا يلبس المصريون إذا قاطعوا الطربوش؟

لو تقررت المقاطعة فى الوقت الحاضر لما كان فى الأمر من مشكلة ولا من حاجة إلى السؤال عن الخلف بعد ذلك السلف المغضوب عليه.

كانوا يخلعون الطربوش ويمشون عراة الرءوس.

ولكن الذى يمشى عارى الرأس فى ذلك الزمن، كان فى حكم الزميل الذى يمشى بغير رأس فوق كتفيه، أو كان وصف الجنون أسبق الأوصاف إلى رأس الناظر إليه.

وانحلت العقدة باختيار اللبدة البيضاء بدلا من الطربوش الأحمر، وأقبل الناس على شراء اللبد و«كيها» على قوالب الطرابيش.

ثم يدخل «أحمد زكى باشا» سكرتير مجلس الوزراء إلى الجلسة بطربوشه الأبيض، فيتغير وجه المستشار الإنجليزى الذى كان يحضر مجلس الوزراء فى ذلك الحين، ولا يأتى الاعتراض على خلع الطربوش التقليدى من أحد غيره.

لم يعترض رئيس النظار ولا أحد من النظار المصريين، وإنما جاء الاعتراض من المستشار الإنجليزى فنهض وهم بالخروج استنكاراً لهذا العبث فى رأيه، وصاح قائلا: أنحن هنا فى كرنفال؟

ولم يسع السكرتير فى ذلك الموقف الحرج إلا أن يخرج قبل أن يخرج

المستشار الحاكم بأمره، ثم عاد إلى الجلسة بعد أن استعار طربوشاً - حيثما اتفق - من أحد الموظفين.

على رأس فتاة :

ولم تكن أزمات الطربوش كلها سياسية دبلوماسية، بل كانت له أزمات عاطفية شعرية فى بعض المناسبات، وإحداها مناسبة حضرتها يوم كنت موظفاً بديوان المديرية فى الزقازيق.

كان لنا زميل فى المكتب ممن تعودوا إحياء الليالى العاطفية على هواه، وطاب له يومًا أن يصطحب صديقة له إلى نادى الغناء والرقص فى المدينة. ولم يكن من الجائز يومئذ أن يدخل الفتى مع فتاة إلى تلك الأندية، فاحتال على الأمر بطربوش وضعه على رأس الفتاة، وبدلة من بدله وضعها فيها، مع اختلاف الهندام ومواضع البروز والضمور.

ولم يصعب على الشرطة كشف هذا السر المكشوف، فإن شعر المرأة فى ذلك الزمن لم يكن مما يسهل وضعه فى الطرابيش، ولم يكن « رجيم » المأكول والمشروب قد أصلح هندامها للدخول فى بدل الرجال.

فقبض الشرطة على زميلنا العاطفى، وساقوه إلى القسم، وكتبوا له محضراً بجريمة الخروج على الآداب العامة، وأبلغوا المحضر فى اليوم التالى لسعادة المدير.

ولولا أن سعادة المدير كان هو أيضاً من زمرة العاطفيين الذين يقدرون هذه المعاذير، لانتهى الأمر بعقوبة صارمة تنصب على الرأسين : رأس الفتى ورأس الفتاة.

تقدم إلى الوراء :

هذه الجريمة - جريمة اختلاف الأزياء - لم تزل جريمة بعد ذلك الحادث

بنحو أربعين سنة فكان ظهور المرأة بملابس الرجل فعلا فاضحاً يعاقب عليه القانون، وكان ظهور الرجل بملابس المرأة فعلا فاضحاً وجريمة كتلك الجريمة.

ومن الواضح أن المشرع قد أصاب فى تقرير العقوبة على اختلاف الأزياء بين الرجال والنساء، لأنه أراد بها مصادرة الفساد ولم يرد بها مصادرة الحرية.

أما اشتراك المرأة والرجل فى لباس واحد - داخل البيوت- فقد كان مألوفاً قبل عدة قرون، ولم يزل مألوفاً إلى زمن قريب.

كانت السيدة العزيزة فى بيتها تلبس الطربوش وتموهه أحياناً بالذهب أو تصوغه من الذهب الخالص، إذا كانت من ذوات اليسار.

وكانت تلبس الصدار والسروال التركى أو اليونانى، بل كانت قبل ذلك تلبس القفطان من الحرير، وترجع إلى ذلك العهد أغانى الأطفال فى شهر رمضان، ومنها «بنت السلطان لابسة قفطان..».

فإذا كان التساوى فى الملابس علامة من علامات التقدم فنحن قد تقدمنا خمسمائة سنة إلى الوراء...

ولعلنا أقدم :

قلنا إن الطربوش قد انتقل إلى مصر - على الأرجح من الترك العثمانيين، ولكننا لم نؤكد ذلك على التحقيق لأن الطربوش كان معروفاً بين عرب الصحراء الغربية قبل الفتح العثمانى فى بعض الأقوال أو التقديرات.

ولهذا يختلف لباس الرأس بين عرب الصحراء الغربية وعرب الشرق فى صحراء سيناء وما جاورها، فيلبس الأولون الطربوش اليونانى المشهور بالطربوش المغربى، ويلبس العرب المشارقة عقالا فوق الكوفية، ولا يشاهد بينهم من يلبس الطربوش.

ولو كان الطربوش قد انتقل لأول مرة من الترك إلى مصر لكان عرب

الشرق أولى بلبسه، لأنهم قريبون من الولايات التركية وعلى اتصال بالترك من وراء الحدود.

ومن المحقق أن الأزياء اليونانية والأزياء الرومانية قديمة جداً فى الصحراء الليبية ومنها «التوجا» وهى الحِرام الذى يعلق من الكتف ويتدلى على الصدر ويدور إلى الكتف من تحت الإبط الأخرى، فإن هذا الحِرام هو «التوجا» الرومانية بغير كلام.

وقد كان اليونان والرومان يترددون على السواحل الليبية ويوغلون فى الصحراء إلى واحة سيوه لشراء الأملاح النادرة وأهمها عندهم ملح «النوشادر» الذى ينسب أسمه فى اليونانية واللغات الأوربية إلى واحة أمون Ammonia لأن كهان معبد آمون فى سيوه كانوا يحتكرون سر صناعته ويحسبونه من العقاقير المقدسة التى يداوى بها الصرع والغيبوبة والجنون.

وكان أولئك الكهان على دراية جيدة بعلوم عصرهم وعلى معرفة باللغات الأوربية التى تكلم بها اليونان الأقدمون.

ولهذا يقال إن الإشاعة التاريخية التى شاعت عن تقديسهم للإسكندر المقدونى وتسميته باسم «ابن الإله» إنما كانت تحريفاً لفظياً أخطأ الإسكندر فهمه أو تعمد الخطأ ليستفيد منه فى المشرق، وبين قومه.

قال له الكاهن يابنى.

فظن أنه يقول له ياابن الإله.

لأن الكلمة الأولى باليونانية تنطق بيديون Paidion والكلمة الثانية تنطق بيديوس Paidios.

والكلمتان قريبتان فى مسمع الأذن ولا سيما السماع فى المحاريب من أفواه الكهنة الذين يتعمدون الأسلوب الغامض حتى فى لفظ الكلمات.

ويعزز هذا الرأى ما اشتهر من كبرياء الكهنة المصريين واعتدادهم بأنفسهم فى خطابهم لفراعنة مصر فضلا عن الملوك الغرباء، لأنهم كانوا ينصبون الميزان للفراعنة كل سنة ويحكمون لهم أو عليهم باسم الآلهة، فلا يقدر الفرعون على مراجعتهم فى الحساب إلا على خطر من فقد عرشه والتعرض لغضب السماء.

ومن كبريائهم أن دارا سأل كهان الإله فتاح أن يقيموا له تمثالا إلى جانب تمثال رمسيس الثانى فقال له رئيسهم بغير اكتراث: إنك لم تصنع ما تساوى به ذلك الفرعون العظيم فلم تفتح كفتوحه ولم تبل كبلائه.. فكظم دارا غيظه وأجابه فى كثير من الخشوع: «سأفعل كما فعل إذا عشت كما عاش».

ومن زار الصحراء الغربية اليوم وجد فيها بقايا الهجرة اليونانية من أقدم العصور قبل الميلاد بنحو ألف سنة، ولم تنقطع هذه الهجرة فى أحرج الأوقات مع انقطاع طريق البحر والبر خلال العصور القديمة والحديثة، ومن اليونان المهاجرين من كان يهجر بلاده ويقيم فى الصحراء ويدين بالإسلام، ويتزوج من العرب وإلى واحد من هؤلاء تنسب عشيرة من عرب الغرب تعرف باسم «أولاد على أبو برنيطة» لأن جدهم تسمى باسم على ولم يزل يلبس البرنيطة بعد أن ترك اليونان لبس الطربوش وخرجت صناعته من أيديهم إلى النمسويين وبعض الجاليات الأجنبية فى البلاد التركية.

ولماذا لا أخلعه:

وللقارئ أن يسأل بعد ما تقدم: هل خلعت الطربوش ؟ ولماذا لم تخلعه إن كنت تلبسه إلى الآن؟

وجوابى - موضحاً أو معتذراً - أننى ألبس الطربوش وألبس الكوفية أيضاً فى الشتاء لأننى عرضة للنزلات الأنفية والحنجرية، وقد أجريت عمليتين جراحيتين فى الأنف لاتقاء الزكام.

وقد سبقت زميلنا توفيق الحكيم إلى لبس «البيريه» بنحو عشرين سنة لأننى كنت ألبسها بالسجن وكنت ألبسها حين صنع لى الأستاذ أحمد صبرى رحمه الله صورتى التى كان يعدها من مفاخر فنه.

فإذا كان الرأس العارى فى الشتاء والصيف ممتعاً فليس أمامى غير الطربوش والقبعة ولا معنى إذن لاستبدال القبعة بالطربوش.

وأظن أن بقاء طربوش واحد لا يضير لأننى أستبقيه وصفة طبية ويستبقيه التاريخ تذكاراً حيًّا إلى حين.

بل أظن أننى لن أكون وحيداً بهذا الزى المخالف بقية هذا الجيل.

obeikandl.com

مورفين الحب*

بعض الناس يعيشون منتحرين عدة سنوات مع وقف التنفيذ، ثم ينفذون انتحارهم بأيديهم أو يتركونه للقدر ينفذه فى نهاية العمر بالنيابة عنهم.

من هؤلاء ذلك الطبيب النمسوى الذى قرأت خبر انتحاره فى صحف اليوم الصباحية.

وقيل إنه رأى أن الحياة لا تساوى شيئاً لأنه غار على فتاة كان يحبها فغضب منها وأنبها فأمرته ألا يعود إلى زيارتها.

إذا بلغ بالإنسان أن تجتمع أسباب حياته كلها فى يدى مخلوق آخر يجعله يعيش أو لا يعيش كما يريد - فذلك الإنسان قد فقد الحياة قبل ذلك ولم يبق له منها إلا التعلل بالأباطيل.

وإنما هو القلق يساوره ويلعجه ويسوقه إلى علالة من علالات التهدئة والتخدير يخدع بها نفسه إلى حين..

وقد سمعنا عن أناس تعودوا السموم المخدرة ثم حيل بينهم وبينها فقذفوا بأنفسهم من حالق يطلبون الخلاص من قلقهم واضطراب أعصابهم، ولو بالموت.

وكلها مسكنات..وكلها ضروب من القلق والحيرة وقلة الحيلة فى طلب الخلاص.

ومورفين الحب واحد من هذه المورفينات ولكنه لا يحمل من الحب غير اسمه ولفظه، لأن الحب قد يقال عنه إنه أعمى ولكن لا يقال عنه أنه جرثومة موت..

---

* الأخبار ١٩٥٥/١١/٧

كلا ! بل هو قوة حية تعلم الناس الحياة.

وأغلب الظن أن الطبيب المنتحر قد بلغ «سن اليأس» قبل الأوان، وهى سن يبلغها الرجال كما يبلغها النساء. ويخشى منها الخطر فى الحالتين. مالم يكن صاحبها مشغولا بعاطفة من عواطف الأبوة أو بدافع من دوافع العمل أو بشعور دينى يتسامى بإحساسه فوق نوازع الجسد ودخائل البنية الحيوانية.

لم يقتل الرجل نفسه حياً، وإنما فقد نفسه قبل أن يسجل فقدها بيديه.

Obeikandl.com

أسرار الحيـاة*

خبران فى صحف اليوم من أهم الأخبار التى يمكن أن يكشفها العلماء لأن الخبرين معاً يتعلقان بسر الحياة.

خبر يقول إن بعض العلماء وصــل إلى تــكوين المادة الحيــة بــالوسائل الصناعية.

وخبر آخر يقول إن العذراء تلد، وإنها ليسـت بعـذراء واحـدة بـل خمس عذروات.

ونظن أننا سنقول مرة أخرى عن الخبر الأول ما قلنـاه عـن بعض الأخبـار التى طيرها البرق وزعم أنها حادث من حوادث الـكشوف العلميـة الجـديدة.. قديمة !

قديمة هذه الحكاية عن المادة الحية التى تصنع فى المعامل، فمنذ سنة ١٨٢٨ استطاع العالم الألمانى وهلر Wohler أن يصنع المادة العضوية لأنـه صـنع اليـوريا الـ Urea أو البولينا.

ولكن الفرق بعيد جدًّا، بل بعيد جدًّا جدًّا، بـين صـنع جـرثومة الحيــاة وصنع المادة التى توجد فى الأجسام الحية، فـإن الماء يـوجد فى الأجسـام الحيـة ولا يعد صنعه دليلا على صنع الحياة.

وأحدث ما وصل إليه العلماء من هذه التجارب لم يتقدم خطوة واحدة بعد تلك التجربة التى أجراها العالم الألمانى منذ أكثر من قـرن وربـع قـرن، فقبــل سنتين تخيل العالم الأمريكى ستانلى ميلر Stanley Miller عناصر الجو الأرضى منذ

---

* الأخبار ١٩٥٥/١١/٢١.

مليون سنة فاعتقد أنها هى الأمونيا والميثين والهيدروجين والماء، فوضعها فى قارورة وعرضها مرارا للشرر الكهربائى، فتولد فيها بعض الأحماض التى تدخل فى تكوين البروتين أساس المادة الحية.

وهذا هو كل ما هناك من جديد.

أما خلق الخلية الحية التى تتغذى وتنقسم للتوالد وتنقل المورثات من الأصول إلى الفروع فالقول بخلقها اليوم كالقول بخلق الضفادع من الطين والبخار قبل مائتى سنة.

حديث خرافة على لسان البرق الكذوب!

ولكن الخبر الآخر أقرب إلى الاحتمال من الخبر الأول، ونعنى به ولادة العذراء.

ليس هذا بمستحيل، وإن كان ممكنًا قليل الاحتمال.

ويدعو إلى اعتقاد إمكانه أن الأمور الآتية كلها من الحقائق المقررة وهى:

أولا: إن الحيوانات التى يجمع الحيوان منها خصائص الذكر والأنثى معروفة.

ثانيًا: إن هرمونات الذكورة والأنوثة توجد فى جسم الرجل والمرأة.

ثالثاً: إن الصبغيات الجنسية Chromosomes تتشابه فى الذكر والأنثى إلا فى بعض الصبغيات التى تأتى من خلية الذكر فإنها تشبه حرف الواى (Y) ولا تشبه حرف الإكس (X).. وإن صبغيات «الواى» ليست هى التى تحدث الانقسام فى الخلايا لتكوين جسم الجنين وإنما يحدثه التقاء أربعة وعشرين صبغى من الرجل وأربعة وعشرين صبغى من المرأة.

رابعاً: إن الجنين الأنثى يتولد من صبغيين جنسيين بشكل حرف الإكس «X» وإن بعض النساء تغلب عليه خصائص الرجال وبعض الرجال تغلب عليه خصائص النساء.

فإذا حدث فى الندرة النادرة أن الصبغيات الأنثوية شابهت بعض المشابهة صبغيات الذكر حدث الانقسام بين الخلايا، ولم تكن الندرة هنا خارقة للمعقول مع الفرض البعيد.

ولابد للقول بالاستحالة من سبب مقرر، ولا يكفى أنه نادر جدًّا للحكم باستحالته، فإنه البغلة تلد وتحصى حوادث ولادتها فى التاريخ: ولا يقال إنها مستحيل.

وخير ما يستفاد من هذا الخبر أنه «يعلم الأدب» من ينسونه باسم العلم، فيذكرون أن أسرار الحياة أخفى من أن تحيط بها العقول.

obeikandl.com

التفوق فى كرة القدم*

قيل فى أسباب التفوق فى لعب الفريق الروسى لكرة القدم أن التجاوب - أو التعاون- بين اللاعبين كان أهم هذه الأسباب، وأن اختيار فريقٍ يجيد اللعب من أمم يبلغ تعدادها أكثر من مائة وخمسين مليونًا لم يكن بالأمر العسير، ولكن العسير حقًّا أن ينتظم لعب الفريق الواحد حتى ينوب كل منهم فى موقفه عن جميع اللاعبين.

إن أفضل مدرسة رياضية لفضيلة التعاون، أو التجاوب، هى لعبة كرة القدم، لأنها اللعبة التى تفيد فيها المهارة بشرط واحد، وهو قدرة كل لاعب على تنظيم تداول الكرة بينه وبين زملائه فى مواقفهم البعيدة عنه والقريبة إليه.

وهذا هو قانون اللعبة، وقانون اللعب الرياضى كله فى الصميم، لكنه قانون لا يسرى بغير نظام.

وربما أدى خلل النظام إلى نقيض هذه الفضيلة التى تستفاد من اللعبة فإن كرة القدم حرمت فى البلاد الإنجليزية قبل تنظيم أدوار اللاعبين فيها، لأنها مجلبة الشقاق والبغضاء!

ومن نقائض تاريخها أن إدوارد الثانى أصدر قانوناً (فى ١٣ أبريل سنة ١٣١٤) بتحريمها جاء فيه بعد المقدمة وبعض الحيثيات : «لما أن الضجيج الكثير يحدث فى المدينة من جراء الولع بالكرات الكبيرة مما يؤدى - لا سمح الله - إلى الفتنة والشرور المختلفة نمنع هذه اللعبة ونقرر عقوبة المخالفين بالسجن»

---

* الأخبار ١٢/١٢/١٩٥٥.

Obeikandi.com

وتكرر هذا المنع على عهد ريتشارد الثانى وضوعف العقاب لمن « يشتغل بهذه الألعاب الفارغة » لأنها مبعث الفتنة والشرور كما تقدم.

وقبل ذلك كانت كرة القدم تحرم كما جاء فى مرسوم هنرى الثانى لأنها لعبة « ناعمة » تصرف الرعايا عن الاهتمام بأقواسهم وسهامهم والتدرب على إصابة الأهداف وبرى السهام فى ساعات الفراغ، وبالغ هذا الملك فى تشديد منعها حتى فرض العقاب بالسجن على من تجرى هذه اللعبة فوق أرضه، ولا يمنعها.

ولما استغنى الجند عن الأقواس والسهام وظهرت « البندقية » الحديثة تغير سبب التحريم، وانتقل من تحريمها لأنها لعبة ناعمة إلى تحريمها لأنها لعبة « خشنة » جداً تجر إلى الفتنة والشرور.

وساعد على النفور من هذه اللعبة عند شيوعها لأول مرة أنها كانت تلعب بجماجم الموق وكانت تسمى رفس جماجم الدنمركيين Kicking the danes Heads لأن اللاعبين بها كانوا يخففون بشاعة اللعب بالجماجم البشرية بقولهم إنها جماجم الغاصبين الذين كانوا يحتلون البلاد الإنجليزية على عهد الدولة الدنمركية.

ثم تبدلت الأحوال بعد تنظيم اللعبة وتدريب اللاعبين بها على التعاون والتجاوب حتى أصبحت كما يسمونها اليوم « مدرسة التفاهم »بعد أن كانت مبعث الفتنة والشرور، بحكم القانون.

ترى هل صدق القائلون إن لاعبينا المصريين أتقنوا المهارة ولم يتقنوا فن التعاون أو فن القدرة على تداول الكرة بين الرءوس، قبل تداولها بين الأقدام.

تغيير العادات بعد الشباب :

ما أصعب تغيير العادات بعد سن الشباب !

اليوم فوجئت بعمل لا بد منه بعد تناول الغداء تواً ولم أتمكن من قضاء

ساعتى المألوفة فى نومة القيلولة، فانقضى اليوم كله بعد ذلك بلا عمل ولا نزهة ولا راحة!

قبل خمس وعشرين سنة خرجنا فى رحلة انتخابية نسينا فيها أوقات النوم واليقظة والطعام، بالليل وبالنهار.

وكنا قبل الرحلة وبعدها وفى أثنائها نأكل ثم نسافر على القطار أو فى الزوارق أو على ظهور الدواب لنخطب ونكتب الرسائل ونستقبل الوفود والزوار.

ولم نشعر فى تلك الأيام بشىء من متاعب العادات المتحكمة، ومنها عادة القيلولة فى الظهيرة.

وكل ما هنالك أن صديقنا الأستاذ توفيق دياب كان يتمرد عند الفجر أحياناً فيصيح من فراشه: والله لن أبرح هذا المكان أو «أستريح!».

وكان الأستاذ حامد جودة - يبادره من فراشه ليقول له: «على كيفك ياسى توفيق!» ثم يهم بمعاودة الرقاد، لولا أن قائد التجريدة - النقراشى رحمه الله - كان لا يمهل أحداً بعد الموعد المقرر للنهوض بدقيقة واحدة. فينهض الركب فى الموعد ويرحل إلى المكان المطلوب فيصل إليه فى الوقت المحدود.

وهكذا تهون العادات ثم تتحكم مع الزمن فلا تهون.

إلا أننى أطمئن الواقعين فى أسر هذه العادة - عادة القيلولة - فأقول إن سلطانها هذا مستمدٌ من جو الإقليم الذى نشأت فيه، وليس كل الناس مضطرين إلى القيلولة كما يضطر إليها الكبير والصغير فى درجة أربعين وما بعد الأربعين.

ظلم الحمير:

مثل جديد من أمثلة الظلم الذى يثبت بالإشاعة.

غباوة الحمير بين الحيوانات !

وليس الحمار بالغبي فى زمرة الحيونات، ولكنه عنيد إذا أراد العنادلأمر لا يفهمه غيره..

وفرق بين الغباوة والعناد، وإن يكن عناداً غير مفهوم.

فأما فيما عدا هذا العناد فالحمار «فهيم» بمقاييس كثيرة من التى يقاس بها ذكاء الحيوان، ومنها مقياس الأسماء.

فالحيوانات التى تفهم معنى التسمية ذات شخصية تدرك علاقتها بغيرها وتتفاهم مع الآخرين.

والحمار يعرف الاسم الذى يطلق عليه.

وليس كذلك البقر ولا الغنم ولا الطير الذى لا يخطر على بال أحد أن يتهمه بقلة الفطنة والذكاء، فإنك تدعو هذه المخلوقات بما شئت من الأسماء، فلا تلتفت إليك.

ونسوق هذه الشهادة، إنصافاً للحمير، لمناسبة الخبر الذى قرأته اليوم مكتوباً بصيغة العجب والدهشة، لأن حماراً سرقه لص البهائم فى قويسنا فامتحنه رجال الأمن بإطلاقه فى الطريق ليعرفوا صاحبه بالمكان الذى يهتدى إليه.

واهتدى الحمار إلى صاحبه بغير عناء.

أهذا كثير على الحمير؟

كلا! فحسبها ما تحمله ظلما فوق طاقتها، فلا نطبق عليه بهذا الحمل الغشوم.. ! بل أريد أن أكون منصفاً بغير محاباة، فأقول إن الإصرار على طريق واحد قد يكون من أدلة الخصوم على هذا الحيوان الصبور.

فكثيراً ما يصر الحمار على طريق واحد فيذهب براكبه وبنفسه إلى حيث يكرهان. !

وأذكر بعد الحرب الأولى أننى كنت أقيم بإحدى الحجرات المفروشة فى شارع عبد العزيز !

وكان فى الشارع حانة تبيع المسكرات من جميع الألوان، لأن الفرق بين أصناف الخمر جميعاً فى تلك الحانة إنما هو فرق الصباغ.

وكان من زبائنها رجل كسيح يشرب حتى يهذى فيضعه صاحب الحانة على حماره ويتركه ليصل به إلى البيت.

ولكن الحمار تعود أخيراً أن يذهب بعد خطوات إلى قسم عابدين ليقف هناك ساعة ريثما يكتب المحضر اللازم لراكبه، تنفيذًا لحكم القانون على من يقلقون راحة النيام بالصخب والصياح.

وفى ليلة من الليالى غلب السكر صاحب الحمار على لسانه : فنام ولم يخالف القانون !

أما الحمار فلم يحد عن سكته الأخيرة، وذهب بالرجل إلى القسم لإجراء اللازم.

ولم يتعتع من موضعه إلا بإقناع شديد، ربما جاوز الحدود فى قانون الرفق بالحيوان !

ومن أراد أن يبالغ فى الإنصاف فله أن يحسب هذا الخلق الحمارى من فضائل الثبات، فلايضن على معشر الحمير بشهادة الذكاء مع شهادة «حسن السير والسلوك».

القيلولة*

ويعجب الأستاذ «أحمد حسنى» لقولنا فى اليوميات الأخيرة أن القيلولة – أو نومة الظهيرة – من عادات البلاد الحارة، مع أن الأوربيين يعرفونها ويطلقون عليها اسماً خاصاً فى لغاتهم، وهو «ايسييستا» Siesta.

وماقاله الأستاذ عن وجود اسم القيلولة فى اللغات الأوربية صحيح، ولكنه مأخوذ من الأسبانية، ويرجع الكثيرون أن الكلمة منقولة عن العربية : لأنها تعنى بالأسبانية «الساعة ست» موعد القيلولة فى حسابهم القديم، وإذا حذفت العين من «الساعة ست» فهى السييستا بعينها.

هذا ونحن لا نستبعد أن تكون الكلمة الأسبانية مأخوذة من اللاتينية «سكستا أورا» SEXTA hora على بعد اللفظ بين الكلمتين، لاحتمال التحريف والاختزال فى الزمن الطويل.

ولا يخفى على الأستاذ أن البلاد الجنوبية من القارة الأوربية تعرف الصيف كما نعرفه، مع اختلاف يسير فى درجة الحرارة.

وولادة العذراء مرة أخرى :

ويعيد «طالب طب» سؤالى عن مصدر الكلام على نقص عدد الصبغيات فى خلية الذكر ويرجو أن أدله عن مرجع للأستاذ توسون غير المرجع الذى ذكرته فى المقال السابق، وهو تطور الجنس Sex Euolutior لأن هذا الكتاب غير موجود فى القاهرة.

وأقول للطالب الأديب إنه يستطيع أن يجد ذلك فى الصفحة الـ(٩٩٨) من

---

* أخبار اليوم ١٩٥٥/١٢/١٧.

فصل الجنس والوراثة فى كتاب «علم الأحياء لكل إنسان» Biology for everyman. فإنه يقول فى تلك الصفحة ما ترجمته الحرفية: «يحدث أحياناً أن يكون عدد الصبغات فى الذكر أقل من عددها فى الأنثى، فهى فى الذكر سبعة وأربعون وفى الأنثى ثمانية وأربعون».

وأما مكانة المؤلف السير أرثرتومسون العلمية فهى غنية عن التعريف، لأنه أستاذ علم الأحياء، وأستاذ علم الحيوان، ورئيس قسم التاريخ الطبيعى لعهده بجامعة أبردين، وصاحب المباحث التى يحتج بها الثقات فى هذه العلوم، فضلا عن تكرار هذه المشاهدة فى كتب كثيرة من كتب علم الحياة.

obeikandl.com

نجاح الشيطان*

جاءت القذيفة الذرية نجدة «جهنمية» لكثير من الرءوس وكثير من الألسنة فى أحاديث الجو على الخصوص، وهى أشيع الأحاديث.

والناس لا يتهافتون على شىء كما يتهافتون على سبب حاضر يفسرون به كل سر ويعللون به كل حادث، ويقوله المتكلم فيقبله منه السامع أو يسبقه إليه.

ولهذا نجح الشيطان فى جميع الأزمات.

فالرذائل من الشيطان، والجرائم من الشيطان، والمصائب من الشيطان، والحب من الشيطان، والبغض من الشيطان، ولا شىء من الإنسان، فلماذا لاينجح الشيطان؟

إنه نجاح باهر لهذا السبب، وهو سبب الأسباب أو جميع الأسباب. ويا له من نجاح شيطانى قليل النظير!

وهكذا نجحت القذيفة الذرية، وهى غير بعيدة النسب من الشيطان كله، لأنها رجوم وهو رجيم.

اليوم برد شديد..

لم أكد أقولها حتى لحقنى السامع قائلا: وأين نذهب من القذيفة الذرية وتجاربها؟ نحن الآن فى الطلائع والله يعلم بما يجىء فى الخواتيم.

ولقد كانت القذيفة الذرية مسئولة عن شدة الحر فى عنفوان الصيف نسألها اليوم عن شدة البرد فى عنفوان الشتاء..

رحمة الله على أيامك يابنى ياحافظ يا ابن الـ...

ولابد من رواية قصة حافظ هذه فى هذا السياق، فإنه كان «المتهم المشترك

---

* الأخبار ١٣/٢/١٩٥٦.

obeikandi.com

الأعظم » قبل القذيفة الذرية بنصف قرن، يوم كان تلميذًا بمدرسة أسوان.

كان مشهوراً « بالشقاوة » عن جدارة واستحقاق والحق يقال.

وكان مدرس الخط ضعيف النظر يتهم بالسماع ولايتهم بالرؤية، وله لازمة تغرى بمعاكسة من لم يكن فى شقاوة « حافظ » الخبيث... فكيف يحافظ نفسه وهو ينقطع عن الخبث طرفة عين؟

كانت لازمة الشيخ مصطفى حين يغضب من تلميذ أن يبدأ بالوعظ اللطيف، وينتقل منه توًا إلى الشتم العنيف.

لماذا هذه الشقاوة ياابنى.. ياابنى ياابن الكلب!

وكلما سكت عن هذه الموعظة وما يرادفها من التحية الأبوية أثاره الشياطين الخبثاء ليذكرها ويتجه بها إلى هذا أو ذاك من أبنائه.. أبناء الكلب.

ولم يكن عنده اسم يذكره إذا سمع حديثاً أو أنكر شيئاً فى أقصى الحجرة غير اسم حافظ.

وغاب حافظ فى بعض الأيام، فصاح الشيخ مصطفى كعادته عند أول « هيصة » سمعها:

- يا حافظ يا ابن...

فتلقى الرد من عشرين حنجرة فى نفس واحد يقول: حافظ غائب ياأفندى...

فلم يتراجع الشيخ مصطفى ومضى على الأثر قائلا: وغائب أيضاً؟ الله لا يرجعه.. هاهو قد غاب وترك شقاوته فى مكانه!

ونظن أن القذيفة الذرية ستغيب فى بعض الأيام أو تنصرف إلى أعمال السلام وتبقى بعد ذلك هدفاً للاتهام.

غابت وتركت حرها وبردها وراءها، لا ردها الله!

obeikandi.com

الذرة.. والسلام*

بدأنا اليوميات بحديث الذرة ونختمها بحديث الذرة ولكننا بدأناها بالذرة شيطان الشرور المعلومة والمجهولة، ونختمها بالذرة ملك الخير ورسول السلام.

قرأت اليوم أن روسيا ستزود مصر بمحصول تجاربها العلمية فى تخير الذرة للأعمال السلمية، وأنها ستسبق اللجنة الدولية التى تشترك فيها أمم الكتلتين للإشراف على استخدام الذرة فى هذه الأعمال.

إن خلاف الأمم فيه شر كثير.

ولكنه لايخلو من خير، ولايندر فى تاريخ هذا الإنسان العجيب أن يكون الخلاف بين الأمم أنفع له من الوفاق.

فليختلفوا إذن ليتنافسوا فى كشوف العلم وفتوحه، وليختلفوا ليأمنوا.. ماداموا لايأمنون إلا إذا تبادلوا الخوف من الجانبين.

إن عصر الذرة لعصر عجيب، وهذه إحدى أعاجيبه التى لاتحصى، ولكنها لن تكون خاتمة الأعاجيب.

لعلنا الآن أول الطريق، وما أطوله من طريق.

إن الإنسان ليخطو فيه أشواطاً فى السياسة والأخلاق والعقائد كما يخطو فيه أشواطاً فى العلم والصناعة وشئون المعيشة كل يوم.

وسيأتى اليوم الذى تنشق فيه كل ذرة لخدمة كل إنسان ولاتنحصر القوة الذرية فى عنصرين أو بضعة عناصر.

---

* الأخبار ١٩٥٦/٢/١٣.

وسيأتى اليوم الذى يضع فيه من شاء من العلماء والجهلاء «شاخصاً» على الأرض حيث كان فيستمد به قوة الجاذبية كما سنفعل اليوم بقوة الكهرباء.

وسيأتى اليوم الذى يلمس فيه الإنسان حكمة العناية المحيطة بالأكوان فى كل ما ينكشف للإنسان من قوى الطبيعة بمقدار وفى أقران.

إن المناجم قد فعلت فعلها فى عصر الصناعة حتى أسلمتها لعصر الذرة وهى تسرع إلى النفاد.

إن الصناعة قد فعلت فعلها فى تسخير الأمم والأفراد للأفراد حتى أصبحت فى غنى عن هذا التسخير أو كادت تستغنى عن أدواتها وآلاتها وتستعيض عنها بالقوة الكامنة فى كل ذرة من ذرات المادة ولم تكن من الفحم والنفط والبخار، وعما قريب نقول: كل ذرة من ذرات المادة ولو لم تكن من الأورانيوم والثوريوم.

ماذا كان الإنسان صانعاً بالذرة قبل ألف سنة؟

وماذا تراه يصنع بالفحوم والزيوت بعد ألف سنة، يوم ينقضى فعلها فى الاستعمار والاستغلال وجمع القناطير المقنطرة من الأموال؟

لعل الإنسان لا يستعبد الإنسان يومئذ لأنه لا يحتاج إلى استعباده ولا يقدر عليه.

ولعل الحرية المبذولة يومئذ لكل قوى وضعيف تشبع من مطامع الجميع مالا يشبعه اليوم غير الإذلال والتسخير.

لعله كله حقيقة من حقائق العيان.

ولعله بعد هذا كله حلم من الأحلام.

ولكنه حلم يزداد ولاينقص لمن يفسره وهو مفتوح العينين.

١٣ - ١٤*

تعودت منذ زمن طويل أن أتحدى رقم (١٣) كلما صادفنى فى عمل من أعمالى، أو فى شأن من شئون المعيشة اليومية. وقد أتعمد تحديه قصداً إذا لم «تسعدنى» به المصادفة.

ويعلم أصدقائى وأصحابى أننى سكنت فى منزل رقمه (١٣)، وأننى اخترت رقم التليفون مبدوءاً بـ (١٣) يوم كانت نمرة التليفون تتألف من أربعة أرقام.

ويعزو الأصدقاء والأصحاب هذه العادة إلى اشتغالى بقراءة ابن الرومى ودراسة حياته وأطواره وأسلوب شعره وأساليب عصره، ولكننى أظن أن اشتغالى بهذه الدراسة هو نفسه نتيجة العادة التى تتحدى التشاؤم، وتتحدى الخرافة بجميع أنواعها، وأن السبب الأصيل يرجع إلى الحقبة التى نشأنا فيها، لأنها كانت حقبة تشيع فيها الخرافة وتقترن بكل خطوة من خطوات الحياة العامة أو الحياة الخاصة، ثم جاءت دراسة ابن الرومى فمكنتها وأوجدت لها سبباً مفهوماً من الشواغل الأدبية، وهى عندى بمثابة الشواغل الأولى قبل كل شاغل.

ونويت السفر إلى أسوان بالقطار هذه السنة، وكنت أفضل السفر إليها بالطائرة كلما اتصل عمل الخطوط الجوية بينها وبين مصر الجديدة، ولكن موسم الطيران ينتهى هذه السنة فى السابع والعشرين من شهر فبراير الحاضر، فلا أستطيع إذا أزمعت الذهاب والإياب بالطائرة أن أقضى فيها أكثر من بضعة أيام، لأننى لم أكد أفرغ للسفر قبل اليوم العشرين من الشهر.

فعولت على السفر بالقطار.

---

* الأخبار ١٩٥٦/٢/٢٧.

وصادفنى الرقم (١٣) فى عربة النوم فرحبت به أصدق ترحيب، واعتبرتها إحدى المصادفات «السعيدة».

ولكننى تحديت التشاؤم ولم أحسب أنه يتحدانى من وراء الغيب، أو يخرج لى لسانه دون أن أراه.

نظرت إلى رقم المقصورة هو (١٤) وناديت فراش القطار أحسبه قد أخطأ قراءة التذكرة فعملت أنه لم يخطىء وأن رقم (١٣) يساوى رقم (١٤) فى هذا القطار.

ولما أدهشنى جوابه بهذا المعنى لفت نظرى إلى رقم مكتوب فوق مفتاح النور فوجدته صاحبنا القديم.. رقم (١٣) بالخط الواضح الأسود الجميل.

وتم التوفيق إلى نهاية الطريق، فوصل القطار فى موعده أو بعد موعده بدقائق معدودات. ولم أجد على المنضدة أثراً من الغبار الذى كان يملؤها بعد القاهرة ببضع ساعات.

إذا أصبحت (١٣) تساوى (١٤) فى مكان من الأمكنة فى هذا الكون الفسيح فلا غرابة بعدها لمعجزة من المعجزات.. !

يوم من أيام أمشير.. ولكننا الآن فى برمهات*

وقبل ذلك مرت بنا الأيام التى يسميها الفلاحون صحاوى طوبة أو سهارى طوبة، ولكنها جاءت هذه السنة فى أمشير لا فى طوبة، واشتد الحر فيهاوتطاولت أيامها على غير ما ألفناه.

ولو كانت هذه الظاهرة تتكرر فى كل سنة على وتيرة واحدة أو متقاربة لأمكن أن يقال إنها فوارق الدقائق المعدودة فى حساب السنة الشمسية تتجمع بعدمئات السنين فتحدث هذا الفارق فى حساب الشهور.

ولو كانت سُفَع الشمس (أو البقع الشمسية) قد ظهرت على غير عادتها فى السنة الحاضرة لأمكن الرجوع إليها بتعليل هذه الظاهرة.

فليس هذا الاختلاف إذن من فرق الدقائق المعدودة ولامن طوارئ السفع الشمسية، فمن أى شىء ياترى يجىء هذا الاختلاف أو هذا الاختلال.

ونقول «الاختلال» لأنه يزيد الحر ويزيد البرد، وقد يزيدهما فى موسم واحد أو يزيد البرد فى الشتاء ثم يزيد الحر فى صيف العام نفسه، ومن الظلم للقذيفة الذرية - على ظلمها الشديد للناس - أن يتهمها الناس بالنقيضين.

إنما هو اختلال عارض لا يقاس عليه فى كل سنة، ولا نرى أمامنا علة معقولة لهذا الاختلال غير جوف الأرض وآفاق السماء.

أما جوف الأرض فلايبعد أن يكون سبباً مباشراً لاضطراب الشحنة الكهربائية على مسطحها، ولا يبعد أن يكون للأمر علاقة بهذه الزلازل المتتابعة فى بلاد لم تكثر فيها الزلازل منذ عهد بعيد.

---

* الأخبار ١٩٥٦/٣/٢٦.

وأما آفاق السماء فالمرجح أنها تتغير على الدوام مع تغير المواقع التى تمر بها المنظومة كلها، وتمر بها الكرة الأرضية فى جملتها.

لا تكرار إذن فى الكون، ولا فى النشرة الجوية، ولاملامة على حساب الأرصاد السنوية لأنه يستطيع أن يحسب ما يتكرر ويعود ولا يستطيع أن يحسب الظواهر العارضة التى لا محل فيها للتكرار والإعادة.

وعزاء لأمشير، بعد، فى سمعة الزوابع والأعاصير.

صناعة الرحمة:

لو كان لى ابن لرحمته أن يشتغل بالطب، على جلالة شأن هذه الصناعة بين أشرف الصناعات الإنسانية.

ومن النظريات الجديدة الراجحة أن الأفلاك كلها تتحرك فى آفاقها ولا تدور مرتين فى أفق واحد.

أرحمه من صناعة الرحمة، لأنها لا ترحم صاحبها ولايرحمه الناس.

فالطبيب هو العامل الوحيد الذى يحق لكل إنسان أن يزعجه من منامه ولايحق له أن يزعج أحداً من الناس، بل لا يحق له أن ينتظر المعونة من أحد، حتى المريض الذى يشفيه.

وأكثر الناس خذلانًا للأطباء هم مرضاهم الذين يتلقون على أيديهم الدواء ويطالبونهم بالشفاء.

كنت اليوم فى حديث مع بعض المعارف من الريف عن قريبه المريض الذى كان «تحت العلاج» فى بعض المستشفيات.

وقال لى صاحبنا فى بساطة بالغة: إنه كان يحتال برشوة الممرضين لدس الغذاء إلى قريبه المحبوب.

مبرة يحسبها صاحبنا من أوجب الواجبات «العائلية» والتقليدية والإنسانية...

وما نتيجتها المنظورة؟

نتيجتها فساد العلاج واتهام الطبيب، وربما كان فى المسألة ما هو أخطر من ذلك كله من الناحية العلمية.

ربما كان المريض يجرى على خطة علاجية يفسدها الغذاء الممنوع، فيحار الطبيب أو يقرر فى تجاربه العلمية أن الخطة لم تصلح على التجربة، ويخرج «البنسلين» المظلوم - مثلا - بسمعة سيئة لا وزر فيها عليه، وإنما الوزر فيها وزر المرضى والممرضين والأقارب المشفقين على المريض.

ولارحمة لمن يرحم الناس.

إنه لمطلوب منه أن يرحمهم من أنفسهم قبل كل شيء.

عيد الأم.. مقدس:

يوم الأم عيد من أعيادنا المقدسة عسى أن يدوم على مدى السنين.

ونحن - الشرقيين - لايعوزنا حب الأمومة ولانحتاج فية إلى تعليم من الأم الغربية، لأن شعائر «الأم الخالدة» عريقة فى ديانات الشرق من عهد بعيد، جد بعيد.

والدين يعلمنا أن الجنة تحت أقدام الأمهات.

وشاعرنا الحكيم الزاهد فى الذرية يوصى قارئه أن يكرم أباه الشيخ ثم يدركه فيقول: «وفضل عليه فى كرامتها الأما».

وأكبر شعرائنا - ابن الرومى والمتنبى والشريف الرضى - لانحفظ لهم شعراً أبلغ من قصائدهم فى ذكرى الأمهات.

obeikandi.com

نحن لا نحتاج إذن إلى تعلم من الغرب فى حب الأمهات وإنما نحتاج إلى تنظيم.

وقد جاء هذا التنظيم فى أوانه تذكرة للأبناء وتذكرة قبل ذلك للأمهات، أو تذكرة للمرأة التى كادت فى هذا الزمن أن تنسى أقدس واجباتها وحقوقها معًا، وهى واجبات الأمومة وحقوقها مجتمعات.

المرأة «الأم» هى بقية القديسين فى زمن بطلت فيه القداسة، فإنما هى زوجة لتكون أمًّا، وإنما هى محبة محبوبة لتكون أمًّا، وإنما هى ذات مكان فى المجتمع كله لتكون أمًّا، وإنما هى كل شيء بالأمومة وليست بشيء على الإطلاق إذا نسيت هذه الأمومة.

فلتذكرها فى ضميرها على مدى الأيام.

ولتذكرها مع جميع الأمهات وجميع الأبناء يوماً فى كل عام.

السم الزعاف... والترياق!

ما أجهل الإنسان بنفسه، وماأضعفه عنها!

تنبهت اليوم قبل الفجر على صوت شيء يقع إلى جانبى ويوقظنى من غفوة الصباح.

صورة معلقة فى مكانها هذا عشر سنوات، أوصيت برسمها صديقاً فناناً أثق بإبداعه، لأضعها هناك موضع صورة أخرى أردت أن أنساها، بل أردت أن أعافها ولاأكتفى بمحاولة النسيان.

أوصيت صديق الفنان أن يتخيل صفحة من الحلوى الشهية يحوم عليها الذباب ويختلط بها بعضه الذى سقط فيها وبقى ثمة غريقًا لايقوى على الخلاص. جثة بغير روح.

أردت هذه الصورة على هذا النحو لتعلمنى كيف أنسى أو كيف أعارف وقد أجاد الصديق الفنان رسم الصورة تحبيباً وتنفيراً فى وقت واحد، ولكننى كنت أنظر إليها فأستضعفها وأشك فى قدرتها على أداء رسالتها، لا لأنها ضعيفة ولا لأنها ناقصة... ولكن لأنها تقاوم شعورًا أقوى منها وأشد سلطاناً على النظر والذوق والذاكرة.

ثم مضت الأيام، ومضت الأعوام، وأصبحت أنظر إلى تلك الصورة بعينها فأحسبها قاسية عنيفة، وأحسبها بالغت فى التشويه والتنبيه، لا لأنها قاسية عنيفة مبالغة ولكن لأنها أصبحت مع الزمن أقوى من الشعور الذى تقاومه، وأصبح الشعور الذى تقاومه غنياً عن الاستعانة بالتشويه والتنبيه.

يالك أيها الزمن من عقار ناجع!

ويالك أيتها النفس بين يديه وبين عقاقيره وجرعاته، أو بين مواعيده وأوقاته ودوراته...

جرعة هى اليوم سم زعاف، وجرعة هى بالأمس ترياق ناجع، وجرعة هى هى فى غير ذينك اليومين، ولكنها كالماء القراح لا طعم ولا مذاق!

ميزان غير متعادل*

كان مجلس الأمن يبحث فى الصيغة التى يصف بها الحالة فى الشرق الأدنى، فاختلف المشرق والمغرب على «الوصفة» ولا خلاف، فى الواقع، على الداء الذى يطلبون له الدواء.

قال أناس: إنها حالة ذات خطر مخيف.

وقال آخرون: بل هى حالة غير مرضية.

وبينما هم يختلفون على الوصف أو الوصفة إذا بالداء الأصيل يعلن عن نفسه بلسان لا يقبل الخلاف.

الداء الأصيل داء إسرائيل إنهم قوم لا يعقلون.

إنهم يريدون شيئاً لا يمكن أن يكون، ولايمكن أن يقبل، ولا يمكن أن يصر عليه من يسوقونهم إليه.

إنهم يريدون أن يوازنوا خمسين مليوناً من العرب بمليون ونصف مليون من شذاذ الآفاق.

هذا لا يكون ولو اجتمع عليه الثقلان.

أما الذى يكون - وهو كائن حتماً- فهو علم الأمم جميعاً بالخطر الدائم من قيام عصابة لا تعقل على مفترق القارات الثلاث.

وستعلم الأمم جميعاً بذلك الخطر المحقق الذى تضيق فيه شقة الخلاف يوماً بعد يوم، وليست نتيجة ذلك العلم أن تتعادل كفتان فى الميزان لا تقبلان التعادل بحال، ولكنها نتيجة واحدة لا ثانية لها.

---

* الأخبار ١٩٥٦/٤/٩

وستعلمها إسرائيل، وستعلمها الدنيا طوعاً أو كرهاً إن جهلتها إسرائيل.

يوم الرؤية :

بشائر رمضان فى كل مكان.

وأول بشائره أكياس النقل والمكسرات أو « الياميش » التى تزدحم بها الأرصفة وشواكل الطرق، ويعرضها الدكان المصرى والدكان الإفرنجى، ويبيعها المسيحى كما يبيعها المسلم من المصريين.

وهكذا كان موسم رمضان من أيامه الأولى فى مصر موسماً للمجتمع المصرى بمعالمه الدينية والاجتماعية والاقتصادية، وسنرى يوم « رؤيته » عن قريب معرضاً سياراً فى عاصمة القطر وعواصم الأقاليم، إذا صح ما أنبأتنا به الصحف من إجماع النية على إحياء ليلة « الرؤية » على سنتها الأولى فى الديار المصرية.

كان الفاطميون أول من أحيا زفة الرؤية، وهم أساتذة العالم فى فن العرض والدعاية، فلم تكن تفوتهم فرصة من فرص المواسم إلا حركوا فيها نشاط المجتمع كله، وأشركوا فيها الأمة من راع ورعية ومن حاكم ومحكوم.

وكان موكب الرؤية معرضاً سياراً للمجتمع المصرى كله، يمشى فيه الوالى والقاضى أو من ينوب عنهما، ويمشى فيه أبناء كل صناعة ومعهم عدة الصناعة الكاملة يفاخرون بها ويتفننون فى عرضها وتزيينها.

« العز لمين ؟ للنجارين ! »

« مين فيهم مين ؟ الحدادين »

« إحنا الفايزين. ياصيادين ! »

وقد رأينا منذ طفولتنا هذه المعارض السيارة على أتمها فى عواصم الأقاليم، ثم أهملت شيئاً فشيئاً كأنها من بقايا الزمن القديم، والحق إنها لأولى بالعصر

الحديث من محدثاته المبتدعة فى هذا الباب.

فإن كان بين مواكب الأمس على هذا النسق ومواكب اليوم - من فارق ملحوظ - فهو هذا الفارق فى وعى الطائفة أو وعى الطبقة كما يسميه الداعون إليه جهرة أو من وراء ستار.

كان وعى الطائفة موجوداً ولكنه كان مشمولا بعاطفة المودة والفكاهة، أو كان على سنة السبورت «بعبارة أقرب إلى ألسنة عباد الحداثة».

كان منافسة أخوة يحب كل منهم أن يعتز بطائفته وصناعته، ولا يناجز الطوائف الأخرى مناجزة الحقد والحسد والعداء.

وعلى هذه السنة ينبغى أن يكون التفاخر بالطوائف والصناعات.

لا يزدرى أحد نفسه ولايحقد على غيره، وكلهم له مكانه المرعى فى موكب الحياة.

أنواع من اليوميات*

لمناسبة قد أذكرها فى بعض المقالات، راجعت فى هذين اليومين ما عندى من كتب أحاديث المائدة Table talk ، وكتب اليوميات diaries ، وبرزت أمامى فى مجلدات صمويل بيبى التى جاوزت صفحاتها ألفاً وخمسمائة ولم تشمل مع ذلك مئات الصفحات التى حذفها الناشرون، لأنها أسرار تتسع لها الأوراق فى الأدراج ولا تتسع لها على رفوف المكتبات.

منذ كتب هذا المؤرخ « الخصوصى » يومياته، خلال القرن السابع عشر لم يظهر فى الآداب الأوربية من ينازعه لقب ملك اليوميين Kig of diarists ولكنه فتح الباب لأساليب من اليوميات لم يحط بها هو فى زمانه، بها كاتب واحد فى الأزمنة التالية.

منها يوميات الاعتراف، وفيها يجلس الكاتب إلى دفتره الخاص كأنه جالس أمام كرسى الاعتراف يريح ضميره عن عبء يثقل عليه.

ومنها يوميات التذكير، وفيها يدون الكاتب أخباره التى يريد أن يحفظها ويخشى أن ينساها، ومنها يوميات النيابة عن التاريخ، يكتبها صاحبها كأنه مسئول عن ذمته التاريخية أمام الأعقاب.

ومنها يوميات المناجاة، وفيها يفضى الكاتب بأحاديثه كأنه يرسلها من وراء الأوراق إلى نفس مجهولة يبوح لها بذات سره ويثوب إليها كما يثوب إلى الصديق الأمين.

ومنها يوميات الانتقام، وفيها يقول الكاتب ما فاته أن يقوله للناس،

---

* الأخبار ١٩٥٦/٤/٢٣

إما حصراً عن الجواب السريع فى حينه أو خوفاً من مغبة هذا الجواب.

وإذا سئلت : أى هذه الأساليب أحب إليك : فالذى أشعر به أننى إذا طلبتها قارئاً أحببت أن أطلع عليها جميعاً على السواء، وأننى إذا طلبتها كاتباً فأقلها موافقة لطبيعتى أسلوب الاعتراف، لأننى لا أرى لأحد حقًّا فى أن أجلس بين يديه جلسة المعترف غير علام الغيوب.

وإنه لغنى عن الاعتراف.

openeikandl.com

مشكلة التخصص*

كل المصادفات لا مصادفة فيها، ولكنها حوادث طبيعية ذات أسباب معروفة أو مجهولة، لا نحيط بجميع أسبابها فنحسبها لذلك من قبيل المصادفات.

ونجرب الحوادث التى نزعم أنها «تصادفنا» حين تشتغل أذهاننا بموضوع من الموضوعات يستغرقها أو يكاد. فإننا نشعر يومئذ أن الخواطر المتداعية تسوقنا إلى ذلك الموضوع من كل طريق، فنعجب لهذه المصادفات، ولا شىء فيها من المصادفة.

يشغلنى منذ شهور موضوع التخصص فى العصر الحاضر، لأنه مشكلة ذهنية نفسية اجتماعية لابد لها من حل موافق لحياتنا العصرية، ولم نعرف لها حلا يصلح لعلاجها حتى الآن.

إن التخصص ضرورة لا مناص منها، لأن العلم الواحد يتفرع ويتشعب حتى تتعذر الإحاطة بفرع واحد من فروعه، ودع عنك الإحاطة بالفروع والأصول.

والتخصص - على هذا - ضرر لا شك فى سوء مغبته على التفكير والحس الصادق، إذا انحصر فيه الذهن ولم يتعود أن ينظر حوله إلى كل اتجاه.

فما العمل بين هذا الضرر وتلك الضرورة؟

ورد هذا السؤال على خاطرى منذ الصباح ثلاث مرات أو أربعاً كدت أحسبها كلها من المصادفات، لولا أن الموضوع حاضر فى ذهنى أعرف سبب الالتفات إليه.

---

* الأخبار ١٩٥٦/٥/٧

ولم نكد ننتهى من جلسة المجمع حتى ورد هذا الموضوع على خاطرى للمرة الرابعة أو الخامسة، إذ سمعت من طبيب فاضل - لمناسبة السؤال عن شم النسيم - أنه مدعو للإفطار فى ذلك اليوم عند أسرة كريمة، حدثنى كثيرًا عن عميدها رحمة الله عليه، وهو لا يعلم أنه الناظر الذى تلقيت عليه دروساً شتى فى عدة علوم.

كان هذا المعلم المطبوع يؤلف الكتب المدرسية فى الرياضة والجغرافية والترجمة، ويتقن تعليم هذه الدروس جميعًا للتلاميذ المبتدئين والمتقدمين.

وكنت أذكره كلما ذكرت التخصص وتعدد الجوانب، فلما حدثنى عنه الطبيب الفاضل - وهو لايعلم أنه أستاذى القديم - عجبت لهذه المصادفة فى هذا اليوم.

وما كانت مصادفة فى الواقع، ولكننى جعلتها مصادفة لأننى كنت مشغولا بموضوع التخصص وتعدد الجوانب، ولولا ذلك لما خطرت لى فكرة المصادفة على بال.

ونعود إلى موضوع التخصص فنسأل: ما هو الحل الموافق لهذه المشكلة؟

أقول إنه تدريس المعلومات العامة إلزاماً، وتقرير سنة دراسية على الأقل فى كل فرع من الفروع لإبراز العلاقة أو العلاقات بين مادة التخصص وبين العلوم الأخرى.

وإلا فنحن صائرون إلى زمن كالزمن الذى حدثنا عنه نيتشه حيث قال: إنه زمن الأذن الكبيرة والعين الكبيرة واللسان الكبير، ولا يتسع مثل هذا الزمن لإنسان كبير.

خبراء الخرائط العسكرية:

قال أحد الساسة البريطان: إنك لو اصغيت إلى خبرائنا الحربيين أوجبوا

عليك احتلال القمر استعداداً للهجوم على المريخ أو لدفع الغارة من أهله على الكرة الأرضية.

ولم يبالغ السياسى البريطانى - جدًّا - فى تصويره لعقول أولئك الخبراء. فاليوم تتحدث إذاعة لندن عن الخطط العسكرية فى الشرق الأدنى، فتذكر كتاب الجنرال بلايفير عن البحر الأبيض المتوسط وبلاد الشرق الأوسط. وتقول إن هذا الكتاب يثبت أن هذه المنظمة لا تزال، بعد القذيفة الذرية، محور الدفاع والهجوم فى الميادين العالمية.

ولكن ماذا لو صح هذا؟

أصح منه على كل حال أن هذه المنطقة يسكنها أبناؤها، وأنهم أحق بها وبالمعيشة الحرة فيها من خبراء الخرائط العسكرية.

ويجب أن يكون كل مكان فى الكرة الأرضية مهماً للدفاع والهجوم، ولكن يجب - قبل كل شيء وبعد كل شيء - أن يكون حرماً مصوناً لأبنائه، وألا يصيبهم العدوان فى عقر دارهم، لأن أناساً يخافون العدوان من هنا وهناك أو يتحفزون للعدوان من قريب أو بعيد.

وإلا فاحتلوا القمر من اليوم، لأن الأطباق الطائرة نذير مخيف، ولو فى بعض الآراء!

الزواج بالمراسلة:

حذلقة المذاهب الاجتماعية فى القرن العشرين داء من أدواء هذا القرن الموعود بالحذلقات من جميع الأنواع.

ومن المذاهب الاجتماعية التى كثر التحذلق فيها بين الشرقيين مذهب اللقاء بين الخطيبين قبل الزواج.

كان الزوجان فى العصور الماضية يتلاقيان لأول مرة فى منزل الزوجية، وكان

هذا إغراقاً فى الحجاب والاستخفاف بحرية الخطيبين يستحق النقد الكثير.

ولكن النقد الكثير قد ساقنا إلى الحذلقة المضحكة فى بعض مذاهب الإصلاح، فأوشك بعضهم أن يوجب على الخطيبين فترة من الزواج التمهيدى على التمرين!

ترياق هذه الحذلقة يتكفل به القرن العشرون، ونرى نموذجاً منه فى قصة الخطيبين اللذين اتفقا على الزواج، والخطيب فى أمريكا الشمالية والخطيبة فى الديار المصرية.

ولا نظن أحداً من النقاد الاجتماعيين يزعم أن الخطيب الأمريكى مصاب بداء الحجاب أو ناشئ على سنة الجمود فى اللقاء بين الجنسين.

وكل ما ينبغى أن نظنه أن الحذلقة فى المذاهب لابدلها من ترياق. وهذا هو الترياق!

ثم نقول على سبيل التفاؤل للخطيبين التى نشأت بين أبوين لم ينظر أحدهما إلى الآخر قبل الزواج، ولكننى لاأذكر أننى سمعت منهما كلمة خلاف واحدة حتى افترقا بالوفاة، ولاأعرف أن المذاهب المتحذلقة تضمن بين الخطيبين وفاقاً أكرم من هذا الوفاق.

مشقة التعليم:

الإنسان حيوان قابل للتعلم.

ولكن مشقة التعليم أحياناً تزيد على مشقات الجهالة جميعاً، وتترك المعلم متردداً حائراً بين النور والظلام.

رجل صاحب غاضب فى الحى الذى نعيش فيه.

عضه كلب فى الطريق فحمله الجندى كرهاً إلى القسم ثم إلى المحافظة ثم

إلى مستشفى الكلب... فدخله وخرج منه وهو يصيح : ما لكم ومالى؟ عضنى عضيته... أنا صاحب الشأن وأنا المعضوض... فلماذا هذه الجرجرة؟ ولماذا هذا الفضول؟».

إلا أنه قد علم اليوم أن «الجرجرة» كانت على حق وأن الذين دخلوا فى الخصومة بينه وبين الكلب لم يتطفلوا عليه ولم يسلطهم عليه داء الفضول.

علم ذلك بعد أن سمع بأذنه عواء المساكين المصابين بالسعار من جراء الإهمال، لأنهم لم يجدوا من يحملهم بعد العضة إلى القسم ثم إلى المحافظة ثم إلى المستشفى!

ولكن ما أشق التعليم فى جميع شئون الدنيا لو احتاج كل شأن منها إلى عبرة كهذه العبرة؟

من أجل هذا وأشباهه، تصبح المعرفة كلفة غالية تهون معها كلفة الجهالة وجرائرها.

شم النسيم :

بعد غد يوم شم النسيم.

ولو أننا جرينا على القاعدة الفلكية فى تقرير موعده لاحتفلنا به قبل ثلاثة وأربعين يوماً.

ولو أننا جرينا على القاعدة التقليدية لأجلنا الاحتفال به إلى ما بعد شهر رمضان.

فالمصريون الأقدمون كانوا يحتفلون بهذا العيد عند الاعتدال الربيعى ويعتبرونه رأس السنة الشمسية مساوياً لعيد النيل أو عيد الفيضان بعده بشهور.

ولما دان المصريون بالمسيحية حافظوا على هذا العيد التاريخى ووجدوا أنه

يعود إليهم فى الصوم الكبير فأجلوه إلى ما بعد عيد الفصح، لكيلا يضيع الاحتفال به أيام الصيام.

وقياساً على هذه القاعدية التقليدية كان يصح أن نؤجله فى هذه السنة إلى ما بعد شهر رمضان، لأن رعايته ورعاية الصيام معاً لا تتفقان.

وقد تأخر هذا العيد عن موعده الطبيعى عدة مرات لأسباب متعددة على طول الزمن.

تأخر «أولاً» للاختلاف بين يوم الفصح عند اليهود ويوم الفصح عند المسيحيين، وهو يوم عيد القيامة.

وتأخر «ثانيًا» لزيادة أسبوع هرقل وأسبوع الآلام على الأربعين يوماً، عدة الأيام التى صامها السيد المسيح.

ثم تأخر بعد تعديل التقويم المعروف بالتعديل «الجريجورى» سنة ١٥٨٣ فاختلف موعد الفصح عند الطوائف الغربية وموعده عند بعض الطوائف الشرقية.

ولا مانع فى أيامنا هذه من العودة بتاريخ شم النسيم إلى الحساب المصرى القديم، لأنه لا يرتبط من الوجهة الدينية بعيد الفصح المسيحى، ومن قال إن شم النسيم هو يوم البشارة التى تلقاها أبونا آدم بالغفران يجوز أن يحتفل به على سنة الأقدمين قبل الميلاد.

ومع تعديل ميقات هذا العيد القومى ينبغى أن نتفق على نظام واحد لمبادئ الأيام فى البلاد المصرية.

فمن الشعوب من يبتدئ اليوم من مغرب الشمس إلى مغربها، تبعاً لمطالع الأقمار حيث يغلب حساب الأشهر القمرية.

ومن الشعوب من يبتدئ اليوم من مطلع الشمس إلى مطلعها، تبعاً للتقويم المصرى القديم.

ومنهم من يبتدئ اليوم من منتصف الليل إلى منتصفه تبعاً للتوقيت الغربى، وعليه جرت بعض المصالح الحكومية التى تمضى فى عد الساعات من الأولى إلى الرابعة والعشرين.

ونحن فى مصر نأخذ بالحسابات الثلاثة:

نأخذ بحساب اليوم من الغروب لأننا نراقب الأشهر القمرية فى الصيام والأعياد.

ونأخذ بحساب اليوم من طلوع الشمس لأننا نراقب مبادئ الشهور الزراعية وخواتيمها.

ونأخذ بالحساب الغربى، لأننا نبتدئ الساعة الواحدة من نصف الليل، ثم نبتدئها من الظهر (وهو الساعة الثانية عشرة!).

وأولى من التفاهم على الأزياء أن نتفاهم على الأوقات والمواعيد.

ضرب النبابيت*

كان فجر اليوم صحراويًّا يضرب إلى لون الرمال الوردية، ولم يلبث أن تكشف عن أشعة الشمس من بعيد تملأ الفضاء فى نحو الساعة الخامسة كأننا فى ساعة الضحى من أيام الشتاء، مع انتشار السحاب الخفيف الذى يظلل من الحر ولايستر النور.

خسارة أن يكون فصل الصيف فى مصر موسم الإجازات وأيام البطالة، وهو الفصل الذى يعطينا فى النهار أربع عشرة ساعة، ولايعطينا الشتاء فصل العمل المجهد أكثر من عشر ساعات.

ولكن ما الحيلة ؟

فى أمر الفلاح المصرى، لا نحسب أننا محتاجون إلى حيلة لعمل الصيف أو عمل الشتاء، لأنه قد راض نفسه على العمل مواسم الزراعة حتى تركبت بنيته على وفاق أحوال الجو فى أشد أيام القيظ، واستطاع أن يعمل تحت أشعة الشمس المضطرمة ساعات حيث لايستطيع غيره أن يصمد لتلك الأشعة لحظات دون أن يصاب بالرعن - أو ضربة شمس.

ويدل على قدم عهده بهذه المرانة الطويلة أن هذه الظاهرة شوهدت منذ أيام الغزوة الفارسية، وقال هيرودوت أبو التاريخ أنه ذهب إلى ميدان المعركة فوجد الجماجم المصرية فى ناحية والجماجم الفارسية فى ناحية أخرى، ولمس جمجمة فارسية فتهافتت تحت أصابعه، وتناول جمجمة مصرية وحاول أن يكسرها فلم تفعل فيها ضربة الحجر..

لا جرم تصمد هذه الجمجمة لضربة الشمس، ولضرب النبابيت!

---

* الأخبار ١٩٥٦/٦/٤.

وتستغنى عن الحيلة لترويضها على العمل فى موسم الصيف ما دام فيه موسم للزرع أو للرى أو للحصاد.

أما الحيلة فنحسبها لازمة لمن لايعملون فى الزراعة، ونحسب أننا لا نضيع الصيف عبثاً إذا قضينا أيامه المرهقة فى الرياضة الثقافية، والرياضيات جميعًا ثقافية ما دامت تصحح بنية الرياضى ومزاجه وتعلمه أن يستعد بطبيعته لمفاجآت النصر والهزيمة فى مجال اللعب، وفى مجال الحياة.

ترمس وفول

جرمة. لب. فول سودانى. ترمس. حب العزيز. . . وعن قريب يضاف إلى هذا المحصول الخالد محصول آخر من المسليات الموقوتة، وأولها الذرة الشامية، عدا المشروبات على أنوعها من محلية وخارجية.

جلست فى شرفة المنزل أحصى نداءات الباعة على أمثال هذه الأصناف فأحصيت منها ما أحصيت، وليست هى كل ماأحصيه فى جميع الأيام.

ألا نعرف التسلية فى ساعات الفراغ إلا بشىء يداعب المعدة أو يشغل الأسنان؟

إننى لا أحب التشاؤم، ولاأحب أن أنظر إليه وحده إذا استطعت أن أنظر إلى وجه من وجوه التفاؤل إلى جانبه.

وهنا نستطيع أن نتفاءل على ثقة وعلى سعة، فإن التسلية بمداعبة المعدة تقل بيننا ولاتكثر، وعندنا اليوم من يتسلى بالنزهة وبالرياضة وبالقراءة وبالتردد على دور التمثيل والصور المتحركة، ولا شك أن هؤلاء يزدادون وأن طلاب التسلية بمداعبة المعدة وتشغيل الأسنان لا يزدادون، إن لم نقل إنهم ينقصون.

وملاحظة أخرى نذكرها فى هذا السياق، وهى قلة الرغبة فى التدخين بين

شباب الجيل الحديث، وهذه علامة قوية من علامات الحرية والشعور بالشخصية.

لقد كان الناشئ قبل ثلاثين أو أربعين سنة يدخن لأن التدخين علامة عنده على بلوغ سن الرجال وعلى كرامة الحرية التى يتمتع بها الرجال.

ولا حاجة بالناشئ اليوم إلى هذه العلامة، لأنه يعرف حريته بعلامات كثيرة، لعلها أكثر مما يحتاج إليه.

ومع هذا نعود فنقول إن الجرمة والترمس والفول السودانى.. إلخ. إلخ. أكثر مما نحتاج إليه.

ذكريات البصل!

كنت فى مطعم شرقى، فلاحظت ضخامة الأسماء التى تسمى بها ألوان من الطعام، ثم ينجلى الأمر عن لون من السلطة لا أكثر ولا أقل!

وأحب بعض السامعين أن يتظرف فقال: أليست هى خيراً من الفول والبصل؟

قلت: كلا. لا يوجد على مائدة الإفطار ماهو خير من الفول والبصل، ولولا غنى مصر بهذين الصنفين لأربى ثمنها على أثمان اللحوم.

قال السيد جمال الدين الأفغانى: «قلما يوجد البصل عند بعض قبائل الأفغان، كقبيلة يوسف زائى وقبيلة أجيك زائى. فتجدهم إذا رأوا أجنبياً يتملقون إليه ويتذللون بين يديه قائلين: عندنا مريض فنرجو منك أن تتفضل عليه ببصلة عسى أن يكون شفاؤه فيها، وأنهم إذا تعرضوا للقوافل صالحوها على أقة أو أقتين من البصل. واتفق أن ملك الأفغان محمد أعظم خان بعد ما ترك البلاد الهندية، وفد على قبيلة يوسف زائى ونزل فى خيمة خانها، فقام الخادم مسرعاً وعلى وجهه لوائح الفرح، وإذا به يقدم للأمير بصلة»

وإذا امتنع البصل فى مصر نفسها غلا ثمنه حتى زاد على ثمن اللحوم. وقد سمعت فى السجن رجلا يقول: إنه اشترى الفرخة بزرارين، وفهمت معنى الزرارين أنه اصطلاح يفهمه نزلاء السجن بعد أيام قليلة، والزرار فى لغتهم هو القطعة ذات القرشين.

أما الذى لم أفهمه فهو شراء الفرخة فى السجن، فسألت الرجل دهشاً فضحك وقال: الفرخة فى اصطلاح السجن هى البصلة..

ولم يكن ثمن الدجاجة يزيد يومئذ على أربعة قروش، ومع ملاحظة الفرق فى الوزن يكون ثمن البصل خمسة أضعاف ثمن الدجاج.

أعود إلى حديث البصل هذا لأن أديباً كتب إلى بعد ما ذكرته عن تقديس البصل فى الأسبوع الماضى يقول إنه لا يعجب من تقديس المصريين الأقدمين للخس لأنه نبات لطيف، ولكنه يعجب من تقديس البصل والثوم، إذ كان ينبغى أن يتعلم المصريون الأقدمون من حضارتهم لطافة فى الذوق تعصمهم من مثل هذا الذوق الغليظ!

وقبل الاعتذار لقدماء المصريين من هذا الذوق الذى يصفه الأديب بالغلظة نقول إننا قررنا الواقع التاريخى حين قلنا إن المصريين الأقدمين كانوا يقدسون البصل، وقد وجد فلندرس بترى مقادير وافرة منه فى مقابر هوارة بالفيوم، وقال أحمد كمال فى كتابه بغية الطالب إنهم وجدوه فى أيدى الموميات، وصورته بين القرابين موجودة على مدخل المعبد فى القرنة.

ثم نعتذر لقدماء المصريين - إن كان هناك محل للاعتذار - فنقول إن تقديس الشىء النادر أمر لا يحتاج إلى براعة، ولا فطنة، وإن تقديس البصل مع شيوعه وابتذاله هو الدليل على معرفة القوم بفن التقديس، وبخاصة حين نعلم أنهم عرفوه كما عرفوا غيره من النبات الذى يفيد فى تنشيط الغدد وتوليد الهومونات كما نسميها اليوم.

obeikandi.com

وقد يقال إن الأهرام الخالدة بنيت على رءوس البصل، لأنه كان قوام الطعام الذى تعودوا صرفه لعشرات الألوف من العمال!

هيار.. هيار!

عندنا فى المنزل فيلسوف من الطراز الأول على شرط واحد فى الفلسفة، وهو أن نقلبها فنجعل رأسها فى الأرض وقدميها فى الهواء.

وكثير من المناسبات تذكرنى بذلك الفيلسوف المعكوس فى البيت أو فى الطريق.

ومنها مناسبة اليوم: وهى جماعة من باعة الخيار يهربون لأنهم لايحملون الرخصة الرسمية، ويتركون عرباتهم للمقادير.

حدث هذا أمام الفيلسوف المعكوس فى يوم من الأيام، ووقف هو إلى جانب العربة التى يشترى منها الخيار ولم يتحرك، لأنه لم يفهم على مايظهر معنى هذا الهرب، ولم ير داعية إليه.

وساقه الشرطى الذكى إلى القسم على اعتباره صاحب العربة وبائع الخيار. وللفلسفة المعكوسة فلتاتها كما تحدث الفلتات من أساطين الفلسفة فتنزل بها إلى حماقة الجهلاء.

وتدرك صاحبنا فلتة من هذه الفلتات - ساعة الخطر - فيصيح فى الضابط: هل رأيت فى حياتك نوبيًّا يبيع خياراً؟ وكيف تراه ينادى عليه ياترى: هيار هيار.. أهدر ياهيار.

وانفجر الضابط ضحكاً، وكان من أبناء النكتة المصرية فقال للشرطى الخائب: أيها الأبله: من الآن فصاعدا تبقى تمتحنهم فى النداء على الخيار، قبل أن تطالبهم بالرخصة..

obeikandi.com

ساعات اللوعة :

من الكلمات التى فقدت معناها كلمة العزاء : عزاء المآتم والجنازات. لأنه أوشك أن يكون مجاملة من الحزين للمعزين فى أشد ساعات حزنه وأحوجه فيها إلى عزائهم.. إن كانت به حاجة قط إليه.

وأشد ساعات اللوعة على نفس المصاب ساعة الفراق الأخير: ساعة يرى النعش خارجاً من باب داره فيعلم أنها الخرجة التى لا رجعة بعدها، وأنه هو الفراق الأخير حقًّا وليس بالفراق الذى يشهده هذا الباب مرات فى كل يوم.

لا بأس فى هذه اللحظة من ترك المصاب لنفسه واستسلامة لصدمة الحزن القاهر لمشيئته، لأنه تفريج صادق عن حزنه المكظوم، وحق لذلك النعش المفارق أمام عينيه، وهو على المفترق بين الدار وحفرة التراب.

إلا أن هذه الساعة بعينها هى التى يكظم فيها عزاء المعزين ويضطره إلى كبت لوعته والضغط بما استطاع من قوة على شعوره الذى لا غبار عليه.لأنه مطالب بمجاملة المعزين الذين حضروا لمواساته.

ما رأيت هذا الموقف - كما رأيته اليوم - ألا علمت أن العزاء كلمة فقدت معناها. لأن معناها تسرية الحزن عن نفس المصاب. فأما هذا فهو كبت الحزن أو تحريمه على نفوس الحزانى فى موقف الوداع الأخير.

obeikandi.com

تقابل الأحداث*

يوم من أيام الحقائق التى تهدم الخرافات بضربات اليمين والشمال.

وأول هذه الخرافات شؤم العدد (١٣).. فإن الجلاء قد غلب هذا الرقم على نحسه فحوله إلى يوم من أيام السعود.

ومن تلك الخرافات أن الجلاء كان له موعد مضروب على سبيل التعجيز: أن يتم حين يتلاق «أحدان» When two sundays meet .

وقد تم حين تلاق أربعة آحاد لا «أحدان» فقط.. فإن اليوم يوم أربعاء.

ومن تلك الخرافات أن الاحتلال والحرية الوطنية يتفقان أوْ لا يتعارضان، ما دام الجيش الأجنبى فى مكان، وعاصمة الدولة فى مكان.

وكثيراً ما روج المحتلون هذه الخرافة، وكادت أن تروج على عهد اللورد كرومر على الخصوص،لأنه كان يأبى أن يصدر القانون الذى يقيد الأقلام والألسنة، وكان يقول لمن يقترحون عليه تقييدها! «دعوها فإنها صمام الأمان» safty valve .

كان يقول ذلك يوم كانت الأقلام والألسنة لا تخيفه، فلما أحس الخوف منها جعل من جيش الاحتلال أداة حاضرة لتخويفها وتهديدها بزيادة عدده وزيادة نفقاته وتخويله حق المحافظة على حياة رجاله بإعلان الأحكام العرفية أو تجريد المحكمة المخصوصة. ولم ينته عهد كرومر حتى رأيناه أشد الناس فزعاً من صمام الأمان.

---

* الأخبار ١٨/٦/١٩٥٦.

دخل وخرج مع الظلام:

قرأنا اليوم أن جلاء المتخلفين من جنود الاحتلال قد تم تحت جنح الظلام.

وكذلك دخلت طلائع الجيش تحت جنح الظلام قبل أربع وسبعين سنة، فإنها لم تقتحم ولم تغامر بالاقتحام، بل كان معها الادلاء من صنائع الخديو توفيق يقودونها فى الصحراء إلى ما وراء المعسكرات المصرية، وكان أناس من « الطابور الخامس » يستطلعون الأحوال أول الليل ويؤكدون أن الجيش المغير لن يتحرك فى تلك الليلة وأن أدلاء الصحراء راصدون له فى الطريق فلا يخطو خطوة حتى تأخذه الصيحة من أمامه ومن خلفه ومن جانبيه.

ويقال إن أبواق الهجوم والانصراف كانت تنطلق بالنذير أو بالاستعداد من كتيبة الحرس التى كانت فى قصر توفيق فلم يكن سامعوها فى المعسكر المصرى يفرقون بين أبواق الجيش المدافع وأبواق الجيش المغير .

لقد جاء الاحتلال مع الظلام وخرج مع الظلام، ولا يزال الظلام حوله وحول تاريخه فى العقول وفى الصفحات وفى الذكريات، ولانحسبه منقشعا عن ظلماته هذه قبل أعوام، تصحح فيها الأنباء ويتبدل فيها تراجم الأموات والأحياء.

خــوارق..*

هذه خارقة جديدة فى العصر الذى يتخذ من إنكاره لخوارق العادات غروراً يباهى به أبناء العصور الغابرة!

وكأنما تتعمد المقادير أن تنحى عليه بالسخرية من هذا الغـرور، فـلا تمضى فترة من سنة حتى تطلع عليه بأعجوبة جديدة من أعجب خوارق العادات.

فتاة تصبح فتى، وفتى يصبح فتاة، وصبى فى السادسة يبلغ مبلـغ الـرجال وطفلة فى الثانية تبلغ مبلغ النساء.

وهذه هى الخارقة الأخيرة التى قرأتها فى أخبار اليوم.

وفائدتها العلمية يتوفر عليها أطباؤنا وعلماؤنا المختصـون، ونـرجو أن يـظفروا منها بفائدة للعلم فى مصر وفى العالم بأسره.

وأما فائدتها العامة، فهى توسيع العقول المتحجرة على قدر مـا عنـدها مـن الجهل والغرور، ونعنى بها تلك العقول التى لم تستفد من علوم القرن العشريـن إلا ضيقاً فى الإدراك وعجزاً عن التفكير الصـحيح يحبسـها فى زاويتهـا المظلمـة التى تسميها «المعرفة الواقعية» والتجربة العلميـة، وهـى لا تعـرف ولا تجـرب إلا على السماع أو على تقليد كتقليد الببغاء.

هذه الخارقة تعلم من يفتح منـافذ عقلـه أن حصر الحقيقـة فى المألـوفات تعطيل للعقل وحجر على التفكير.

فالمألوفات نفسها معجزة لو وقعت مرة واحدة ولم تتكرر أمـام أعيننـا، ولـو أننا رأينا أذناً تباشر عملية السمع مرة واحدة لكانت عندنا بحق إحـدى خـوارق العادات، التى لم نسمع بها قبل الآن.

---

* الأخبار ١٩٥٦/٧/٢.

ياحضرات المؤمنين «بلا» على السماع.

إن «لا» على السماع أغنى من أختها «نعم» فى ميزان العقل العامل المستقل. وسيفهم هذا الكلام كل إنسان إلا مساكين العقول.

ومساكين العقول الذين يرثى لهم فى عصرنا هذا هم سجناء «المألوفات» وصرعى الغرور.

خط اليد.

آية أخرى على أن الكتابة الخطية من أساليب الدماغ لا من أساليب اليد التى تقبض على القلم.

فى هذه الأيام الأخيرة وصلت إلىّ رسالتان عرفت خطهما على الغلاف من النظرة الأولى، بعد انقطاع الرسائل من صاحبهما زهاء عشر سنين[١].

وليس هذا موضع الملاحظة:

موضع الملاحظة أن الرسالتين مكتوبتان باليد اليسرى، لأن اليد اليمنى عاقها عائق فى الوقت الحاضر يعطلها عن الحركة وعن الكتابة بصفة خاصة.

وفى هذه الملاحظة درس للذين يقارنون بين الأعمال اليدوية والأعمال الفكرية ويقولون إنهما بمنزلة سواء فى ملكات الإنسان.

فحتى الخط لا يصدر من اليد التى تكتبه، بل يصدر أولا من الرأس الذى يملى على اليدين.

---

(١) كانت الرسائل من صديق العقاد المرحوم الشاعر عبد الرحمن شكرى الذى توفى بمدينة الإسكندرية قبل العقاد بسنوات ورثاه العقاد بقصيدته الخالدة التى كان مطلعها:

بعد إبراهيم «شكرى» اليوم أودى ... قرب الرحل. لقد قاربت جدًّا
قرب الرحل ورحب بالنوى ... النوى فى العيش أن تمسى فرداً

«ديوان ما بعد البعد للعقاد ص ٨٢»

عيد ميلادى:

الثامن والعشرون من شهر يونية، يوم ميلادى الذى أعلنه الآن ، لأنه قد مضى عليه ثلاثة أيام.

وكنت إلى سنوات قريبة لا أعلم أننى ولدت فى مثل هذا اليوم، ولا أذكر إلا إننى ولدت فى شهر يولية كما جاء فى شهادة الميلاد التى قدمتها منذ سنين مع أوراق «الاستخدام».

فلما تحريت الحقيقة - عرضاً - علمت أننى كتبت فى دفتر المواليد بعد ثلاثة أيام فى حدود التأجيل المسموح به للدايات وإلا عوقبت على التأخير.

وأبق ما فى هذه الذكرى عندى أننى علمت أن الذاكرة قد تكون أصدق من الدفاتر المحفوظة فى السجلات، لأن السيدة الوالدة رحمها الله صححت لنا ذلك التاريخ المكتوب شهراً ويوماً وساعة ومناسبة من مناسبات ذلك الحين، ولكنها صححته بالشهر العربى وعارضناه على الأشهر الميلادية فإذا هو مطابق للحقيقة بالجملة والتفصيل.

وليس من عادتى أن احتفل بهذا اليوم وليس من أصحابى من يعلم به إلا آحاداً معدودين، وقد أنساه حتى تصل إلىّ باقة أو برقية من بعض أولئك الأصدقاء الأوفياء يذكروننى أننى ولدت والحمد لله.

ولم أنسه هذه السنة على حسب العادة فى أكثر السنين، فلما ذكرته سألت نفسى عند مسائه! ماذا فى يديك اليوم من تلك السنين؟

ظلال من لياليه وأشعة من أيامه، وحياة تذكر أو تنسى فلا تزيد على نسيج من ظل وشعاع.

دور سيد درويش!*

مرت الموسيقى العربية خلال القرن الأخير بثلاثة أطوار.

أولها طور الجمود والتقليد، وقد كانت الموسيقىَ كلها فى هذا الطور كأنها تمرينات على الآلات فى مختلف النغمات، لا ينظر فيها إلى معنى الكلمة ولا إلى معنى النغمة ولا إلى معنى من المعانى على الإطلاق، إنما ينظر فيها إلى تطبيق «الدوكاه والسيكاه والجهاركاه» وغيرها من الألحان والمقامات كما كان ينظر إلى القوالب المحفوظة فى رسائل الدواوين وخطب المنابر وديباجة العقود واصطلاح التحية والدعاء.

وجاء الطور الثانى على أيام عبده الحامولى ومحمد عثمان ويوسف المنيلاوى فانتهت موسيقىَ التمرينات وبدأت موسيقى الغناء المقيد بكلماته ونغماته، فلا يتغنى المغنى المجدد - فى أوانه- بغير كلام يقصده ويعنيه ويصوغه فى اللحن الذى يؤديه.

وقد كان عمل الموسيقى المبدع فى هذا الطور أن يعطى الكلام نغمات تناسب معناه، ولكن الموسيقى المبدع لم يصل - يومئذ - إلى النغمة المعبرة بمعزل عن الكلمات، وإلى الأصوات الموسيقية الناطقة بغير ألفاظ وحروف. وانتهى هذا الإبداع إلى إبداع آخر فى إبان الثورة التى أعقبت أيام الحرب العالمية الأولى، وذلك هو إبداع سيد درويش أول منشد وملحن جعل الألحان نفسها أداة للتعبير المستقل غاية ما استطاع فى زمانه، ولم تكن الألحان قبله أداة من أدوات التعبير، بل كان غاية المطلوب منها أن توافق معانى كلمات مرصوصة ثم تستند فى تعبيرها إلى معانى تلك الكلمات، فلو أنها انفصلت منها لما بقى لها معنى مفهوم.

---

* الأخبار ١٩٦٠/٨/٣.

والعلامة التى لا تخطئ على التفرقة بين فن سيد درويش وفنون اللاحقين به، أن هؤلاء اللاحقين لم يضعوا أدواراً تستقل بتعبير نغماتها عن تعبير كلماتها، ولا محل للمكابرة هنا لأن أسماء الأدوار تنوب هنا عن الادعاء والإنكار.

مثل سيد درويش كمثل واضع اللغة وجامع المفردات.

ومثل اللاحقين به كمثل المترجم الذى ينقل إلى هذه اللغة عبارة بليغة يفهم كلماتها ويبحث لها عن عباراتها الفنية، وقد تكون عباراته أبلغ من أسلوب سيد درويش فى تعبيره، ولكنه لا يزال بعد ذلك صاحب الفضل فى تأسيس اللغة الموسيقية ، مهما يرتفع صرح البناء على ذلك الأساس.

إن سيد درويش قد علم الأنغام كيف تعبر تعبيرها ، فتعلمت وتعلم منها الموسيقيون اللاحقون به على هداه، ولن يسبقوه إلى فضله وإن زادوا عليه، فإن السبق لا يرجع إلى الوراء.

الرسم والتصوير المجرد

فى صفحة الأدب - أمس - أن أشهر رسام فى العالم - وهو بيكاسو - كان أفشل تلميذ فى الرسم خلال المرحلة الابتدائية كما قال صديقه بوشيم فى ترجمته، فلم يحصل على أكثر من صفر أيام التلمذة الفنية؟.. ويقول مترجمه إنه تنقل بعد تخرجه من المدرسة بين الكلاسيكية والواقعية والتكعيبية، والسريالية، وأخيراً كفر بكل المذاهب، وأشهرها التكعيبية التى اخترعها منذ خمسين سنة.

وقد أحسن محرر الصفحة الأدبية السيد أنيس منصور فى إيراده لهذا الخبر، لأنه يرد به ضمناً على دعاة اللغة العامية بيننا، فيعلم الناس أنهم يحاربون اللغة الفصحى لأنهم (صفر) فى هذه اللغة، ولعلهم (صفر) أيضاً فى اللغة العامية لو قدرت لها درجات وأصفار.

وبيكاسو ليس بأشهر الرسامين العالميين كما قال السيد محرر الصفحة الأدبية، لأنه لا يزال (صفراً) فى الرسم حتى اليوم، وليست مذاهبه كلها إلا خروجاً على قواعد الرسم والشكل والتلوين، وتخبطاً بين (التقاليع) التى يسمونها مذاهب فنية وليست هى من الفن فى قليل ولا كثير.

بل ليس (بيكاسو) مخترعاً للتكعيبية المأثورة ولا للتكعيبية المجهورة فإن المصور الفرنسى هنرى ماتيسMtisse كان فى سنة ١٩٠٨ يصنع صورته المعروفة ساخراً بالمصور براك Braque التكعيبي فيسميها (كفاية تكعيبيات) Assez de Cubisme .

ويخيل إليه أنه نعى هذه المدرسة الهزيلة وكتب لها بذلك التوقيع شهادة الوفاة.

كلا.. ليس بيكاسو هنا ولا هناك من المدارس التى يتقلب بينها ويجهلها جميعاً على السواء، إنما مدرسته الوحيدة هى مدرسة (قصر النيل) أو مدرسة (الأزعرية) التى لا تشرف أصحاب الأذناب.

obeikandl.com

ولو أراد السيد أنيس منصور أن يجارى صاحبه الرسام الشهير لسبقه فى درجات الرسم واستحق (صفراً) من الخمسة على الأقل إلى جانب (صفرٍ) من العشرة يستحقه رسامه الشهير!

ولكن السيد أنيس منصور متواضع بدعواه مسرف بتقريظاته لهؤلاء الأدعياء، فإن لم يصدق بمكانته الفنية على هذه النسبة العددية من الصفر فسوف يصدق بها بعد عشر سنين أو عشرين سنة على الأكثر ، ويوم يلتفت إلى أثر من آثار أولئك التكعيبيين فلا يرى لهم أثراً ولا يسمع عنهم خبراً، ولا يسره يومئذ أن يحسب رساماً وإن قيل إنه أشهر الرسامين!

إن فى بلادنا اليوم أدباء يكفرون بالنحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة، ويؤمنون بعد ذلك بالأدب الذى لا أدب فيه.

كل من هؤلاء هو (بيكاسو) صغير أو بيكاسو منكود الطالع سيء الحظ لأنه لم يبلغ من الشهرة العالمية بعض ما بلغه ذلك الزميل.

وحفنة من الأصفار هى غاية الغايات التى ينتهى إليها هؤلاء (البيكاسيون) الصغار.

فن الغناء تقدم طولا وعرضاً ولكن لم يرتفع..

سيد درويش رفع الأغانى من خدمة الفرد إلى خدمة الشعب*

منذ ثلاثين سنة كنا نكتب المقالات الافتتاحية عن الفنون الجميلة فيعجب الكثيرون من القراء، بل يدهشون، لهذه المكانة التى نزج فيها الفن وخدامه بين كبار الأقطاب وجلائل الخطوب فى إبّان النهضة القومية، لأنهم كانوا يحسبون الفنون الجميلة جميعاً من قبيل اللعب الذى يقبل فى ساعات اللهو ولا يجوز أن يقتحم مكان الصدارة فى نهضات الأمم.

وكانوا يسيغون الكلام عن التصوير بعض الشيء لأن التصوير مقرون فى أذهانهم بخلق الأصنام والأرباب التى عبدها الناس زمناً طويلا. فهو عندهم من الأعمال الكبيرة وإن جاز أن يحسب من الشرور والآثام، وكانت للتصوير شفاعة أخرى من آثار الأقدمين وهى فى عهد النهضة موضع الإعزاز والإكبار.

وكانوا يسيغون الكلام عن الموسيقى بعض الشيء كذلك لأنهم كانوا يسمعونها من الفرق العسكرية كما يسمعونها فى الأناشيد الدينية.

أما الغناء فدون ذلك وينفد الصبر ويبطل التجوز والتحليل.

الغناء على التخت وهو لا يرى بين أحياء المدينة فى غير الأماكن المريبة..

الغناء من المطربات والمطربين وهم من طراز معلوم لا يمسه المطهرون؟

هذا الغناء تكتب عنه مقالة افتتاحية على أيام النهضة القومية؟

نعوذ بالله!

ذلك هو الهزل والابتذال، إن لم يكن ذلك هو الكفر بدين اللياقة والعرف المأثور.

---

* الأخبار ١٩٥٦/٩/٢٢.

obeikandl.com

وفوجئ الناس بالكتابة عن سيد درويش فى صدر الصحيفة الوطنية الأولى.

ثم فوجئوا بالكتابة عن ذكراه بعد وفاته بسنتين، وفى هذا المعنى نقول من فصل نشرناه بالبلاغ فى هذا الشهر من سنة ١٩٢٥ :

«ولكن الأمة الكاملة - مع هذا - عجزت عن قضاء حق الرجل الفرد فمات بينها وهى لا تعلم أنها أصيبت من فقده بمصيبة قومية ولم تبال حكومتها أن تشترك فى تشييع جنازته وإحياء ذكراه، كما تبالى بتشييع جنازات الموتى الذين ماتوا يوم ولدوا، والمشيعين الذين شيعتهم بطون أمهاتهم إلى قبر واسع من هذه الدنيا يفسدون فيها من أجوائها ماليست تفسده العظام النخرات والجثث الباليات. . ».

ثم نقول : «بلى واأسفاه! إن دفائن الاستبداد ما برحت عالقة فينا بدخيلة السرائر ننفضها فلا تنتفض إلا ذرة بعد ذرة، ونزن المنفوض منها فإذا هو لا يزيد على الهباء فلا يزال العظيم عندنا عظيماً بأرزائه من الآخرين وما يزال تمحيص السعادة لطلابها عندنا عملا من أعمال الأذلاء الماهنين، وأنت لا تعرف أنك فى أمة أحرار حقًّا كارهين للاستبداد حقًّا إلا إذا رأيت بينهم لعظماء المطربين شأناً لا يقل عن شأن أندادهم ذوى المواهب والأعمال والأقدار. . .».

فالاستبداد الطويل هو الذى علمنا أن مقياس العظمة هو القدرة على إذلال الناس وتنغيصهم، وأن مقياس الهوان هو العمل على إرضائهم وإسعادهم، وأن المطربين أهل للهوان لأنهم «فى خدمة الأهواء والشهوات».

ويبدو لنا أن النظر إلى منزلة الغناء يتبدل عندنا بمقدار نصيبنا من الحرية ومن تقدير نعمة الحياة وكرامتها، ولكن زوال المهانة عن هذه الصناعة لا يرجع إلى الحرية القومية وحدها، بل يرجع معها إلى استقلال المغنى عن هوى الفرد الذى يستأجره لتسليته وتسلية ذويه وارتفاعه بذلك عن خدمة الفرد إلى «أداء وظيفة اجتماعية» لا تتوقف على مشيئة أحد بعينه من باذلى الأجر طلباً للغناء.

بعد ثلث قرن:

ولقد كان سيد درويش مجدداً لفن الغناء رافعاً له من خدمة الفرد إلى خدمة الأمة أو طوائفها المجتمعة. ولكنه لم يكن أول المجددين فى هذه الصناعة بغير مراء. إذ سبقه بين طليعة المجددين عبده الحامولى، ومحمد عثمان فى غناء التخت والآلات، كما سبقه سلامة حجازى فى غناء التمثيل.

إلا أن «سيد درويش» يعد بحق أول المجددين الذين نقلوا الغناء من التقليد على سنة الفن العتيق: فن الآلات والتخوت، إلى فن التعبير الحى عن الشعور الصادق الذى يحسه، ويحسه معه سامعوه.

ولقد مضى اليوم ثلث قرن كامل على هذه النقلة القوية فى تاريخ هذا الفن الجميل. فإذا أردنا بعد ثلاث وثلاثين سنة أن نلخص الفارق الأكبر بين ما كان عليه فن الغناء وما صار إليه فماذا ترانا نقول؟

نقول ونحن نأمل العثار أننا تقدمنا ولم نرتفع.

تقدمنا فى فن التعبير ولكننا لم نرتفع إلى قمة من قمم النبوغ فى هذا الفن أعلى من القمم التى شهدناها وسمعنا أنغامها على عهد سيد درويش وقبل ذلك ببضع سنوات.

ليس عندنا اليوم من هو أرفع قمة من عبده الحامولى وسلامة حجازى وسيد درويش ولكننا نعد الكثيرين والكثيرات من المغنين المعبرين والمغنيات المعبرات.

وربما كان التحديد بالظواهر الملموسة أقرب إلى البيان الواضح من هذا الإجمال، وهاهى بعض الظواهر الملموسة التى نقيس بها مراحل الفن من عهد سيد درويش إلى عهدنا الحاضر الذى يصح أن نسميه عهد أم كلثوم وعبد الوهاب.

obeikandi.com

١ - التقـريب :

فالظاهرة الأولى التى تحققت خلال هذه السنين الثلاث والثلاثين، هـى ولا ريب ظاهرة التقريب بين أنواع الغناء.

كان عندنا غناء للرجال وغناء للنساء. وكان العرس الواحد يقام للأسرة الواحدة فيدعى فيه المغنون لإحياء حفلة الرجال، وتدعى فيه العوالم لإحياء حفلة « الحريم ».

وكان عندنا غناء التخت والآلات ومعه الغناء البلدى والغناء الشائع فى البيت والطريق، فاقترب غناء التخت والآلات اليوم من الغناء الشائع، ونـدر بين الأغانى الفنية ما يحتاج الفنان حتماً إلى توقيعه على التخت ولا يستطيع أن ينفرد به كما ينفرد به هواة السماع.

وكان الغناء الحضرى والغناء الريفى مفترقين، فهما اليوم يتقاربان ويتشابهان ويشيع غناء الريف فى الحضر كما يشيع غناء الحضر فى الريف.

ولا نعنى أن الفوارق زالت بين هذه الأنواع، وأنها أصبحت كلها نوعاً واحداً لا فرق فيه بين أغانى الرجال وأغانى النساء، ولا بين الغناء الفنى والغناء الشائع، ولا بين غناء المدينة وغناء القرية، ولكننا نعنى أنه يتقارب ولا ينعزل، وأن أنواع الجميع مقبولة عند الجميع.

٢ - الطابع الشخصى :

والظاهرة الثانية من ظواهر التقدم هى ظاهرة « الطابع الشخصى » الذى يدل على استقلال الملحنين والمغنين والمستمعين.

فقد كانت الألحان قبل ثلاثين سنة كأنها نسخ متعددة من طبعة واحدة، فأصبح للملحن والمغنى فى هذه الأيام طابع خاص يستقل به على طريقته

وأسلوبه ويتميز فيه بذوقه ومزاجه، وأصبحت للمغنين صور نفسية بعد أن كانوا جميعاً «مبرقعين» وراء الملامح العامة التى يلبسونها - فنياً - كما تلبس وجوه الكرنفال.

٣ - التنوع :

ومع التقارب الذى أشرنا إليه فى مقدمة هذه الظواهر، نلاحظ أن موضوعات الغناء تنوعت بين الغناء التمثيلى، والغناء الشعبى، والغناء الوجدانى المعبر عن العواطف الغزلية أو الحماسية.

وربما كانت هذه الظاهرة صورة أخرى من صور التعبير الفنى الذى بدأت به نهضة التجديد منذ ثلاثين سنة.

فالمعانى التى تقال فى غناء الغزل أو أغانى الحب هى المعانى التى يشعر بها المحب فعلا فى علاقاته الغرامية على حسب المواقف والخواطر والأمزجة، وليست كما كانت من قبل «كالثياب الجاهزة» التى يشتريها اللابس ويوفق بينه وبينها أو لا يشعر بالحاجة إلى هذا التوفيق.

فالغناء اليوم ثوب مفصل يتغير على حسب المناسبات، وقد كان من قبل «ثوباً جاهزاً» للجميع رأى فيه لمن يلبسه إلا بعد تحضير «الفبريكة» التى تفرض مقاييسها على الأجسام.

ولا ننسى أن المخترعات الحديثة قد عملت عملها - بل أعمالها - فى كل مرحلة من هذه المراحل، لأن اشتراك المستمعين فى الإصغاء للإذاعة ولأغانى الصور المتحركة وأدوار الأسطوانات لا بد أن يعمل أعماله الكثيرة فى توحيد الأذواق والرغبات، ولكنه لا يخلقها من العدم على أية حال، ولا يأتى بعمل من تلك الأعمال إلا إذا سبقته الرغبة من المستمعين.

غـرور المصطلحات :

وفى كل هذه المراحل نلاحظ أننا تقدمنا ولم نرتفع، وأننا لا نزال بحاجة إلى ثلث قرن آخر لمحاولة الارتفاع فوق الطبقة التى بلغناها.

ويصدق هذا على الغناء المفرد كما يصـدق على الغنـاء المسرحى منفـرداً أو باشتراك الفرقة كلها فى بعض الأناشيد.

وقد رأيت الشيخ سلامة حجازى يمثل أو يغنى فى روايات : هملت، وروميو وجولييت، واليتيمتين، والبرج الهائل وغيرها من الروايات السلفية أو العصريـة، ولا أتردد لمحة عين حين أقول إننى لم أر أحداً بعده قد ارتفع بـدور مـن هـذه الأدوار فوق قمته العالية، وإنه لا يزال نمطاً وحيداً فى تمثيله وغنائه كما كان يوم سمعناه وشهدناه.

وغاية ما فى الأمر أن بعض النقاد المتحذلقين عنـدنا قـد تلقفـوا أسمـاء المصطلحات الأوربية «وطبقوها» عليه فخيل إليهم أنها تغض من قدرته وخـبرته ودرايته وسابقة فضله، وهى على ما نعتقد شـهادة لـه يجهلـونها ولا يفهمـونها لأنهم يرددونها ترديد الببغاوات.

ومن ذاك أنهم عابوا عليه الغناء فى رواية روميو وجولييت وهى مسرحيـة لم توضع للغناء، ولكننا رأينا هذه المسرحية بعـد ذلك قـد تحـولت على أيـدى الأوربيين أنفسهم إلى رواية ملحنة، ورواية نصف ملحنة، وشاعت على المسـارح كما شاعت على اللوحة البيضاء، فإذا كان الناقد يفهم ما يقول فهو خليـق أن يشهد لسلامة حجازى بفضل الابتكار، ويحمد الله لأنـه أعـطانا فـرصة الاستماع إلى صوت بديع لم نكن لنسمعه أو نسمع به لـو كان الـرجل ممـن ينخـدعون بتخريف المصطلحات.

وخاتمة المطاف أن رواد التجديد فى فن الغناء لا يزالون على القمة التى ارتفعوا إليها قبل ثلاث وثلاثين سنة، وأننا نقيس التقدم فى هذا الفن طولاً وعرضًـا وإتساعًـا ولكننا ننظر إلى الأفق طويلا لنقيسه إلى فوق.. إلى أجواز السماء.

التأخـريون*

فى شهر مارس سنة ١٩٢٨ كتبنا فى البـلاغ الأسـبوعى مقـالا بعنـوان «اللاوكون» قلنا فيه عن «لسنغ» مؤلف الكتاب فى تفرقته بين الشعر والتصوير: «وخلاصة الفروق بين الشعر والتصوير فى رأى كاتب اللاوكون هـى أن الشعر معنى بوصف الحركات النفسية لا بوصف المشاهد المحسوسة، وأن التصـوير على خلاف ذلك معنى بكل مايرى بالعين ولا يخامر النفس إلا مـن طـريق الـرؤية والملامسة، فالشاعر إذا وصف جمال المرأة وصـف أثـرها فى النفس، ولم يشـغل فنه بتصوير المحسوسات إلا من حيث هى دلالة على الخوالج والعـواطف.. أمـا المصور فله عمل آخر وهو نقل الصور من حيث هـى مـظهر ومـكان لا مــن حيث هى حركة وزمان.. إلخ»

واليوم فى الثامن والعشرين من أغسـطس سـنة ١٩٥٩ - يـكتب الأسـتاذ عبد الفتاح البارودى كلمة عن معركة اللاوكون التى عادت إلى صحف النقد فى الغرب لمناسبة الطبعة الجديدة من هذا الكتاب فيقول: «يهمنا أن نعـرف كيف يفكر النقاد الحقيقيون وكيف يؤثر النقد فى تعميق التفكير. فبفضل هذه النظرية التى أصبحت الآن من البديهيات، عرف أدباء الغرب مثلا أن التماثيل تعبر عن الأجسام على حين أن الأدب يعبر عن الأفعال، وهذا أوضح لكل أديب حدود فنه، ومن هنا أمكن أن يتطور كل فن بالمنهج الخاص به».

ثم يقول الأستاذ البارودى: «قارن هذا بما يحـدث عنـدنا.. أى أديـب أو ناقد يكتب فى أى شىء بلا أى منهج وكل مافى ذهنه جملة ألفـاظ جـوفاء مـن طراز الفاعلية والتفاعل والـديناميكية.. إلخ، والنتيجـة أن يـظهر فى كل مـوسم

---

* الأخبار ١٩٥٩/٨/٣١.

مليون كتاب لا يعرف أحد من مؤلفيها نظرية الفن الذى يمارسه، وأقترح أن نترجم كتاب لاوكون والشروح التى كتبت عنه. فربما يساعدنا هذا على وضع هؤلاء الكتاب والنقاد مكان لاوكون فى غرفة الثعابين..».

وبعد هاتين النبذتين تعوزنا الآن نبذة ثالثة يقول فيها القائل:

إن ترجمة كتاب اللاوكون ومائة كتاب مثله، لا توقظ جماعة الفاعلية والمفعولية والديناميكية من غيبوبتهم الأفيونية الفودكية الكحولية، لأنهم لا يقرءون من تلك الكتب حرفاً ولا يقلعون عن تلك الرطانة لحظة.

بل تبلغ بهم الجرأة أن يهرفوا بالتجديد من حيث لم يعرفوا، وأن يقولوا إنهم هم التطوريون التقدميون وأن الذين سبقوهم ثلاثين سنة إلى تقرير مبادئ الشعر والتصوير رجعيون «تأخريون» متشبثون بالتقديم...

على المسرح وبين التصوير*

موليير العصر:

ودع المسرحين فى الأيام الأخيرة رجل شغل المسرحين زهاء ستين سنة، ونعنى به «جاسنتو بينافنتى» الذى يلقب بموليْر العصر أو موليير الأسبان، ونعنى بالمسرحين مسرح التمثيل ومسرح الحياة. لأن مسرح التمثيل قد ظفر منه بنحو مائتى رواية كبيرة وصغيرة، ومسرح الحياة قد شهده فى كل فصل من فصول التاريخ الأسبانى الحديث، وما أكثر فصوله فى الجيلين الأخيرين بين الملكية والجمهورية، والحرب الأهلية والفاشية أو ما يشبه الفاشية فى نظامها الأخير.

وكان «بينافنتى» نموذجاً إنسانيًّا عجيباً فى عبقريته الفنية وفى قدرته على التأليف، وكأنما دخل الدنيا فى ثياب دور من أدوارها لا يختلط بدور آخر، فكانت الدنيا مسرحاً كبيراً له كما ينبغى أن تكون - فى رأيه - لكل من يشتغل بالمسرح تأليفاً وتمثيلا وهواية، وكان له أعداء كثيرون ولكنه كان يعاديهم وهو يبتسم وكانوا يعادونه وهم يبتسمون، لأنهم لم ينظروا إليه قط إلا كصاحب دور يملى عليه العداوات والصداقات، فيستخدمون أيديهم فى التصفيق له قبل أن يستخدموها فى ضربه أو القبض عليه، وقد لقى ألواناً من الاعتقال والنفى والهرب والمصادرة، ولكنه كان يدخل من باب المسرح فى الفصل التالى بغير مشقة، وكأنما يدخله على موعد وانتظار!

تعلم القانون ثم ترك دراسته وطاف الدنيا مع ملعب من ملاعب البهلوانات، ثم نظم الشعر غزلا وفكاهة وكتب المسرحيات للتسلية والتنكيت على خلق الله المضحكين، ومنهم فى رأيه كثيرون خارج الملاعب والمسارح، يتفرج عليهم الممثلون والمؤلفون للتمثيل.

---

* أخبار اليوم ١٩٥٥/١/٢٢

والرجل طيب كبير الثقة بالطيبة الإنسانية، ومن ظرائفه أنه يجعل هذه الطيبة الإنسانية فريسة الأوغاد فى الروايات، وأنه يضحك منها ويضحك سامعيه فى أكثر مسرحياته، ثم يأبى أن تنتهى الرواية دون أن ينصر هذه الطيبة على المحتالين وعباد التقاليد.

فى إحدى رواياته المشهورة (روابط المصلحة)، يجعل المحتالين الفطاحل يجمعون رأيهم، ويحكمون تدبيرهم، للانتفاع من حب فتاة غريرة، ثم تنتهى الرواية وهم صرعى التدبير والمفاجأة معاً، والفتاة هى المنتصرة بعاقبة التدبير والمفاجأة على السواء.

وفى رواية أخرى (بساط الفرو)، يحتال قوم على سيدة نبيلة تبحث عن طفل تربيه، فيدسون عليها طفلا من اللقطاء يزعمون أنه ابن غير شرعى لأخيها المتوفى، ثم تنكشف لها الحيلة فتعقد النية على إقصاء الطفل ورده إلى ذويه، فتغلبها طيبة الصغير وبراءته وتحرق أوراق النسب وتحطم أغلال التقاليد لتستبقيه لديها وتحله عندها محل الورثة الشرعيين.

وفى رواية غيرها تختلط الإنسانية بالبهلوانية بخيال الظل بالتهريج، وتنتهى إلى العبرة بعواقب القسوة «القاسية».

زمرة من التماثيل والتحف المنزلية تدب إليها الحياة بآية من آيات السحر فيقع رجالها فى حب نسائها ويقع نساؤها فى حب رجالها ويدوى المنزل بالمنازعات والمطارحات ومواقف الهزل والمجون، ثم ينسى أحدها آداب الحب أو آداب الإنسانية فيقضم بأسنانه قطعة من اللحم من خد تمثال آخر، فتفارقها الحياة جميعاً وتعود كما كانت، وقد كان ذلك التمثال القديم مكسوراً من جانب خده قبل أن تدب فيه الحياة.

وكثيراً ما يغضب هذا العبقرى المضحك - المضحك من نفسه ومن غيره ولاة الأمر فى بلاده فيهرب منها، ولكن إلى أين؟.. إلى روسيا دون غيرها من

obeikandi.com

بلاد العالم ويهرب إليها مع ملعب «سيرك» للتهريج والألعاب البهلوانية، ولم يكن الرجل شيوعيًّا ولم تسلم الشيوعية من لسانه، وإن اقترب أحياناً إلى حدود اليسار، ولكنهم عرفوه على علاته فلم يقاربوه بسوء، وعاد إلى وطنه فى أمان.

وعنوان رواية من رواياته يغنى عن شرحها فى هذا المقام، فإنه ألف رواية سماها (سانتا روسيا)، أو القديسة روسيا وسخر فيها من المقدسين لروسيا الحمراء بين أبناء وطنه، فجعلها كما جعلوها قديسة عظيمة البركات والنفحات، وكان الرجل ابن وطنه حقاً حين اختار ذلك الاسم لروايته، فليس أكثر من (سانتا) ومن (سانتوسى) فى بلاد الأسبان، ولعله بهذه الطيبة وبهذه الفطرة الإنسانية قد استحق جائزة نوبل (سنة ١٩٢٢).

مات الرجل فى الثامنة والثمانين، ولم تفارقه طفولته وخفته وطيبته بعد تجارب العمر الطويل، وقد تمت مسرحياته ودواوينه مائتين، وضاعت من مؤلفاته عدا المائتين مسودات مبعثرة وممنوعات مصادرة فاستنقذ بعضها ولم يحفل باستنقاذ البقية.

وحسبه من الأثر مائتان، بل حسبه أن يبق من المائتين عشرون.

وإننا لنذكر هذا الفيض من التواليف والتصانيف ونعجب لهذه الخاصة التى امتاز بها كتاب المسرحيات الأسبان، فقد بقى من روايات كالدرون نحو مائة وعشرين، عدا الأحاديات، وعدا المفقود من هذه وتلك، وهو يعد بالمئات، وأحصى بعضهم روايات «لوب دى فاجا»، فبلغت ألفاً لم يبق منها إلا القليل، ولم يعرف مثل هذه الإفاضة عن مؤلفى المسرح أو غيرهم من المؤلفين فى الأمم الأخرى، فما سر هذه الخاصة يأترى فى الأمة الأسبانية دون غيرها ؟

أحسب أنها أسرار متعددة لا تنحصر فى سر واحد، فمنها الرقص الذى تتعدد فيه أدوار الرجّال والنساء، ومنها التمثيلية الدينية التى تقترن بالغناء

والإيقاع، ومنها حب التسلية فى جمهرة الأسبان وسرعة الملل ووفرة النقائض فى المجتمع من قبل الفتح العربى إلى الكشوف الأمريكية إلى التقاليد المختلطة، بين قوم محافظين لاتزال بلادهم عرضةلاقتحام البدع من حين إلى حين.

وسر هذه الأسرار جميعاً طبيعية الخفة، وحب الثرثرة ومسرحية الحياة الأسبانية كلها، وهى المسرحية التى لا تفرغ من الفصول والمناظر وراء الستار وأمام الستار.

قواعد علم الجمال*

تابعت قراءة النقاش الذى دار بين الأستاذ محمد صدقى الجباخنجى والدكتور محمد صبرى السربونى، عن مقاييس النقد الفنى وشروط ناقد التصوير والنحت، وما يلحق بهما من فنون التشكيل، مستقلا عن شروط النقد الأدبى الذى يشمل نقد الشعر والنثر والثقافة المكتوبة على التعميم.

وقد التبس كلام الأستاذ الجباخنجى - كما يظهر - على الدكتور محمد صبرى، ففهم منه أنه يعتبر مقاييس الأدب كافية للتطبيق من وجهتها العامة على أعمال التصوير والنحت، لاعتبار الوحدة فى قواعد الفن الجميل أو قواعد علم الجمال (استاتيك) Aesthetics.

وهو علم مشترك القواعد فى جميع الفنون.

ولو أن الأستاذ الجباخنجى ذهب إلى هذا الرأى لما كان فى قوله من عجب، لأن قواعد علم الجمال قد وضعها الأدباء ولم يضعها أصحاب الصناعة العاملون فى النحت والتصوير وفنون التشكيل، أو فنون السماع والإخراج كالموسيقى والتمثيل.

ومن الواقع المقرر أن عمل الأدباء فى تأسيس قواعد علم الجمال، أكبر وأسبق من كل ما اشترك فيه المصورون والنحاتون والموسيقيون والممثلون والمخرجون مجتمعين.

ومن الواقع المقرر أن نقاد الفن من غير المصورين قد تقدموا من الزمن إلى عهد أفلاطون وأرسطو، وتختلف منهم الأقطاب المتأخرون إلى العصر الحاضر ممن

---

* الأخبار ١٩٦١/١٢/٢٧

يطبقون قواعد علم الجمال على الشعر والتصوير والموسيقى، وهم غير متخصصين فى هذه الفنون.

وينبغى أن يعلم الدكتور السربونى أن (لسنج) ملك النقاد كما يسميه أدباء الغرب، قد وضع كتابه (اللاوكون) فى نقد تمثال منحوت وقصيدة شعرية قارن بينهما فى أسلوب الأداء على أساس علم الجمال العام، لا على النقد الشعرى وحده، أو أساس النقد التصويرى وحده، كما يرى فى صفحات الكتاب الذى نحسبه قد اطلع عليه.

وينبغى أن يعلم الدكتور السربونى كذلك أن الأديب الإنجليزى الكبير (رسكن)، كان حجة فى نقد التماثيل والصور والقصور ولم يكن من أصحاب الصناعة، وأن برنارد شو قد ترك بعده مجلدات فى النقد الموسيقى على أسس علم الجمال بغير اكتراث للأسس الموسيقية التى طال عليها الخلاف بعد عهد (واجنر) وحملات نيتشه عليه، ولم يكن لنيتشه استقلال بالفن الموسيقى عن سائر فنون الأدب والثقافة، كما يعلم الدكتور.

فلو أن الأستاذ الجباخنجى قال إن قواعد علم الجمال كافية لتزويد الأديب بأدوات النقد الفنى، لما كان قوله عجباً ولا كان فيه بدع يخالف الحقيقة الواقعة، ولكنه - على ما نرى من كلامه الأول والأخير - إنما أراد أن مقاييس الأدب تساعد الناقد الأدبى على فهم الفن إذا اطلع على تواريخ الفنون، وهى باب من أبواب الثقافة الأدبية.. وليس من المعقول أن يشترط لفهم التصوير شرط فوق هذه الثقافة الأدبية، إلا إذا كان المفروض أن المصورين والنحاتين يضعون صورهم وتماثيلهم لجمهور خلق الله من أوساط المثقفين، ومن هم دون الأوساط فى أكثر الأحايين.

على أن الدكتور محمد صبرى السربونى قد استكثر من الأستاذ الجباخنجى هذا الرأى المتواضع وراح ينعى إلى الناس فوضى النقد الفنى، وفوضى الآراء

التى تجيز الاجتراء على نقد بيكاسو لأناس من الأدباء ونقاد الكتابة، ومنهم العقاد كاتب هذه السطور.. مع احترامه له كما قال مشكوراً على ظنه الجميل.

ويسمح لنا الدكتور السربونى أن نداعبه - مشكورين نحن أيضاً - لنقول له أشار ولم يصرح فترك لنا أن نتم الإشارة بالتصريح ونعلن بالنيابة عنه أن الناقد الفنى يجب أن يذهب إلى باريس، وأن ينتسب إلى السربون، وأن يحمل اسم (محمد صبرى) إذا أمكن.. وإلا فلقب (السربونى) كفاية على سبيل الاحتياط.

وقد نعلن بالنيابة عنه أنه يكفى لنقد الصور والتماثيل أن يفتح الإنسان عينيه على النور فى مهد أقدم الفنون الإنسانية على الإطلاق، وأن يدرج فوق الأرض فيرى مصنع التماثيل قريباً منه فى محاجر أسوان، وأن يخرج للفرجة على ضواحى بلده فيرى أعرق الفنون بين الهياكل والجزر ومغاور الجبال، ثم يستمع فى الأحاديث كل موسم شتوى حديثاً على الأقل من فطاحل المعلقين على آثار الفنون وتحف الجواهر ومإاليها من الحجارة الكريمة وفصوص (الجعارين) إذا أراد..

كلا... كلا... لايكفى هذا ولايكفى بعده أن يحشو هذا الناقد ذهنه بما قدره الله عليه من ودائع الأوراق ومجاميع الصور والتعليقات.

فإذا أعدنا هنا ما قاله الدكتور السربونى وما ينبغى أن يقوله ونشكره عليه، وما ينبغى أن نقوله نحن ويشكرنا عليه هو كما يشاء...

إذا فعلنا ذلك فمن الحق أن يسمح لنا أن نضيف كلاماً لاحيلة له فى قبوله، وهو أن الشروط التى يتطلبها معقولة فى نقد كل فن إلا الفن الذى يلغى جميع المقاييس ويمسح جميع التواريخ.

ودعنا نقول مع الدكتور إن الناقد الفنى مطالب بالاطلاع الكافى على تاريخ الفنون، ومطالب بالاطلاع الكافى على أعمال أقطاب النحت والتصوير ومطالب بالاطلاع الكافى على أصول الرسم والتلوين والتشكيل، ومطالب بأن يكون

سربونيًّا يحمل اسم (محمد صبرى) أو ما صادفه غير ذلك من الأسماء.

دعنا نقول ذلك لكل ناقد فنى يتصدى لنقد صورة من الصور أو تمثال من التماثيل.

ولكن (بيكاسو) وأمثاله يعرضون لنا الصور والتماثيل وليس لها وضع معلوم ولا قاعدة متبعة ولا مقياس متفق عليه. !

تقول له إنك لاتفهم معنى لهذه الصورة، فيقول لك إن الفهم غير ضرورى، وأن الصورة وحدها كافية بغير معنى. !

ونقول له : إننى لاأرى شبهاً بين هذه الخطوط والألوان وبين وجه هذا الإنسان الذى ترسمه، فيقول لك إن البحث عن الشبه (موضة) قديمة، وإن الصورة تشبه ماأراه فى الوعى الباطن، وليس من اللازم أن تشبه شيئاً سواه.

ونقول له : إن هذا فن مشوه وليس بالفن الجميل، فيقول لك إنك لاترى الواقع ولا ما فوق الواقع كما أراه..

ونقول له : ماهو المقياس الذى أعرف به أنك أحسنت مرة وأنك أحسنت أكثر من ذلك مرة أخرى وأنك لم تحسن فى غير هذه وتلك من المرات...

نقول له هذا فماذا يقول؟

إنه لايقول شيئاً غير أنه يعطيك ما يوحى إليه وعليك أن تتلق الوحى فى صمت وسلام، بغير سؤال ولا استفسار ولا استفهام.

وربما خطر لك يادكتور أن تقول له : هندس يامعلم بيكاسو. أنا صبرى السربونى..

فأراهنك يادكتور أنه سيقول لك : ولو... ! فإنك إن سألت عن شيء مما أصنعه فلست أنت بأهل للنظر إلى الفن الجميل...

وعلى هذا ترى - يادكتور - أنك تعفى فنانك من كل شرط ومن كل قاعدة ومن كل مقياس تحتكم معه إليه، ولكنك تصب المطالب كلها على رأس الناقد الفنى الذى ينظر إلى أعمال ذلك الفنان.

فإذا كانت دعوى الفنان كلها أنه صاحب (وعى باطن)، فأين هو المخلوق الذى جرده الله من الوعى الباطنى بين أعلم العلماء وأجهل الجهلاء، وبخاصة حين نعود بالوعى الباطن إلى همجية (الخلط والشلفطة بغير رأس ولا قدم وبغير معنى ولاكلام)؟؟

أما إذا كان الدكتور السربونى يعرف للوعى المزعوم مقياساً يفهمه الناس عنه فانقل له مقدماً: أفادك الله.

ولكن على شرط أن يكون جوابه غير جواب البيكاسيين؟ لافهم ولا معنى ولا شبه ولاسؤال ولا جواب...

صــلاة*

أعجبتنى بين صلوات رأس السنة صلاة زميلنا الأستاذ «.....»، وأعجب ما فيها أنها صلاة مسببة وطلبات مشفوعة بحيثيات. ومثل هذا الطلب يطمئن صاحبه فلا يخشى أن يعاد إليه من السماء لاستيفاء البينات؟ لكنها صلاة إنسان واحد.

فماذا تقول (الإنسانية) كلها إذا وقفت فى المحراب لتدعو الله بلسان واحد مثل هذا الدعاء.

قصة قديمة تعاد على رأس السنة الجديدة لتتولى عنا الإجابة على هذا السؤال.

السيد أحمد البدوى وسيدنا الحسين رضى الله عنهما يتناجيان ويتشاكيان..

السيد البدوى حائر بين صاحب الماشية المسروقة يقدم له النذر ليعيد إليه ماشيته، وبين سارق الماشية يقدم له أضعاف ذلك النذر ليعمى عنه العيون.

وسيدنا الحسين يشكو الضرتين، كلتاهما تستحلفه باسم والدته الزهراء ليحفظ لها زوجها وحدها بغير شريكة فيه.

والآن تستطيع الإنسانية كلها أن تقف بين يدى الله فتسأله بلسان واحد:

يارب لا تستجب لكل ما نسألك، فإنك إن حققت لنا كل ما نرجو هلكنا جميعاً ولم يبق من خلقك أحد يرجوك ويتوسل إليك.

وندعوك جميعاً أن تخلف ظنون الخلق جميعاً، واصنع بخلقك بعد ذلك ما تشاء.

---

* الأخبار ١٩٦٠/١/٤.

الشيوخ والشباب*

« ألا ترى معى أنه من الغريب حقًّا أن الشباب يريد أن يصل بعمره إلى الشيخوخة ويتمنى الشباب لو صاروا كباراً حتى يتزودوا من المعرفة والخبرة.. . فى حين نجد أن الشيوخ وكبار السن يتلهفون على العودة إلى الشباب ويبذلون كل مرتخص وغال المرجوع إليه.. فكيف نوفق بين هذه النقائص التى يقع فيها الأذكياء من الشبان والمحنكون من الشيوخ ؟

سمير ناجى بشاى

دبلوم دراسات عليا فى الضرائب

« ... لا تناقض فى الأمر، لأن الشباب والشيوخ يتصرفون هذا التصرف لسبب واحد، إذ يقارن كل من الشاب والشيخ بين الموت وحالة أخرى فيفضل الحالة الأخرى على الموت، وليس أمام الشاب إلا أن يفارق الدنيا أو يبلغ الشيخوخة وهى أحب من فراقه لدنياه، وليس أمام الشيخ إلا أن يفارقها أيضًا أو يستأنف الحياة كرة أخرى، وذلك أحب إليه بطبيعة الحال من فراقها.

فإن كان هناك سبب آخر فهو سبب لا تناقص فيه، لأن الشاب يتمنى بلوغ الشيخوخة حبًّا للاستطلاع وشوقاً إلى حالة لم يعرفها، ولأن الشيخ يتمنى العودة إلى شبابه بعد أن عرفه وعرف الشيخوخة فلا حاجة به إلى الاستطلاع، ولكنه يفضل أحسن الحالين عنده عن خبرة ودراية.

عدم المبالاة :

... سعدت بالاطلاع على الصفات التى نشرتها عنكم الأهرام والتى كانت

---

* الأخبار ١٩٦٠/٦/١٥.

opeikandi.com

من أسباب النجاح العظيم الذى أحرزتموه فى حياتكم المليئة، وهى من الصفات التى عرفت عن القادة غير صفة واحدة استوقفتنى وأدرت فيها التفكير وهى عدم المبالاة بالناس. فلم تكن أبداً من صفات الكبار، وفى ظنى أنها نقلت محرفة وأن المقصود بها عدم المبالاة بالحاسدين والحاقدين. فهلا أوضحتم سيادتكم الحقيقة للناس.

السيد فرج

مدير عام جامعة الثقافة الحرة

... أغنانى حسن ظن الأستاذ وصدق ظنه معاً عن التوضيح والتصحيح، فإن قلة المبالاة بالناس نقيصة مذمومة إذا كان المقصود بها قلة المبالاة بشعورهم والاستخفاف بالإساءة إليهم.. ولكنها تحمد، وتفرض، إذا كان المقصود بها أن يعرف الإنسان ما يصنع وما يدع بوحى ضميره وإملاء إرادته، فلا يجعل حياته وقفاً على أهواء المادحين والقادحين وتبعاً لمآرب الراضين والساخطين وأرانى سأعيد للسيد الفاضل مثل الرجل وولده وحماره :

ركب ومشى الطفل فلامته النساء، وأركب الطفل ومشى هو فلامه الشيوخ، وركبا معاً فلامهما أنصار الرفق بالحيوان، ومشيا معاً وأطلقا الحمار أمامهما فضحك منهما أبناء البلد، ولم يبق إلا أن يحملا الحمار معاً - كما قال أحد المازحين - فكاد الخلق أن يزفوهما إلى المارستان.

ولا نظن أن الوالد يخطئ بعد ذلك إذا خرج من التجربة بوصية موجزة خلاصتها التى لا اعتراض عليها :

هذه عاقبة المبالاة بأقوال الناس..

علماء فى السماء وعلماء تحت الأرض*

خلاصة خطاب السيد «مصطفى جبريل»، أن علماء هذا العالم الأرضى أفضل لهم بدلا من تصديع الأدمغة بالبحث فى مركبات الأفلاك السماوية وفى الكواكب التى تصلح للسكن أن يجربوا معرفتهم للكشف عن بواطن الأرض التى يسكنونها ويتعرض سكانها لأمثال تلك الكوارث المحزنة التى كان آخرها كارثة أغادير..».

والواقع أن العلماء ربما عرفوا كل ما يعلم عن تركيب الأفلاك قبل أن يعرفوا الحقائق الكاملة عن جوف الكرة الأرضية، وبخاصة بعد استخدام أدوات الكشف الرادى Radio astronomy فى دراسة الأضواء والأصوات التى تنبعث من الكواكب المشرقة، والكواكب المظلمة أيضاً، على مسافة الملايين وملايين الملايين من الأميال فى أجواز الفضاء.

ولكن الإنصاف يقتضينا أن نقول إن علماء طبقات الأرض وعلماء الأرصاد السماوية على اختلافها، لم يقصروا فى دراساتهم ولم يتركوا من وسعهم جهداً يبذلونه لاستطلاع خفايا الأرض، واستكشاف أسرار الزلازل وغيرها من أسرار بواطن الكرة الأرضية إلى غاية ماوعاه علم الانسان بهذه الأمور، ولنا أن نقول إن الزلازل قد أصبح لها فى عصرنا هذا علم واف لا يقل عن علوم الملاحة والظواهر الجوية، إحاطة بموضوعاته وإحصاءاته التى يعتمد عليها علماؤه فى مراقبة أحوال الأرض والإنباء عن أخطار زلازلها قبل موعدها بالوقت الكافى للإنذار والتحذير، وإن كان تقرير ذلك على وجه الدقة لم يبلغ بعد مبلغ العلم بأخبار الكسوف والخسوف التى ستحدث فى المستقبل أو التى حدثت فى الماضى قبل ألوف السنين.

---

* الأخبار ١٩٦٠/٣/١٤.

والمرجح أن علماء الزلازل الآن يعرفون مواضع الخطر، أو يعرفون الصدوع التى تنجم منها الزلازل الانهيارية تميزاً لها من الزلازل الانفجارية، أى زلازل البراكين.

فحيثما وجد انشقاق فى سطح الأرض تصدعت منه القارات وطغت عليه أمواه البحار فى مواضع الصدوع، فهناك مواقع الخطر يكاد يحصرها البحث ويسجلها الباحثون على الخرائط والرسوم، ومما يلاحظ أن زلزال «أغادير» حدث إلى جانب الصدوع التى نجم منه زلزال لشبونة المشهور قبل مائتى سنة وعلى مسافة متساوية من وسط البحر المتوسط فى المغرب، وأن هيجان البحر فى الزلزال الأخير قد تكرر على النحو الذى حدث فى زلزال لشبونة وسماه بعضهم «غليانًا» وهو على الأرجح ظاهرة الاضطراب الذى يتبع موجات الاهتزاز الأرضى إذا وصلت إلى الماء.

وللسيد جبريل أن يسأل : وماذا يفيد العلم بخرائط هذه الصدوع إن لم يكن لها نفع فى الإنذار ونجاة السكان قبل حلول البلاء؟.

وقلة الحيلة هنا ظاهرة لا ينكرها علماء الزلازل ولا يدعون أنهم قادرون على تدارك الخطر فى زمن قريب، ولكنهم غير ملومين على قلة الحيلة فى أمر يجهلونه كارهين ، ولم يكن فى وسعهم أن يعلموه قبل أوانه المنظور وقد يتخلف هذا الأوان المنظور إلى حين.

فلا تزال فى جوف الأرض مناطق مجهولة لا تسرى فيها أمواج الهزات كما تسرى أمواج الإشعاع فى الفضاء، وهذا الذى يجعل العلم بأخبار الكواكب القاصية أقرب إلى الدقة من العلم بما فى جوف الأرض على مدى آلاف الأميال.

ولا تزال سرعة الهزات طولا وعرضاً مختلفة فى بقاع الأرض حسب تكوينها، فلا يسهل تقدير المسافة على وجه التحقيق، ولايسهل التمييز بين هزات

الأعماق القريبة والبعيدة كلما اختلفت مواد الصخور والطبقات، فلا تكفى الآلات وحدها لتعيين مكان الخطر المنتظر، ولا لتعيين وقت الانهيار أو الأوقات التى تتبعه بعد الرجة الأولى إذا تكررت الرجات، كل ما يستطاع أن يدل اتجاه الهزة على « البؤرة » المظنونة حسب موقعها من الصدوع المشهورة، ولا يمكن أن يدل دلالة تامة على الحالة التى سيحدث بها الانهيار فى مواضع الصدوع، فقد يحدث بمدينة عامرة وقد يحدث بعيداً منها فى البحر أو الصحراء وقد يحدث قريباً من المدينة ولا تتهاوى قشرة الأرض فى الفراغ الطارئ إلا على مسافات.

لكن الرجاء غير بعيد أن يستطاع التغلب على هذا النقص فى الرصد وتقدير المسافة والتنبية إلى الخطر قبل حلوله، ولا نغلو فى الرجاء إذا قلنا إن الجهود العلمية - غداً - كفيلة بتحويل اتجاه الزلازل كما يتحول اتجاه الصواعق، ولعلها كفيلة باستخدام هذه الطاقة المدمرة فى أعمال التعمير.

وكل ما نرجوه أن الإنسان الذى يستطيع ذلك غداً يملك عنانه فلا يستخدم قدرته هذه فى خلق الزلازل الصناعية وزيادة مصيبة جديدة إلى مصائب الرجم من الهواء : هى مصيبة النسف تحت الأرض، ببركان من صنع يد الإنسان.

تضارب الأطباء*

لو كانت حقيقة واحدة لهان أمرها على من يطلب الحق ومن يطلب الباطل على السواء.

ولكن المشكلة فى حياتنا مشكلة الحقائق الكثيرة التى لا نستطيع التفرقة بينها لأنها كلها عملة صحيحة ذات قيمة معروفة، وإن كان بعضها من الذهب وبعضها من الفضة وبعضها من الورق المطبوع.

قرأت اليوم فى الأخبار أن طبيباً كبيراً نبه ملكة الإنجليز إلى الضرر الذى قد يصيب الطفل من التقبيل، ومنه فقد البصر بل فقد الحياة.

حقيقة لاجدال فيها :

وحقيقة مثلها أن الضرر قد يحدث من المصافحة ومن استنشاق الهواء ومن الأكل فى المطاعم العامة ومن نقل الرسائل أو نقل الفاكهة والخضر واللحوم وسائر المنقولات التى تتسع للجراثيم.

ونسمع من الأطباء النفسانيين كلاماً غير هذا الكلام الذى نسمعه من أطباء الأجسام.

أذكر أننى قرأت فصلا صغيراً لطبيب من أطباء الأطفال قال فيه إنه يوشك أحياناً أن يكتب الوصفة للطفل الضعيف بزيادة «جرعة» القبلات فى الصباح وقبل الرقاد... لأن الطفل محتاج إلى الشعور بالحنان الذى تعبر عنه قبلات الأمهات والآباء، وقد يتوقف نموه على هذا الشعور.

ما العمل إذن بين هذه الحقائق التى لا تسمح لنا بإهمالها ولا بالتفرقة بينها.

---

* الأخبار ١٩٦٠/٨/٣

العمل أن نحسب حسابها جميعاً بما نستطيعه من وسائل الاحتراس.

والعمل - بغير جدال أيضاً - إننا لا نحرم التقبيل والمصافحة واستنشاق الهواء ونقل الفاكهة والخضر واللحوم.

ولكننا نحترس من أسباب كل ضرر نعرفه ثم نتوكل على الله.

أما أن نحترس من كل شيء، وفى كل حال، وبغير نهاية لهذا الاحتراس حيث نعرف الضرر وحيث نجهله، وحيث نفترضه بالظن والاحتمال فذلك هو الضرر الذى يفوق كل ضرر، وهو أولى بالاحتراس من جميع الأضرار.

obeikandl.com

« سبحة » الاستخارة

ظهرت « السبحة » فى الهند ونقلها دراويش الفرس إلى البلاد الإسلامية وانتقلت بعد ذلك إلى الغرب فاستخدمها أتباع الديانات جميعاً فى التسبيح وتلاوة أوراد العبادة.

ولكن العباد، وغير العباد، يستخدمون السبحة فى « الاستخارة » ويعتمدون على حباتها كما يعتمدون على أوراق الزهرة فى التبشير والتحذير كلما أرادوا أن يريحوا أذهانهم من أعباء التفاؤل والتشاؤم، ويلقوا بها على عاتق الغيب المجهول... وهم السائلون فى الواقع، وهم المسئولون.

جاءتنى مع هدايا أصدقائنا الحجاج سبحة جميلة، فقال بعض جلساء الندوة : نختبرها فى الاستخارة فإنها لا تحتاج فى أمر التسبيح إلى اختبار.

وألقينا على حبات السبحة سؤالا واحداً خمس مرات فأجابت ثلاثا منها « بنعم » ومرتين « بلا » وخرجنا منها هذا السؤال الواحد متفائلين وغير متفائلين.

وعدنا نسأل : هل فلان موجود معنا فى هذه الحجرة؟...

فظهر سبع مرات أنه غير موجود وظهر ثلاث مرات فقط أنه موجود...

فقال بعض طلاب التحليل وهو يريد أن يبرى حبات السبحة من خطأ الجواب : لعله معنا بالجسد، بعيد عنا بالروح!

قلنا : نسأل عن الماضى فليست نبوءات الاستخبار وقفاً على زمن من الأزمان.

هل طلعت الشمس بالأمس؟

قالت حبات السبحة : « نعم » مرتين وقالت « لا » مرتين.

أتراها تجيب إذن على مذهب الشكوكيين « اللاأدرين ».

قل « نعم » أو قل « لا » على سنة السبحة فى السبحة فى الاستخارة، ولكنك قد وصلت إلى شيء محقق إذا وصلت إلى حقيقة الاستخارة التى يحاول بعض الناس أن « يحققوها » أكثر مما تحتمل من الحقيقة...

وكل ما تحتمله من الحقيقة أنها تسلية وفضول مقبول أو غير مقبول أسرار الغيب المجهول.

obeikandl.com

شموع عيد الميلاد*

شعرنا بالسعادة حين طالعنا رسمكم احتفاءً ببلوغ السبعين... وإنى وإخوانى العرب بهذه الجزيرة نرفع إليكم عظيم تهانينا سائلين لكم دوام الهناء بما لكم من الفضل العظيم.

واسمحوا لنا يا سيدى الأستاذ مع عظيم تقديرنا لكم أن نوجه سؤالا إلى شخصكم الكريم يهمنا الإجابة عليه، لأنه أصبح موضع نزاع بيننا فى هذه العادة - عادة إطفاء الشموع! - هل هى من الإسلام؟ وهل يردها الإسلام أو ينكرها لأنها لا تتناسب مع تعاليمه العالمية؟

السيد الشيخ بن محمد الجنيد
جزيرة فولوفينغ - الملايو

وأقرب من الاستفتاء أن يعود السيد الجنيد إلى المحرمين المحللين ليسألهم! ولماذا يحرم إطفاء الشموع؟ أو إطفاء القناديل؟ أو إطفاء مصابيح الكهرباء؟ أو إطفاء أى نور غير نور الله الذى لاتطفئه الأفواه؟

لماذا؟

ألأنها عادة غربية؟

إنما المحرم من عادات القوم هو العادات الدينية التى تخالف الإسلام، ولكنهم إذا تعودوا مثلا أن يشربوا الشاى فى الساعة الخامسة فلماذا يحرم على المسلم أن يشربه فى هذه الساعة؟ وإذا تعود أناس أن يركبوا الفيلة ولم يتعودها الصحابة فلماذا يحرم ركوبها اليوم على المسلمين؟ وإذا تعودوا أن يكتبوا بريشة المعدن فلماذا تحرمها على اللغة العربية؟

أعدى أعداء الإسلام ياأخانا الجنيد هم أولئك الذين يشوهونه فى نظر العالم ويصورونه لهم ديناً يكظم الأنفاس ويأخذ بالخناق ويمنع لغير مانع ويحرم لغير داع إلى التحريم.

---

* الأخبار ١٩٥٩/٩/١٤

ألف جيمس دون*

إذا قدرنا أن عدد الشبان بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين يبلغون عشرين فى المائة من عدد السكان ففى القاهرة من أبناء هذه السن أربعمائة ألف شاب وشابة.

ومن الإجحاف بالجيل الجديد إذن أن يطلق اسم الجيل الجديد، على تلك الشرذمة من الشباب الرخو الذى يسمى بشباب جيمس دون. لأن هذه الشرذمة لا تزيد فى القاهرة على ألف رقيع ورقيعة وقد تكون أقل من ذلك بكثير، وإنما يظهر لأول وهلة أنها أكثر من هذا التقدير لأنهم يترددون على أمكنة محدودة تلتفت إليها الأنظار فى المنازه والسهرات.

ومثل هذا العدد - بهذه النسبة - قد تكرر وجوده فى العصور الماضية ووردت الإشارة إليه فى تواريخ العرب، وتواريخ اليونان، والرومان، والفرس والهنود، والصينيين، وغاية الفرق بين رقعاء هذا الجيل ورقعاء الأجيال الماضية، أن هؤلاء كانوا يشعرون بعيوبهم ويتهمون أنفسهم، وأن زملاءهم المحدثين يشعرون بعيوبهم ويتهمون المجتمع... لأنه متأخر وهم متقدمون، أو لأنه مسئول وهم غير مسئولين؟

وذنب هذه المفسدة على أولئك اللاغطين بكلمة «التقدمية» بمعنى الفوضى الأخلاقية، أو اللاغطين بالعقد النفسية وهم يعنون أنها بعض جنايات المجتمع على الأفراد.

وكلا القولين سخيف باطل لا سند له من الواقع، ولا من العلم ولا من الأخلاق.

---

* الأخبار ١٩٥٩/٩/١٤

فإن الفوضى الأخلاقية رجوع إلى البهيمية وارتداد إلى ما دون مرتبة الإنسانية، ولاحاجة إلى الفلسفة فى بيان هذه الحقيقة، لأن أمثلة البهائم تحت النظر فى كل مكان.

أما جناية المجتمع فهى كلام فارغ إذا نسى القائلون بها أن المجتمع يصاب كما يصيب، وأنه يكون ضحية الأفراد كما يكون الأفراد من ضحاياه، ولاسبيل إلى إصلاح المجتمع ولا إلى إصلاح الأفراد مع إسقاط المسئولية الفردية. فإن الفرد مسئول أمام مجتمعه ولو من باب القول بأن المجتمع يحق له أن يحمى نفسه ويدافع عن كيانه كما يحق ذلك لجميع الأحياء، وليس المجنون نفسه بمعفى من المسئولية التى تناسبه، لأنه يعتقل فى مستشفى الأمراض العقلية ولا يسمح له بالجنون على هواه، يفعل ما يشاء ويصاب المجتمع بأذاه وهو مكتوف اليدين.

ابحثوا عن التقدميين الذين يتخذون البهائم مثلا أعلى للحياة.

ابحثوا عن المصابين بالعقد النفسية الذين يفهمون أن العقد النفسية براءة للأفراد وإدانة للأمة، لأنهم هم المرضى الذين يتصدون لعمل الأطباء.

واحتقروا هؤلاء وهؤلاء، فإن الاحتقار هو «مصل الحقارة» الذى يشفيها فى كل زمان، وأول أثر من آثار الاحتقار أن يدل الخارجين على آداب الإنسانية أن هذه الإنسانية شىء له وجود.

الحـروف الضيقة*

كان اسم يوم الخميس مسوغاً لسؤالى فى عـرض الـطريق عـن العـلاقةبينه وبين كلمة « الخميس » بمعنى الجيش.

كان ثلاثة من الشبان يتكلمون على مـا يـظهر عــن الجيش والمعـارض العسكرية، ويخطر لأحدهم أن يـوم الخميس فى الماضى كان يـومًا مــن أيـام العروض أو الحركة لابتداء الدفاع والهجوم قبل يـوم الجمعـة، ومـن هنـا كان إطلاق الكلمة على الجيش.

وتقدم المتجادلون إلىّ على غير معـرفة ليسـألون رأيـى فى تعليلــه، ثم ليستطردوا منه إلى أسئلة أخرى دعاهم إليها الجواب.

لاعلاقة بين اسم اليوم واسم الجيش إلاعلاقة الصلة فى كليهما برقم (٥).

فالخميس هو اليوم الخامس من الأسبوع، والخميس يطلق على الجيش لأنـه كان يتألف من خمس فرق، وهى القلب والميمنة والميسرة والمقدمة والمؤخرة.

قالوا : ولماذا كان ابتداء الأيام بيوم الأحد، وكان خامسها مـن أجـل ذلك يوم الخميس.

والسؤال - فى محله - لأنه لا موجب لا بتداء الأسبوع بيوم معـين، إن لم يكن له سبب مقصود.

والسبب هنا أن الأقدمين أرادوا أن يبـدءوا الأسبوع بيـوم الشـمس، وأن يكون اليوم الثانى للقمر، وهو فى ظنهم أكبر الكواكب بعد الشمس، وجاء يـوم المشترى خامساً ويوم الزهرة سادساً ويوم زحل، سابعاً، لأنه أبعـد الـكواكب فى

---

* الأخبار ١٦/٧/١٩٥٦

المنظومة الشمسية. أما اليومان الأخران وهما يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، فأولهما للمريخ والثانى لعطارد، وبذلك تم السبعة أيام.

ولايزال الغربيون يسمون يوم الأحد يوم الشمس Sunday ويوم الإثنين يوم القمر Monday إلى آخر الأيام على الترتيب المتقدم.

ولعلى بهذه الكلمة - فى يوم الخميس هذا - قد «وفرت» سبعة أسئلة على المتجادلين فى الطريق.

البداجوجية :

الأستاذ زكى المهندس قطب من أقطاب التربية والتعليم فى بلادنا المصرية، ومن تلاميذه الفضلاء نخبة يعلمون الناشئين اليوم فى المدارس الابتدائية والمدارس الثانوية، وبعضهم يعلم الطلاب الكبار فى معهد دار العلوم الذى كان الأستاذ الكبير مديراً له إلى وقت قريب.

فإذا كان لعلم التربية من يغار عليه ويدفع المظنة عنه، فليس أحق بهذه الغيرة من معلم المعلمين ومربى المربين.

وقد اعتقد الأستاذ الكبير أننا ننحى على علم التربية فى حديثنا عن مشكلات الجيل الحاضر، حين أنحينا على المذللين المدللين فى تعليم الناشئة، وقلنا إنهم يضرونهم أكبر الضرر بما يوقعونه فى روعهم من الإحجام عن مصاعب الحياة، وأولها مصاعب التعليم.

ونحن فى الواقع لم نذكر علم التربية على لساننا فى ذلك الحديث، وإنه لبرىء عندنا من تبعة التذليل والتدليل براءته فى رأى الأستاذ الكبير.

وإنما ذكرنا مناهج (البداجوجية) كما يتصورها بعض المشتغلين بالتدريس، وقلنا إن التدريس النافع لايلقى فى روع المتعلم صورة الحياة تناقضها وتثنيه عن اقتحام عقباتها. . . وتناقض الحياة ولاشك كل صورة تخليها من العقبات.

ونحن مع هذا نحمد للمعلم أن يرفع كل عقبة يستطيع أن يرفعها من طريق تلميذه، وأن يزيل من دروسه كل صعوبة يمكن أن تزال، ولكنه يجرد تلميذه من عدة الحياة الأولى إذا أوحى إليه أن إزالة المصاعب عمل يتولاه المعلم وحده ولايشترك فيه المتعلمون بنصيب يتجدد فى مراحل الدراسة.

والأستاذ المهندس - كما نعلم - لايكف عن العمل على تيسير علم اللغة نحواً ورسماً واصطلاحاً تجرى به اللغة العربية فى أشواط اللغات الحية، ولكنه لم يرد قط بهذا التيسير أن يستكثر المتعلم صعوبة من الصعوبات الضرورية على اللغة التى تجعله إنساناً ناطقاً يفكر ويدرك الأفكار، فإنه ليصبر على الشدائد طوعاً أو قسراً فيما هو دون ذلك، فلا أقل من الصبر عليها فى صناعة النطق والتعبير: صناعة الإنسان.

إن اللاعب يتصبب عرقاً وهو يمارس الألعاب الرياضية، ويلهث وهو يعدو فى الظهيرة إلى غير مطلب، ولكنه فى الحقيقة يعدو وراء أكبر المطالب وأنفعها وهو تدريب جسمه على النشاط وخفة الحركة.

أما « البداجوجية » المذللة المدللة - والمضللة أيضاً - فهى لا تبلغ به مبلغ اللعب السليم فضلا عن الجد السليم، لأنها لا تكلف عقله أن « يعرق » مرة فى مثل تلك الرياضة، ولابد للعقول من رياضة كرياضة الأبدان.

هذه البداجواجية، هى التى أنحينا عليها ولم يرد فى كلامنا ذكر لعلم التربية الذى لا ينفصل فى رأينا عن علم الأخلاق وعلم السلوك وعلم النفس وفن الرياضة بأنواعها، ومنها رياضة الروح.

وسنعود إلى هذا الموضوع حين نعود إلى الكلام على آفة التذليل والتدليل - والتضليل - فى دعوات العصر الحديث، وما كانت فنون التعليم لتسلم منها وهى أعم وأقرب من أن تبقى بمعزل عن آفة تشمل العصر وما فيه . . .

الخمسون والخماسين*

يوم من أيام الخماسين:

وأيام الخماسين كما يدل عليها اسمها هى الأيام الخمسون التى نفتتح بها فى مصر موسم الربيع، ونتلقى فيها هوج الصحراء ولفحات الرمال بعد نهاية الشتاء.

ولكنها فى هذه السنة عادت بعد موعدها بثلاثة أشهر، وعادت لسبب غير الذى يعيدها فى كل عام.

أما السبب المشترك الأعظم لجميع العوارض الجوية فى زماننا هذا فهو التجارب الذرية...

وأما السبب العلمى الذى أعلنه خبراء الأرصاد عندنا فهو «ربوة جوية» إعترضت طريق الرياح المنداة حول البحر الأسود فحالت دون وصولها إلى بلادنا لتلطيف هواء الصيف عندنا، كما كانت تفعل من قبل وستفعل من بعد فى الأعوام الأخرى.

وكيفما كان الاختلاف على السبب فلا اختلاف فى أمرين:

أولها هذه الآية القديمة الحديثة على «تضامن» العالم الذى نعيش فيه.. فنحن لا نتنسم أنفاس الهواء بين جدران بيوتنا إلا شعرنا بعوارض الجو على مسافة ألوف الأميال.

والأمر الآخر أن الشر المحض لا وجود له فى عالمنا المزدحم بالشرور. فقد قيل لنا إن هذا القيظ اللافح الذى ضاقت به صدورنا قد أنقذ محصول القطن من آفاته.

---

* الأخبار ١٩٥٦/٧/٣٠

فالحمد لله بالنيابة عن أصحاب المحصول القطنى وبالأصالة عن أنفسنا، لأننا - بالمحصول القطنى أو بغيره - مصريون.

إغراء السيارات :

كنت أشترك فى تحرير « البلاغ » يوم انفردت بالدفاع عن زعيم مصر الخالد سعد زغلول.

وكانت هذه الصحيفة قبلة طلاب الإعلانات لأنها كانت أوسع الصحف إنتشاراً وأحبها إلى القراء.

ولم تكن فى مصر يومئذ شركات للإعلانات على مثال الشركات التى تنشئها الصحف الآن، أو ينشئها المساهمون ويتفقون مع الصحف على نشر إعلاناتهم فيها .

فكان يكفى لنشر الإعلان أن يكتبه صاحب الصحيفة أو محرر من محرريها المسئولين ليشغل ما يراد له من مكان بين صفحاتها المختارة.

فى تلك الأيام كان وكلاء شركات السيارات يعرضون علينا أفخر سياراتهم بنصف ثمنها منجماً على أقساط لا يزيد القسط الشهرى منها على أجور الترام، ويكفى لسداد النصف الآخر أن ينشر به إعلان متكرر يشغل حيزاً من الفراغ.

ولم يكن هذا الثمن الرخيص للسيارات الغالية من المغريات لى على اقتنائها، لأن السيارات بجميع أشكالها لم تكن عندى ذات إغراء.

كان هذا فى إبان الشباب.

ولكننى عدت فاقتنيت السيارة الخاصة وأنا عضو بمجلس الشيوخ، واشتريتها ولم تتغير نظرتى إليها، لأنها ظلت كما كانت ولا إغراء فيها «للشيخ المحترم» الذى جاوز الأربعين.

إنما اشتريتها حياء من الزملاء الذين كانوا يعرضون عليّ اصطحابهم فى طريقهم إلى مصر الجديدة، وكانوا يحسبوننى أمشى «لقلة السيارات..» ولا يعلمون أننى أغتنم فرصة المشى ساعات فى النهار ومنها فرصة المشى من مجلس الشيوخ إلى محطة الترام بشارع عماد الدين أو ميدان باب الحديد.

وبالأمس مضى على تاريخى مع السيارات أو على تاريخ السيارات معى عشر سنوات.

وبالأمس حمدت الله وتنفست الصعداء لأننى «خلصت» منها بعد صبر طويل.

إذا سئلت نصيحة ممن ينتفع بالنصيحة فخلاصتها فى بضعة أسطر: أن الذى يقتنى سيارة خاصة ينبغى أن يكون على علم بإدارتها وبالإصلاح العاجل لخللها، وإلا جارت على وقته وحريته وماله، ولم تنفعه فى ألزم ما تلزم له السيارات الخاصة، وهو الوقت والراحة.

العسل والبصل:

يسألنى قارئ من قرائى بالتليفون عن معنى شهر العسل، لأنه سمع بالأمس حواراً فى أحاديث الإذاعة ترك فيه هذا السؤال بغير جواب.

والسيد القارئ يعلم ولا شك أن الكلمة منقولة من اللغات الأوربية، وأننا تصرفنا فيها بعد نقلها حين قال المتهكمون منا أن شهر العسل يتلوه شهر البصل أو شهور البصل... إذا طالت شهور الزواج.

أما أصل التسمية عند الأوربيين فهو اعتقادهم قديماً أن تعاطى العسل نافع فى بواكير الزواج، فكانوا يشربونه مخففاً بالماء ويعالجونه بالأبازير التى توافق مذاقه كالقرنفل والزنجبيل.

وقد أراد السفاح «آتيلا» أن يستكثر من الخير فشربه صرفا وأفرط فى المقدار، فمات.

وقد يشبه هذا الاستكثار من الخير أن مرشحاً للنيابة طاف بين القرى لزيارة ناخبيه، وأراد أحدهم أن يبالغ فى إكرامه أو يبالغ فى مباراة الكرم بينه وبين أبناء قريته، فصب للمرشح المسكين كوباً من قارورة الشربات الغليظة وأقسم ليجرعنها صرفاً بغير ماء... ولم ينقذ الرجل من مصير كمصير « آتيلا » إلا الطبيب الذى أسعفه قبل المصاب، وزعم لصاحب الدار أن المرشح يشكو داء السكر فلا طاقة له بتناول الحلوى بأى مقدار.

وبعد،فنحن لا نحب أن ندع التعقيب على شهر العسل « بشهر البصل » موكولا إلى سجعة يراد بها التهكم أو يراد بها التشاؤم بعد المقارنة بين الشهر المرغوب فيه والشهور المرغوب عنها.

فحبذا شهور « البصل » فى بيت الزوجية، فإنها عنوان لبيت عامر « المطبخ » موفور الصحة والعافية، مشهود فيه للبصل بشهرة لا تقل عن شهرة العسل فى بابه... حتى فى عرف آبائنا الأقدمين.

مواعيد الصحف*

« أمسى » عندنا فى هذا الأسبوع صحيفتان مسائيتان، بعد أن كانت الصحف اليومية كلها صباحية إلى زمن قريب.

ويبدو لمن حضروا الصحف فى هذه السنوات ولم يحضروا الصحف التى سبقتها أن الصحيفتين المسائيتين بدعة فى مواعيد الصدور، ولكنهما فى الواقع تصدران فى الموعد الذى كان موعداً « تقليديًّا » لجميع الصحف اليومية عند نشأتها فى بلادنا، ثم جاءت البدعة من تراجع الصحف ساعة بعد ساعة من المساء إلى الصباح، تسابقاً بينها إلى التقدم فى مطالعة القراء.

وليست رغبة الصحفيين فى التسابق هى التى قدمت موعد الصحف من ساعة الأصيل إلى ساعة الصباح الباكر أو قبل الصباح إذا نظرنا إلى موعد الفراغ من الطبع.

وإنما أمكن التغيير لأنه جاء بعد تغيير واسع فى أحوال الأمة وحكومتها وأحوال الصحف وموضوعاتها، وفى مقدمتها التغيير فى علاقة الأمة بالدواوين

كانت الصحف تنتظر المخبرين العائدين من الدواوين، لأن أخبار الأوامر الرسمية وتنقلات الموظفين كانت يومئذ أهم الأخبار التى يترقبها القراء، ومعظمهم موظفون أو عمد فى الأقاليم تتوقف مراكزهم على علاقتهم بسعادتلو المدير، ورفعتلو المأمور، وحميتلو المعاون أو الملاحظ أو المفتش « بالمرور ».

وكانت « للمقطم » مزية فى هذا الباب يسرت له أن يتقدم الصحف ساعة أو بعض ساعة، لاتصاله بالمستشارين والمفتشين الإنجليز، وهم مرجع الأوامر والأخبار.

ثم تراجع بعض الصحف إلى موعد قبل موعد المقطم، لأن أخبار الدواوين هبطت من مكانها الأول إلى المكان الثانى والثالث بعد أخبار الحركة الوطنية

* الأحرار ١٥/١٠/١٩٥٦.

obeikandi.com

وأخبار الحوادث العالمية.

واستطاعت الصحف فى أثناء ذلك أن تعمل بالكهرباء أو على ضوء الكهرباء، ولم يكن ذلك مستطاعاً عند نشأتها فى أواخر القرن الماضى، فتمكن بعضها من إنجاز التحرير والطبع والتوزيع فى الساعات الباكرة من الصباح.

ولا نزال نذكر موزع « المؤيد » وهو يطوف على حماره بين الأحياء الوطنية وإلى جانبيه مقطفان مملوءان بالنسخ المغلفة للمشتركين.. يعرفها بعلاماتها عنده ولا يعرفها بكلمات العنوان وقلما كان يصل إلى المشتركين بحى السيدة زينب أو العباسية قبل العشاء.

ما من تغيير فى شأن من الشئون العامة يحدث لسبب واحد، ولا بد من أسباب شتى وراء كل تغيير.

ويطرد هذا فى تسمية الصحف كما يطرد فى مواعيدها وأخبارها ، فلا نذكر اسماً واحداً بين أسماء الصحف التى أدركناها لم يكن له معناه كما تقتضيه أحوال ذلك الزمان.

صدرت الأهرام باسم الأثر التاريخى العريق لمقاومة السيطرة الإنجليزية دفاعاً عن الدولة العثمانية والمصالح الأخرى، فجاء المقطم باسم جبل « أرسخ » من الأهرام ليقرر فى الأذهان مبلغ ثبات الاحتلال.

وسمى الشيخ على يوسف صحيفته باسم المؤيد لأنه لسان حال العالم الإسلامى، والمؤيد اسم مسجد مشهور فسمى مصطفى كامل صحيفته باسم « اللواء » لأنه شعار الحركة الوطنية.

وكانت لإخواننا القبط صحيفة باسم « الوطن » فظهرت الصحيفة المنافسة لها باسم مصر لتكون كالوطن أو أقوى منه فى الدلالة عليه.

ولما أراد الأستاذ محمد أبو شادى المحامى أن ينافس المؤيد واللواء معاً سمى صحيفته باسم « الظاهر » إشارة إلى المسجد الذى اغتصبه الاحتلال فى حيه المعروف.

ولو رجعنا إلى أسماء الصحف اليومية التى تصدر فى هذه الآونة وجدنا بينها وبين ظروفها مشابهة تطابق مقتضى الحال كما يقول البلاغيون، ولكننا نعود فنقول إن الفضل للتقدم على كل حال.

المواعيد :

ماذا ترى أيها القارئ فيمن تواعده أن تراه عند الساعة الخامسة فيأتى إليك قبل الساعة الرابعة ؟

إن كان رأيك كرأيى فهذا التبكير ساعة شر من التأخير ساعة أو ساعتين. لأن الزائر المبكر قد يجدك مشغولا أو نائماً أو على غير استعداد لمقابلة الزوار.

وأما الزائر الذى يأتى بعد الموعد فقد يأتى ولا يجدك فى مكان المقابلة، أو يأتى وقد تهيأت للمقابلات والأعمال.

لكننا نعتقد أن الزائر المبكر على خلاف رأيى ورأيك فى هذا التقدير، لأنه على الأغلب الأعم يقدر أنه جاملك وبالغ فى إرضائك، وجاد عليك بساعة من عنده بدلا من تكليفك مشقة الانتظار.

وبيننا ألوف يرون أنهم فى حل من مخالفتك مادا موا يزيدونك على طلبك.

ومن هؤلاء الألوف هذا العامل الذى طلبت منه أن يكتفى بإصلاح حجرة الاستقبال ولا يقترب من حجرة المكتب.

فلما عدت إلى المنزل وجدته « يصلح » حجرة المكتب ويحرمنى الوقت الذى عدت من أجله لإتمام عملى الضرورى فى وقته المطلوب، وهو يظن أننى قد غضبت لأمر يستحق من أجله مزيداً من المكافأة والثناء.

ومثل هذا العامل ألوف يظنون أنهم يكرمونك إذا كذبوك مرة بعد مرة وأنت تعتذر من قبول مايقترحونه عليك من المشروب أو المأكول فى أوان أو غير أوان، لأنهم يعطونك شيئاً – سبحان الله – فكيف لا يحق لهم أن يكذبوك

ويرغمونك ولا يكترثوا بما تقول أو لا يصدقوا إنك تعنى ما تقول.

الكلمة !

الوقت !!

علامتان صادقتان نعرف منهما مدارك الأمم وأخلاقها من أيام معدودات.

ولا أفهم أننا قد نجونا حقًّا من عقابيل الماضى مادامت الكلمة عندنا لا تعنى شيئاً ومادام الوقت عندنا بغير حساب.

غلطة مطبعية :

ماذا تصنع الغلطة المطبعية فى حرف واحد ؟

تصنع الكثير. . .

ومن هذا الكثير أننى كتبت مقالا بمجلة الصحراء عن طبعات الكتب الرخيصة فخرجت من يد الصفاف طبقات بالقاف بدلا من العين.

واطلع على المقال السيد أحمد حسين عبد الله البراد الميكانيكى فكتب إلى « آخر ساعة » تعليقاً يقول فيه : إننى أعمل بمهنة براد ميكانيكى، وأفخر بمهنتى كل الفخر، ولكننى آسف لذكرها إذ أن الأستاذ العقاد سيعلم أننى من هذه الطبقة التى يسميها بالرخيصة ولم أذكر مهنتى إلاخوفاً من أن يكون بما كتبته ضعف فينسب إلى الأدباء. . ».

وكل هذا من جراء غلطة مطبعية.

إلا أننى أظلم الغلطة المطبعية إذا اتهمتها وحدها بالسبب كله. فإن السيد البراد كان يستطيع أن يفهم أننا نتكلم عن الطبقات التى تصدرها دور النشر، وهى - أى دور النشر- تصدر الكتب ولا تصدر الآدميين من هذه الطبقة أو سواها.

ولقد قلنا إننا لا نقبل تسمية هذه الطبعات بالطبعات الشعبية لأنها رخيصة الثمن. إذ العبرة بموضوع الكتاب لا بالثمن الذى يبذل فيه.

وقلنا إن أدباء مصر ليس فيهم أكثر من واحد بين كل خمسين ينتسب إلى طبقة « الذوات » أو النبلاء، وأن الأدباء الآخرين من الشعب وإليه.

والذى يقول هذا الكلام لا يمكن أن يُفهم من كلامه أنه يترفع عن طبقات الشعب لأنه من الأدباء الخمسين وليس بالواحد الذى يدخل فى الاستثناء.

ومرة أخرى نقول إن الذين يهينون « الشعب » هم الذين يقررون أن الجهل صفة ملازمة له أو حق من حقوقه، ولايخاطبونه فى الحاضر والمستقبل إلا بما يخاطب به الجهلاء.

هؤلاء هم أعداء الشعب:

أما الذين يعلمون أن الشعب يشمل العارف والجاهل والذكى والمحروم من الذكاء فلا يرميهم بعداوة الشعب إلا عدو نفسه.

obeikandl.com

في السجن*

قصة السجين الذى أحال السجن إلى «غرزة» حشيش ينبغى أن تؤخذ على حذر شديد.

ولا نريد بالحذر الشديد أنها مكذوبة لا تحدث فى السجون، فقد حدث هذا وأغرب من هذا يوم كنا فى السجن وعرفناه وخبرناه، وكان أول هذه «المعروفات» التى وقعت لنا فى صباح اليوم الأول تهريب «الولعة» التى هى ألزم من الحشيش والتبغ وأصعب فى التهريب، ثم عرفنا كيف يتفننون فى التهريب حتى بلغوا من إتقان هذه الصناعة أن يدخلوا إلى «الزنازين» أخطر الممنوعات فى ذلك الحين وفى كل حين، وهو الكوكايين وأبوه الأفيون.

وكانت قيود السجون فى ذلك الحين - سنة ١٩٣٠ - على أشد ما تكون فى بلد من البلدان، يكاد يحصى السجانون على نزلائهم خطوات الذهاب والإياب فى الحجرات الموصدة، ودع عنك الأقبية والحيشان.

ونبادر إلى التذكير بهذه الوقائع لأننا لا نحب أن يقال - كما قيل فعلا - إن قصة الحشيش فى داخل السجن، إحدى البوادر التى تخاف عقابها بعد رفع القيود الثقيلة عن السجناء، فإننا على خلاف رأى القائلين بذلك نعتقد أن رفع القيود يخفف من أمثال هذه الفلتات ولا يزيد منها، أو هو على الأقل لا يخفف ولا يزيد.

ولا نعلم أن أحداً من المدخنين أقلع عن عادة التدخين داخل السجن حذراً من عقوباته وقيوده، بل نعلم أن التبغ قد ارتفع ثمنه من جراء هذه العقوبات والقيود، فوصل ثمن «الزمارة» إلى زرارين.. والزمارة هى السيجارة

---

* الأخبار ١٩٥٦/٨/٢٠.

والزرار هو القطعة ذات القرشين فى مصطلحات السجناء.

وكاتب هذه السطور كان واسطة من وسائط التهريب الخطير، إذا جاز أن نطلق التهريب على كل نقل مقصود أو غير مقصود ولأنواع الممنوعات.

كانت شكواى الكبرى برد الحجرة التى لا تدخلها الشمس ولا تقع فيها القدم على غير « الأسفلت » فى الشتاء ووصف لى الطبيب جرعة « طود » للتدفئة بمقدار فنجال أو فنجالين عند اللزوم.

وكان إلى جانبى تاجر من « الحمايات » أو - بعبارة أخرى - من الذين صدر الحكم عليهم من المحاكم المختلطة فى قضايا « التفليسات » .. فتوسل إلىّ أن أعيره قليلا من الدواء «المدفئ» ، وأعرته الزجاجة يضع منها فى كوزه ما يشاء، ولا إناء للشرب فى حجرات السجن غير الكوز.

ولم يقنع صاحبنا بأقل من ملء الكوز كله، ولعله استطاب أثر الجرعة الأولى والثانية، فأتى على الكوز بما فيه.

لم أكن أتعاطى من هذا الدواء غير فنجال أو فنجالين على الأكثر، فلم أعرف أنه يشتمل على « الكحول » لأن مذاق الأخلاط الأخرى غالب عليه.

ولكننى علمت فى تلك الليلة أن قوام الدواء مادة « الكونياك » الأصيل، وأن صاحبنا قد شرب فى خمس دقائق ما يساوى نصف زجاجة بغير أخلاط، وكان بعيد عهد بالشرب فدار رأسه وإنطلق يهذى هذيان المخمورين فى صياح شديد أقلق السجن وحراسه وجاء بالضابط صاحب النوبة فى حجرته، فأدهشه أن يعلم أن الرجل سكران، وأدهشه فوق ذلك أن يستطاع تهريب الخمر إلى الزنازين لأنها أصعب تهريباً من المساحيق والسجائر وكل ما لا يحمل - كما تحمل السوائل - فى وعاء.

ويظهر أننى كنت موعوداً بالاشتراك فى تهريب أخطر الممنوعات جميعاً فى تاريخ السجون، لأننى اشتركت بعد يوم واحد فى تهريب « الولعة »... وقد

تقدم أنها أصعب تهريباً من الحشيش والتبغ ومن الكوكايين والأفيون.

جاءنى السجين الموكل بخدمة العنبر صباح الليلة الأولى فسألنى : هل نمت مستريحاً ؟

قلت : نعم بحمدالله ؟

فقال متعجباً : كيف ذلك ؟ إنه لأمر غريب !

وحسبت أنه يستغرب صبرى على المعيشة الجديدة التى قل أن يصبر عليها أحد عند الصدمة الأولى، وقلت له إن توطين النفس على الأمر الواقع خير من القلق والتفكير فيما لا يفيد.

قال : هو كذلك... ولكننى أعرف أنك رجل عاقل لا تحتاج - مثلنا - إلى وعظ الوعاظ، وإنما عنيت الأكلان... فهل استطعت أن تنام مع هذا البق والبراغيث وأنواع الحشرات التى تملأ الزنازين؟

فذعرت من هذا النذير المخيف، وأسرعت قائلا : إننى لم أشعر بأثر لتلك الحشرات، ولو كانت فى الزنزانة حشرة واحدة منها لما استطعت أن أغفو لحظة واحدة، لأننى لا أستغرق فى النوم.

فهز رأسه متشككاً وقال : لعله لم «يشم نفس» الناس بعد... ولعله سيظهر بعد الليلة الأولى، فبادره قبل أن يملأ عليك الأرض والحيطان فلا تجدى فيه الحيلة.

قلت : وكيف أبادره ؟

قال : بالبريموس !

قلت : وأى بريموس.

قال : وابور الجاز الذى نستخدمه عادة فى حرق الأسرة الحديدية وما إليها، فيقتل الحشرات جميعاً قبل أن تبيض وتفرخ وتنتشر على الأرض والحيطان.

وطلبت البريموس من الجاويش فأجاب الطلب ومضى لشأنه.

وبعد دقائق حانت فترة الراحة فى الظهيرة فامتلأ السجن بالدخان، وخيل إلينا أنها حريقة لولا رائحة التبغ تفوح من كل مكان.

ماذا حدث؟

حدث أن السجين الخبيث أشعل التليفون من نار البريموس، وتلقاه السجناء فى الحجرات بعد حرمان طويل، فاغتنموا الفرصة وأحرقوا كل ما عندهم من «الزمامير» المحجوزة بغير عمل... فى انتظار عيدان الثقاب.

ولا ينزعجن القارئ فيحسب أن التليفون هو التليفون المعهود، فإنما هو اصطلاح آخر من اصطلاحات السجن يطلقونه على الخيط الذى يخرجونه من البطاطين ويلفونه كما تلف بكرة الخيط، ثم يتلقاه السجناء فى كل حجرة على ذراع واحد منهم بعد تعريضه للنار.

ولقد علمت بعد ذلك كثيراً من ضروب الحيل التى يحتال بها السجناء وعملاؤهم خارج السجن على التهريب، فوقر فى اعتقادى أن الحجر الشديد لا يمنع فساداً محظوراً ولكنه يزيد فساداً جديداً على فساد قديم.

وخطر لى من أجل ذلك أن الحرية هى العلاج الوحيد لآفات السجن والسجناء، وأن إباحة الممنوعات هى وسيلة القضاء عليها، بشريطة واحدة، وهى أن تكون الإباحة مكافأة على الاستقامة، فيباح كل ما يبيحه القانون على أن يكون امتيازاً لمن يحترمون القانون.

ولا حاجة إلى تجربة جديدة للقيود الثقيلة المشددة، فإنها جربت بما فيه الكفاية وفوق الكفاية، وبقيت تجربة أخرى نرجو أن تفيد، وهى تجربة التخفيف والتحرير، بعد التقييد والتشديد.

التزييف.. والذكاء*

عصابة أخرى من عصابات التزييف يعتقلها رجال الأمن وهى تروج القطع الصغيرة من ذات القرش وذات القرشين.

فطنة خبيثة تلاحظ فى هذه الطغمة من المجرمين، لأن التزييف عمل أدق من أعمال كثيرة يستطيعها هؤلاء المجرمون ولا خطر فيها عليهم، ولأن اختيار القطعة ذات القرش أو ذات القرشين ضرب آخر من ضروب المهارة فى هؤلاء الخبثاء لأنهم يقدرون أن الناس لا يدققون فى نقد العملة الصغيرة كما يدققون فى نقد العملة الكبيرة.

لا بد من موافقة خفية بين بعض الجرائم وبين طبائع بعض المجرمين تغريهم بتفضيلها على الأعمال المباحة التى لا تكلفهم شيئاً من الدقة الفنية ولا من الفطنة الخبيثة!

وأحسب أن هؤلاء المجرمين يستطيبون جريمة التزييف لأنها توافق غرورهم بالذكاء وشعورهم بالقدرة على خداع ضحاياهم الذين يصفونهم بالغفلة ويعجبون لامتيازهم عليهم بيسرة الأرزاق.

وربما كان من أسباب الموافقة بين الجريمة وطبائعهم فقدان التعاطف الطبيعى بينهم وبين الناس، فهم يستريحون إلى العمل فى جو التآمر والتواطؤ والخفاء. ولا يستريحون إلى التعامل فى جو التبادل الصريح.

داؤهم نقص فى العاطفة وزيادة فى الغرور وحاجة إلى «لعبة» من لعب المجازفة يشعرون فيها بذكائهم وبالقدرة على الغلبة بهذا الذكاء.

---

* الأخبار ١٩٥٦/٩/٧.

تغيير عواطفك وتصرفاتك بالتيار الكهربائى*

بعض الصحف عندنا يمثلنا للناس كأننا نعيش فى زاوية منعزلة عن العالم تبلغها أخباره بعد أعوام، وتذاع فيها كشوفه العلمية كأنها من أنباء البرق العاجلة، وهى مما بحثه العلماء وأطالوا البحث فيه سنوات.

ومن أمثلة هذه الكشوف «البرقية» إن العالم الأمريكى جوزى دجادو يشتغل فى تغيير عواطف الإنسان وتصرفاته بواسطة تسليط التيارات الكهربائية الخفيفة على «مخ الإنسان».

والخبر على هذه الصورة «أولا» غير صحيح. لأن دجادو يصرح بلسانه وقلمه فى الصحف أن عواطف الإنسان وخلائقه لا تسيطر عليها التيارات الكهربائية، وكل ما يستطاع بتلك التيارات أن نسلطها على الإنسان فتصدر عنه بعض الأعمال «التلقائية» غير الإرادية، ومنها ما يشترك فيه الحيوان كالنشاط والإفاقة والميل إلى النعاس والتنبيه للمؤثرات.

ومثل هذا قد أمكن الوصول إليه بتسليط التيار الكهربائى على الأيدى والأقدام منذ أكثر من جيل.

بل مثل هذا يستطاع بتسليط ماء الرشاش على الدماغ، أو بتسليط تيار الهواء من النافذة على الجسد كله، أو بتسليط رائحة قوية على الأنف، أو تدليك الجلد بالطيب.

أما «ثانيًا» فالخبر ليس من أخبار البرق ولا من أخبار الشهر ولا من أخبار العام، وتظهر هذه الحقيقة بكلمات قليلة ننقلها من كتابنا عن القرن العشرين الذى أعددناه قبل سنتين وصدر قبل شهور، وفى تلك الكلمات نقول

---

* الأخبار ١٩٥٩/٨/٣١.

بعد مناقشة الباحثين فى تسليط الأشعة على دماغ الإنسان : «إننا لا نريد أن نسبق السنوات فضلا عن الأجيال والقرون، ولكننا نستبعد منذ الآن أن يجىء اليوم الذى يستطاع فيه تكييف المخ بالأشعة المرسلة إليه من الخارج، ليعرف لغة من اللغات، أو قضية من قضايا الفلسفة... أو ليكسب ملكة من ملكات النظم والتصوير والتمثيل وما نحا نحوها من الفنون، وغاية ما يستطاع على ما نعتقد أن ينجح الباحثون فى تسجيل إشعاع المخ بالرسوم الكهربية وإدراك دلالتها على نشاط المخ أو كسله وعلى رجحانه أو نقصه، وربما نجحوا كذلك فى تنشيطه وتنبيه قدرته وحضه على عمله..».

وذلك شبيه بما صرح به الأستاذ دلجادو للصحف والمجلات منذ أسبوعين قبل أن ينشر على الناس كأنه خبر من أخبار البرق أو فتح من فتوح الإختراع.

إن الترويج الصحفى عمل له حدوده، ومن حدوده المفهومة بالبداهة أن يتورع عن حقائق العلم وحقائق الإنسانية الكبرى، وأن يلطف بنا فلا يقذفنا سنوات وأجيالا وراء ركب الحضارة ومنزلة العقلاء.

لجام الناس... والمهماز!

«... ذلك أنى لا أعرف كيف أفرق بين العقل والذكاء. فقد نجد شخصاً متمتعاً بكامل قواه العقلية ولكن ملكات الذكاء عنده تحت المستوى العادى، فعلى الرغم من أن تصرفاته غاية فى الاتزان، فإننا نجده إما ضعيف الذاكرة أو ضعيف الملاحظة... أما الأشخاص الأذكياء غير العقلاء فمنهم كثيرون أعرف منهم نابليون وهتلر ومخترعى القنبلة الذرية والهيدروجينية وباقى آلات الدمار، وخلاصة القول هنا أيضاً أننى أريد أن أعرف ما هو الفرق بين العقل والذكاء وما هى أوجه الشبه بينهما».

عبد الله طه محمود

كلية الهندسة - القاهرة

والطالب الأديب قد يرى معنى أن التشبيه بالمحسوسات أقرب إلى الفهم والإدراك من تلك التقسيمات التى تقيم لنا الخطوط والفواصل فى داخل العقل بين الذاكرة والخيال والفكر والبديهة وغيرها وغيرها من الأسماء التى لا تبصر مسمياتها بالأعين ولا نحدها بالأفكار.

الفرق بين العقل والذكاء مسألة ضابط وسرعة أو هى بالعرف الشائع مسألة « فرملة وفتيس ».

إذا كان العقل كالبارجة المتينة، فالذكاء كالطرادة الخفيفة التى تسرع إلى غرضها وقد تسرع كذلك إلى الهلاك والبوار.

وإذا كان العقل كالدبابة الضخمة، فالذكاء كالدراجة المتعجلة، تطير بلمسة من القدم وتسبق الدبابة فى أشواطها البعيدة، ولكنها لا تثبت ثباتها ولا تقاوم مقاومتها.

وقد يجمع العقل بين المتانة والسرعة، وهو العقل النادر بين أصحاب العقول، ولكن الغالب بين الناس أن يكونوا على مثال التلميذين اللذين وصفهما أفلاطون فقال إن أحدهما يحتاج إلى لجام والآخر يحتاج إلى مهماز، وقد يمضيان بعد ذلك على سواء.

لماذا أقرأ؟

١ - كيف ترتب كتبك؟

٢ - ما هى غايتك من القراءة؟

٣ - نسمع عن نظام « ديوى العشرى » فى ترتيب المكتبات فما هى هذه الطريقة؟

يوسف شهدى

القاهرة

obeikandl.com

هذه أسئلة ملخصة من رسالة مطولة نوجز الإجابة عنها بترتيبها.

١ - إننى أرتب كتبى «أولا» إلى قسمين: قسم الكتب العربية، وقسم الكتب الأجنبية.

وكنت فى أول عهدى باقتناء المكتبة أفرق الكتب على حسب الموضوعات، مع استثناء بعض المؤلفات التى يهمنى أن أقرأ لمؤلفيها كل ما وصلت إليه فإننى أحجز لكل كاتب من هذا الطراز قسمه الخاص به على اختلاف الموضوعات التى يطرقها، وقد يكون منها الديوان والقصة والبحث الفلسفى والترجمة التاريخية، فلاسبيل إلى الفصل بينها على حسب موضوعاتها.

ولم أغير هذه الطريقة وفى المسكن متسع لزيادة الصوانات والرفوف وتخصيص كل منها بعنوانه وموضوعه، فلما ضاق المسكن بما إحتواه أصبح الحكم للموضع لا للموضوع، وأصبح الكتاب الجديد يقتحم مكانه حيثما أتفق ودخل الشعر مع التاريخ مع اللغة والدين، وإختلطت القصة بالفلسفة والعلوم، فلا أهتدى إلى مكانها إلا إذا تذكرت تاريخ ظهورها وشرائها وتاريخ الأمكنة الخالية قبلها.

وطالت الحيرة مع هذا الاختلاط والازدحام. وزاد فى هذه الحيرة أن نقل الكتب إلى مسكن آخر أصعب من بقائها على هذه الفوضى فى مواضعها وكان يحدث فى خلال تلك الفوضى أن أشترى الكتاب وأنا على يقين من وجوده عندى، لأن البحث عنه يستغرق الساعات والأيام والاطلاع عليه لازم فى ساعته وفى موعد لا يقبل التأجيل.

ودامت الحيرة فى أمر البحث عن الكتب المفقودة الموجودة بضع سنوات، ثم خلت الشقة المواجهة لمسكنى فتيسر نقل الكتب برفوفها وتيسرت إعادة الكتاب إلى موضعه حسب موضوعه عند ترتيبه على عجل، وتم الترتيب الجديد فى شهور بغير مجهود كبير فانتظمت الرفوف والصوانات بعض الانتظام على

حسب الموضوعات، فيما عدا الموضوعات المتداخلة بطبيعتها بأجناس مؤلفيها ومسائل بحوثها. ومن قبيلها الكتب التى تؤلف - مثلا - عن الأدب الألمانى بقلم كاتب من الفرنسيين، له فى المجلد الواحد فصول عن أدب قومه وعن السياسة والاجتماع...!

ولست أعرف طريقة لترتيب المكتبات الخاصة أصلح لانتفاع صاحبها بها من هذه الطريقة لأنه يعول على الذاكرة مع تعويله على تقسيم المؤلفات والمؤلفين. ولايستفيد بذاكرته من ينتفع بالمكتبة بغير إرشاده.

٢ - أما سؤال السيد شهدى - لماذا أقرأ، فجوابه فى بضع كلمات أن القراءة عندى وسيلة لتكبير الحياة وتعميقها وتوسيع آفاقها، كأنها المجهر الذى يرينى ما لا أراه بالعين المجردة من المشاهدات البعيدة أو المشاهدات الخفية. فلا أضيع ساعة واحدة فى كتاب لايعطينى قبساً من شعور أو نفحة من حياة، وليس بكتاب فى رأيى ذلك الورق المرصوص الذى تنتهى فائدته عند حشو الدماغ بالمعلومات، ويجعل الذهن الإنسانى صندوقاً عامراً بالجزازات والأرقام.

٣ - وطريقة «ديوى العشرية» فى ترتيب الكتب Dewy Decimal Classificotion هى كما يدل اسمها طريقة تغنى عن استخدام الأسماء والعناوين باستخدام الأرقام التى تدل على الموضوعات الأصيلة ثم تدل على فروعها ثم تدل على أبواب تلك الفروع. وقد تستخدم الأرقام أيضاً فى الدلالة على المواضع والأقسام.

فإذا اختار منظم المكتبة رقم (٥٠٠) لموضوع الدين فقد يختار بعد ذلك رقم (٥١٠) للكتب المقدسة ورقم (٥٢٠) لكتب المقارنة بين الأديان ورقم (٥٣٠) لكتب الديانة الإسلامية ورقم (٥٤٠) لكتب الديانة المسيحية ورقم (٥٥٠) لكتب الديانة الإسرائيلية ورقم (٥٦٠) لكتب البرهمية وهكذا إلى نهاية العشرة. إما بتقسيم المذاهب والشيع أو بتقسيم الأمم والأقاليم.

وتوضع أرقام كهذه الأرقام أحيانا لتقسيم الأماكن ومواضع الجلوس، فلا يحتاج طالب الكتاب إلى أكثر من ثلاثة أرقام يكتبها بدلا من اسم الكتاب وعنوان موضوعه الأصيل، وموضوعه المتفرع عليه، واسم المؤلف والناشر فى بعض الأحيان. فيهتدى المشرفون على المكتبة إلى الكتاب المطلوب بنظرة سريعة ويقيدونه بمثل هذه السرعة فى دفاتر الاستعارة وقسائم الإيصالات.

ولايخفى أنها طريقة مختارة لمكتبات المطالعة العامة ولاسيما المكتبات المتنقلة فى السيارات الكبرى للإسراع «بعملية» التسليم والاعارة والتوزيع. فليس من المفيد لصاحب المكتبة الخاصة أن يعول على هذه الطريقة لتيسير انتفاعه بكتبه. ولافائدة فيها لغير الموظفين المكلفين بإحضار الكتب لطلابها فى المكتبات العامة. فإن القارئ المطالع يكلف نفسه مشقة لاضرورة لها إذا تعلم طلب الكتاب بالأرقام وشغل وقته بحفظ هذه التفصيلات عن كل موضوع وكل فرع من مختلف الفروع.

ولا أكتم صاحب السؤال، إننى لا أستريح إلى هذه الطريقة لنفسى ولو أمكن استخدامها فى المكتبات الخاصة، لأننى أحب أن أشعر بكتبى أحياء ذات أسماء، ولايعجبنى أن تنقلب إلى فكرات مبهمة تطويها الأرقام.

obeikandi.com

حيرة واعية*

يزور الأستاذ (أحمد بهاء الدين) معرض بيكاسو فى لندن ويقول مخلصاً إنه لايفهم فن هذا الفنان، أو يقول بكلماته : «ولكننى فى الواقع لا أحسد نفسى على هذا الحظ الكبير، لأن بيكاسو دائما يتحدانى ويحيرنى. فأغلب لوحاته لا أفهمها، وعندما أعجب بلوحة معينة له يتصادف عادة أن تكون فى رأى الفنانين عملا تافهاً... ولكننى أقول لنفسى دائماً : مستحيل أن يكون كل هؤلاء الناس والنقاد الذين يتجشمون كل هذا التعب... حمق أغبياء وأنت وحدك العاقل الذكى، ولابد إذن أن فهمى لفن الرسم قاصر... وأخيراً يقول بيكاسو : عندما أرسم أغمض عينى... !

ومن الإخلاص أن يعلن الكاتب أنه لا يفهم موضع الجمال فى ذلك الفن الذى يحسبونه فى عداد الفنون الجميلة، ولكن الكاتب يسرع إلى إتهام نفسه لغير سبب مقنع، لأن إجماع المئات أو الألوف من الناس على استحسان شيء لا يفهمونه ليس بالأمر المستحيل كما قال، بل هذا هو الأمر الواقع فى كل زمن وفى كل دعوى وفى كل «تظاهر بغير الحقيقة» حيثما تناولت الدعوى مسائل المعرفة والذوق على الخصوص، فما بالك بالدعوى التى لا تتكشف ولا يمكن أن تتكشف بحال من الأحوال. !

وكيف ينكشف هذيان الفنانين من أمثال بيكاسو ومن هم أجهل منه بفنه وأسخف منه فى دعواه ؟!

عشرة مصورين يرسمون لك منظوراً واحداً يشبعه كل منهم خلطاً وتشويهاً ولايتلاقى منهم اثنان فى شكل أو لون أو رسم أو شبه أو فى ضرب من ضروب الخلط والتشويه، ثم لا تستطيع أن تحكم على واحد منهم بالخطأ والعجز

---

* الأخبار ١٩٦٠/٨/١٧

فى تصويره، لأن المرجع الوحيد فى صورته إلى دعواه كما يدعيها أو إلى ما يسميه بوعيه الباطن ولا تراه أنت ولا سواك. !

إن كان بيكاسو يغمض عينيه حين يرسم فمن حقنا أن نغمض أعيننا ونقذف بهذه اللوحات الخنفشارية كلها إلى البحر ولا يستطيع أحد من مبدعيها أن يقول لنا : ماذا خسرنا ولماذا خسرناه!

إنما يوجد الفن حين يوجد المقياس الذى يميز الجيد منه والردىء ويرجح الصادق منه على الكاذب، ويبين مواضع القدرة فيه ومواضع التقصير.

وأما الفن الذى لا مقياس له فهو الفن الذى يغمض الناقد عينيه - أو يفتحها على الأصح - ويقذف به حيث تقذف النفايات، غير مأسوف منه على غير أثمان الورق والإطارات وأجرة الشيال، وكلها تضحية هينة فى سبيل الخلاص من السخف والهراء.

بعد خمسين سنة لن تبق من هذه الخزعبلات بقية مشهودة، وما يبق منها بعد ذلك فإنما يبق دليلا محزناً على سوء الحالة التى ابتليت بها الحضارة الأوربية بعد محنة الحرب العالمية الأولى، ومحنة الحرب العالمية الثانية، وليس فن بيكاسو بأسوأ ما أصاب هذه الحضارة فى الصميم.

الفتاة والنقد المسرحى*

حسناً تصنع الفتيات المتعلمات بالإقبال على فن «النقد المسرحى» كما علمنا من أخبار اليوم، لأن تاريخ الفنون يدل على استعداد خاص فى المرأة لفن التمثيل والقصة ونقد الملامح والأزياء بالتفصيل.

ومرجع هذا الاستعداد إلى انطباع المرأة على الزينة والتشكل وإخفاء الشعور وحب الاستطلاع لاختيار مواضع الرضا والغضب ومواضع الإقبال والإعراض فى نفوس الأزواج والأولياء، وكل هذه الملكات النفسية لازم لإتقان فن التمثيل وفن القصة والرواية، ولم يكن عبثاً - على ما نرى - أن تعتمد بعض الدول الغربية على كتابها القصصيين المشهورين فى خدمتها المستعجلة أيام الحروب على الخصوص، لفهم الشخصيات وإدارة مكاتب الاستعلام، ففى عصرنا هذا أربعة من أعلام القصة خدموا الدولة البريطانية من هافانا إلى أفريقية الغربية إلى الشرقين الأدنى والأقصى بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، وهم موم وجرين وفورستر ودوريل، غير الكتاب الذين عملوا فى الوظائف الدائمة بوزارة الخارجية.

وإذا استخدمت الفتاة المتعلمة ملكاتها هذه فى النقد الفنى فذلك خير لها وللثقافة النافعة من استخدامها فى نقد أزياء اللابسات واللابسين، وإرهاف الأسماع لأحاديث القائلات والقائلين، وأخبار الواشيات العاذلات والواشين العاذلين... وكله استغلال حسن لضريبة الجنس، يحمدها الفن الجميل وترضى مغبتها فى تهذيب الأذواق.

---

* الأخبار ١٩٦٠/١١/١٦.

الموسيقَ اللانغمية*

خلاصة خطاب السيد «محمد بليغ» أنه يعجب لماذا لم يظهر حتى الآن فن من الموسيق يشبه فنون التصوير والشعر فى «اللخبطة» السريالية المستقبلية التقدمية كما قال.

وخلاصة سؤال السيد «الشاعر الأبيض غير القرمزى» أنه يريد أن يفهم من كلامنا فى اليوميات السابقة أن الشاعر بيتجهان وغيره من شعراء الغرب لا ينظمون الآن الشعر الأبيض ولا يقولون شعراً دون أن يلتزموا فيه الوزن والقافية.

والسيد «محمد بليغ» على حق فى عجبه لولا أن الموسيقَ السريالية قد ظهرت فعلا وسماها أصحابها بالموسيقَ اللانغمية Atonal وحاولوا إشاعتها فى بلاد أمريكا الجنوبية حيث راج «الجاز» زمناً من الأزمان، ولكنها «تقليعة» لاتدوم ولايمكن أن تدوم، لأن مغالطة المئات من الناس أسماعهم بعض ساعات أصعب من مغالطة القارئ أو الناظر إلى الصورة، نفسه على إنفراد أو بينه وبين أمثاله يضع لحظات.

أما الشاعر الأبيض غير القرمزى فله أن يطمئن على زملائه «البيض» من الشعراء الغربيين لأنهم مقيدون بأساليب نظمهم التى درجوا عليها عدة قرون، فلاينتظر منهم أن يعدلوا جملة واحدة عن الشعر الذى لا قافية له إلى شعر كله قافية وكله وزن مطرد التفاعل، وليس بيتجهان نفسه ملتزماً للقافية أو مقاطعاً للنظم «الأبيض» فى شعره الأول أو الأخير، ولكن العلامة التى لا تهمل من علامات الزمن أن يكثر إقبال القراء على الشعر الموزون المقفى بعد ضجة «السريالية» التى خيل إليها أنها طغت على الميدان وطردت منه كل ما عداها من أساليب الصور والقصائد، فإذا هى التى تطرد من ميدان بعد ميدان!

---

* الأخبار ١٩٦٠/١٢/٧.

الشفاه الرمادية... بين الجديد والقديم*

طلاء شفاه جديد رمادى اللون هو « الموضة » المختارة لسنة (١٩٦٢) كما وردت الأنباء الأخيرة من العاصمة الإيطالية.

خبر قرأته أمس فى الصحف اليومية، فهو من أخبار آخر يوم أو آخر ساعة بحساب التقاليع (الموضوية) التى تقرر (وصفات) الشفاه لهذه السنة إلى نهايتها.

ولن تمضى فترة من هذه السنة بعينها حتى يلحق به خبر مثله عن المراسيم (الموضوية) التى تنتشر (إنذاراتها) السابقة سلفاً... فلا يبلغ هذا الخبر من الشفاه الرمادية غاية انتشاره حتى يدركه المرسوم اللاحق بأمر الإلغاء، لأن غاية انتشار ((الموضة) فى الواقع هى شهادة الوفاة لها بعد عمر قصير... والشرط فى أعمار الموضات أنها لا تطول... فمن دعا (لموضة) من الموضات بطول العمر فهو العدو المبين!

وكل خبر يفهم على جليته فهو خبر مفيد ولو كان من أخبار التقاليع، لأننا نفهم منه الفارق على الأقل بين معنى التقليعة ومعنى التجديد والابتكار.

فالصبغة الرمادية على الشفاه تقليعة تنتظر أجلها القريب، وكل ما فيها من الابتكار أنها تغيير بعد تغيير سيتلوه تغيير مثله، بل تغييرات لغير معنى يستحق الذكر غير مجرد الرغبة فى التغيير.

ولا جديد فى الشفاه الرمادية، لأنها هى الشفاه اللمياء وهى الشفاه اللمساء وهى الألوان المستحبة التى يرددها أولاد البلد عندنا إلى اليوم وهم

---

* الأخبار ١٩٦٢/٥/٢.

يتغنون (بحلو اللمى) والشفاه اللمس والعيون النعس... فى موشحات (الصهبات) والسهرات.

فإذا كان هناك فرق بين موضة العاصمة الإيطالية، وموضة الموشحات البلدية فهو الفرق بين الطبيعة الحية وبين تقليد (التقليع)...

لأن الشفة اللمياء فى الذوق العربى هى شفة المليحة العربية بصبغة الله كما خلقها لكل سمراء، لمياء لمساء.

وقد كان الحسان البيض يحكونها أحياناً بالوشم الرمادى أو الوشم الأسود فى اخضرار، فلا يزال الوشم على الشفاه مستحباً فى بعض بلادنا الشرقية منذ أجيال، وقبل أن يسمع به السمر أو البيض من بنات الطليان.

فلا جديد فى الموضة الإيطالية، ولامعنى لها غير أنها شىء يخالف الموضة التى قبلها وتخالفه الموضة التى تأتى بعدها، وقد تخالفها لتعود إلى الأمس مرة أخرى بل مرات ومرات.

وهذا شأن (التقاليع) فى الأزياء الفنية والأدبية التى تكثر فى الغرب كما تكثر أزياء الطلاء وأزياء اللباس... وأزياء العرى بعض الأحايين إذا صح هذا التعبير.
إنها تغيير بعد تغيير ولا معنى لها وراء التغيير، إلى أن تبلغ قرارها الأخير.

ونهاية كل تقليعة من هذه التقاليع، وهى بلوغها غاية مداها من الانتشار، فإذا هى بلغت تلك الغاية فهذه هى شهادة الوفاة...

أين (الدادايزم؟)
أين (الفوفيزم؟)
أين (الفيوشرزم؟)
أين كل (ازم) من هذه الازوم أو هذه الأزمات؟

اسأل عنها حيث ذهبت ألوان الصبغات على الشفاه، وحيث ذهبت أطراف

الطوال أو القصار من الأذيال، وحيث ذهبت البراميل والشوالات والمقاطف والزنابيل، مما وجد قبل الآن ومما سيوجد أو سوف يوجد بعد قليل.

كل هذا و(المحاريس) الفرحانون بآخر شهادة للميلاد يتشبثون بالبقايا الباقية من هذه التقاليع، ويصيحون بملء أفواههم المحروسة على عابرى الطريق: حاسب (ياجدع) إنت وهوّ... حاسبوا ياخلْق هُوه... حاسبوا على الجديد الذى سيقضى على كل جديد وقديم: الجديد الذى لايبلغ مداه من الشيوع بين محاريس اليوم حتى ينتهى بكل ما فيه إلى خبر كان. ثم يسأل عنه محاريس الغد - إن سألوا عنه - فلايقال لهم على سبيل الارتجال، إلا أنه غير ذى موضوع وغير ذى بال، وغير أهل اليوم للسؤال.

وياحسرة على (الننوسين) من المحروسين...

إنهم (تقدميون)... بل تقدميون جداً لغير شيء إلا أنهم متأخرون فى سماع أقدم القديم.

ماهو مذهب (المادية الاقتصادية) الذى يلغط به الكثيرون من هؤلاء التقدميين؟

هو مذهب تصوره صاحبه قبل سنة ١٨٤٠ ومنذ أكثر من قرن وثلث قرن عند النظر إلى تاريخ تفكيره وتقريره، وبلغ به الغباء الذى ران على مخه أنه اعتقد وآمن، وتعصب لإيمانه بأن الجديد الذى وصل إليه يوم ذاك هو مذهب المستقبل إلى سنة ١٩٤٠ وإلى سنة ٢٩٤٠ وإلى سنة ٣٩٤٠ وإلى سنة مليون وتسعمائة وأربعين، أبد الآبدين ودهر الداهرين، ويكرم الله السامعين؟

واليوم ينقض التاريخ كل نبوءة تنبأ بها ذلك (المخ) المطموس، ويبطل كل تقدير من تقديراته عن الصناعة الكبرى، فضلا عن المصير الذى تصير إليه بلاد هذه الصناعة الكبرى، بل تصبح هذه الصناعة الكبرى شيئاً آخر لم يحلم به ذلك المخ المطموس فى زمانه، ولم يخطر على باله مدى التغيير الذى يطرأ عليه ويطرأ على معاملاته وعواقب تفريعاته وتنويعاته وأشكاله وألوانه...

اليوم يستحيل كل شيء تنبأ صاحبنا بوقوعه بعد جيله بجيل واحد أو جيلين، فيستحيل احتكار السلطان فى المصنع والشركة والسوق، ويستحيل تركيز رأس المال فى أيدى الآحاد أو أيدى أصحاب الأموال، وتتقارب المسافات بين أكبر الحصص وأصغرها، وبين القمة والذنب فى إدارة الأعمال.

واليوم وقد مضى مائة وثلاثون سنة وبضع سنين على صناعة القرن التاسع عشر، وعلى التفكير العتيق الذى قام على أساسها، ويسمع (المحاريس) بخبر ذلك المذهب، أو بمرجوع ذلك المذهب، فيشقون الحناجر بالتقدمية والتقدميات والتقدميين، ويلتفت نصير الجديد منهم (أمام) إلى نصير الجديد منهم (وراء)... ليقول له : عم صباحاً يانصير الجديد... منذ سنة ١٨٤٠ أو تزيد!

وكاتب هذه السطور - ياترى - أين يقع مكانه من هذا الجديد الذى سمعناه لننبذه قبل آخر شهادة ميلاد يحظى بها المحروس (النونس) من التقدميين أنصار التقدمية والتقدميات، والتقديم والتقادم والتقاويم، الذين عاشوا فى تبات ونبات وخلفوا الصبيان والبنات.

كاتب هذه السطور يعرف مصير كل سطر كتبه المرحوم صاحب المذهب فى أوئل القرن التاسع عشر، ولكنه رجعى فى الصميم من أتباع أقدم القديم، لأنه ينظر إلى سنة (١٩٦٢)، ولا يقف بالنظر على مدى السنين عند سنة ١٨٤٠ أو ثلاثين أو عشرين.

وتقدميون أنتم يا محاريس... لأن طلاء الشفاه فى أدمغتكم السطرية «رمادى» جديد غاية الجدة، ولا رمادية غير هذه الرمادية فى موضة الخريف، ولا فى دفاتر (الأرشيف)... كلا ولا فى دكان الحلاق بائع الألوان والأزياء، الذى يبيعكم موضة العاصمة الإيطالية لأحدث طلاء، ويسمعكم إن شئتم غناء الشفة اللمياء، والشفة اللمساء، من الصباح إلى المساء.

الموسيقَ اللانغمية أيضاً*

يعود السيد « بليغ » فيسأل عن الموسيق اللانغمية Atonal كيف يمكن أن توضع موسيقَ على الإطلاق بغير نغمات ؟ وهل يمكن تدوين هذه الموسيقَ بالنوتة المكتوبة ؟ وما هو تعليل المادية « الديالكتية » لفهم هذه الموسيقَ وتفسيرها حسب نظرياتهم فى الفنون ؟

ونعود فنقول للسيد بليغ أن الموسيقَ التى لا نغمات فيها شىء غريب كما يرى، ولكنها ليست بأغرب من الشعر بغير معان وأوزان، وليست بأغرب من التصوير بغير أشباه ورسوم، ولكن التهويش فيها ينكشف على وجه السرعة، لأن مغالطة الحس فى الأصوات المختلفة، أصعب من مغالطة العين فى الرموز الخفية، أو مغالطة النفس فى الوعى المجهول والوعى المعروف. وقد يسهل على المدعى أن يزعم أنه يسترسل مع التأمل على انفراد أمام الصورة المختلفة والكلمات المبعثرة، وليس بالسهل على مائة إنسان أن يخدعوا أنفسهم فى قاعة من قاعات الفن الموسيقى ساعة أو بضع ساعات مظهرين الإعجاب والارتياح، ومكررين هذه المهزلة كلما تكرر عزف الأصوات على آلات لا تؤدى بها نغمات، ولا تنتظم عليها حركات أو سكنات.

وقد أصاب السيد بليغ هذا الفن « الخنفشارى » فى المقتل حين سأل عن تدوينه بالنوتة المكتوبة. فإن هذا الفن الخنفشارى يسجل ولا يدون. وينقل على علاته ولا يخلط بالحروف ولا بالعلامات ومثله فى هذه الخاصة الجامدة مثل الأعاصير والتيارات وضجة المكنات والقطارات، ومن عباقرته « البكاشين » من يسمى القطعة المسجلة باسم « سوناتا الطيارة » كما فعل انتويل، أو يسميها قضبان السكة الحديد كما فعل دشيفوف، أو يسميها الفبريقة كما فعل موسلوف.

---

* الأخبار ١٤/١٢/١٩٦٠.

ولا يزيد علمه فيها على محاكاة القرقعة والفرقعة والضجيج والعجيج واصطناع الخلط والخبط واجتناب الانتظام والانسجام.

أما « المادية الديالكتية »، فإن كان السيد بليغ يعنى بها الشيوعية، فقد كان بين نقاد الفن بعد الثورة الروسية من يقبلون هذه التقاليع كأنها نوع من الابتداع والخروج من التقاليد، ولكن النقاد الشيوعيين اليوم يجمعون أو يكادون على استهجان كل من الفن التجريدى A Batract فى الشعر والتصوير، ومن الفن التجسيمى فى الموسيقَى التى يسميها مخترعوها بهذا الاسم Con.Crete Music لأنها تكاد تتجسم كما تتجسم الجرارات والكراكات والطيارات والقطارات.. ! وعند النقاد الشيوعيين أن هذا الفن بدعة برجوازية للخلاص من الحاضر وصرف الجماهير عن وقائع الحياة إلى فراغ الأوهام والأساطير.

ولكن الموسيقيين « البكاشين » من مخترعى هذه المصدعات لايقولون عن أنفسهم برجوازيون ولا أنهم شيوعيون، وفخرهم كله أنهم يعطون عصر الصناعة حقه المفروض. وما حقه المفروض فى عرفهم؟ أنه يمسخ الآدميين فيسلبهم النطق ويصنع لهم حناجر وألسنة تنطق كما تنطق المكنات والآلات.. !! والخطوة التالية من خطوات التقدم على هذه الوتيرة أن نستكثر على الإنسان نطق المكنة المصنوعة ونستمع منه إلى صوت أبرع من ذلك وأقرب إلى الطبيعة.

دحرجة الصخور وسفسفة الأتربة وخبط الحطب غير مصنوع ولامنجور، لأن الأحطاب أدنى إلى العبقرية الخنفشارية من الأخشاب...

الفن للفن*

إذن أنت من جماعة « الفن للفن »؟ إذن أنت من أدباء « البرج العاجى »؟

هذان السؤالان خلاصة خطابين أحدهما غفل من التوقيع، والآخر بتوقيع أحمد يوسف.

وجوابهما عندى نعم، وإن أرادا فنعم جدًّا...

أنا من جماعة الفن للفن، ومن أدباء البرج العاجى، إن صح أن يكون برجاً من ثلاثة أدوار أو أربعة أدوار، وليس برجاً هابطاً من دور أرضى واحد!

ولنا أن نسأل السائلين : ما اعتراضكما على من يشتغل بالطب للطب أو يشتغل بالزراعة للزراعة، أو يشتغل بالرياضة للرياضة؟

اعترضا كما تريدان، ولكننى لا أعترض على طبيب يعمل للطب لأننى أعلم أن بذل الجهود كلها لإتقان الطب مصلحة لبنى الإنسان من المرضى والأصحاء، وأن إتقان الزراعة معناه وفرة المحصولات للطاعمين والكاسين والبائعين والشاريين، وأن إتقان الرياضة يبلغ بالرياضة غايتها التى وجدت من أجلها واستحقت أن تكون مطلباً جديراً بعناية الإنسان.

أعلم هذا كما تعلمانه عن الطب والزراعة والرياضة، وعليكما أن تعلماه أيضاً عن الفن كله، لأن الفن للإنسان وينبغى أن يكون إتقانه خدمة للإنسان، لأن الفنان لا يستطيع أن يجيد فنه دون أن يخدم به أبناء نوعه وأبناء وطنه، أفراداً وجماعات.

---

* الأخبار ١٩٦١/٢/٨.

هذا الذى نفهمه من طلب الفن للفن ونود أن نسألكما عن قطعة فنية توصف بأنها عمل من أعمال الفن الجيد ولايكون فيها نفع للناس وتحقيق لغاية إنسانية.

والفن الذى لايحقق لنا غاية إنسانية لاخير فيه ولانظنه قابلا للوجود على هذه الصورة، فماذا كان المقصود من قولهم بمدرسة الفن للفن إنها مدرسة مجردة من الصيغة الإنسانية معرضة عن الغايات الإنسانية، فلامحل هنا للخلاف بين قولين أو مذهبين، إلا إذا كان القائلان يختلفان فى معنى الإنسان ومعنى الغايات والمنافع التى تحققها له الفنون.

إن الفن للإنسان... هل لديكما اعتراض على هذا؟

كلا. فيما نظن، وفيما يظن كل متفق وكل مختلف على وظائف الفنون.

ثم ماذا؟

ثم حكاية ليست بالغريبة وليست هى بالبدعة بين الحكايات.

وتلك الحكايات هى أن الإنسان مخلوق له فكر وله ضمير وله ذوق وله وجدان، ويهينه من يقول عنه إنه رزق الفكر والضمير والذوق والوجدان ليسخرها جميعاً فى تحضير حلة الطبخ وصفحة المائدة، وأنه محرم عليه أن يلق نظرة على محاسن الطبيعة ومحاسن الأحياء الناطقة ومحاسن القول البليغ والفكر الرائع والذوق الرفيع.

هذه الحكاية، فى رأينا، ليست بالغريبة ولا هى بالتى يستطيع كائن من الكائنات أن يجعلها غريبة عن نفوس أبناء آدم وحواء.

والغريب فى الحكاية أن يوجد فى الدنيا من يزعم أن الفنان يستطيع أن يبدع عملا جميلا دون أن يخدم المجتمع برضاه أو على الرغم منه، إن صح أن إنسانا عاقلا يخدم بغير ما يرضاه.

obeikandi.com

أى عمل من أعمال البروج العاجية أقرب إلى هذه الصفة عندكم من وصف حديقة؟

وأى مجتمع فى العالم يتصوره العقل صالحاً لحياة الآدميين وهو لا يحتفل بغرس حديقة للأزهار؟

فإذا كان خلو المدينة من حديقة الأزهار نقمة يرثى لمن يبتلى بها فكيف يكون خلو ديوان الشعر من وصفها فضيلة فنية أو فضيلة اجتماعية، على أى معنى من معانى الفضيلة؟

إن كان معنى الفن للفن مرادفاً لمعنى الفن للإنسان فلا اختلاف على المعانى ولا على الكلمات.

وإن كان غير ذلك فما هو غير ذلك يرحمكم الله؟

غير ذلك أن يكون الفن فنًّا تهبط فيه مطالب بنى آدم دون مطالب الخلائق الأخرى التى تأكل كما يأكل وتشرب كما يشرب، ولكنها أفضل منه لأنها تغرد ولا تكتفى بالشبع، وتتزين فى الربيع ولا تكتفى بالذرية الصالحة، وتسرح وتمرح ولا تكتفى بالمشاوير اللازمة بين البيت والحقل، أو بين البيت والمصنع أو بين البيت والسوق.

إنها إذن من خلائق البرج العاجى بارك الله فيها، ولا بارك فى إنسان يقنع من - محاسن الدنيا بما دون نصيب الحيوان.

الصور الشمسية وجمود الآلات*

كانت الصور الشمسية - مرة أخرى - حجة لأنصار الفن المجرد، أو الفن الذى يزعم أصحابه أنهم ينقلون للعيان ما وراء المرئيات والمفهومات. ويرسمون الوجه الآدمى رسماً لا يعرفه صاحب الوجه ولا يعرفه الناظرون إليه، ولا ينبغى أن يعرفه المصور نفسه إذا صحت دعواه... ودعواه أنه ينقل الوهم من وعيه الباطن، ولا يعود إلى معرفته مرة أخرى، لأن الوهم لا يستعاد، وليست الأوهام ولا الأحلام مما يعود إلينا بالاستدعاء..!

وكان المحتج بالصورة الشمسية أستاذاً فاضلا يروى الحجة على عهدة أصحابها، ولا يؤيدها أو ينفيها فى انتظار تمحيص الزمن واستقرار الثقات على كلام مفهوم.

يقول الأستاذ الفاضل: ما فائدة النقل عن الطبيعة بعد اختراع الصورة الشمسية التى تبلغ من إتقان النقل ما لا تبلغه ريشة فنان؟

سؤال يرويه الأستاذ الفاضل عن لسان «فلاسفة» الفن التجريدى، ويكفى وحده لتصوير هؤلاء الفلاسفة تصويراً تعجز عنه الصور الشمسية وريشات الفنانين.

إن نقل الصور كما تنقلها الآلة (الفوتوغرافية) لم يكن قط مهمة المصور أو المثال، لأننا لم نر صورتين على هيئة واحدة من عمل الفنان الواحد، فضلا عن الفنانين المتعددين.

ومهما يكن من التشابه بين أعمال الآلات وأعمال الفنانين فإن هذا التشابه لا يقضى علينا بتشويه المنظر الطبيعى ولو اتفقت الصورة الشمسية والصورة

* الأخبار ١٩٦١/٣/١.

اليدوية فى نقله، وهو لايقضى علينا بإلغاء الحس الظاهر رجوعاً إلى الحس الباطن واختلاقاً للأوهام والأحلام، بأحاديث كأنها من أحاديث المنام.

وقد اخترعت الآلة الحاسبة، ولم يقل أحد أن اختراعها يوجب علينا أن نلغى قواعد الجمع والضرب، ترفعاً منا عن مشهابة الآلات.

واخترعت الآلة الكاتبة، ومن قبلها الآلة الطابعة، ولم نقل إن اختراعها يفرض علينا أن نلغى الحروف ونرجع إلى رموز يكتبها كل رامز على هواه.

واخترعت أجهزة الجرامفون والإذاعة ولم تبطل الأصوات والأنغام، ولم نرجع بها إلى طمطمانية الوعى الباطن قبل مليون عام..

والذى حدث، أمامنا، أن الصور الشمسية خرجت من جمود الآلات واصطبغت بصبغة المصور الحى فى نقل المناظر والوجوه، ففى وسع الفنان الملهم أن يفرغ شعوره وعاطفته وفكره على المنظر الذى يصوره ويعيد تصويره كل مرة على وضع جديد، وهو يختار له من الموقع والوقت وزاوية النظر ومركز الاهتمام ما يعبر به عن حالات نفسية يريدها ولا تريدها له آلات التصوير، وقد أصبحت شخصية المصور الشمسى ظاهرة للناقد الفنى من المقارنة بين طريقته وغيرها على ضوء هذه الفوارق النفسية، ومعها فوارق الأساليب التى يشترك فيها الوعى الباطن العزيز والوعى الظاهر «الملعون» اشتراكاً مقصوداً أو غير مقصود. !

وسوف يخترع المخترعون مئات من الآلات تؤدى أعمال الآدميين وترسم ما يرسمه المهندسون الآن، ولايكون اختراعها مسوغاً لقلب تصميمات البناء فوقًا إلى تحت، وأماماً إلى وراء، وبيوتاً لا تدرى أهى بيوت أم هى كهوف الخلائق الأولى قبل المرحوم آدم والمرحومة حواء.

وسنطالب المصور، أبداً، بقواعد فنه كلما هرب من قواعد الرسم والتلوين والتشكيل.. فإن قال إنه «منجم» ومفسر أحلام فمن الواجب «أولا» أن يقول

obeikandl.com

لنا ماهى الصفة التى تجعله أقدر على التنجيم من غيره؟ وعليه دائماًأن يعطينا مقياساً مفهوماً نفرق به بين صورة المهرج الدجال وصورة المصور الصادق، وصورق أنا التى «اشخبطها» متعمداً لكى أتحدى بها الكذب والادعاء.

ومن الواجب أخيراً أن يتقرر إلغاء المتاحف الفنية بما وسعت، وأن يفسر لنا المنجم الحديث تلك المعجزة الهائلة التى ضللت الحس الإنسانى وجعلت أساتذة التصوير والنحت قديماً يزيغون كل ذلك الزيغ فى رسم المناظر والوجوه؟

وعلى الأستاذ الفاضل الذى أعاد علينا فى أسوان حجة الفتوغرافية أن يسأل أصحابه المجردين. هل تكفى حيثية الفتوغرافية لإصدار الحكم على تماثيل أسوان والأقصر بالإعدام؟ ولماذا تبقى هى وتماثيل العالم القديم إذا كانت كلها -وكانت فنونها معها- غير صالحة للتعبير عن الطبيعة وعن الإنسان؟

سؤال ننتظر جوابه من المنجمين الحديثين، ولكننا ننتظره بلغة الوعى الظاهر قبل أن يقضى عليه - هو أيضاً - أن يلحق بمتاحف الأمس وفنونها، وتخلفه لغة الوعى الباطن بشروطها اللازمة، وهى أن تقول الألسنة ما ليس تدركه الأفهام، وأن ننام فى اليقظة ونتيقظ فى المنام.

الفازورة والصور التجريدية*

من المضحكات المسلية أن تسمع مصوراً[1] «تجريديًا» يسأل أحدًا من الناس كائناً ما كان:

ما هو اختصاصك ياهذا فى نقد الصور التجريدية؟

من المضحك أن يصدر هذا الكلام الذى لا معنى له من جماعة التصوير المجرد «لأن المصور» التجريدى، يلغى بيديه كل اختصاص له فى الفن حين يلغى الأصول التى تقوم عليها صناعته كلها، ولا حق له فى صناعة غيرها.

فإذا بطلت أصول الرسم والتلوين والتشكيل فقد بطلت أصول الفن التى تعلمها المصور ولم يتعلمها غيره، وقد تساوى الأصلاء والدخلاء فيما عدا ذلك، لأن «ما عدا ذلك» دعوى مباحة للجميع، وليس احتكارها للمصورين مفهوماً على وجه من الوجوه.

وأنت صاحب اختصاص ياأستاذ حين تتقن من أصول الرسم واللون والشكل ما يخص صناعتك ولا يشاركك فيه الغرباء عنها.

وأنت صاحب اختصاص ياأستاذ حين تعرف أصولا للتصوير تستطيع أنت ويستطيع غيرك أن يميز بها الصورة الفنية الصادقة والصورة الفنية المعيبة والصورة التى يلفقها المتعلم العاجز أو يلفقها المدعى صاحب التقاليع والمخترعات.

ولكنك ياأستاذ مدع مثل كل مدع فى صناعة الفوازير والألغاز حين تقول

---

* الأخبار ١٩٦١/٥/٣١

(١) كان هذا التعليق على أثر راى أبداه الأستاذ/جمال السجينى الأستاذ بكلية الفنون الجميلة على من يعارضون أصحاب الفن التجريدى.

لنا أنك لا تتقيد برسم ولا بشكل ولا بلون ولا بأصل من أصول الفنون المفهومة على الإطلاق، ولكنك تخوض فى أوهام الوعى الباطن عندك أو الوعى الباطن عند «الشخص» المرسوم.

أنت ياعزيزى الأستاذ صاحب فوازير ليس إلا فى هذه الأوهام عندك وعند الآخرين.

وأنت فى صناعة الفوازير مثلك مثل كل «فوازيرى» مع الفارق الكبير جدًّا بين الفازورة والصورة التجريدية، وذلك الفارق الكبير جدًّا هو أن الفازورة قابلة للامتحان عند إعلان حلها وتفسيرها، وأن صورتك التجريدية تبقى فى عداد الدعاوى التى لا حساب لها غير حساب (جحا) فى إحصاءاته يوم سألوه عن عدد نجوم السماء وعدد شعر رأسه، ولم تنته الحسبة إلى قول متفق عليه.

نعم هى دعوى لا مقياس لها غير كلمة «الوعى الباطن» المجهول الذى يتقبل كل إدعاء.

وما صنعتك أنت فى الوعى الباطن بريشتك أو مسطرتك أو «البابيون» الأسود فى عنقك؟

أمنجم أنت؟ أكاهن؟ أولى من أولياء الله المقربين؟ أقديس من القديسين أهل الباطن مكشوف عنه الحجاب؟ أطبيب من أطباء علم النفس، تضرب أخماسا لأسداس بين مركبات النقص والعقد النفسية؟

إن كنت واحداً من هؤلاء فليس من هؤلاء واحد يدعى أنه «مصور» ينقل ما يراه، ويطلب إلى الناس أن يقبلوه ويبطلوا كل ما تقدمه من فنون الصور والتماثيل، منذ أيام الفراعنة والبابليين واليونان والرومان!

إنها مهزلة، فإن لم تكن مهزلة فهى لجاجة أو خم من كل لجاجة تمتحن بها عقول الناس فى عصور الخلق والهوس والتخبط والمجون.

وإن مصيبة الزمن بمثل هذه اللجاجة أدل على بلاء الإنسانية المسكينة من حريها وقلاقلها وأزماتها وتقاليعها فى هذا القرن العشرين، لأن هذه المصائب لم تجرد الإنسان من حكم العقل والذوق كما يجرده هذا التجريد الممسوخ، ولم تسمح لأحد أن يسأل عن معناه فيجيب بتلك الفهاهة المعهودة بين أدعياء الفنون.

إن فنوننا لا تسمح بالسؤال... إن فنوننا لا تعرف المعنى!... إن فنوننا تهدم كل ما بناه عباقرة الفنون ولا تطالب بعذر ولا برهان، غير حديث الببغاء عن الوعى الباطن بلا معنى ولا سؤال.

obeikandl.com

لوحات الفن فى مرآة الأشواق*

« . . . عندما نشاهد إحدى اللوحات الفنية، أو على شاشة السينما منظر لغروب أو بعض القرويات اللائى يملأن جرارهن من النهر، أو الراعى الذى يرعى قطيعه فى السهول والوديان، إلى غير ذلك من المشاهد المألوفة والمواقف العادية التى تزخر بها حياة الأفراد اليومية، فإننا ننفعل بما نشاهد ونطرب له، ولو جاز لنا أن نشاهد هذه المناظر وتلك المرئيات بواقعها الفعلى على الطبيعة لكان الأمر مألوفًا عاديًا ولما كانت استجابتنا تحمل هذا القدر من الشعور بالرضا والاستحسان، فما السر الذى يكمن وراء تباين الحالة الوجدانية فى كلتا الحالتين؟ هل يرجع ذلك إلى إعجابنا ببراعة الفنان وقدرته على محاكاة الواقع فى أمانة وصدق؟ هل يعود الأمر إلى نوع من الزيف والضلال يلحق بمداركنا؟ . .

هنا نعرض على سيادتكم هذه القضية التى يلتقى الفن فيها بعلم النفس، وبودنا أن نجد بيومياتكم تعليقاً شافياً وتفضلوا بقبول وافر الاحترام.

مغاورى همام مرسى

ليسانس اجتماع

إن تأثير الطبيعة المباشر لا يعدله تأثير مصنوع فى مناظر الغروب أو مناظر الآدميين أو غيرها من المناظر التى تحرك شعورنا وتتسرب إلى أعماق عواطفنا، وتبعث فينا الرغبة والرهبة كما تنبعث فى أعمال الحياة.

ولكن الطبيعة من خلال الذكرى تتجسم وتتضاعف وتعود إلينا مكبرة مفخمة كما يحدث فى ذكرياتنا لمناظر الصبا أو للذكريات المستعادة على البعد من وحى الخيال. فنحن نبالغ فى لذات الذكرى ولذات الأمل على السواء، وإنما تأتى المبالغة من تجلى هذه الصور فى مرآة الأشواق التى تعظم كل ما تتطلع

* الأخبار ١٩٦١/٩/٢٧

إليه، أو فى مرآة الحنين التى تجعل الممكن فى الماضى مستحيل الرجعة إلى الحاضر، فتزيد على سحره المألوف سحر المستحيل الممنوع.

والمنظر الطبيعى فى الصورة شبيه بالمنظر الطبيعى فى مرآة الخيال أو مرآة الحنين أو مرآة الأمل، مضافاً إليه أننا نحسه فى الصورة ونحس معه تلك المتعة الإنسانية التى نستوحيها من مشاهدات الفنان، لأن عنايتنا بالشىء تزداد كلما عرفنا أنه ينتقل إلينا من شعور نفس إنسانية أخرى، كأنه ضرب من التنبيه الحيوى أو من الغيرة المحمودة، أو من تردد المنظر بين مرآتين متقابلتين، تعيده هذه وتعيده تلك تكراراً بعد تكرار، ولو قيل لنا فوق ذلك أن هذه الصورة عرضت على الألوف من النظارة فسبقونا إلى الاستمتاع بها لكانت هذه المتعة إغراء لنا بطلبها والإضافة إليها من عندنا، إن لم يحدث فى هذه الحالة عارض غير مألوف فينقلب الأمر إلى التحدى والمناظرة، وهو أيضاً دليل على أن النظرة المسبوقة إلى المشاهد الفنية تضيف إليها تأثيراً غير تأثير النظرة الأولى.

ولا ننسى العامل الاقتصادى فى التفاوت بين تكاليف المشهد الذى نراه على الطبيعة وتكاليف هذا المشهد بعينه إذا رأيناه مرسوماً على لوحة فنية، فإن التفاحة وعنقود العنب فى البستان لا تزيد فى الثمن على بضعة قروش، ولكنها إذا قدمت لنا على لوحة من لوحات « الحياة الصامتة » لم يتيسر لنا الحصول عليها بأقل من أضعاف تلك القيمة، وربما زاد فى قيمتها عامل آخر هو عامل البقاء الطويل أو عامل الزينة والمباهاة باقتناء التحف والنوادر.

وثمن الكرسى الذى ينتفع به لا يساوى ربع ثمنه مرسوماً على لوحة التصوير، وليست القيمة هنا للمنفعة وإن تكن هذه القيمة غير ملغاة كل الإلغاء، وإنما تبق على التذكر ويضاف إليها عوامل نفسية وفنية واقتصادية من قبيل ما أشرنا إليه.

وعلى أية حال ينبغى أن نلاحظ أننا لا نقارن بين المنظر الطبيعى خالصاً فى الوضعين بل هو خالص فى أحدهما ومضاف إليه عوامل شتى فى أوضاعه الفنية.

الاشتراكية والغناء*

يسأل الأستاذ «السيد مصطفى» المحاسب القانونى عما يدور فى الصحف عن الأغنية وما ينبغى أن تكون عليه فى ظل الاشتراكية، ويقول إنهم - فيما يبدو له - يحملون الاشتراكية ما لا تعنيه.

ويقول الأديب محمد محمد محمود الطالب بكلية التجارة إن الأغانى تعبير عن روح العصر، فكيف نعلل انتشار أغانى المجون فى عصر العمل والبناء؟

ويسأل السيد «عيسى أحمد» عن بعض الأغانى التى سماها بأسمائها: هل هى اشتراكية توافق مبادئ التعاون أو ليست هى كذلك؟

والأسئلة على هذا المثال كثيرة، ولكننا نعتقد أنها تقل أو تنتهى إلى رأى متفق عليه إذا فهمنا أولا وآخراً أن الاشتراكية هى تعميم للإنسانية وحظوظها وليست انفصالا عنها لطائفة من الناس دون غيرها.

ومعنى الاشتراكية ألا يكون الحب والجمال والغناء والتعبير عن الشعور الإنسانى حكراً للأغنياء والأقوياء، بل تكون كلها حقًّا مباحاً لخلائق الله جميعاً من الأغنياء والفقراء.

والفقير يحب كما يحب القلب الإنسانى الطليق من قيود المهانة والحرمان، وكذلك يغنى إذا شاء الغناء ويعبر عن نفسه إذا شاء التعبير.

ويجهل الاشتراكية كما يجهل الإنسانية معاً من يحسب أن التعاون يلغى العاطفة الإنسانية التى تملك قلوب المحبين فى كل زمن وبين أبناء كل طبقة، فلا تعاون بين عشرين اشتراكيًّا فى حب حبيبة واحدة، وإنما التعاون بينهم أن

---

* الأخبار ١٩٦١/١٠/٤

يكون لكل منهم حظه من الحياة الإنسانية التى تسمح له بأن يحب من يهواه ولا تجعل تلك الحبيبة سلعة فى السوق تباع بثمن لا يقدر عليه.

أما أغانى المجون فلا تزول فى عصر من العصور إلا إذا زال منه الماجنون أو زالت دواعى المجون من نفوس أهله، وقد وجد المجون ووجدت دواعيه فى عصور الحروب والفتن وفى عصور الأوبئة والطواعين، وتوجد مع العمل كما توجد مع البطالة، ولكنها تختلف باختلاف أنواع الملاهى واختلاف طرائق عرضها والوصول إليها، وإنما هو اختلاف فى الصور والمظاهر، أو اختلاف فى الأزياء والأشكال، وباطن النفس البشرية كامن على حاله قلما يتغير وراء الصور والأشكال.

obeikandl.com

الحضارة الأوربية فى القرن العشرين*

إذا التمس المؤرخون فى المستقبل علامة واحدة - مختصرة - على انحطاط الحضارة الأوربية فى القرن العشرين فهذه علامة تتلخص فى اسم الرجل المنسوب إلى فن التصوير (بابلو بيكاسو) الذى يبلغ الثمانين فى هذا الأسبوع ويحتفل به لهذه المناسبة ضحايا الخبائث التى يمثلها فى هذه الحضارة المنحلة : وهى الجهل والمسخ والإباحية.

إنه يمثل الجهل لأنه يلغط أمثاله باسم الوعى الباطن وهو لا يعرف شيئاً عن الوعى الباطن غير حروف اسمه على الورق، لأنه يتوهم أن الوعى الباطن خلق اليوم فى الناس ولم يكن موجوداً يوم كان الأعلام الأفذاذ من أعاظم الفنانين يصورون الوجوه، ويصورون معها النفوس بما أودعته من الوعى الباطن والظاهر، وما تجلوه للعيان من ملامح الخير والشر، وآيات القدرة أو الجمال، وأن هذا الوعى وضحاياه المساكين لينطقون بهذه الكلمة التى لا يفهمونها - كلمة الوعى الباطن - وهم يظنون أنها اكتشفت فى الزمن الأخير لكن تلغى الوعى الظاهر، وتبطل النظر والسمع والحس كله، وتجعل الناس عمياً لا يبصرون ما يبصرون وصمًّا لا يسمعون ما يسمعون !

وهو يمثل المسخ لأنه ينقل التصوير من فن جميل إلى فن تشويه وتدنيس، ويرضى بذلك لوثة الجنون التى تشتد فى المصابين بها فيطيب لهم أن يتمرغوا فى القذر ويتقلبوا فى النفايات، وتبتدئ فى أدوارها الأولى فتظهر فى هذه الأخلاط المشوهة وتلك، الأوضاع المعكوسة، وتلك الفوضى التى لا يعرف لها معنى ولا يستقيم لها قياس.

---

* الأخبار ١٩٦١/١١/١

وهويمثل الإباحية لأنه عنوان العجز عن ضبط النفس وكبح الشهوات، وهو داء الأدواء فى الحضارة الأوربية يفشو بين المهزوزين من أهلها فلا يخجلون منه فى عصر الحرية كما يقولون، وقديماً كان أمثالهم يحسون هـذا العجـز فيخجلـون منه ويحاولون إصلاحه أو يحاولون ستره إن لم يصلحوه، لأن القيم الأخلاقية والفكرية كان لها سلطانها الذى يعرفون مخافته إن لم يعرفوا الحياء منه.

وإذا فشا داء الإباحية فى الحضارة فمظهره فى عالم الأخلاق نبذ الأدب والمباهاة بالتبذل والفجور، ومظهره فى عالم الفن (الجميل) هذا المروق من القواعد وهذا التبذل فى الأذواق.

والمضحك فى أمر هذه « البيكاسية » أن الذى ينشرها اليوم ويحفظ للناس « مقدساتها » المختارة هو المصور « الشمسى » دافيد دنكان. !

مصور الأشكال العيانية هو الذى ينقل للناس مقدسات الفن الذى يلغى العيان ويلغى معه كل صورة محسوسة. !

عجيب هذا أو غير عجيب. ؟ !

عجيب إذا سمعنا تبشير المبشرين بإسقاط الحس الظاهر والانفراد بالحس الباطن فى كل منظور ومسموع وملموس، على شرطهم أولا وهو شرط التشوية والتلويث، لأن الوعى الباطن - على شرطهم - مرفوض إذا اعتدل واستقام ورأيناه كما نرى بالعيون أو عقلناه كما نعقل بالأفهام. . !

ولكنه غير عجيب إذا سمعنا الوعى الباطن كما يسمع حقًّا من بواطن الفنان اللبق ومصوره الشمسى الأريب.

فإن المصور الشمسى الأريب على حق حين يعلن عن الفن الذى يخلى له الميدان ويجعل التصوير كله حرفة محتكرة للمكنات الفتوغرافية.

أما الفنان اللبق فهو لا يستطيع بالريشة أن ينقل مقدسات محرابه إلى

الناظرين بأعينهم فى البلاد البعيدة، فلا غنى له عن المكنة الراسمة والمكنة الطابعة فى عملية الترويج والإعلان عن البضاعة المكنونة، وراء الأوعية والبواطن والأستار.

وتطبيقاً لهذه القاعدة نرى أن ملامح «بيكاسو» فى المجموعة الشمسية هى الملامح الظاهرية العيانية التى يتراءى بها خلق الله ليعرفهم الناس، فهو هنا «آدمى» كالآدميين الذين يشوههم بعبقريته فلا يميزهم أحد من الباذنجانة، أو الكرنبة، أو الرأس الذى ربعه رأس خروف وربعه رأس طاووس وربعه مصراع دولاب وربعه الباقى فنجال مكسور.

لماذا؟

ألا يستطيع الفنان «اللبق» أن يرسم نفسه من وعيه الباطن ليعرفه الناس بأوعيتهم الباطنة؟

لماذا يحتاج إلى الصور الشمسية ليعرفه الناس بوجهه وعبقريته حين يريد فى الثمانين أن يذكروه ويمجدوه؟

إن السؤال هنا محول إلى الوعى الباطن لنسمع الجواب عنه من الفنان اللبق أو من المصور الشمسى الأريب. !

ولا بد من أسئلة كثيرة نضيفها إلى ذلك السؤال فى انتظار الجواب من عالم العيان أو عالم الأسرار.

هذه الصور «الخنفشارية» من أين لهم أن الناس يرونها فى وعيهم الباطن كما يرونها بالعيون؟

ومن أين لهم أنها تنتقل على هذا الوضع ظاهراً وباطناً ولا تنقلب فى الطريق إلى صورة ثالثة لا يعلمها إلا الله غير صورة اليقظة وصورة المنام.

ولماذا يجب أن نرى الإنسان باذنجانة ولا نعود فنرى الباذنجانة - باطناً - على صورة صاروخ أو قذيفة ميجاتون أو سلطانية خشاف. !

يا دون بابلو... !

يا باطن الأباطين... !

تهنئتنا لك فى الثمانين، إنك عشت إلى زمان تجد فيه من يهنئونك ببلوغ الثمانين، ولو كان الزمن قد تقدم بك - كما أنت - إلى عصور الوعى الصحيح لأعادوك إلى عالم وعيك الباطن ربع خروف وربع طاووس وربع مصراع وربع فنجال مكسور، ولما اجتمع منك جزء على جزء يهتدى إليه بصر اليقظة أو بصر المنام.

بين الفن للفن والأدب الاشتراكى*

من علامات الخير أن يكثر الحديث عن حقائق الفن الجميل، وأن تشيع الآراء فى (النقد الفنى) بين قراء الصحافة العصرية فلا تنعزل (صناعة) القراءة الصحفية عن صناعة النظر فى الصور والاستماع إلى الموسيقى أو صناعة الإقبال على الستار الأبيض ومسرح التمثيل.

ومن يريد اليوميات - بعد الكلمة التى كتبناها عن بيكاسو وأضرابه - نعرف بعض الشواهد على شيوع تلك الآراء بين جمهور الصحافة (بالاشتراك) مع جمهور الفن الجميل.. !

يسأل الأديب خميس سعد بآداب الإسكندرية: هل من العناء الضائع تعريف الأدب على صورة إلى قبول مدرسة من الأدب وإنكار مدرسة أخرى، كما قلتم عن الفن فى كتابكم عن أفيون الشعوب.

ويسأل الأستاذ سعيد القصبى بأسيوط: ما هو الرأى الصواب فى قول الدكتور لويس عوض إن الأدب الاشتراكى يحيط به خطران: خطر عبادة الفرد وخطر عبادة الجماعة، أو خطر الفن للفن وخطر الفن للأهداف المرسومة؟

ويسأل الأديب على عيد على بكلية التجارة جامعة عين شمس: أيهما السابق فى الحياة الإنسانية والنشأة التاريخية: ظهور الفن أو ظهور العلوم؟

ويسأل السيد (عبد ربه الجنيد): هل الفنون المستقبلية سابقة لأوانها أو هى بدعة غريبة عن الفنون؟

ونرى أن الإجابة بالمبادئ المجملة تغنى عن التفصيلات فى كل سؤال

---

* الأخبار ١٩٦٢/١/١١

لخصناه فيما تقدم واكتفينا به اضطراراً عن غيره من الأسئلة التي تشبهه أو تنطوى فيه.

ومن المبادئ التي نؤمن بها فى الأدب كما نؤمن بها فى الفنون الجميلة:

١ - إن الأدب الصادق - كالفن الصادق - لا يستطيع بإرادته أو بغير إرادته أن ينفصل عن الحياة الاجتماعية التي ينشأ بين ظهرانيها.

فليس بين الأمثلة التي يضربونها لأدب البرج العاجى مثل أظهر عندهم من وصف الشاعر للوردة.. ولكن الشاعر الذى يصف الوردة لا يسكن البرج العاجى فى البلد الذى ينفق فيه (المجلس المحلى) حصة من الميزانية لغرس الحدائق والأشجار على قوارع الطرقات، وكل من الشاعر والمجلس المحلى يسكنان فى الدور الأرضى من المجتمع، إن لم نقل فى (البدرون) حيث تغوص جذور الأشجار والرياحين.

٢ - وليس هناك فن للفن - ولا فن للشاعر وسامعه دون سواه، ولا استثناء فى ذلك لقصيدة الشاعر فى الغزل أو فى الملح أو فى الهجاء، لأن قصيدة الغزل معيار لمكانة المرأة فى الأمة والبيت، ومعيار لعاطفة العاشق والمعشوقة ومعيار للذوق الذى ينم على الأخلاق. ودلالة المديح والهجاء على الأخلاق المطلوبة فى المجتمع والمنبوذة فيه أظهر وأقوى من دلالة الأوصاف التي تصطبغ بها أشكال الشخوص الخيالية فى الروايات.

٣ - إن فنون المستقبليين وغيرهم من أصحاب المدارس المستحدثة باسم التجديد تستحق البقاء فى الحاضر وفى المستقبل وفى كل زمن، إذا كانت تطوراً للفنون والآداب يجرى على سنة التطور فى جميع الأحياء ولكن التطور مستحيل مع إلغاء القواعد الفنية كل الإلغاء، لأن الكائن الحى لا يتطور بإلغاء قوامه وهدم بنيانه، بل يتطور بامتداد الحياة والإنشاء لذلك القوام وذلك الإحياء.

٤ - وإن تعريف الأدب الصحيح لا يبطل مدرسة واحدة من مدارسه الكثيرة ولكن الشرط الأول أن يكون (أدباً)، ولا يكون قضاءً على الأدب فى أصوله.

فالشعر الجديد لا يخرج من ديوان الشعر كله فى جميع عصوره، ولكن الشرط الأول فيه أن يكون شعراً يبقى على قوام فن الشعر ولا يهدمه من أساسه، ولا قوام للشعر إذا أصبح الشعر والنثر فناً واحداً لا تمييز فيه بين القصيدة وبين النثر المفصل أو المسجوع.

obeikandl.com

ضبط النغم*

يسأل السيد عبد الهادى بيومى عن أدوار المغنين الكبار فى عصر عبده الحامولى وما قبله: هل كانت لهم طريقة معروفة لتسجيل ألحانهم؟ وهل توجد هذه الطريقة فى أوراق محفوظة: وعلى أى أساس كانوا يعتمدون فى مراجعتهم الفنية؟ وهل يمكن أن تقارن طريقتهم فى تسجيل الألحان بطريقة النوته الأفرنجية فى الموسيقى الحديثة؟

والمحقق فى موضوع هذه الأسئلة أن الفن الموسيقى القديم كانت له طريقته فى التسجيل، وهى طريقة الحفظ والرواية، ولا تقل هذه الطريقة فى ضبطها للأصوات والألحان عن طريقة السلم الأفرنجية، لأن المهم فى السلم هو حفظ النسبة بين النغمات والمقامات على حسب الاختيار، وقد طرأت على هذه النسبة تعديلات كثيرة فى الزمن الأخير وفقاً لكل مذهب من مذاهب الفنانين المولعين ببدعة التغيير إلى الأحسن أو إلى «الألعن» على حسب المصادفات والحظوظ.

ولا يخفى أن حفظ النسبة بين النغمات كحفظ النسبة بين المسافات فى كل قاعدة، فليس ما يمنع الكاتب - مثلا - أن يقدر النسبة بين السطور والكلمات بالمقادير التى يرتضيها، وكل ما يلزمه فى هذه الحالة أن يكون بعضها نصف البعض الآخر أو أربعة أو ثلاثة أضعاف أو عشرة أضعافه كما يشاء مع التزام الفرق فى جميع الأحوال، ولا مانع فى هذه الحالة من الشذوذ على قياس، أو من الخلط على قاعدة، كما حدث فعلا فى بعض مذاهب الفن الحديث.

أما طريقة الفن الشرقى التى اعتمدت على الحفظ والرواية، فإنها لا تنحرف قيد شعرة عن المحفوظات وعن الأصوات التى تناسبها ويعرفونها بعلاماتها.

---

* الأخبار ١٩٦٢/٤/١١.

ولهم طريقة متوارثة قائمة على أساس متين من مراجع متعددة، أهمها فيما نعلم :

أولا ـ علم التجويد أو علم القراءات، وقد اجتمع من مراجع هذا العلم فى القاهرة وطنطا - حيث يحفظ القرآن بالمسجد الأحمدى - ما لم يجتمع فى بلد من البلدان الشرقية، وتعاون الثقات من أقطاب فن الإيقاع فى المشرق والمغرب على صيانة هذا العلم فيما يتعلق بحفظ القرآن الكريم بتلك العناية الدقيقة التى تلاحظ فى كل أمر يرتبط بتعليم القرآن وأمانة حفظه، وانتقلت أعباء هذه الأمانة إلى القاهرة من عواصم الدولة العباسية فى المشرق وعواصم الدول الإسلامية على اختلافها فى المغرب، وتوافد إليها العلماء المغربيون بعد اضطراب الأحوال فى الأندلس ومعهم كل ما أتقنوه من فنون الإيقاع والتوشيح وفى مقدمتها علم القراءات.. وقد كان الفيلسوف من كبار الفلاسفة المغربيين يجمع بين العلم بالشريعة وبين العلم بالأنغام على الغاية مما وصل إليه هذا العلم عند الأقدمين، وكان من أوليائهم المنقطعين للعبادة من يحسن دراسة القراءات على أصولها الفنية والفقهية، ومنهم الإمام الشاطبى صاحب القصيدة المطولة المعروفة باسم «حرز الأمان» التى اشتهرت باسم الشاطبية فى علم القراءات، وهو مدفون بالقاهرة، فهو غير الإمام الشاطبى محمد بن سليمان المعافرى المدفون بالإسكندرية، وكان أيضًا من أكبر علماء القراءات وله فيها كتاب «شرف المراتب» و«المنازل» مع كتاب «اللمعة الجامعة» فى التفسير.

ومما يدل على ارتباط علم القراءات بعلم الإيقاع فى الفن الشرقى إلى العصر الأخير أن أكثر واضعى الألحان منذ خمسين سنة كانوا من المشايخ الذين نشئوا أولا بين القراء ثم اشتغلوا بأناشيد الموالد وانتقلوا منها إلى التلحين، ونذكر منهم الشيخ يوسف المنيلاوى، والشيخ سلامة حجازى، والشيخ زكريا أحمد، والشيخ سيد درويش، وآخرين غيرهم لم يشتهروا بالفن شهرة هؤلاء.

obeikandl.com

ثانياً - فن التوشيح، وقد تجمع أقطابه فى القاهرة من الأقطار الإسلامية المتفرقة، وكان آخر أقطابهم فيها الشيخ درويش الحريرى رحمه الله، وقد كان يحفظ مئات التواشيح بألحانها التى لا خلل فيها، وإليه كان مرجع الفنانين فى ضبط هذه الألحان.

ثالثاً - أناشيد الموالد، ومثلها أناشيد القداس فى المعابد القبطية، ويغلب على اعتقادنا أنها ترجع إلى أصول سابقة لعصر الإسلام وعصر المسيحية، وبينها من التقارب فى قواعدها العامة ما ليس يخفى على المستمعين إليها فى الصعيد الأوسط والصعيد الأقصى على الخصوص، وهناك نشأ أكبر « الموالديه » على قلتهم فى الأقاليم الشمالية، وقد سمعنا علماً من أعلامهم المتأخرين وهو الشيخ حسن جابر الذى عاش إلى عهد قريب، وكان آية الآيات فى طلاقة الصوت وحسن الإيقاع والخبرة بضوابط الصوت فى أناشيد التواشيح ومواويل الغناء « البلدى » وأكثرها خبرة مستمدة من السماع والرواية الموروثة، مع حفظ غير قليل من التعليم والتلقين.. وعلمت من بعض من سمعوه وصاحبوه أن إسناده فى العلم بالقراءات تتصل بالإمام الجلال السيوطى رضى الله عنه وهو ابن بلده كما هو معلوم.

رابعاً - جمع المرددات الشعبية من أنغام شعراء الربابة الحماسيين، والشعراء الذين ينشدون مواويلهم على الربابة أو على الأرغول، وتضاف إلى هذه المرددات أناشيد الأعراس والمآتم وأناشيد الفلاحين فى مواسم الزرع والحصاد. وكلها مأخوذة عن أصول فنية جيدة فى إيقاعها وأدائها، وإن يكن بعض المرددين لها يجهلون أصولها بين أوزانها كما هو الشأن فى كل عمل فنى ينتقل إلى غير أهله، إذ ليس كل ما يوقع الآن على معازف البيوت ودور السماع مطرداً على أصوله التى قيدها كبار الفنانين، ممن أدركوا عهد التسجيل بالنوتة أو بغيرها من ضوابط الأصوات والألحان.

وعلى هذه الأسس المتعددة يمكن أن تقام قواعد التلحين فى كل لون من ألوان الغناء وكل مذهب من مذاهب الموسيقى، فلا حاجة بالفن القديم إلى قواعد مخترعة فى العصر الحاضر، ومثله فى ذلك مثل الحروف الأبجدية التى تتألف منها الكلمات إلى غير نهاية، أو مثل الكلمات التى يحيط بها القاموس ويتألف منها ما يشاء المؤلف من الأفكار التى يناقض بعضها فى معناها، فلا حاجة إلى تعديل فى الحروف والكلمات وإنما الحاجة - كل الحاجة - إلى التعديل فى العقول والأذواق.

obeikandl.com

رواد أهملناهم*

قرأت اليوم فى الأخبار أسماء أكثر من عشرة من نوابغ فن الموسيقَ وفن الغناء فى الجيلين – الماضيين، ومنهم عبده الحامولى، وألمظ، ويوسف المنيلاوى، وداود حسنى، وعبد الحى حلمى، ومحمد السبع وسلامة حجازى، وأمين البوزرى، والسيد الصفتى، ومنيرة المهدية، ومحمد العقاد،وغيرهم من زملائهم وأندادهم الذين جددوا الموسيقَ والغناء منذ أواخر القرن الماضى إلى أوائل هذا القرن العشرين.

قرأت هذه الأسماء فى خطاب للسيد «محمود سعيد الحضرى» إلى الأستاذ محمد زكى عبد القادر فى كلمته «نحو النور» وعرفت من تقديم الأستاذ زكى أن صاحب الخطاب جاوز الخامسة والتسعين وأنه يسأل:

هل يرضيك أن نحرم من سماع غناء «زمان» الساحر؟ ويذكر على سبيل المثال غناء أولئك الرواد المبدعين مشفوعاً بالأسف والأسى والحنين.. !

ومن حق السيد الحضرى – ولا ريب – أن يحن إلى سماع تلك الأصوات التى سماها بالساحرة ولم يبالغ فى وصفه، لأن المتفق عليه أن طائفة منهم كانت لهم «أصوات» أحلى وأوفى وأجزل وأفضل من أصوات معظم المغنين الذين نشئوا بعدهم إلى هذه الأيام، وأنهم كانوا روادً مبدعين، كان لهم الفضل الأول فى نقل الغناء من التقليد المتكرر إلى النغمة الحية ذات الألوان والأفانين التى تقول للسامع شيئاً يعنيه ولا تعيد إليه أصداء الآلات كما سمعت قبل ذلك مئات السنين.

وقد كانت أدوار الغناء من قبلهم أشبه شيء برسائل الدواوين يتناقلها

---

* الأخبار ١٩٦٢/٤/٤.

الكتاب عن آبائهم وأجدادهم جيلا بعد جيل كما حفظوها من الديباجية إلى « التقفيلة » فى الختام. فلما نبغ هؤلاء الرواد تصرفوا وأحسنوا التصرف فى توقيع أدوارهم على آلات الموسيق على حسب القواعد والأصول مع استقلالهم بالذوق والفهم فيما يختارونه من تلك القواعد والأصول، ولا يعاب عليهم فى عصرنا هذا إلا أنهم أسرفوا فى « التطبيق » حتى كادت أدوارهم أن تكون « تمرينات » على أصناف الأنغام والمقامات الموسيقية، كتمرينات المبتدئين بتعلم اللغة العربية على قواعد النحو والصرف فى كتابة موضوعات الإنشاء، وكانوا - من أجل ذلك - يفتتحون السهرات دائماً بعرض هذه « التمرينات » على كل آلة من آلات الطرب، وتلك هى « التقسيمات » التى كانوا يوقعونها على القانون، وعلى العود، وعلى القيثارة، وعلى الناى وغيرها من « آلات » التخت إلى أن تنتظم مرة واحدة فى توقيع ألحان الدور المنتظر عند ابتداء الغناء، ولعل هذه المرحلة كانت إحدى الخطوات اللازمة فى ذلك الدور من أدوار التجديد الذى كان يصاحب إحياء الفن والعودة إلى التصرف فى تطبيقه بعد ترديده زمناً على سنة التكرار والتقليد، ولم يستطيعوا التخلص من هذه الفاتحة الضرورية قبل إنقضاء جيل كامل إلى ما قبل منتصف هذا القرن العشرين وكانت علامة هذا « التخلص » أن يرفع الستار عن « التخت » مستعدًا فى اللحظة الأولى لتوقيع أنغام الدور بغير « تمرين » ولا« تمهيد » أو بغير « بشارف » ومطالع كما كانوا يقولون فى اصطلاح ذلك الجيل.

وقد سمعت هؤلاء الرواد جميعاً ما عدا عبده الحامولى وألمظ، ويشوقنى أن أعود إلى سماعهم بغير استثناء، لأنهم كلهم قد توافرت لهم حلاوة الصوت وبراعة الأداء. والأستاذية أو « المعلمة » - معلمة الريس على تخت الغناء. ومنهم من استعيد حياته، لو فتحت لى ليلة القدر التى يستجاب فيها الدعاء، لأنه أهل لأن يسمع فى هذا الزمن - وبعد هذا الزمن كما سمع فى زمانه الذى نشأ فيه، ولا أعتقد أن « صوت » سلامة حجازى، أو ترنيم أمين البوزرى على

الناى ينقضيان بانقضاء زمن من الأزمان، على خلود الإنسان فى كل آونة. وفى كل مكان.

ولكننا على فرط إعجابنا بمن هم أهل للإعجاب من بلابل «زمان» الساحر لا نود للغناء الحديث أن يعود جملة واحدة إلى مثل نشأته قبل مائة سنة، أو قبل خمسين سنة، على عهد المنيلاوى، والسبع، وعبد الحى حلمى، وداود حسنى، وإخوانهم المعروفين، فإنها خطوة من خطوات الزمن تذكر وتستعاد ولكنها لا تعود للبقاء ولا لإلغاء ما بعدها من الخطوات.

والعمل هنا عمل «الإذاعة» وسهرات العرض المتجدد على سبيل التذكار، فليس ما يمنع المشرفين على تطور الفن أن يتذكروا المراحل الأولى من الموسيقى والغناء حيناً بعد حين، ولا يشق عليهم - فيما نرى - أن يخصصوا فى كل موسم سنوى حفلة كاملة لفن الحامولى، أو فن الشيخ سلامة، أوفن ألمظ، أو فنون أمثالهم بين المغنين والمغنيات، فإنما لمثل هذه الإعادة وجدت أدوات التسجيل والحفظ والتدوين، ومن سبق بالزمن هذه الأدوات، فليس من العسير أن تضبط ألحانه على حسب السماع من الحفظ والرواية، وأن يتولى إعادتها أقدر المطربين المعاصرين على محاكاته بصورته وأدائه.

وسوف يتلقى المعاصرون هذه الحفلات كما يتلقون الجديد من مبتكرات هذه الأيام، لأنها جديدة بالنسبة إليهم ومفيدة لهم وللسامعين القدماء على سبيل الذكرى والوفاء.

صالح عبد الحى*

كالن صالح عبد الحى رحمه الله دوراً من أدوار الغناء الحديث، ولم يكن (مغنياً واحداً) معروفاً بلون من الغناء ينسب إليه وحده ويتميز به بين أنداده ونظرائه من أبناء جيله.

كان هو الصلة الأخيرة بين عهدين منفصلين من عهود النهضة المجددة فى فنون الغناء والموسيقَى والتلحين، وهما عهد عبده الحامولى ومحمد عثمان وعهد أم كلثوم وعبد الوهاب.

وقد كان مثال «ابن البلد» المطبوع فى مزاجه وذوقه وطرائفه وبدواته، وقف بعهده (البلدى) عند حدود عهد (الجنتلمان) العصرى الذى إختلط بعد ذلك بعهد (السبورتمان)، وتطرف آخر الأمر حتى اختلط بعهد الجاز، والتويست، وما يلحق بهما إلى الآن من ضروب الهوس الجنسى أحياناً وضروب الرقاعة الجنسية أحياناً أخرى.

وقف صالح بعهده البلدى الظريف عند حدود التربيعة أو جاوزها قليلا إلى حدود (الأزبكية) أيام نزهة الدوكار والرهوان والحمار (الحصاوى) الأنيق، واللاسة المطرزة تحمل على الكتف ولو كانت تتعلق بكم (الساكو) والجاكتة لا بكم القفطان أو بكم الجبة من ألوان عنق الحمامة وألوان عرف الديك. !

«ابن البلد» من فرعه إلى أخمص قدمه، وما رأيته يوماً بالشال العريض على كتف الجاكتة من طراز القرن الثامن عشر إلا اعتقدت أن (البدلة)هنا جلباب مستعار أو (بدل غلط) من ثوب آخر معلق على حبل الغسيل.. فى الانتظار.

---

* الأخبار ١٩٦٢/٥/٩.

وقد كان أقدر المغنين فى عصره على النهوض بهذا الدور العسير، لأنه رزق ذلك الصوت الجميل الذى يمثل المطلوب من الأصوات بالشروط الموسيقية وبغير (طابع شخصى) يقترن بصاحبه ولا يفارقه فى مدلوله، فكان صوته بهذه الكفاية الفنية أشبه شىء بصورة العين المثالية التى تراها مرسومة مكبرة عند أطباء العيون :مثالا للعين الصحيحة كما ينبغى أن نراها فى صورتها الطبية العلمية، ولكنها لا تذكرنا بإنسان معلوم أو إنسانة معلومة إذا تأملناها وأطلنا النظر إلى خصائصها وألوانها.

كان صوته كالماء العذب النقى يأخذ من كل إناء لونه كما يأخذ من كل إناء شكله، واستطاع بهذا الصوت الغنى (المثالى) أن يحكى عبده، والمنيلاوى، وعبد الحى حلمى، وسلامة حجازى، ومحمد السبع وإخوانهم ورملاءهم أبناء المدرسة السابقة، فلم يقصر عن واحد منهم بحلاوة النعمة وامتداد النفس وطمأنينة (المعلم) المرتاح فى جلسته وإشارته، ولا أذكر أنى رأيت مغنياً قط يستوى على (التخت) مثل استوائه، ويمتزج بأعضاء التخت الأخرين مثل امتزاجه، ولا أحسب أن صالحاً رحمه الله كان يعلم من أصول الفن الغنائى ولا من قواعد الإيقاع والأداء فوق ما كان زملاؤه المغنون يعلمونه ويدرسونه، ولكنه - ولا شك - كان أطبعهم جميعاً على السليقة (البلدية) التى لم تتوافر لواحد منهم منذ عهد عبده ومحمد عثمان، إلى عهد يوسف المنيلاوى ومحمد السبع وعبد الحى حلمى... فقد كانت (بلدية) عبده الحامولى ممروجة بسمة الذوات (الأتركه)، وكانت بلدية يوسف ممزوجة بسمة القارئ الدينى فى ثياب العرس (الفرائحى).. أما بلدية صالح فهى البلدية الخاصة بغير مريج يرد عليها من خارج القاهرة أو خارج الدوار الريفى تقليد (المدنيه)... فكان ارتياحه فى جلسته على التخت ارتياح السمكة فى ينبوعها، وكان من شأن هذا الارتياح المطبوع أن يتنفس حوله ارتياحاً مثله يسرى إلى كل فرد من أفراد التخت يجلس معه ويتلق منه نظراته وإشاراته وغمزات عينيه التى كانت أبلغ

فى التوجيه و(التصحيح) أحياناً من إشارات (المايسترو) القدير بكلتا يديه.

ولم تكن قدرته على حكاية المغنين الكبار فى الجيل السابق، دون قدرته على حكاية خلفائهم المعاصرين بلا استثناء الممتازين منهم والمتخلفين... فقد سمعناه مرة يحكى بعضهم فى أدواره «المتفرنحة» كما كان يسميها فكاد أن يؤديها أداء الجرامفون لولا مسحة من التهكم والسخرية المقصودة كان يشوبها بها لإبراز مذهبه فى انتقادها والزراية عليها.. فلم يكن إحجامه عن مجاراة المحدثين عجزاً عن طريقتهم وأسلوبهم ولا عن إعادة ألحانهم وتعليق نغماتهم وأدوارهم، ولكنه كان نفور الطبع الأصيل من شىء لا يوافقه ولا «يهضمه»وأجره على الله كما كان يقول.

هذه القدرة الفنية لازمة لنا فى كل عصر بكل ما اختصت به الأمانة لرسالتها والمحافظة الشديدة التى جاوزت حدودها لأنها بقيت بعد زمانها. فإن هذه القدرة الفنية سجل حى لا تغنينا عنه سجلات النوتة والأوراق المحفوظة، ولعل المسئولين العارفين بحق هذا الفنان المخلص يجزونه على إخلاصه بما هو أهل له من المحافظة على آثاره والتعريف بفضله فى مكانه.

obeikandl.com

نغمات الجاز تصيب السامع بالمغص*

كان السيد خروشيشيف فى نقده الفنى جديراً بالإعجاب - حين أبدى رأيه فى موسيقى « الجاز » وفى التصوير التجريدى فقال : إن نغمات الجاز تصيب السامع بالمغص، وأن الصور التجريدية إنما تصلح لشيء واحد : وهو تخويف الأطفال !

إن قيمة هذا النقد كبيرة فى رد الصواب إلى تلك الرءوس التى تلغط بالتجريد والفن الجديد، وأيسر ما يتعلمونه منه أن المسألة ليست كما يتوهمون مسألة اليسار واليمين، أو مسألة « التقدمية » و « الرجعية » التى « يبغبغون بها » وهم لا يفقهون معنى لمذاهب اليسار ولا مذاهب اليمين، ولا يفرقون بين التقدم والتأخر كلما أداروا أعينهم إلى الوراء.. ولكنها مسألة جامعة تستقل بأحكامها وأهوائها ويتلاقى فيها أقصى اليسار وأقصى اليمين كما يتلاقى الحكم على جراثيم الحمى والوباء فى كل كشف من كشوف التحليل !

وواقع التاريخ عند تحقيق أصول هذه « الأمراض » النفسية التى تشيع باسم المدارس الفنية أنها نشأت فى روسيا على عهد الحكم القيصرى قبل الثورة الشيوعية بعشر سنين، وشاعت بعد ذلك فى ألمانيا النازية كما شاعت فى فرنسا التى تضطرب بين أشتات هذه المذاهب من جيل إلى جيل، وقد ظهرت مع المذهب « التكعيبى » فى وقت واحد ثم مات هذا المذهب وبقيت لهذه السخافة التجريدية بقيتها الماجنة إلى اليوم، لأنها ارتبطت بدعوى الوعى الباطن وغرائز الجنس فتغلبت فيها دعوى الشهوات على دعوى التفكير، ولا بد لها فى النهاية من مصير كمصير التكعيبيات والمستقبليات والوحشيات التى قضى عليها اليوم كما

---

* الأخبار ١٩٦٢/٧/١١

قضى على أمثالها من وحى الهوس منذ جيلين.

وقد كان مالفيش Molevich بعد الثورة الشيوعية بأربع سنوات يدافع عن هذه السخافة، ويبلغ به الغلو أن يطلب مصادرة التصوير التشبيهى لأنه بقية من بقايا الاستعمار كما قال فى رسالته عن «قضية فن الأشباه».. وظل يجهر بهذه الدعوة إلى أن غلبت عليه صيحة النقد «الإجماعى» وثار عليه زملاؤه من الروس يردون التهمة بمثلها ويفسرون (الفن التجريدى) بأنه رجفة الاحتضار فى الأمم التى ضلت طريقها بين بقايا الماضى وبوادر العصر الجديد.

ويوجد اللاغطون بالفن التجريدى فى الغرب، كما يوجد المحتقرون له والساخطون عليه، فليست الحملة عليه خاصة من خواص المعسكر الشرق كما يسبق إلى الخاطر من كلمة السيد خروشيشيف، بل يقع الخلاف على هذه البدع أو هذه التقاليع حيثما ظهرت أعراضها وسرت منها عدواها كماتسرى كل عدوى من أمثالها إلى حين.

ومنذ أسابيع ظهر كتاب جون كانادى Ganady كبير النقاد الفنيين بصحيفة (نيويورك تايمز) وفيه خلاصة آرائه التى كان ينشرها وينحى بها على دعاة التجريد من أبناء وطنه أو المهاجرين إليه، وقد كتب تسعة وأربعون منهم خطاب احتجاج شديد عليه ونشرته الصحيفة بنصه لتتلق آراء النقاد ومحبى الفنون الجميلة فى موضوعه، فكان الأكثرون من المؤيدين للناقد الكبير وكانت القلة الضئيلة التى شاركت المحتجين فى احتجاجهم تردد تفاهاتها التي لا تقنع أحداً ولا تتطلب الإقناع من أحد، لأنها تقوم كلها على أن «الفسن» يحس ولا يفهم، وتثبت حجته بالشعور المتبادل من غير حاجة إلى إثبات.. وهو زعم من مزاعم الألفاظ الجوفاء لا يسنده تبادل الشعور نفسه، لأن الشعور بصورة من الصور التجريدية لا يقع فيه التبادل بين إنسانين ولا بين الإنسان ونفسه على نحو يدركه الحس على وجه من الوجوه.

ومن طبيعة هذه التقاليع أنها غير قابلة للانتساب إلى مدرسة فكرية تنتظم على قاعدة وتتسع للمناقشة لأن الداعين إليها أعجز عقولا من أن يحسنوا تلفيق الكلمات فضلا عن تلفيق المعانى، التى تدارى ما وراءها من فراغ.

فليست هى يسارية ولا يمينية، وليست هى من المدارس الواقعية ولا المدارس المثالية، ولكنها قد تسخر أحياناً لخدمة سياسة الهدم حيث يراد الهدم لتطبيق دعواته ومناوراته، فمن العسير أن يرجع بها الباحث إلى قاعدة من قواعد المادية أو قاعدة من قواعد المثالية الروحية، بل من العسير أن يرجع بها إلى نظرية مفهومة من نظريات فرويد التى يقولون أنهم مهتدون بهدية فى أسرار « الوعى الباطن » وخفايا الشعور واللاشعور.. لأن كلمة « الوعى الباطن » وما إليها تجرى على ألسنتهم كما تجرى على لسان « أمى » من عامة الجهلاء لا يعرف شيئاً عن فرويد غير السماع، وسماع الاسم الشائع غير مرتبط بفكرة أو كتاب.

إلا أن هذه التقاليع قد ترجع من بعض سراديبها إلى الصهيونية العالمية وأذنابها فى كل بقعة من بقاع الكرة الأرضية، وهى تستحق من الصهيونية العالمية شيئاً من العناية الخاصة لأنها صالحة للاستغلال التجارى صلاحها للاستغلال فى دعاية الهدم والعبث بالنظم المقررة والأمثلة العليا، وحسب الصهيونية منها أنها تلغى القواعد والأصول المصطلح عليها فى ميدان إنسانى واسع كميدان الفنون الجميلة، فإن نجاح الصهيونية مكفول حيث يبطل العرف ويهون أمر النظام والعقيدة، ويتبعه على الدوام نجاح الأخلاق والآداب.

وليس من مجرد المصادفة أن يكون الموسيقى الصهيونى « ارفنج برلين » مؤسس « الجازباند » وناشر « الراجتايم » بعد ترويجه فى صالات الموسيقى Music Hall التى تديرها شركات صهيون وتعزف فيها فرق العازفين والراقصين والراقصات من أشياع صهيون.

فإذا كمنت وراء هذه العوارض المرضية هيئات لها صبغة المذاهب العالمية، فأقرب الهيئات إلى الاستتار وراء الفنون المشوهة هى هيئات الاستغلال، ودعوات الهدم فى أيدى الصهيونيين أو من يشايعونهم فى طريق الهدم، ولو عملوا لغير هذا الحساب.

ومن كان غير هؤلاء من ببغاوات التجريد والتجديد عندنا، فهم أهل للعزاء الجميل - أو غير الجميل - بعد فجيعتهم فى «التقدمية» التى كانوا يحسبونها جناحاً من أجنحة اليسارية، إذ لا أمل لهم فى مرضاة غرورهم بهذه الخديعة بعد تلك الكلمة الصريحة من السيد خرشيشيف فى موسيقَ الجاز وفنون التجريد.

obeikandl.com

الرائد سيد درويش*

قرأت اليوم فى مقال الأستاذ التابعى كلمة للأستاذ عبد الله شداد عن أغانيه التى يقول إنها مصدر الألحان التى تنسب الآن إلى السيد درويش ومصدر الألحان الأخرى. التى أشتهرت بعنوان (الفرانكو آراب) أيام الثورة الوطنية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

والذى أذكره - إذا لم تخذلنى الذاكرة - أن الأستاذ عبد الله شداد كان يتجلى كثيراً فى ميادين الألعاب الرياضة قبل اتصاله بنادى الموسيقَ الشرقى، وكان يستعين بأناشيد المدارس على تلحين (الأحاديات) - المنولوجات - التى كانت تلق أحياناً فى الحفلات المدرسية ويمثل بها المنشد بعض الأدوار الفردية المضحكة كدور التلميذ العبيط، وابن البلد (الفنجرى)، والعاشق المفلس، والزوج السكران، والريفى الغشيم فى البندر، وغير ذلك من الأدوار التى تناسب مسرح المدرسة كما تناسب سهرات العائلة، وقد سبقه المؤلفون إلى أدوار (الفرانكو آراب)، ومثلت روايات كاملة من هذه النوع على مسارح الفجالة والتوفيقية، وكان لعزيز عيد، وعطا الله، والريحانى، سهم وافر فى توفيق هذه الأدوار من روايات (الفودفيل) وفصولها المضحكة التى كانت تعرض على مسارحنا بعد اختتام فصول الفواجع المحزنة على الخصوص.

أما تجديد السيد درويش فى أغانى الأناشيد خاصة فقد كان له مجال آخر غير هذا المجال، ولعله كان النشاط الفنى الوحيد الذى يعتبر تمهيداً للتطور الاجتماعى فى أحوال الطوائف الصناعية خاصة حيث لا تختلط هذه الأدوار بالأدوار الفردية على المثال الذى ذكرناه، فإن أناشيده على ألسنة الحوذية وباعة الدجاج وباعة اليانصيب وتجار العجم وعمال السلطة والمراكبية كانت تمهيداً فنياً

---

* الأخبار ١٩٦٢/٧/٤.

لا شك فيه لشيوع النقابات وانتباه كل طائفة من الطوائف إلى وحدتها الاجتماعية، ولم يكن للسيد درويش شريك يذكر فى عالم الفن بهذه المقدرة من المشتغلين بالغناء والمشتغلين بالتمثيل.

ولا نعلم أن السيد درويش أدعى قط أنه مبتدع جميع الألحان التى استعان بها المؤلفون المسرحيون على تلحينها، بل كان يصرح أحياناً أنه (ينفذ) بعض الألحان من استغلال جماعات المتسولين لينقلها إلى عملها النافع فى تصوير بعض الأدوار، وربما كان من قبيل تلك الألحان الضائعة أناشيد على نغمات الأذكار أو نغمات الموالدية فى بلاد الريف وكلها مسموعة مشهورة لا تقبل السرقة على طريقة الاختلاس والمداراة.

وربما عمد إلى الألحان القديمة ليعارضها بمثلها فى موضوعها، لأنه أليق بها من أدائها الأول على إيقاع التخت القديم، ولايخفى الفرق بين المعارضة على قصد ومعرفة كما فعل كبار الشعراء فى كثير من المناسبات، وبين السرقة التى يزاد بها العدوان والادعاء مع العجز عن الابتداع والافتنان.

وربما كانت طريقة السيد درويش فى هذه المعارضة كطريقة ربات الدور المدبرات حين يخرجن ثياب الأجداد والآباء النفيسة ليفصلنها على مقاس الأبناء والأحفاد، ولينقلها هؤلاء من الصندوق والصوان المهمل إلى المدرسة والطريق وميدان الألعاب.

وليس من السهل أن تلتبس شهرة الموسيقار الخلاق بشهرة المغنى الذى يؤدى ألحان غيره ولا يزيد عليها، فقد كان من المستحيل فى أمر السيد درويش خاصة أن يعرف بهذه المكانة الموسيقية لو كان اعتماده كله على صوته الذى يؤدى به أغانى الملحنين من قبله، لأنه لم يكن كما نعلم جميعاً من أصحاب الأصوات النادرة فى الغناء، وإنما كان نادراً فى زمنه بما عرف عنه من قدرة الخلق والتعبير عن الأطوار النفسية والاجتماعية، بالجديد والقديم من الألحان.

أغانى الأمة.. دليل على رقيها*

« .. كنت قد قرأت قديماً أن أحد الأدباء المفكرين قال ما معناه : إذا أردت أن تعرف مدى رقى أمة فاستمع إلى أغانيها وإنى أرجو أن تتفضلوا بذكر اسم هذا الأديب المفكر ومبلغ الصحة فى كلامه ».

محمد منير

مؤلف برنامج مع الناس بالتليفزيون

أفلاطون هو صاحب الكلمة الأولى التى يرجع إليها المفكرون المحدثون والمعاصرون الذين يريدون أن يثبتوا للموسيقَ فضلا كبيرا فى حياة الأمم وعملا ملحوظاً فى شئونها الجدية، ليترفعوا بها عن مجرد اللهو فى ساعات الفراغ والبطالة.

ولم يرسل أفلاطون كلمته فى هذا المعنى مثلا سائراً يتناقله المتحدثون من قبيل شواهد الحكمة على ألسنة الأقدمين، ولكنه أقامها مقام الحجة المقنعة فى سياق حواره المفصل عن مقومات الحكم الصالح للجمهورية المثالية، فنبه فى الجزء الرابع من ذلك الكتاب الخالد إلى خطر الاستخفاف بالتغييرات والتبديلات الموسيقية لأنه يهدد « الدولة ويتبعه لامحالة تغيير وتبديل فى الشرائع والقوانين ».

وتناقل المطلعون على الفلسفة اليونانية هذا الرأى كأنه من القضايا المسلمة، فكثر وروده فى الأحاديث والرسائل. وحفظ منه ما جاء فى رسائل الكاتب السياسى اندرو فلتشر أحد مشاهير القرن الثامن عشر (١٦٥٥ - ١٧١٦) حيث يقول

* الأخبار ١٩٦٢/٨/٢٩.

«إننى أعرف رجلا على غاية من الحكمة والسداد كان يعتقد أنه استطاع أن يضع أغانى أمة فلا عليه أن يبالى بعد ذلك من يضع لها قوانينها، ونحن نعلم أن أكثر المشترعين الأقدمين كانوا يرون أنهم لايقدرون على إصلاح أخلاق أمة بغير معونة من شاعر غنائى أو شاعر مسرحى فى بعض الأحيان».

والمفهوم - على الأرجح - أنه كان يعنى بالرجل الحكيم ذلك الفقيه الكبير فى عصره جون سلدن (١٥٨٤ - ١٦٤٥م) الذى كان على علمه بفقه الشرائع خبير ثقة بالآثار الباقية من فنون الأولين.

وآخر المراجع المأثورة لهذه الكلمة فى العصر الحاضر مقدمة الكاتب الأمريكى جورج جين ناثان للكلام عن الدنيا الزائفة The World in falschood حيث يقول:

«لست أبالى من يكتب قوانين أمة مادمت أصغى إلى أغانيها» وهو كاتب مقروء فى البيئات السياسية توفى منذ أربع سنوات (١٩٥٨)، ونظن أن السياسى الأمريكى الكبير الذى زار أفريقية الغربية حديثاً كان يشير إلى كلام هذا الكاتب حين قال بعد زيارة المجلس التشريعى وسماع الأغانى الشعبية، إنه كان سعيد الحظ لأنه استطاع أن يجمع فى وقت واحد بين معرفة الذين يشرعون للأمة والذين يغنون لها خلال زيارة واحدة.

أما صواب هذه الكلمة، أو مبلغها من الصحة، فقد يظهر لأول وهلة إنها إحدى المبالغات التى يسوغها فى الأساليب الخطابية لتقرير الحقائق التى يستغربها الكثيرون وتحتاج إلى شىء من التوكيد والشطط - أحياناً - لتنْبيه الأسماع إليها.

ولكنها - بعد التأمل اليسير فيها - تحسب فى عداد الحقائق الرياضية وتدل على معناها الصحيح دلالة حرفية.

ويكفى أن نعرض الحقائق التى نستطيع أن نفهمها من الاستماع إلى أغانى الأمة لنعلم أن الكلمة صواب بجميع معانيها.

فمن أغانى الأمة نفهم طبيعة الغزل فيها هل هو صادر من بواعث الغريزة الحيوانية أو بواعث العواطف الإنسانية، وهل هو تعبير عن متعة جسد ليس إلا، أو هو تعبير عن شوق إلى التعاطف والمبادلة النفسية بين صفات اللطف والجمال فى المرأة وصفات الإقدام والفتوة فى الرجل.

ومن أغانى الأمة نفهم هل تجرى العلاقة بين الجنسين فيها على سنن العرف والحياء، أو على دواعى الإباحة والابتذال، وهل الحب فيها مسألة ذوق ونخوة وأريحية، أو هو مسألة متعة وحيازة ومساومة.

ومن الأغانى نفهم الفارق بين دواعى الطبيعة ودواعى المجتمع، وبين العشق الفطرى والزوجية الشرعية فى كل علاقة بين الجنسين، ونفهم مقدار ما فى النفوس من الصراحة والاستقامة فى حياتها العامة، ومقدار ما فيها من النفاق والمراوغة فى تلك الحياة، ونقيس المسافة الصادقة بين الواجبات المفروضة والواقع المباح كلما قسنا المسافة بين ما يشتهيه الناس بالحس والاختيار وما يوجبونه على أنفسهم بحكم التقاليد والأوضاع المرسومة.

ومن الأغانى نفهم أفضل فضائل الرجل والمرأة جسداً وروحاً، كما نفهم أحسن المحاسن التى ترغب كل من الجنسين فى الآخر.

ومن الأغانى نفهم علاقة العاطفة بالثورة، وعلاقة الشمائل الإنسانية بالمنازل الاجتماعية والأقدار المتعارف عليها.

ومن أغانى الفخر والحماسة نفهم خلائق الأمة من العزة والمحافظة على الحقوق، أو من الطمع والعدوان على حقوق الآخرين.

ونفهم من أغانى الحداد تكون الأسرة وعادات الأقربين ومآثر كل فرد من أفراد الأسرة فى تقدير أهله، ولايخفى علينا نصيب المحزونين من الصبر والجزع ونصيبهم من الشعور الإنسانى الحق وشعور التقليد والحكاية مطاوعة للعرف والعقيدة.

ولا نعرف شيئاً تنطوى عليه خلائق الأمم وعاداتها يخفى على من يستمع إلى أغانيها، وقد نمتحن هذه الحقيقة بتجربة ميسرة لكل من يريدها، وهى تأليف مجموعة صغيرة من مائة أغنية من أغانى الغزل والفخر والحداد والفكاهة والمناجاة على اختلاف بواعثها، فإننا سنجد بعد مراجعة هذه المجموعة أننا نستطيع أن نحكم منها على أخلاق الأمة وآدابها وما تعمله القوانين والشرائع فيها، وسنجد بعد ذلك مصداق قول أفلاطون إن هذه الأغانى فى المجموعة الصغيرة لاتتغير بمعانيها وألفاظها وألحانها إلا كان ذلك دليلا على تغيير جوهرى فى كيان الأمة وكيان الدولة معها.

obeikandl.com

الهوس بفن التصوير فى المغرب*

من مصلحة الفن الخالد أن يشتد الهوس أحياناً بفنون التقاليع التى يسميها أصحابها بعشرة أسماء فى وقت واحد، ثم تنطوى هذه الأسماء جميعاً فلا يبق منها اسم واحد بعد انقضاء عددها من السنين.

واشتداد الهوس بهذه التقاليع الزائلة مصلحة غير مقصودة للفن الخالد كما ذكرنا، لأن هذه التقاليع لن يبلغ من أثرها أن تمسح من صفحات الخلود فناً مكتوباً له البقاء، ولكن التهوس بها حينا بعد حين قد يكفى لتنبيه المتشككين إلى قيمة الفن الصحيح كلما أوشك أن ينساها المتأخرون من أنصار الفنون الجميلة على السماع.

لو كان لهوسة الفنون المشوهة أثر فى قيمة صورة واحد من صور الأساتذة المتقدمين لفرغت متاحف هذه الصور من ذخائرها المصونة، ولاستغنى المحافظون عليها من عناء هذه المحافظة المرهقة، ذات التكاليف والمغارم والأعباء التى لا تحصى ولكن الواقع أن جذور هذه «الهوسة» لاتتجاوز قرار الورقة التى تتشرب مدادها أو طلاءها، وغاية ما تبلغه من الأثر أنها تزيد الناس تقديراً للصور النادرة من بقايا الفنون الخالدة، وتحفزهم، أحياناً إلى المغالاة بها والمبالغة فى أثمانها والاعتزاز بصيانتها واقتنائها.

ولم يحدث فى تاريخ التصوير القديم أو الحديث أن صورة محفوظة بيعت بالثمن الذى تباع به هذه الصور بعد شيوع التقاليع التى يزعم أدعياؤها أنها ستقضى على كل بقية من بقايا التصوير قبل أوائل القرن العشرين.

فقد بيع بعض هذه الصور بمليون جنيه منذ سنوات، واشترى متحف

---

* الأخبار ١٩٦٢/٨/٢٢

« منهاتان » صورة « رمبران » التى رسم فيها الفيلسوف أرسطو وهو يتأمل تمثال الشاعر هوميروس، فنافس فيها المزايدين حتى استقرت المزايدة عليه قبل ختام السنة الماضية بمليونين وثلثمائة ألف دولار.

ومنذ شهور قصرت موارد « الأكاديمية البريطانية » عن تكاليفها الكثيرة فأعلنت عن مسودة بالفحم لصورة السيد المسيح فى طفولته من عمل الفنان الخالد «ليوناردافنشى» لتبيعها بثمانمائة ألف جنيه استرلينى بعد شهور، فثارت ثورة الرأى العام فى البلاد الإنجليزية لاعتقاد القوم أن مثل هذا الثمن قلما يبذله أحد فى العصر الحاضر من غير أصحاب الملايين الأمريكيين واضطرت الأكاديمية أن تؤجل موعد البيع وتفتتح صندوق الاكتتاب بالشلن والشلنين تحقيقاً لمعنى المشاركة الشعبية فى الحرص على هذا الأثر الثمين، واتقاءً لحملات النقاد الحزبيين على الحكومة لو تبرعت بشراء تلك الصورة من أموال الميزانية المجموعة من أرزاق الفقراء وأموال الأغنياء، فبلغ عدد الزوار الشعبيين لمتحف الأكاديمية سبعمائة ألف وثلاثة آلاف زائر إلى نهاية شهر يوليو الماضى، واجتمع من تبرعاتهم بالشلن والشلنين وعملة « الفكة » أكثر من خمسْى الثمن المطلوب، فأعلنت الحكومة يومئذ أنها تحقق مشيئة الشعب بإتمام الثمن من الميزانية، عند انتهاء موعد الاكتتاب.

والمهم فى هذه « المظاهرة الفنية » أنها ترجمان عن شعور « الجمهور العام » فى حكمه على آثار الفنون وفى تعبيره عن مبلغ المنافسة بها والغيرة عليها، وليست مجرد خيال من أخيلة المختصين المفتونين بهذه « الكماليات » الذين يقال عن أهوائهم أحيانا أنها ضرب من «الحذلقة» يحتمل منهم كما يحتمل الفتنة بكل هواية خاصة يشتغل بها الفارغون من عشاق الهوايات.

قريب من هذه «المظاهر» يوشك أن يحدث عندنا فى عالم الموسيقَى والغناء، وهو «ابن عم» عالم التصوير إن لم نقل أنه أخوه!

فإن المبالغة فى دعوى التجديد للأغانى الحديثة، مع المبالغة فى الاستهزاء

obeikandi.com

بأغانى القرن الماضى، يتبعها رد فعل سريع بين عشاق الغناء من المتقدمين والمتأخرين، ويظهر «رد الفعل» هذا فى كثرة السؤال عن بقايا الإسطوانات المهجورة من مخلفات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كما يظهر فى وسائل الهواة الأولين إلى الصحف ودور الإذاعة يقابلون المبالغة فيها بالمبالغة إلى الطرف الآخر، ويتعصبون للدقة القديمة من قبيل التحدى والمناجزة، تفضيلا «لمغنى زمان» على آخر الزمان، وإعجاباً بالليل والعين بعد طلوع النهار بغير عين، وبغير أذنين مستمعين!

والشبه بين مظاهرة التصوير عندهم ومظاهرة الغناء عندنا قريب فيما يحدث عادة من تنبيه الأذهان إلى رد الفعل السريع، ولكنه يبتعد كثيراً، فيما عدا ذلك، من وجوه المقارنة بين الفنون فى الماضى والحاضر.

فالغناء من «مدرسة الليل والعين» لم يكن قط فناً من فنون الخلود التى تبقى على الزمن.

والغناء الحديث فن متقدم لا نكران لتقدمه المستحسن من بعض نواحيه، وقد يعرض له بعض الشذوذ فى قواعده التقليدية ولكنه شذوذ لا يهدد قواعد الفن بالهدم ولا يخرج على الأصول المرعية فى موسيقَى الأقدمين أو المحدثين...

ولكن المبالغة فى الادعاء تأتى من جانب النقاد المتعجلين الذين يتطرفون إلى إنكار القديم كما يتطرفون إلى إنكار الجديد أو إلى الإعجاب به وراء الحدود...

ومن هؤلاء المتعجلين من يجهل معنى الغناء القديم ويتطرف فى الإنكار فيحسب أن «مدرسة الليل والعين» كلام بغير معنى، وصياح فى الهواء لا يدرى أحد ماذا كان معناه، ولا ندرى نحن اليوم لماذا أولع الأقدمون بترديد هاتين الكلمتين فيه، وهما فضول لاموضع له من كلمات الدور ولا من أوزان التلحين.

وفى إحدى رسائل اليوميات رسالة يقول فيها كاتبها «السيد أحمد محسن» إنه مع إعجابه بغناء «زمان» لايريد أن يصدق أنهم كانوا يصيحون طول السهرة بكلمات لايفهمون معناها ولا يستريح فى الوقت نفسه إلى التفسيرات التى اطلع عليها حديثاً ومنها تفسير موسيقار كبير يرى أنهم كانوا يرددون كلمتى الليل والعين «لأن الليل هو مجال التأمل والشكوى... وأن العين كلمة رقيقة. وجد فيها المغنى الحروف التى يستطيع أن يستعرض ألحانه خلالها...»

ويستطرد السيد أحمد محسن فيسأل: لماذا نلغى هذه الكلمات - مهما يكن معناها - وقد دخلت فى تركيب أدوار الغناء حتى أصبحت كالنغمة الثابتة فى أنغام المقامات؟

وسيعود الأمر إلى نصابه إذا نحن أغلقنا باب الادعاء العريض، وفتحنا باب العودة أمام الفن القديم ليعود إلى أدوار الغناء الجديد كلما اتسع له موضع فيه، وسيتسع له موضع فيه - بل مواضع كثيرة - كلما عاد الليل وعادت العين إلى عملها فى مناجاة العشاق، كما بدأ من قبل فى أيام الليل والعين.

إن ترديد هاتين الكلمتين لم يكن من الفضول فى أغانى القرن الثامن عشر أو أغانى القرن التاسع عشر إلى أوائل هذا القرن العشرين، ولكنهما «وصلتان» طبيعيتان ولدتا من بنية الغناء كله ورجعت بهما النسبة الحية إلى صميم العاطفة الإنسانية قبل أن ترجعا عبثاً إلى رنة الوتر أو نبرة الصوت.

وقد كان قوام الغزل فى أيام الليل والعين على شكوى السهاد والبعاد. وأى كلمتين فى لغة الإنسان ألصق بالسهاد والبعاد من كلمة الليل أو من كلمة العين؟

إن الليل هو موعد السهاد، والعين هى التى تعانيه وتشكوه وهى مبتعدة عمن تهواه.

ولو قيل لعاشق ساهد أن كلام الألسنة كله محظور عليك إلا كلمتين، لما

استطاع أن يختار لغنائه على الخصوص - كلمتين أوفق له فى مناجاته من بعيد غير نداء الليل ونداء العين.

وليس العاشق الحديث بحاجة إلى هذه الاستغاثة «المزدوجة» فى عصر السفور والاختلاط بين الجنسين.

والحرية النسائية إلى حد الهجوم، والسهر المباح للجنسين خارج الدار أو داخل الدار للاستماع إلى أحاديث الغرام، أو للنظر إلى مواقف الغرام من الإذاعة المسموعة، أو الإذاعة التى تسمع بالأذن وتنظر بالعين.

فالشكوى هنا شكوى مواعيد ومقالب وألاعيب لا ذنب فيها على سهاد الليل ولا موجب فيها لبكاء العين.

ولكن إذا عادت ريمة إلى عادة من عاداتها القديمة، فمن ذا الذى يحرم السهر بعد المواعيد، أو يبيح للعين الرقاد فى موعد السهاد؟.

باب العودة مفتوح من هنا للفن القديم، وفتحه - ولو مواربة - ضرب من الحكمة إن لم يكن ضرباً من التوقيع الجميل أو خطوة من خطوات التقدم والابتكار.

الأناشيد الوطنية*

يكاد بريد اليوميات فى هذا الأسبوع أن يدور حول (دور) واحد، وهو دور الأناشيد الوطنية.. ويتفق أصحاب الرسائل على استغراب قول الأستاذ عبد الله شداد أن هذه الأناشيد كانت قليلة، أو معدومة قبل أن يتصدى لها بالتأليف والتلحين فى أعقاب الحرب العالمية الأولى.

ويشترك السادة (أحمد هجرسى وعلى عونى وحسن رأفت) فى التذكير ببعض المراجع التى يلفتون إليها مسامع الأستاذ شداد لتصحيح سهوته فى تاريخ هذه الأناشيد عامة، وفى علاقتها بالسيد درويش من وجهة خاصة.

ففى سيرة السيد درويش التى صدرت منذ شهرين يقول الدكتور محمود الحفنى (إنه لما ناهز الخامسة من عمره ألحقه والده بكتاب حسن حلاوة، وهو غير بعيد من منزله، وهنا يبدو أن موهبة الطفل قد واتاها الحظ لأول مرة حين كتب لها أن تجد فى هذا الكتاب من يلقى عليها أول ضياء.. فقد كان فيه مدرس يدعى سامى أفندى له شغف بحفظ الأناشيد وقد تعود أن يلقيها لتلاميذه الصغار. وما من شك فى أنه لمس فى تلميذه الصغير سيد درويش استعداداً طيباً لتلقى هذا النوع من الأغانى والألحان).

إلى أن يقول: (ثم غادر سيد كتاب حسن حلاوة إلى مدرسة فى حى رأس التين عرفت باسم شمس المدارس، وفى هذه المدرسة تسعده المصادفة مرة ثانية بلقاء سامى أفندى معلماً بها كما كان شأنه فى كتاب حسن حلاوة، ويحالفه التوفيق حين يجد ضابط هذه المدرسة نجيب أفندى فهمى مشغوفاً كذلك بتلقين تلاميذه ألواناً من الأناشيد والمقطوعات الغنائية التى كانت تعرف وقتئذ باسم السلامات..).

---

* الأخبار ١٥/٨/١٩٦٢.

obeikandi.com

ويقول الزعيم الوطنى الكبير محمد فريد فى مقدمته لديوان وطنيتى (إن الأمم المغلوبة على أمرها جعلت من أول مبادئها وضع القصائد الوطنية والأناشيد الحماسية باللغة الفصحى للطبقة المتعلمة وباللغة العامية لطبقات الزراع والصناع وسواهم من العمال غير المتعلمين، فكان ذلك من أكبر العوامل على بث روح الوطنية بين جميع الطبقات، ويسرنى أن هذه النهضة المباركة سرت فى بلادنا فترك أغلب الشعراء نظم قصائد المديح للأمراء والحكام وصرفوا هممهم واستعملوا مواهبهم فى وضع الأشعار الوطنية..)

مما يذكرون به الأستاذ عبد الله شداد هذا النشيد المدرسى:

يا أيها المصرى قم وخذ الحذار ولا تنم

وهذا النشيد الشعبى:

ألا أيها الشرق اين علاك وأين المجد...

وهذا النشيد:

نحن للمجد نسير ولنا اللّه نصير

وما أكثر أمثالها من الأناشيد التى كانت تردد فى مدارس القطر من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب؟

والحق أن الأستاذ عبد الله شداد رفع الطبقة جدًّا فى هذه السهوة المركبة التى يعز نظيرها على الكثيرين من المختصين.. لأن السهوة البسيطة تنحرف عن الواقع درجة أو درجتين.. أما هذه السهوة المركبة فقد دارت بالواقع كله من النقيض إلى النقيض، لأن الفترة التى جردها الأستاذ من الأناشيد كانت هى فترة الأناشيد فى عصر التجديد الموسيقى، فلم تعرف فى هذا العصر فترة قد امتلأت بضروب الأناشيد والسلامات على مختلف ألحانها وموضوعاتها كما امتلأت بها الفترة، من أيام الثورة العرابية إلى أيام الثورة القومية التى أعقبت الحرب العالمية الأولى.

ومن قبل هذه الفترة بدأت نزعة الاستقلال بتأليف الأناشيد الوطنية وما فى معناها، وأولها السلام الوطنى الذى ينسبه بعضهم خطأً إلى الموسيقار الإيطالى (فردى)، ويقولون إنه عزف به قبل تمثيل رواية عايدة فى الاحتفال بافتتاح دار الأوبرا، وهو لم يحضر إلى مصر، ولم تكن رواية عايدة قد تمت عند الاحتفال بافتتاحها.. ولكن (السلامات) الوطنية جميعاً كانت من وضع رؤساء الفرق الموسيقية من الضباط المصريين.

ويعزى إلى الموسيق العسكرية فضل كبير فى تشجيع الميل إلى توقيع السلامات وتأليف الأغانى التى تناسبها ، وقد كانت فرق الموسيق الشعبية تحكى فرق الجيش وتنقل عنها وتعزف بالسلامات الثورية التى كانت ممنوعة على عهد الاحتلال فى فرق الجيش ، ومنها سلام الثورة التركية :

ياشاسين حرية، عدالة، مساواة.

ياشاسين أنور بيه!

ياشاسين نيازى بيه!

بل عرفت فى تلك الفترة أناشيد النكتة والفكاهة التى كان أولاد البلد يضعونها على ألسنة بعض الجاليات الأجنبية، ومن قبيلها نشيد الجرسونات الذى يفتتحونه بهذا الاستهلال :

سوا، سوا نروخ المصر نستنى هناك نبيع زبيب.. وسكى.. كمان كنياك.

فما أضخمها سهوة من رجل يشتغل بالأناشيد خاصة منذ أربعين سنة أن يمسحها هذه المسحة فى كلمتين. !

لكنه جدير أن يغتبط لفنه إن فاته أن يغتبط لذاكرته الفنية.

فمن دواعى الغبطة أن تكون للمستمعين عناية بالأناشيد تكفى لتصحيح سهوات (المعلمين) !

والأناشيد مرة أخرى*

يقول الأستاذ عبد الله شداد فى خطاب مطول :

يقول « ...لقد استنكرتم ابتداءً استعانة الشيخ سيد درويش بألحان غيره ثم عدتم وأشدتم بقدرته النادرة على الخلق والتعبير عن الأطوار النفسية بالجديد والقديم من الألحان . وفى هذا تناقض بين ».

ثم يقول : « وتجنيتم علىّ كثيراً بقولكم إننى كنت أستعين بأناشيد المدارس لتلحين إنتاجى ولم تقدموا مثالا واحداً يؤيد هذا القول، وتلك مواقف لا تتفق مع الحقيقة لسبب بسيط هو أنه لم يكن فى ذلك العهد أناشيد مدرسية سوى ما كان من إنتاجى بناء على طلب نظار المدارس الثانوية.

ونحمدالله لأننا لا نضطر إلى فتح باب المناقشة فى المتناقضات وغير المتناقضات لأنها قد تكون نشوزاً أو « نشازاً » فى كلام عن التلحين والأنغام يجرى بين الأستاذ شداد وبين كاتب هذه السطور.

ولكننا لا نناقض شيئاً يعرفه الأستاذ الملحن إذا ذكرنا طرفاً من الواقع فى مدرسة واحدة من مدارس القطر هى مدرسة أسوان الأميرية يوم كنت من تلاميذها غير منتسب إلى فرقتها الموسيقية والرياضية، ولكننى كنت اشترك فى الحفلات العامة كما يشترك فيها سائر تلاميذها...

فقد ألقينا فى يوم واحد أربعة أناشيد من صباح ذلك اليوم إلى مغربه، وأولها مترجم عن الإنجليزية يبتدئ بهذه الفاتحة المرددة :

الساعة نصف وثمان　　أخشى تأخيرك للدرس
اذكر قانون العرفان　　قم واستحضر درك الحدس

أما الأناشيد الثلاثة الأخرى فقد كان منها السلام الوطنى وهو نغمة واحدة ترددها الفرق الرياضية بألفاظ مختلفة ثم كان منها نشيد الاستقبال ومطلعه :

---

* الأخبار ١٩٦٢/٨/٨.

نور الأنام بدا لنا   وضياؤه قد عمنا

ثم نشيد التوديع ومطلعه :

سر يامليكاً للسودان   فلك السلامة كل آن

وقد حفظنا على غير هذه الأوزان ثلاثة أو أربعة أناشيد نفتتح بها الحفلات العامة على حسب مناسباتها، وكانت « الدفعة » التى سبقتنا بالمدرسة تحتفل بإعلان نتائج الامتحان على ملأ من المدعوين وفى جملتهم آباء التلاميذ ، ومن برنامج الاحتفال تحية التلميذ الناجح بعزف السلام من الفرقة الموسيقية وترديد النشيد من منتخب الفرق الرياضية بتلك التحية.

ولا نظن أن الأناشيد التى كنا نحفظ ألحانها كانت تقل عن عشرة فى جملتها، غير الألحان التى رويناها بالتلقين ممن سبقونا فى الدراسة على نظامها « الأميرى »المتبع فى مدارس « النظارة » على عمومها.

هل يعنى الأستاذ شداد أن هذه المنظومات الملحنة لم تكن تعرف باسم الأناشيد قبل عهد الثورة الوطنية ؟.

إن كان يعنى ذلك فهو على حق، لأنها كما يذكر التلاميذ إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى كانت تعرف باسم « السلامات » وكانت كلمة « سلام » ! هى الكلمة التى ينادى بها للأيذان بالإنشاد. ولكن اختلاف التسمية لا يغير الواقع الذى لا اختلاف عليه، وذاك أن الألحان التى كانت تصلح للأحاديات الوطنية قد عرفت واشتهرت بالعشرات فى مدارس القطر قبل الحرب العالمية.

ولا يعاب على الأستاذ شداد أنه استفاد من كثرتها هذه فى تلحين « منولوجاته » لأنه لا يطالب بخلق كل لحن فى كل نشيد، بل لا نحسب أن هذا الخلق مستطاع فى فن الأناشيد خاصة لأنها محدودة بأنغامها وحركاتها، يؤلفها المنشد « بالتطعيم » بينها على حد الاصطلاح المشهور فى لغة الحدائق والباتين، ولكنه لا يأتى بكل « شتلة » من بذور بذرة جديدة لم يسبق لها مثيل !

obeikandi.com

ذكرى سيد درويش*

فى هذه الذكرى التاسعة والثلاثين للسيد درويش نكاد نسأل : أيهما أكرم للنابغة فى بلادنا : أن ننساه فى حياته وبعد مماته، أو نذكره من حين إلى حين لنذكر له سيئات نخلقها من الوهم، أو نبالغ فيها مبالغة الكذب والضغينة، ثم نلوكها ونعيد لوكها بعد تكذيبها ألف مرة، كأنها مضغة العلك فى أفواه نسوان الدروب والحارات؟

أوشكنا أن نعتقد أننا نعيد ذكرى النابغة كما يعاد المتهم من السجن إلى قاعة التحقيق ثم يعاد إلى «زنزانته» فى الدار الآخرة بعد استيفاء حظه من التهم قبل استيفاء حظه من الدفاع.. الدفاع المعلق أو المرفوض بغير التفات إليه.

وقد استوفى السيد درويش شروط النبوغ حقًّا إن كان شرط النبوغ عندنا أن نشيّع نوابغنا إلى عالم الخلود بالذخائر المنتقاه من تهم الإنكار والادعاء، وإنه لشرط وخيم العاقبة على أهل الخلود وأهل الفناء على حد سواء، لأنه إذا حرم الأموات حصتهم من الحمد والثناء مرة، حرم الأحياء كل حصة تبقى لهم عشرين مرة.

إلا أننا نحمد الله لأن الرجل فى هذه السنة قد استوفى حصته من الإنصاف، كما استوفى شروط النبوغ جميعاً من الإنكار مرة والادعاء مرات.

وبقى لنا أن نحذر، كل الحذر، من تطبيق هذا الشرط الوخيم على الموسيقى الشرقية بحذافيرها فى نفس واحد، فإن اللغط بإلغاء الموسيقَى الشرقية لأنهم يسمونها «موسيقى التخت» كنود فى حق الفن كله أضخم وأوخم من كل كنود يصاب به آحاد النوابغ والعباقرة متفرقين أو مجتمعين.

ومن الخطأ الجسيم أن يظن المتعجلون أن «الموسيقَى الجالسة» وقف على

---

* الأخبار ١٩/٩/١٩٦٢

التخت الشرق وإن «الفن الموسيقِ» الرفيع إنما خلق كله ليعزف به مع الحركة والانتقال.

إن حكم التخت هنا كحكم «الأوركسترا» فى التزام مكان واحد وإن نقل «البيان» مع الحركة لأصعب من نقل القانون والعود والدف والمزمار دفعة واحدة فى البيت أو فى الطريق. وقد ظلت الأوركسترا «قابعة» فى مكانها تحت المسرح والروايات التمثيلية تنتقل مع حركات كأنها توقيعاتَ الرقص إلى حركات كأنها تخبط المجانين.

وآلات التخت عندنا تستطيع كل ما استطاعته آلات الأوركسترا وهى قابعة فى مكانها، وتتقبل من التجديد غاية ما تتسع له تلك الآلات.

والمخترعات الحديثة «فى مصلحة» الآلات الجالسة وليست مناقضة لها على أى وجه من وجوه المناقضة، لأن أدوات التسجيل تعطينا كل ما تأخذه من الآلات الجالسة، لنحمله فى الطريق ونمضى به على طليعة المواكب مسرعين مهطعين أو متبخترين متئدين.

فلا حاجة بنا إلى إلغاء موسيقانا الشرقية، ولالإلغاء أداة من أدواتها الأصيلة فى تكريبها، وإنما نحن بحاجة إلى العبقرى الملهم الذى يحمل هذه الأدوات، أو يعد لها بحيث تحتمل مايودعها من موسيقَ الحركة، ولو كانت حركة الطيران.

إننا من أفواه الأولين قد أخذنا صيحة الصائح من هزة الطرب : ويحكم! امسكوه... إنه يكاد يطير!

* * *

«... ما الفرقِ بين الموسيقِي والموسيقار؟»

محمد منير

لا فرق بينهما إلا أن الأولى نسبة عربية والثانية نسبة فارسية..

وأصل الكلمتين معاً من اللغة اليونانية التى اقتبستها من أساطيرها الخرافية، إذ كانوا يعتقدون أن الفنون جميعاً من وحى العرائس أو الحوريات التسع التى

يسمون الواحدة منها (موز) والنسبة إليها (موزيك)، وهى أصل كلمة الموسيقَ فى جميع اللغات، فهى منذ القدم سواء فى نقص التعبير لأنها لم تختص هذا الفن الواسع باسم يدل عليه ويميزه من غيره، وإنما هو على حسب هذه التسمية شيء من جملة الأشياء التى تستوحى على زعمهم من عرائس الفنون.

ومن آثار التسمية الناقصة فى لغتنا أننا لانستخدم كلمة غير كلمة «الموسيقَ» للدلالة على هذا الفن الذى لا يكثر عليه اسم مفرد يستقل به بين عامة الفنون.

فنحن نعرف العواد والقانونى والزامر والرقاق ونعرف «الآلاتى» لمن يعزف على إحدى الآلات الموسيقية أو يعزف على جميع هذه الآلات..

ولكن الكلمة التى تؤدى معنى الموسيقار لا تزال ناقصة عندنا، ولا تزال كما رأينا ناقصة الدلالة أصلا فى جميع اللغات.

ويؤخذ على كلمة «الموسيقِ»؛ عيب آخر من عيوب اللغة، لأن الكلمة نسبة إلى الـ«موز» عروس الفن فهى كلمة منسوبة إلى ذلك الاسم لتدل على الألحان نفسها، ولايصح أن تنسب مرتين لتدل على الفنان الذى يضع الألحان.

ولهذا كانت كلمة «الموسيقار» أصح من كلمة الموسيقِ من وجهة النظر إلى لغتها وقواعدها الصرفية، لأن مقطع «آر» يلحق عندهم بالكلمة ليدل على الفاعلية أو الوصفية، فمعنى الموسيقار - على هذا - إنه الفنان الذى يضع الألحان، وهو اسم صحيح بمعناه.

ولا تغنينا اليوم كلمة الملحن أو المغنى عن كلمة الموسيقار، لأن الملحن لايغنى فى جميع الأحيان والمغنى لايلزم أن يلحن أو يعرف الألحان، أما «الموسيقار» فاسم جامع للصناعة بكل ما اشتملت عليه.

ولابد فى النهاية من الرضا بحكم الاصطلاح فى لغتنا كما ارتضوه فى سائر اللغات، ولاحرج فى الاختيار بعد ذلك بين الموسيقِ والموسيقار.

أفلاطون والغناء*

ذكرنا فى يوميات قريبة أن أفلاطون هو القائل أن تغيير أغانى أمة يضارع تغيير الشرائع فيها.

والسيد الذى كتب إلينا بتوقيع «المنزلاوى» يحسب أن الفيلسوف الكبير كان «أفلاطونياً» فى تقديره لفن الموسيقَ والغناء كما كان أفلاطونيا فى مذهب عن العشق المثالى، وهو كما يقول السيد المنزلاوى خيال فى خيال. !

وقد يكون العشق الأفلاطونى خيالا فى خيال على رأى السيد المنزلاوى، ولكن اعتبار التغيير فى أغانى الأمة دليلا على تغيير أخلاقها وأذواقها وتغيير معيشتها تبعاً لذلك أمر، لا يبعد من الواقع، ولا يقترب من الخيال قيد شعرة، ولاعجب فى تغيير القوانين والشرائع إذا تغيرت المعيشة، وتغيرت معها آداب المعيشة، وهى قوام الأخلاق والعادات.

وماذا يقول السيد المنزلاوى عن مذهب أستاذ أفلاطون فى خطر الموسيقَ إذا كان هذا رأيه فى مذهب خليفته وتلميذه الأمين؟

كان فيثاغوراث الذى سبق أفلاطون إلى هذه «الأفلاطونيات» يقول ويؤمن بأن قوانين الموسيقَ هى أصل قوانين الأكوان جميعاً فى السماوات والأرضين..

ولم يكن هو أيضاً - كما نعتقد - ذاهباً مذهب الخيال فى هذا الإيمان الفلسفى على الخصوص، وإن تكن له «إيمانات» كثيرة تلحق بالخيال، بل تسبق الخيال.

إن قوام الموسيقَ نسب وعدد، وليس نظام الأكوان جميعاً معقولا بغير انتظامه على التناسب بين أجزائها، ملحوظاً فيه العدد والمقدار.. وبهذه العقيدة

---

* الأخبار ١٩٦٢/٩/١٢

فى التناسب بين أجزاء العناصر، جزم العلماء بوجود بعض العناصر التى لاترى كثيراً فى الطبيعة، لأنها تأتى وسطاً فى مكان الفراغ من سلسة العناصر كما يرتبها الكيميون.

وهذه نسب موسيقية لا شك فيها. فإن كانت تدرك بالعقول ولا تسمع بالأذان فهذا هو مصداق المذهب الذى آمن به أستاذ أفلاطون قبل أن يتبعه أفلاطون « الإلهى » بذلك « التسبيح » فى حمد الموسيقَ السماعية، فإن الموسيقَ - إذن - أجل من أن تحصرها الأذان، وهى تملأ الأكوان جميعاً لتدركها الحواس جميعاً، وتدركها معها العقول والأرواح.

أسماء المدارس الأوربية
تعرف بأضدادها*

« فى وقتنا هذا - وقد لعبت المادة دورها فى مسير الحياة - نجد أن الفن وبخاصة فن التصوير، قد حمل الأعباء حتى استطاع أن يماشى سرعة التطور وشق لنفسه طرقا مختلفة لعدة مدارس حديثة كالسريالية والتجريدية.. فما هو الفرق بينهما مع أنهما تجتمعان فى عدم الأخذ بالواقع والاعتماد على الخيال واللامعقول، وما رأيكم فيها من جهة أخرى كفن هادف له أثره فى النفوس؟ »

مشعل محمد السديرى

إن شرط الفن الأول أن تكون له قواعده ومقاييسه، وأن يستطيع الناظر إليه - إعتماداً على هذه القواعد والمقاييس - أن يميز بين الصادق منه والكاذب وأن يدل على أسباب الصواب فيه والخطأ أو أسباب الإستحسان والإستهجان، فليس بفن على الإطلاق شىء يبطل فيه كل دليل على جودته أو رداءته غير اللغط بدعوى الوعى الباطن أو بما فوق الواقع أو ما دون الواقع إذا شاء من شاء أن يجعل «مادون الواقع» إسما من هذه الأسماء.

فليست السريالية والتجريدية مذاهب ولا مدارس قائمة على أصول الفنون الجميلة، ولكنها أحرى أن تسمى «موضات» أو «تقليعات» «كتقليعات الموضة» التى تخترع لتزول بعد حين ولا تخترع للبقاء والاستمرار.

وإنك لتستطيع أن تتحدى كل لاغط بأسماء هذه التقليعات أوهذه الموضات أن يرفض صورة واحدة من صورها ويذكر لرفضه سبباً يعارض من يستحسن هذه الصورة بعينها، لغير سبب كذلك.

وإذا بلغ الإسفاف بالأدعياء إلى الترويج لفنون يتساوى استحسانها

---

* الأخبار ١٩٦٣/١/٢٣

واستهجانها، ويتساوى قبولها ورفضها، أو يتساوى فى النهاية صوابها وخطؤها، فليس من كرامة العقل الإنسانى أن يدنس محراب الفن المقدس بنسبتها إليه.

أما التطور الفنى فلا يطلق على دعوة أو دعوى تقتل وتلغى وجوده، ولا يقال إننا نطور الكائن الحى ونجدده ونحن نزهق روحه ونحلل جثته إلى عناصرها الأولية فى التراب!

وماهو « التجريد » بالنسبة إلى الفنون « التشكيلية » إن لم يكن إلغاءً لوجودها وإزهاقاً لحياتها! وكيف يكون تطوراً للرسم والشكل والتلوين شىء يمحوها ويبطلها كأنها عدم لم يكن له وجود قبل الآن؟ وما الفرق بين وجود الفنون الإنسانية وعدمها فى العصور الماضية بالنسبة لهذه التقليعات التى يتساوى الراسم فيها وغير الراسم كما يتساوى الأعمى والبصير فى مسألة التلوين؟

إن التصوير يموت فى اللحظة التى ينتقل فيها من عالم الحس الصادق إلى عالم التجريد من كل محسوس، وماذا يتعلم المصور « التجريدى » فى مدرسته ليكون مصوراً متقناً لفنه؟

وماذا يبقى بعد تقرير التصوير « التجريدى » من الفارق بين تعليم المصور وتعليم الكاتب وتعليم الطبيب النفسانى، وتعليم كائن من كان من مصورى الوعى الباطن بغير شكل ولا مثال؟

فالمدارس التى تسمى بالسريالية أو التجريدية خلاصة الرأى فيها أنها لا مدارس ولا فنون ولا تطور ولا تصوير ولا غير تصوير، لأن المدارس تعلم شيئاً وهذه لا تعلم شيئاً ولا محل فيها للتعلم، ولأن الفنون قواعد ومقاييس وهذه تبطل كل القواعد والمقاييس، وإنما التطور استمرار للحياة وهذه تلغى كل ما كان للفن من حياة، وإنما التصوير « صورة » محسوسة قبل كل شىء وهذه تنتقل من عالم المحسوس إلى عالم التجريد.

والجميل وحده هو الذى يخيل إلى الأدعياء أن « الوعى الباطن » تطور جديد فى القرن العشرين، لأن الأطباء النفسانيين عبروا عنه أخيراً هذا التعبير، فقد كان الوعى الباطن منذ كان الإنسان، ولم يكن وجوده قط ذريعة لإلغاء

الحس الظاهر، ولالإهمال رؤية العين، وسماع الأذن، وشم الأنف، وذوق اللسان.. وليس المطلوب منا اليوم أن نلغى ذوق الطعام بالألسنة والأفواه، لأن الأقدمين كانوا يذوقون طعامهم بها قبل «اكتشاف الوعى الباطن المزعوم» فى القرن العشرين.

أما المدارس الفنية والأدبية التى لها أسماء تعرف فهى المدارس التى يفهم أصحابها مقاصدها وبرامجها ويفهمون الناس مقاييسها التى تقاس بها مزاياها ومآخذها على خصومها.

ويظهر أن الكلام على «اللامعقولية» قد أثار أسباب السؤال الكثير عن أسماء المذاهب ودلالاتها، وهو أكبر دليل على أن العقل الإنسانى ينفر من اللامعقولية ويتطلب المعنى المعقول لكل دعوى يدعيها الإنسان فى هذا العالم الذى لا يزال بحمد الله يسمى عالم الإنسان.

وإيثاراً للإيجاز الذى لا بد منه نكتفى فى هذه اليوميات بالإجابة عن سؤال واحد من الأسئلة المتشابهة فى هذا الباب، وهو السؤال عن الواقعية التى تقابل جميع المدارس فيما وراء الواقع وهى كثير.

يقول الأديب «فوزى عبد الحكيم محمد» بمدرسة النهضة الجديدة بالسويس:
«إن النقاد يختلفون فى تعريف الواقعية فى الأدب حتى أصبح لها أكثر من تعريف، فما هو تعريفك لهذا المذهب؟».

والتمهيد الذى نقدمه بين يدى الجواب عن هذا السؤال:

أولا: إن أسماء المذاهب الأدبية تعرف من التاريخ قبل أن تعرف من المعجمات اللغوية، وربما كان الطريق الأقرب إلى فهم معناها أن نبحث عن المذهب الذى حاربته وظهرت لتدعو إلى تعديله أوالزيادة عليه.

وثانيًا: إن معانى هذه المذاهب تتغير مع الزمن، فلايكون معناها عند إعلانها كمعناها بعد تطبيقها وتصحيحها خلال مائة سنة أوخلال الزمن الذى شاعت فيه إلى أن ظهر بعدها المذهب الذى يخلفها.

فالواقعية - مثلا - نشأت لتحارب المثالية Idealism ، فهى تدعو إلى وصف الحقائق التى تعرف بالتجربة فى الحياة الشخصية أو الاجتماعية، وتستنكر الوصف الذى يقوم على التصور أو على أحلام الخواطر ولا يوافق وقائع الأمور.

وهى بهذا تتلاقى مع مذهب أخر ظهر على أثرها فى الزمن الحديث وسماه دعاته بالمذهب الطبيعى Naturalism ،ولكنه يخالفها فى أسباب ظهوره ومعنى الواقع فى اعتباره.

فقد ظهرت «الطبيعة» أصلا لمحاربة المحسنات الصناعية فى الأساليب، وهى مدارس شتى يجمعها اسم «الأسلوبيين» Stylist ،ويعنى أصحابها بتنميق اللفظ وزخرفة المعنى والإكثار من «النكت البلاغية» فى سياق التعبير.

والواقع عند أصحاب المذهب الطبيعى قائم على قواعد العلوم الطبيعية أكثر من قيامه على الطبيعة بمعناها الواسع Nature ... لأنهم بدءوا الدعوة إلى مذهبهم فى الآونة التى ازدهرت فيها العلوم التجريبية وأصبحت تجربة الحياة على منهج التجارب «المعملية» هى السنة الغالبة على العقول والأقلام.

فالنيتشريون طبيعيون من جهة لأنهم يحسبون الزخرفة فى اللفظ والمعنى تكلفاً مصنوعاً غير مطبوع.

وهم واقعيون من جهة أخرى لأنهم يدينون بالتجارب العلمية الواقعية.

وقد يسميهم بعض النقاد بالواقعيين على هذا الاعتبار، ولا خطأ فى هذه التسمية لولا أن الواقعيين قد يحفلون بالأسلوب ولا ينكرون محاسن الصناعة كما ينكرها النيتشريون.

أما فى العصر الحاضر فاسم الواقعية يشمل جميع المذاهب التى تعارض نزعات التجريد والسريالية، لأن السريالية بمعناها فى اللغات الأوربية ترفض الواقع وتدعى أنها ترسم ما وراء الواقع أو ما وراء المحسوسات.

الفارق بين التطور والموضة*

من بريد اليوميات أسئلة مختلفة عن الفارق بين التطور والموضة فى حركات الفنون الجميلة، ، تعقيباً على ما كتبناه فى اليوميات السابقة، حول تقليعات السريالية والتجريدية، وماإليهما.

والفارق الموجز بين كل تطور وكل موضة فى كل ظاهرة من ظواهر الفنون وما عداها هو : أن التطور عمل مستمر تتوالى حالاته على التتابع نتيجة حيويه لما تقدمها، ولكن «الموضة» على خلاف التطور عمل متقطع متقلب يغلب فيه تعمد الغرابة والمخالفة وكل مايلفت النظر إلى حين، فإذا فقد القدرة على لفت النظر سقط وانزوى وتحولت الأنظار عنه لتبحث عن سواه.

أمامى الساعة صحيفة أمريكية أرى على إحدى صفحاتها صورة فتاة جميلة على رأسها عمامه بيضاء، يدلى منها على الكتفين سال همهاف من نسج «المخرمات» التى تصنع منها عصائب الرءوس.

حسبت لأول نظرة أنها صورة من صور المسرح أو الستار الأبيض، ولكنى قرأت التعليق عليها فعلمت أنها «موضة» الربيع المقبل للفتيات، يختارها محل كبير من محلات الأزياء وتتسابق الفتيات من اليوم إلى التوصية عليها لتبادر كل منهن إلى سبق زميلاتها بالظهور فى موسم الربيع القريب.

هذه «موضة» من موضات الأزياء المتغيرة، وليست تطوراً من تطورات الملابس فى أدوارها الاجتماعية أو الصناعية.

من جهة، لأن العمامة ليست مما يخص النساء، ولم تكن نتيجة تطور سابق فى ملابسهن كما حصل فى أطوارها المتتابعة بين أهلها.

---

* الأخبار ١٩٦٣/١/٣٠

ومن جهة ثانية، لأن العمامة ليست ملبساً للأمريكيين ولا للأمريكيات فى بلادهم التى تظهر فيها الآن.

ومن جهة ثالثة، لأنها ليست من أطوار الزمن الحديث حيث نشأت، إذ منشؤها فى الشرق قبل عدة قرون.

ومن جهة رابعة، لأن التطور الاجتماعى والتطور الصناعى فى البلاد الشرقية نفسها يدعو كثيراً من لا بسيها بالأمس أن يلبسوا غيرها اليوم، وقد عدل عنها أناس إلى الطربوش، ثم عدلوا عن الطربوش إلى القلنسوة، ثم عدلوا عن القلنسوة إلى تعرية الرأس بغير غطاء. وهذا هو التغيير الذى ينسب إلى تطور الأحوال الاجتماعية أو الأحوال الصناعية، ومنه يظهر الفارق بين هذا العدول من زى إلى زى وبين العدول عن قبعات الربيع الماضى وعمائم الربيع المقبل فى أزياء النساء.

إن السريالية - وما إليها من تلك التقليعات هى «موضات» من قبيل عمائم الأمريكيات فى العصر الحاضر.. وقد قيل عن سبب اختيار العمامة للموسم المقبل إن دور الصور المتحركة عندهم عرضت مناظر «لورنس» المشهور فى بعض أفلامها وجددت بها ذكرى «الشيخ» فى مناظر «فلانتين» المهجورة، فكان التفات الأنظار إلى هذا الزى كافية لإظهار «الموضة» بضعة شهور، وستخلفها موضة أخرى فى موسم يليه، ولعلها ستخرج من «الفبريقة» التى روجتها ولا تزال تروجها فى هذه الأسابيع.

والسريالية «الفنية» اليوم هى على الأقل عاشرة «الموضات» التى ظهرت من قبيلها بعد الحرب العالمية الأولى، فلا فرق بين التكعيبية الهوجاء، أو الوحشية أو النقطية أو العرضية أو التعبيرية أو اللاتعبيرية، أو التأثرية الجديدة أو اللاتأثرية، أوأية كلمة تتبعها الياء والتاء من صيغ «المذهبية»

وبين فرق الواقعية وفرق الفوقية وغيرها من الدعوات التى تتبدل أسماؤها

فيما بينها بغاية الراحة دون أن تتبدل معانيها، لأنها ليست بذات معان تحتمل التبديل فى ظل «الخنفشارية» التى تنطوى على الجميع، وسيان أن تكون خنفشارية أو شنفخارية أو فخارشنية، بكل ترتيب.

ولا وجود لفن التصوير عند أناس يبطلون الرسم والشكل واللون، ويبطلون معها الصورة ودلالتها لأن المعانى والدلالات فى زعمهم ليست مما يجوز السؤال عنه فى عالم «اللامعقول».. فإذا زعموا أنهم يخلقون فناً آخر يقوم على شيء غير قواعد الفنون التشكيلية فليست لهم - إذن - صفة تخولهم الكلام باسم الفن الذى هدموه، ولكنهم يطمعون من العقول الأدمية فى غفلة أكبر جداً من التى تستطيعها إذا أرادوا منا أن تهدم معهم تراث الإنسانية منذ وجدت، وأن نفضل عليه فناً لا يعرف له مقياس ولاقاعدة، ولا يدرى أحد ما الفرق فيه بين الجيد والردىء، أو بين المقبول والمرفوض.

وقد سقطت عشرات من «موضات» التصوير التى ظهرت منذ خمسين سنة، وستسقط معها كل دعوة تروج اليوم على اختلاف الأسماء والعناوين.

وأكبر علامات الزوال الذى لا مناص منه الموضات فى عالم التصوير أن «التقليعة» تنتقل اليوم من عالم الألوان إلى عالم الأصوات، وأن «الموسيق» اللانغمية أخذت فى الظهور إلى جانب «الصورة» اللاشكلية.. وأن الرقاعة تستنفد كل جهودها حين تبلغ بها السماجة أن تسمع الناس قرقعة العجلات، ودبدبة الأرجل، وزعق المخبولين، وغطيط النيام باسم الفن الموسيق الجديد، لأن تدبير جمهور يشترى التذاكر ويجتمع بالمئات والألوف لاصطناع الطرب وهو يستمع إلى تلك «الهوسة» المنكرة أصعب جداً من تدبير المتحذلقين يعلنون الإعجاب بالصورة وهم لايميزون بين المعدول منها والمقلوب.

obeikandl.com

رقص البطن*

هذا اليوم أخصصه كل أسبوع لتصفح البريد الأجنبى المتجمع فى الأسبوع كله، وهو قليل فى الأسابيع الأخيرة، لأن عمال المطابع الإنجليز مضربون فلا يصل إلى مصر باللغة الإنجليزية غير الصحف الأمريكية.

وبين الأحداث الجسام التى تفيض بها أنهار الصحف هذه الأيام، وفى صحيفة أسبوعية مشهورة فى أرجاء العالم يتسع المجال لصفحتين كاملتين عن الرقص المصرى والرقصات المصريات.

ويتفلسف كاتب المقال فيذكر «رقص البطن» ويرجع به إلى التاريخ القديم. وأين يكون تاريخه القديم ياترى إلا فى قصر «هارون الرشيد» المظلوم؟

شاع رقص البطن فى قصور بغداد كما يقول كاتب المقال، واستقر به المطاف أخيراً فى شارع محمد على بالقاهرة، ووصفه أحد العلماء المستشرقين باسم فنى ضخم من أسماء المصطلحات الموسيقية وهو اسم «الخبن الدوار، Gyrating Syncpatin»، وتفسير هذا المصطلح الضخم، أنه نغمة تحذف من اللحن لفتًا للأسماع إلى ما قبلها ومابعدها، كأنها ضرب من الإيماء والإيحاء.

ومصر مظلومة وهارون الرشيد مظلوم.

إن رقص البطن قد أصبح بيننا أثراً بعد عين فى العصر الحاضر، ولكنه لم ينشأ قط فى مصر ولا فى قصور هارون الرشيد، بل متسلل من عبادة وثنية قديمة، يقول زاخس Sachs فى تاريخ الرقص العالمى أنه من الرقصات التى تشاهد فى أستراليا الجنوبية وبين «الأروتنا» بأستراليا الوسطى، وأن ألواناً منه

---

* الأخبار ١٩٥٥/٤/٢٥

شائعة فى شمال البرازيل وفى جزر الهاواى وفى غانة الجديدة وإفريقية الشرقية وقد شاهده الشاعر اللاتينى مارسيال Martial الـذى عـاش فى القـرن الأول للميـلاد وتنقل بين أسبانيا وإيطاليا الرومانية ووصفه فى أبيات من الشـعر يتخللهـا كثير من المجون.

obeikandl.com

بين الأصوات الوافية وبساطة الألحان*

يقول الفنان الألمعى الأستاذ إبراهيم شفيق : إن افتقادنا الأصوات الوافية المشبعة يرجع إلى «بساطة الألحان التى يضعها أرباب هذا الفن وجريانها على المعتاد الشائع من المقامات بحيث أصبح غناؤها من أيسر الأمور على الإنسان العادى فضلا عن المغنى المحترف، وترتب على افتقادنا للأصوات الكاملة افتقادنا للون كان يعتبر محك قدرة المغنى وهو فن الليالى والمواويل.

والأستاذ شفيق يصف الداء وصف خبير، وإن كنا نظن أن الأصوات الكاملة تخلق ألحانها متى وجدت وتشحذ قرائح الملحنين لاستجابة مطلبها من اللحن والكلام.

وفن الليالى والمواويل - كما قال الأستاذ شفيق - أصلح من الألحان الشائعة فى هذه الأيام لاستجابة الأصوات الكاملة، ولكن هل يعتقد الأستاذ شفيق أن عهد «الليالى» يعود بعد ذهاب أوانه وذهاب مناسباته التى كانت موافقة لعلاقة العشق فى عصر الحجاب؟

إننا قبل الإفاضة فى الجواب، نود أن نعيد «اعتبار» الليالى فى نظر السامع المعاصر، فإنها لم تكن قط فى زمانها لغوًا بغير معنى، أو هتافاً صوتيًا لتحضير النغمة قبل الاسترسال فى الغناء منقطعاً عن معانى الدور والموال.

بل على نقيض ذلك نبحث فى ألفاظ الأغانى، فلانجد بين كلماتها الكثيرة كلمة أوفق من الليل ومن العين لمواضعها من الأدوار والمواويل - إذ كان مدار هذه الأدوار والمواويل كلها على شكوى السهاد والبعاد، وأى كلمة أوفق لهذا

* الأخبار ١٩٦٣/٩/٢٥

المعنى من كلمة الليل الذى يطول على المحب المهجور وكلمة العين التى تشكو السهاد والحرمان من النظر إلى المحبوب. ؟

فإذا كانت طبيعة العشق تتغير بعد عهد « الليالى » فلا لوم على الليل والعين والآه فى أوانها على حسب مناسباتها ومواضعها، ولا موجب لإهمال الموال كله لانقضاء مناسبة « الليالى » فى نغماته وألحانه.. فإن الموال يتسع اليوم لكل أغراض الغناء الحديث ويتسع لكلمات أخرى غير كلمات الليل والعين، تحل فيه محل هذه « الهتفات » الصوتية، وتؤدى فى طريق تحضير اللحن وامتحان القدرة الفنية أداء « الليالى » بعد ذهاب عهد الحجاب.

وكيفما كان مصير الهتفات العارضة بعد اختفاء الموال فالذخيرة الصوتية التى نعتز بها فى بلادنا باقية لا خوف عليها ما بقيت لنا أصوات القراء المجيدين الذين يحسنون تلاوة القرآن وترتيل الأناشيد الدينية.. ولاننسى أن « القراءة » هى المدرسة التى أخرجت لنا سلامة حجازى، وسيد درويش، ويوسف المنيلاوى، قبل أن تخرجهم فنون الأدوار والمواويل.

هل الانقطاع للمنولوج يصرف المستعد عن الأدوار المسرحية!*

«... أنا شاب فى نحو العشرين، أحب المسرح ولا أتمنى شيئًا فى الحياة كما أتمنى أن أصبح ممثلا معدودًا بين كبار أعلام هذا الفن، وقد تدربت منذ العاشرة من عمرى على إلقاء المنولوجات المدرسية وسمانى أستاذى بجورج أبيض الصغير.. وتدرجت من المنولوجات المدرسية إلى المنولوجات الأخلاقية والاجتماعية ألقيها فى الحفلات العامة وفى السهرات العائلية، وتعلمت شيئًا فشيئًا أن أؤلف المنولوج الذى ألقيه غير محتاج إلى غير القليل من التنقيح والتعديل، ولكننى عرفت فى السنوات الأخيرة بعض الممثلين المشتغلين بالمسرح وبالسينما فنصحونى بالإقلال من المنولوجات إذا أردت النجاح فى فن التمثيل وقال لى ممثلوا السينما على الخصوص إننى فى حاجة إلى الابتداء بالتدريب على الأدوار التمثيلية من الأول بالاشتراك مع غيرى، لكى أنسى ما حفظته من الحركات والإشارات ولهجة الصوت التى يستعملها «المنولوجيست» فى فنه، وهو غير فن التمثيل للمسرح أو للسينما.. ولا تسل يا سيدى عن البؤس الذى يستولى علىّ كلما سمعت هذا الكلام لولا أننى أشعر أن أهل الفن لا يميلون إلى تشجيع الناشئين على الدخول فى زمرتهم... فهل لى أن أسمع الرأى فى هذه المشكلة من غير أهل الفن الذين يأبون المشاركة فيه».

«ح. ع. ن»

هذه خلاصة الخطاب المطول الذى أفاض كاتبه فى شرح أزمته النفسية وليست فى ثنايا خطابه شعورًا عميقًا بالكرب الذى يساوره وبالعذر الذى يعتذر

* الأخبار ١٩٦٤/١/٢٢

به لإخفاء اسمه وهو أنه لا يريد أن يغضب الـذين اسـتمع منهـم إلى تلك النصيحة، لأنهم يستطيعون أن يعطلوا مستقبله كما يقول.

ويبدو لى أن أولئك الناصحين كانـوا مخلصـين فى اعتقـادهم أن الانقـطاع للمنولوج يصرف المستعد للتمثيل عن إتقان فنه فى الأدوار المسرحية التى تتعـدد فيها أشخاص الرواية.

فالواقع أن «المنولوجست» قد يغنيه أن يعتمد على فن الإلقاء ليحسن أداء العبارة بمعانيها أو بما تقتضيه من الإيقاع لتصـوير تلك المعـانى دون أن يفـترض لها «شخصاً» معينًا يمثله ويطابق حـركاته وإشـاراته على حسـب أطـواره «الشخصية» التى توجب الاختلاف بين دور ودور فى إلقاء الكلام مع مـلاحظة من يؤديه.

ولكن خبراء المسرح لا يخفى عليهم أن «المنولوج» الأخلاقى والاجتماعى يؤدى دوراً «تمثيلياً» كالدور الذى يظهر فى الرواية المسرحيـة مشـتركًا مـع أصـحاب الأدوار الأخرى.

لأن دور «السكير» أو «المتسـول» أو «الشـيخ المتصـابى» أو «الـريفى المتحذلق» يستدعى تمثيلا كتمثيل المسرح وإن لم يقترن بمجاوبة الآخرين أو توجيه الخطاب إليهم، ولا فرق فى ذلك بين دور «المنـولوج» ودور المنـاجاة Sololiguy الذى ينفرد فيه الممثل بالكلام ولا يحسن أداءه أحد غـير النـوابغ مـن أفـذاذ المسرح الملهمين.

وقد بدأ «المنولوج» أول ما بدأ على مسرح التمثيل وأطلق على الأدوار الـتى يظهر فيها الممثل منفرداً ولا يجرى فيه حوار بينـه وبـين ممثـل آخـر، وكل ما هنالك من الفرق بين هذا «المنولوج» وبين «المنـاجاة» أن المنـاجاة مقصـورة على خطاب النفس كأنها التفكير فى صمت «مسموع»... أما «المنولوج» فقـد يتجه فيه الخطاب إلى «شخص» مفروض أو إلى السامعين المجهولين.

وقد وجد النشيد المفرد Monody مع المنولوج وهو يخالف « الصولو » فى الأدوار الموسيقية بأنه غناء تمثيلى يشتمل على كلمات ونغمات ويرد فى القصائد الشعرية كما يرد فى الملحنات المسرحية.

وكل هذه « الأحاديث » تحتاج إلى القدرة التمثيلية كما تحتاج إليها الأدوار المشتركة بلا اختلاف كبير، بل ربما كان الممثل المنفرد بالأداء على المسرح أحوج إلى هذه القدرة من الممثلين المتعددين، لأنه مطالب بأن يصور من كلامه حالة الممثل الغائب عن النظر، ولو كان هذا الممثل الغائب هو نفس المتكلم مترجماً عن ضميره الذى لا يبدو للعيان.

ومهما يكن من الرأى فى تعويل بعض « الأحاديث » على الإلقاء دون التمثيل فليس المتحدث الذى يحسن الإلقاء بعيداً عن صاحب الدور الذى يعرف له شخص تدل معانى الحديث على صفاته وملامحه فى تصور الخيال، وهو عمدة المسرحيين فى « تشخيص » الأدوار؟

openkandil.com

كلنا مسئولون*

لاحظ بعض النقاد الرياضيين أن لاعب الكرة المصرى يفوق غيره فى براعة اللعب ولكن الفرق المصرية تنهزم أحياناً أمام الفرق التى لا تساويها فى براعتها لأن اللاعب المصرى لا يحب الانفراد بالإصابة ولفت الأنظار ولا يلعب متعاوناً مع زملائه.

ملاحظة يمكن أن تقال عن كل ميدان من ميادين الحياة المصرية ولا يقصرها الناقد على ميادين الألعاب.

وأولها ميدان البيع والشراء، أو ميدان التسعيرة الذى يكثر عليه الكلام فى هذه الأيام.

كل شار يحسب أنه هو الشارى الوحيد أو يقول لنفسه: ماذا تجدى المحافظة على التسعيرة من فرد واحد إذا كان الآخرون جميعاً يخالفونها ولا يحافظون عليها؟

وسيفشل بيننا كل عمل اجتماعى مادام كل منا يقول لنفسه هذه الكلمة. وسينجح بيننا كل عمل اجتماعى إذا نسيناها كل النسيان وتذكرنا شيئاً واحداً وهو أن نعمل ما يجب عمله، ولا نسأل أنفسنا عن عمل الآخرين لأنهم هم المسئولون عنه منفردين أو مجتمعين.

منذ سنوات كنت مع صديق الجيلاوى[1] نشترى فاكهة من مكان بجوار ديوان البريد، فزاد البائع على سعر الأقة قرشاً وأصر على هذه الزيادة، وكان الجو قائظاً والمشى عسيراً فى وهج الظهيرة، فقلت لصديق: نركب عربة إلى

---

* الأخبار ١٩٥٦/٩/٣٠.

(١) هو الأستاذ محمد طاهر الجيلاوى عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية. وقد توفى منذ سنوات قليلة.

ميدان سليمان باشا فإن هذا الصنف يباع هناك بسعره المقدور.

قال : وأجرة العربة.. ألا تساوى أضعاف الفرق المطلوب؟

قلت : ولكن أجرة العربة ثمن المحافظة على السعر وليست ثمناً للفاكهة يدخل فى جيب المخالفين المغالين للأسعار.

ولست أذكر هذه القصة فخراً لأننى بحمد الله غنى عنه، وإنما أذكرها لأقول إننى أعتبر نفسى، وأعتبر كل مصرى مسئولا عن التسعيرة قبل الشرطى وقبل مفتشى التموين، لأنهما يؤديان وظيفة ولا يصابان بالخسارة إلا إذا دخل فى عداد الشراة، وأما الشارى فهو الذى يصاب بيديه من كل مخالفة يشترك فيها، وليس أيسر عليه من اجتناب هذه المخالفة ولو استغنى عن السلعة المطلوبة يوماً أو بضعة أيام، فإن ضرر الاستغناء عنها أهون من ضرر الاستغلال الذى ينطلق من عقاله غير مكبوح بيد القانون ولا بيد «المجنى عليه».

اشتراكية التأليف:

لما أراد الدكتور شبلى شميل أن يعيد طبع مجموعته لم يقدر على تكاليفها ولم تتيسر له تلك التكاليف إلا بمعونة من محبى الثقافة ومحبيه.

وقد نشر الرجل أسماء المتبرعين مع الفهرست فى ختام الجزء الأول، وقدر ثمن الكتاب جنيهاً مصرياً للجزئين.

وكتبت له يومئذ أقول له ما معناه : «إنك اشتراكى غريب، لأنك تستكثر على الأغنياء احتكار المال وتريد فى الوقت نفسه أن يحتكروا المعرفة... إذ من يشترى كتابًا واحدًا بجنيه إن لم يكن من الأغنياء؟»

وبادر الدكتور فأعلن فى الصحف أنه خصص مائة نسخة من الكتاب بغير ثمن للسابقين إلى طلبه من الأدباء، وجاءتنى فى البريد نسخة من الجزء الأول ثم نسخة من الجزء الثانى عند ظهوره بعد شهور.

كتبت هذه القصة مرة فاطلع عليها مئات المرات من القراء، ولكنى لا أدرى لماذا يقرءوا ما كتبته عن الكتب التى تطلب منى ولا أستطيع إرسالها لأنها ليست من حق بل من حق الناشرين.

وكثيرون يذكروننى بقصتى مع الدكتور شبلى شميل وينسون الفارق فى القياس. فقد كان الدكتور شبلى شميل يملك جميع النسخ التى طبعت من كتابه بمعونة المتبرعين.

أما الكتب التى أؤلفها فالناشرون هم الذين يطبعونها بأموالهم وهم أصحاب الحق فى توزيعها أو إهدائها لمن يختارونه، وقلما يستطيعون إهداء الكتب لغير القليل جدًّا من نخبة «العملاء».

معذرة إلى القارئ الأديب الذى جاء فى خطابه اليوم يذكرنى بقصتى مع الدكتور شبلى شميل، فإننى لو ملكت نسخاً من كتاب كالنسخ التى ملكها الدكتور من كتابه لصنعت مثل صنيعه وزدت عليه.

العنب الدليشى..

هل سمعت أيها القارئ «بالعنب الدليشى» يباع فى الطريق.

لا أظنك سمعت به لأنه لم يوجد ولم أسمع أحداً ينادى عليه قبل هذا النداء الذى سمعته اليوم.

واحسب أن بائع «العنب الدليشى» كان يبيع «التفاح الدليشى» ثم تحول عنه إلى بيع العنب فأعطاه هذه المزية التى كانت صالحة عنده لترويج التفاح وغيره.. ولو تحول منه إلى بيع القماش أو الصينى أو «الخردوات».

أترانا نضحك من تفنن هذا البائع اللبيب؟

نعم. ولكن بشرط يسير، وهو شرط السيد المسيح حين قال لجمهرة المنافقين المطالبين بعقاب المرأة الخاطئة: من لم يخطئ منكم فليرمها بحجر.

فلنضحك نحن - إذن - من ذلك البائع إن كنا لم نخطئ مثل خطئه، ولكننا جميعًا نخطئ ذلك الخطأ فى أشيع الكلمات.

من منا لا يقول الإسطوانة ويعنى قرص الجرامفون؟ ومن منا لا يقول «الحرامى القرارى» وهو يعنى الحرامى البارع فى السرقة؟

أما الصواب فى هذه الكلمة فقد عرفه أجدادنا قبل بضعة قرون، وقد عرفوه لأنهم قسموا الفلاحين فى القرية إلى فلاح «قرارى» وفلاح «فرارى».. وقصدوا بالفلاح «القرارى» أنه المتشرد الذى يدور بين القرى ليبحث عن العمل فى مواسم الزراعة ثم يفارق مكانه ولا يستقر على قرار.

كانت كلمة «القرارى» صفة للفلاح العامل الأصيل العارف بصناعته المثابر عليها فى موطنه وموطن أبيه وجده، فمازالت حتى أصبحت مع الزمن صفة لمن لا يعمل ولا يستقر على عمل شريف.

إن صاحبنا بائع «العنب الدليشى» ليستطيع أن يمضى فى طريقه دون أن يصيبه حجر واحد لأن الأرض لا تحتوى من الحجارة الملقاة عليها حجراً واحداً يرميه به من لم يخطئ مثل خطئه فى كلمات تعد بالعشرات.

خواطر مكسور[(١)]*

فركة كعب:

لعلها كانت أجازة من تلك الأجازات القهرية التى يفرضها علينا القدر فرضاً حين نحتاج إليها ثم لا نسمح بها لأنفسنا بمحض إختيارنا.

لعلها كذلك، ولعلها ليست كذلك..

فما ينبغى أن تنزلق فى الدعوى على القدر ونحن لم نفرغ بعد من حديث الانزلاق، وليس من شأننا نقتحم القدر فى حكاية خطوات نمشيها أو نقعد عن مشيها، أو حكاية أيام نقضيها فى سكون، فما نظن أن سجل المدعين على الأقدار قد بقى فيه من البياض فى عصرنا هذا ما يتقبل المزيد..

إن عثرات الدنيا كلها قد تتلخص اليوم فى هوستين اثنتين من هوسات الدعوى على الأقدار الإلهية والأقدار الكونية: هوسة الخبيث المخبول هتلر، وهوسة الخبيث الشرير كارل ماركس، وكلاهما ممن احتكر مشيئة الغيب لدعايته ودعواه.

مجنون برختسجادن كاد أن يجعل العناية الإلهية مكتباً من مكاتب السكرتيرية الخاصة فى ديوان الفوهرر ببرلين، وكاد أن يوظفها فى رسم الخطط واستطلاع أخبار الدول ونيات المحاربين والمسالمين.

---

* أخبار اليوم ١٩٥٤/٩/٤

(١) عثرت قدم الأستاذ العقاد وهو يسير فى أحد ميادين مدينة الإسكندرية،فأصيب بصدع فى رجله، وكدم فى يده..

وانقطع عن الكتابة ستة أسابيع..

وفى هذا المقال يكتب خواطره وهو «مكسور» لا يستطيع الحركة ولاالكتابة

والعاقبة بعد كل هذا ما هى؟
وللعاقبة بعد كل هذا ما هى؟

العاقبة خراب العالم وخراب الدولة الألمانية وخراب بيته هو والانتهاء به إلى مصيرين أرحمهما أنه مسخ ملامح وجهه وعاش حيث يعيش الآن فيما زعموا بغير وجه المليح. أو وجهه الذى تلق اللعنة من القضاء.

أما الخبيث الآخر فلم تكن له قلعة فى «برختسجادن» تتلق الوحى من السماء، ولم يكن له نجى من الحكمة الإلهية يناجيه خفية أو على مسمع من ذوى الآذان الطوال والقصار، وإنما كان له ركن فى المتحف البريطانى يجمع فيه الأرقام ويضرب فيه الرمل ويخرج منه بدعواه على الكون كله من يوم كان إلى يوم لا يكون، ثم يقرر له خطة أبدية سرمدية لا يحيد عنها ولا يجسر على اتباع خطة سواها، ولا يسمى بالكون حقاً إن أذن لنفسه ولمخلوقاته بغير ما أذن به الخبيث الشرير فى تقريره، وفى ماضيه وحاضره ومصيره..

والعاقبة أيضاً ما هى بعد هذا التقدير والتقرير؟

العاقبة طوفان من الشر يطغى على المظلوم قبل الظالم، وعلى المحروم قبل المغتصب ولا يستفيد منه أحد غير الدجاجلة المفسدين والأبالسة الجهنميين.

وتبق بقية بعد هاتين الهوستين لرسل الديمقراطية «الصادقين» فى العالمين القديم والحديث، ولكنهم لا يتهوسون ولا يتشبهون بالخبيث المجنون ولا بالخبيث الشرير، بل يزعمون بلسان الواثق المطمئن أنهم وكلاء العناية الإلهية على الأرض، يصلحون فيها ما أفسده الخبيثان، وماهم بمصلحين..

ثم تسومنا سقطة فى الطريق، أو تسومنا سقطات الطريق كله، أن نقحم القدر فيما نمشيه ولا نمشيه من خطوات معدودات؟

معاذ الله.. نعم معاذ الله إلى مائة سنة على الأقل حتى يستريح العالم من الهوستين وممن يصلح عقابيل الهوستين.

obeikandi.com

وأما نحن فلا لزوم عندنا للإحالة على العناية الإلهية فى دعوى من دعوانا، فإن الحكاية كلها أن الإجازة التى «نعمت» بها كانت ضرورية لا غنى عنها، وإننى لم أكن لأنعم بها إلا على إضطرار وإكراه..

وأى إضطرار وإكراه؟

لقد كان محصولى من المشى فى اليوم الواحد لا يقل عن ميلين، وهما بحساب الخطوات يبلغان ستة آلاف خطوة فى اليوم.

ثم مضت أربعون يوماً لم يبلغ فيها محصولى من المشى خطوة واحدة، لأننى قضيتها وكأننى أقضيها بغير قدمين.

فرصة:

وليقل ما شاء أنها فرصة لعمل من الأعمال لم يكن ميسوراً مع شواغل الحركة وتكاليف الحياة.

ولكنها، كيف كانت، ليست بالفرصة للقراءة وليست بالفرصة للكتابة، وهل من فرصة لعمل غيرهما فى حياة أصحاب الأقلام؟

فلم يكن لوقت القراءة عندى حد محدود من قبل غير طاقة النظر بالليل أو بالنهار، فلم تعطنى الإجازة القهرية متسعًا من الوقت لم يكن عندى فى جميع الأيام.

أما الكتابة فإن كانت تأليفاً فلا سبيل إليه فى موضوعات المراجع الكثيرة بغير حركة اليدين والقدمين، وإن كان غير ذلك فقد كانت النفس فى شاغل عنه بحكم الراحة التى لا تريح.

إنما كانت فرصة حقًا للتفكير، وما أكثر حركات الرءوس حين تكف الأقدام عن الحراك!!

ذلك العصفور:

لو كنت مصوراً لا ستطعت أن أصور ذلك العصفور غيباً بعد عشر سنوات.

ذلك العصفور الذى رأيته على نافذة الحجرة يطير منها ويعود إليها على الأثر لغير قصد معلوم غير المتعة بالجناحين الطليقين.

ذلك العصفور الذى كنت أراه وأنا أسمع أن كشف الأشعة يقضى بالمقام فى موضعى أربعة أسابيع، وقد تمتد إلى ستة أسابيع.

ونظرت إلى ذلك العصفور فحسبت عليه جناحيه نعمة لا يظفر بها الإنسان، لأنه يتحرك بهما وإن خذلته القدمان.

ولكننى نظرت بين ذلك إلى عالم الفكر الذى انطلقت فيه فكدت أرحم العصفور « الكسيح » فى هذه الأجواء، لولا أن الفكر نقمة يشقى بها من يعرفها فلا يغبط عليها من يفقدها، وهانت على من يجهلها كما يهون كل مجهول.

الإنسان الشكور:

والواقع أن الإنسان آخر مخلوق يحق له أن يغبط حيواناً على مزية من مزايا الحركة، وإن كانت حركة أجسام وأعضاء.

ما سبيل المقارنة فى هذا المجال بين النصيبين؟

ليست سبيلها أن تفتح للإنسان وللحيوان مضمار السباق فى العدو والطيران والغوص والروغان، فلا نكران أنه سيأتى لاحقاً بعد عشرين أو ثلاثين من فصائل الأحياء، ولا خسارة عليه فى هذا التخلف بالغاً ما بلغ مداه.

ولكنما السبيل أن نقارن بين جهاز الحركة فى بنيته وأجهزة الحركة جميعاً فى

عالم الحياة من أعلاه إلى أدناه، واليقين الذى لا شك فيه أن عالم الحياة بما رحب لم يعرف جهازاً يضارع الجهاز الإنسانى فى دقته وإحكامه وتنوع وظائفه وأغراضه، فليس بين الأعضاء الحيوانية جميعاً عضو يقارب يدا الإنسان - مثلا - فى حركاتها المقصودة وغير المقصودة، فإنها والدماغ مزيتان من المزايا الإنسانية لا مشاركة فيهما لحى من الأحياء.

فاليد فى ذوات الأربع قائمة كسائر القوائم لا تكاد تعمل شيئًا غير عمل الرجلين إلا إن كانت من المتسلقات، وهى إذن لا تحسن العدو والإنطلاق.

والجناح الذى يسمونه يد الطائر إنما هو يد تمشى به فى الهواء.

ومن نظائره فى سائر الأحياء ما قد تعطل وضمر، ومنها ما يثبت كزعانف السمك ولا يبالى السمك أن يستغنى عنه كل الاستغناء، أو بعض الاستغناء.

وكلها على العموم معقولة بغير دماغ تفكر وتريد، إلا يد الإنسان التى لا يعقل لها وجود بغير الدماغ وبغير الملكات والمطالب الذهنية التى خلقت الصناعات والفنون، وخلقت معها الأكف والأصابع على أحسن تكوين

ولك أن تقول إن رأس الإنسان لازم ليده، كما تقول إن يده لازمة لرأسه، فإنهما قرينان متلازمان.

وفى كل لغة من لغات العالم العالمية دليل على هذه الأصالة فى عمل اليد وعلى هذه الرابطة بين تدبير الأيدى وتدبير العقول.

فما خلت لغة عالمية من كلمة ترد وظيفة التدبير إلى براعة التصرف باليدين ونحن فى العربية نثنى على الرجل الكيس الأريب فنقول إنه يحسن «تناول» الأمور، وهم فى اللغات الأوربية يسمون المدير «مانيجر» Manger من كلمة «مانوس» Manus بمعنى اليد باللاتينية، ويتكلمون عن التناول بمعناه الفكرى كما نتكلم عنه فى لغة الضاد، وأحدث الأراء فى مذهب النشوء والتطور، أن

الإنسان لا يمكن أن يتطور من القردة العليا مباشرة لأن أيديها لم تبلغ من الدقة أن تكون « بروفة » لليد الإنسانية.. كما نقول فى لغة الطباعة والتفصيل. فلابد من «تجربة» بعد تجربة تعلو على متناول الشمبانزى والغورلا والأرانج اتانج والجبون، وتليق بمكانة ابن آدم وحواء.

ونعود فنقول: ما أكثر حركات الرءوس حين تكف الأقدام عن الحراك.. فقد تركنا ذلك العصفور مغبوطاً محسوداً من النظرة الأولى، ثم عدنا إليه محروماً مرثياً له بعد جولة فى عالم الحركة، كأنه فيها مخلوق كسير الجناح.

والحمد لله:

والحمد لله أولا وآخراً على هذا العزاء، فإن المرء ليتعزى بالوهم فيستريح إليه عند الحاجة إلى العزاء، فإذا كان من حظنا أن نستمد عزائنا من علم التشريح وقوانين النشوء والتطور، فذلك خير من الوهم على كل حال، فالحمد لله أولا وآخراً على هذه الحال.

راحة لا تريح:

واسترحنا بحمد الله إلى العزاء، وشرعنا بمعونة الله فى الراحة أربعة أسابيع، وقيل ستة أسابيع... ولامفر من القولين على الأقل فى كل « ارتجال ».

ونقول إننا شرعنا فى الراحة لأنها أصبحت « مشروعاً » بكل معانى الكلمة منذ اصطبغت الواجب المحتوم واتخذت صورة الإجراءات المرتبة التى ترجى لها نتيجة وتنتظر لها عاقبة، وتقاس درجة بعد درجة وأسبوعاً بعد أسبوع.

وكان مشروعاً ناجحاً من وجوه شتى أردنا بعضها وجاءتا بعضها من حيث لا نريد.

وكان مشروعاً ناجحاً لأننا أردنا منه عشرين جراماً من العظم فجاء بها وزاد عليها من مادة اللحم خمسة آلاف جرام.

وكان مشروعاً ناجحاً لأنه علق فى ذهنى جميع الشواغل والهموم دفعة واحدة وبغير مبالاة، إذ كانت كل المبالاة عبثاً ضاراً مع انقطاع العمل قبل الفراغ من « المشروع ».

وكان مشروعاً ناجحاً لأنه أفادنا كثيراً فى توكيد معنى من المعانى التى أحب أن أؤمن بها، وأن يؤمن بها الناس، وأرى أن الإيمان بها يحل طائفة من المشكلات القائمة بين الخلق ودنياهم أو بين الخلق والأقدار.

أفادنا مشروع الراحة فى توكيد الحقيقة التى لاريب فيها، وهى أن الراحة لا تريح وأن الإنسان لا يشتهيها ويحرص عليها وهو مختار يعلم ما يبغيه.

فبعد يومين سلبتنى الراحة لذة النوم، فلا رغبة فى النوم ولاقدرة عليه مع طول الرقاد ومصاحبة الراحة ليل ونهار.

وقد قيل فى مناقضات الراحة والتعب كلام متشعب يجمعه قول أبى تمام فى بيته المشهور

أبصرت بالراحة الكبرى فلم أرها   تنال إلا على جسر من التعب

إلا أن أبا تمام يشير فى بيته إلى نوعين من الراحة ولا يعنى به راحة واحدة، فانه يشير إلى راحة الجسد وراحة الضمير، وان راحة الضمير لاتتم بتغير تعب الأجسام.

ولكننا نريد هنا أن الراحة، كائنة ما كانت، تحرم المستريح منها.. وأن البنية الحية لم تركب فى طبيعتها على أساس الراحة والاستقرار.

فلسفة التعب:

ومن فلاسفة العصر الحديث فيلسوف معروف ببساطة المقدمات وضخامة النتائج فى النفس الإنسانية وفى مجتمعات الأمم وفى مجرى التاريخ على التعميم.

obeikandi.com

ذلك الفليسوف هو وليام جيمس صاحب الفلسفة المشهورة بالبرجمية وله من قبيل هذه الفلسفة رأى يقول إن طاقة الحى الآدمى طبقات متعاقبة تنكشف واحدة منها بعد أخرى - عند الطلب - إلى آخر مداها.

يتعود المرء أن يعطى العمل اليومى جهداً معلوماً فإذا استنفده تعب وسئم وجنح إلى ترك العمل، ولكنه إذا اضطر إلى مضاعفة الجهد لم يلبث أن يشعر بزوال التعب وتجدد النشاط والقدرة على المثابرة شوطاً أو شوطين آخرين دواليك إلى غاية المستطاع.

هذه الملاحظة البسيطة تفسر لنا حكمة الشدائد فى حياة الآحاد وحياة الأمم، وتفسر لنا القوة التى نستمدها من الحزن أو الفجيعة ونستمدها من العقيدة حين تتقاضى العزيمة جهداً فوق جهد وتدفع بها شوطا وراء شوط، وتفسر لنا كيف كانت شدائد الأمم حافزاً على الاختراع فى سبيل الدفاع وفى سبيل الآمال التى تسوقنا إليها المغالبة على المجد والسيادة وتتقاضانا من خزائن الشعور والتفكير عناءً فوق عناء ومحاولة وراء محاولة.

وإذا كان هذا فعل التعب فى استكشاف طاقات النفوس فالراحة تفعل نقيض فعله وتغطى قوى النفس بطبقة فوق طبقة من الكسل والوخامة والاستسلام وكلما طالت عجز المرء اليوم عما كان قادراً عليه بالأمس فى غير عناء.

ولمن شاء بعد ذلك أن يتعب، ولمن شاء أن يستريح، وليس له بعد الاختيار أن يشكو مغبة الراحة ويندم على فوات المتعبات.

وهذه العثرة:

وأظن أننا قد بلغنا موقع العثرة التى مهدنا لها كل هذا التمهيد المتعب أو المريح.

لقد كانت عثرة، أو كانت فركة كعب، فى «عز الظهر الأحمر» فى أكبر ميادين الثغر الإسكندرى، وأخلقها أن يكون سلمياً من العثرات.

كانت عثرة نهضت بعدها، أو أنهضت، برجل مصدوعة ويد مكدومة: قسمة عادلة بين اليدين والرجلين.

وهى لا شك قلة احتراس

ولكن قلة احتراس ممن ياترى؟

أود أن أقول «أولا» إن فرط الاحتراس لم يكن قط من الفضائل التى ادعيها أو أحب ادعاءها، وأن كل احتراس يزيد عن دواعيه فى نظرى إنما هو ضرب من الجبن والوسواس.

ولكننى مهما يبلغ اتهامى لنفسى لن أنصفها إذا ادعيت أنها كانت قلة احتراس منى، لأننى عبرت هذا الطريق بعينه ألف مرة منذ قدمت إلى الإسكندرية لأول مرة قبل الحرب العالمية الأولى، إلى أن أقمت فيها سنة أو تزيد فى إبان تلك الحرب وما تلاها من القلاقل والثورات إلى أن زرتها هذه السنة بعد ثلاثين أو أربعين زيارة متفرقة.. ولو أن حذاءً يتعلم السير وحده من صحبة القدمين لقد كان فى وسع أحدث حذاء لبسته أن يمشى منفرداً من أول ذلك الطريق إلى نهايته، لا يحيد يمينة ويسرة من زحام الأحذية والأقدام.

طريق قليل الاحتراس:

فإن كانت ثمة احتراس فهى من الطريق لامراء. وهكذا ينبغى أن يقال عن كل حفرة تترك على إفريز مرصوف فى ميدان التحرير على مدرجه من ملتق السابلة ومواقف السيارات، وفى إبان موسم الاصطياف.

على أننى لا أنوى أن اقتص من المجلس البلدى بذنب طريق، وليس فى نيتى أن أطالبه بالتعويض مبالغاً فيه كما هى العادة أو فى حدود الاعتدال، وربما

زدت على ذلك فرويت له وللقراء قصة يتعلل بها ويستند إليها إذا ادعى أن العثرة كانت تدبيراً مبيتاً من الغيب المجهول.

نذير الغيب:

قبل أن أبرح القاهرة إلى الإسكندرية كنت أراجع التجارب المطبعية لمجموعة القصص الصغار التى نشرتها مؤسسة فرنكلين بالقاهرة، وكنت أتناوب المراجعة مع الأستاذ إبراهيم الجزيرى جارنا فى السكن بمصر الجديدة.

وعلمت فى الأسبوع الأخير أن مكتب المؤسسة تلقى خبراً فحواه أن القصص التى ترجمتها لم يتم الاتفاق على حقوق ترجمتها جميعاً، وأن خمساً منها أو ستاً لا تزال محل المفاوضة بين المؤسسة والناشرين أو المؤلفين.

قلت للأستاذ الجزيرى: إننى لا آسف على هذه القصص إذا خلصت لنا منها قصة واحدة وهى قصة «مارجورى داو» لصاحبها توماس الدريخ.

وجاء الأستاذ الجزيرى بعد يومين مبتسماً يبلغنى أن هذه القصص قد أجيزت وتم الاتفاق عليها بين قصص أخرى لم يتيسر الاتفاق على حقوقها، ومنها قصة للمؤلف همنجواى، وقصة للمؤلف دريزر، وقصتان لمؤلفين آخرين.

فشكرت للأستاذ بشارته ووكلت إليه مراجعة تجاربها فى المطبعة، لأننى سأكون بالإسكندرية عند طبعها.

وإنما حرصت على هذه القصة دون غيرها لأسباب أدبية فنية لا شأن لها بالغيبيات والرمزيات وما إليها.

ومن هذه الأسباب أنها مثال حسن للمزاج الأمريكى الذى يهيم بالمجهول، ويغرى صاحبه بالسفر من بلد إلى بلد غراماً بفتاة لم تقع عليها عيناه، وليس لها وجود.

ومنها أن القصة تؤيد اعتقادى فى عوامل الحب لأننى أعتقد أن العامل المهم فيه(شاغل) يلهج النفس بأحد من الناس فيبدأ الحب متى امتلأت النفس بهذا الشاغل، وإن لم تقع المشاهدة بالعيان.

ومنها أنها كانت من أسبق القصص إلى شرح الحوادث بأسلوب الرسائل المتبادلة بين أشخاصها.

ومنها أننى أحب المؤلف وأشعر بأنه مغبون بين نظرائه فهو مستحق للتنوية به والالتفات إليه.

وكل هذه أسباب نهارية شمسية لا شأن لها بالأسباب الغبشية أو القمرية.

فالآن يمكن أن يضاف إليها سبب يهلل له أنصار الغيبيات والدلالات الرمزية لأن القصة تدور على رجل وضع برنامجه على قضاء الصيف بأحد الشواطئ البحرية الحافلة فزلقت قدمه وقضى الموسم طريح الفراش، وقد أرخ المؤلف موسمه من أواخر يوليو إلى أوائل سبتمبر سنة كذا وسبعين.

نبؤة حرفية بما حدث لكاتب هذه السطور..

لعلها وليس لعلها:

ونعود فى ختام المقال إلى (لعلها كذلك ولعلها ليست كذلك).. فإننى مع قوة الإغراء هنا لا أروى هذه المصادفة النادرة لأثبت نذيرها بالغيب أو أنفيه، ولكننى أرويها لأثبت أمراً لا يصح أن يتردد فيه أحد، وذلك أن المصادفات عارض متكرر فى الحياة كعوارض الأسباب المعلومة، فليس لناظر فى حقائق الحوادث والنيات أن يسقطها من الحساب.

وهكذا نواجه كل مجهول.

وهكذا نمضى على بركة الله.

مصير الطير فى المدينة*

فى خطاب من السيد «عبد الخالق الشوبرى» سؤال عن ملاحظات طريفة تصدر فى هذا الباب من طبيعة الاستطلاع التى تأسست عليها علوم كثيرة، كعلم الأحياء وعلم التاريخ الطبيعى وعلم الحيوان، وكلها من قبيل تلك الملاحظات التى مرت بالكثيرين من قبل ولم يلتفت إليها غير القليلين، ولكن هؤلاء القليلين هم الذين سألوا أنفسهم وسألوا من حولهم وانتقلوا من تلك الأسئلة إلى الأجوبة المطلوبة، أو انتقلوا منها إلى أسئلة أخرى معلقة الجواب فى تلك العلوم إلى اليوم، وإلى الغد البعيد.

ومعظم تلك الملاحظات يستحق أن «يحير» السائلين إلى حين، ولو بالمقدار الذى يحرك العقول إلى البحث عن وجه الغرابة فيبدوا لها بعد قليل من البحث أنه غير غريب!

يسأل السيد عبد الخالق الشوبرى: «أين يمضى المصير بالحيوانات غير المستأنسة إذا ماوافتها منيتها بطريقة طبيعية كالهرم دون أن تكون ضحية القتل أو الكوارث؟ وكيف تتلاشى جثتها دون أن تترك أثراً فى موضعها؟»

ويقول السيد الشوبرى: «ليست أعنى حيوانات البرية والقفر والغاب وحدها حيث لا يتيسر تتبعها، وإنما أعنى أيضاً حيوانات الريف التى قد نشاهدها مثل الذئب والثعلب وأبوقردان وحيوانات المدينة التى تعاشرنا دون اختيار منا كالعصافير والغربان والفيران»؟

ويقول السيد الشوبرى إنه لم يقنع بقول القائلين عن الفيلة أنها تنزوى إلى مكان بعيد حين تحس دبيب الموت فى عروقها إلى أن تفارق الحياة، ولم يقنع

---

* الأخبار ١٩٦٢/٨/٢٢

بالقائلين إن القوى يفترس الضعيف لأن بقايا الجثة المفترسة من البراثن والعظام والريش لا تظهر فى مكان.. ثم يختم خطابه قائلا إن هذا المصير الغامض هو المسألة التى حيرنى التفكير فيها دون أن أجد لها حلا مقنعاً، فهل أجد الجواب الشافى لديكم؟..

وملاحظة السيد الشوبرى - كما أسلفنا - طريفة يلتفت إليها، لأنها من قبيل الملاحظات التى تجمعت منها الحقائق النافعة عن أطوار الحيوان التى نستغربها فى ظاهرها ولو كان نصيبها من الغرابة غير كبير.

ولكن هل من الغريب حقًّا أن يندر عثورنا على جثث الوحوش والطيور الميتة؟ وهل من الطبيعى أن يخرج الحيوان المحتضر من مكانه إلى أن يصل إلينا ويموت تحت أعيننا فى معاهد ذهابنا وإيابنا أو فى المعاهد التى نراه فيها حين يظهر ويريد الظهور وهو يستطيع الظهور؟

إن الواقع المتكرر أمامنا أننا لا نبصر هذه الحيوانات إلا فى الساعات التى تريد هى أن تظهر فيها، طلباً للقوت أو الماء أو المطاردة الجنسية.

فهى تختفى عنا فى ساعات الليل، وتختفى عنا فى ساعات القيلولة، وتختفى عنا حيث تجفل فى الضجة أو من المخاوف على الحياة.

وهى إذن تختفى بالليل والنهار إذا هى لم تقصد الظهور، فكيف يخرج لنا الطير الذى يحس دبيب الموت؟ وما حاجته إلى الظهور وهو لا يطلب القوت عجزاً ومرضاً، ولا يصل إلينا إذا حاول الوصول لغير طلب مقصود؟

إن أوكار الطير والوحش تكفى بالنهار فى ساعات القيلولة لإخفاء الألوف من هذه الأحياء التى تسكن إليها وهى على أتم حال من الصحة والنشاط، فلا غرابة فى إخفائها عشرات من هذه الألوف كل يوم وهى عاجزة عن الحركة إلى أن تفنيها الحشرات والحيات والنمال وجوارح الطير ولا تبقى منها بقية ينقلها الهواء إلى مكان بعيد.

ولا ننسى أن الطيور تبنى ملايين الأعشاش فى كل موسم، وأن هذه الأعشاش يدخل فى بنائها الزغب والريش كما يدخل فيها القش وأوراق الشجر وعيدان النبات، وليس هذا الزغب أو الريش من أجسامها هى ولا من أجسام رفيقتها من الطير على الأشجار أو عند الأوكار التى تعيش فيها، فمن رفات الطيور الميتة تقام تلك الأعشاش التى تستنفد من الزغب والريش مقداراً لا يقل عن ذلك المقدار الذى نتفقده فى طريقنا فلا نجده، أو نجد منه القليل.

ولا صعوبة فى تفسير اختفاء الأجسام الفانية من الوحش والطير حيث يختفى أضعاف أضعافها من أجسام أخواتها الأحياء ساعات القيلولة أو ساعات الظلام، ولكن هل يصعب علينا أن نفسر بعد ذلك قلة الجثث التى تظهر لنا إذا تذكرنا أنها وهى بقيد الحياة وعلى أتم القوة والنشاط، لا تسعى إلينا إلا حين تقدر على السعى ولا تظهر لنا إلا وهى راغبة فى الظهور؟

خيانة الزوجين*

حدثتنا «الأخبار» فى الأسبوع الماضى عن وفاء الزوجين، عادت فى هذا الأسبوع تحدثنا عن خيانة الرجل والمرأة وتقول لهما بلسان راويتها المعتمد فى هذا الأسبوع: «إن المرأة تغفر للرجل خطيئته قبل أن يتزوجها وبعد الزواج.. ولكن الرجل لا يغفر لزوجته خطيئتها لا بعد الزواج ولا قبله..

هل من تعليق؟

وهل من تعليق على سنة «الفروسية» العصرية التى فاقت فروسية المرحوم الجنتلمان، فى الكيل بكيلين والقضاء بشريعتين فى كل حديث - من طرف اللسان - عن الجنسين.

الحق أن راوية الأخبار لم يكذب على الرجل - الذى هو رجل حقاً - حين قال عنه إنه أصعب غفراناً من المرأة فى الحياة الزوجية.

ولكن طلب الرأفة واجب فى هذه القضية قبل الإدانة المنتظرة التى لن يفلت منها الرجل المتهم بلا شفاعة فى جميع القضايا المعلقة بين الجنسين، على شريعة الحماسيين المتحررين.

والرأفة مطلوبة هنا للمتهم لأن «التهمة» ليست بتهمة واحدة عند الكلام على خيانة الجنسين.

خيانة الزوجة للزوج تخدعه فى نسله، وتقضى على بقائه فى ذريته إلى الأبد، بعد انقضاء حياته.

وينبغى - قبل الموازنة بين طبائع الجنسين وبين فضيلة الغفران عند الطرفين - أن يصيب الرجل امرأته كما تصيبه هى بالخيانة الزوجية.

والرأفة مطلوبة بعد ذلك للمتهم القاسى الذى لا يغفر ولا يرحم.. إلى أن تتساوى التهمة التى يحاسبان عليها فى ميزان القضاء، أو ميزان الأخلاق.

---

* الأخبار ١٩٦٢/١٠/٢٤

التثاؤب.. دليل الذكاء واليقظة*

يقول السيد ماهر محمود البقرى بمصلحة الجمارك فى الإسكندرية نقلا عن أستاذ من أساتذة علم النفس «إن التثاؤب قد يكون دليلا على الذكاء واليقظة الذهنية..»

ويعقب السيد ماهر مستغرباً لأن المظنون غير ذلك كما يقول، ويود لو عرف الحقيقة فى هذا الموضوع.

والسيد ماهرٌ على حق فى استغراب هذه الملاحظة لأول وهلة، غير أن الغريب فيها أن يكون التثاؤب دليلا نفسياً على اليقظة الذهنية (فقط) ولا يكون دليلا على نقيضها فى بعض الأحايين، فإنما هو دليل على شيء واحد لاشك فيه وهو الاستعداد لالتقاط عدوى النوم من المتثائب للذين يجالسونه وينظرون إليه، وهو يتثاءب أو يسمعونه وهو يرسل من فمه صوت التثاؤب المعروف.

وقد يدل هذا الاستعداد السريع لالتقاط عدوى النوم على النقيضين من فرط اليقظة إلى فرط الوخامة التى يقول أبناء البلد إنها تجعل الإنسان «نائما على نفسه» وهو جالس أو سائر على قدميه...

فقد يكون الإنسان على حساسية مفرطة تتنبه فى لمحة عين إلى علامات التهويم فى الآخرين، وهى علامات الشروع فى النوم. وأظهرها التثاؤب وما يصاحبه من تقطيع الكلمات، فتسرى إليه عدوى النوم سريعاً لفرط إحساسه وانتباهه إلى ما حوله، ويصح فى هذه الحالة أن يعتبر التثاؤب دليلا على اليقظة الحسية وما يصاحبها أحياناً من اليقظة الذهنية.

وكما يجوز هذا من ناحية اليقظة يجوز نقيضه من ناحية الوخامة، لأن من كان وخيم الحس كان على الدوام فى حالة شبيهة بحالة النوم، فلا يتعرض لظاهرة من ظواهره المحسوسة فى جو يخيم عليه النعاس حتى ينتقل سريعاً من التهويم إلى النوم العميق.

---

* الأخبار ١٩٦٢/١٠/١٧

وفى جميع الحالات يصح أن تكون القدرة على مقاومة التثاؤب دليلا على قوة الإرادة وما يقترن بها كثيراً من يقظة الذهن وقلة الغفلة واستطاعة المرء أن يدفع المؤثرات «اللاإرادية» وهى تسرى إليه بغير اختياره.

وقد يكون أبو العلاء المعرى يعتبر سريان العادة بتناسل الأحياء ضرباً من التثاؤب لايقوون على مقاومته فيسرى من الأجداد إلى الآباء على غير قصد منهم منذ القدم، فهو يفخر عليهم بقدرته على هذه المقاومة التى استطاعها ولم يستطيعوها فيقول :

تواصل حبل النسل ما بين آدم ... وبينى ولم يوصل بلامى باء
تثاءب عمرو إذ تثاءب خالد ... بعدوى فما أعدتنى الثوباء

ولقد عرف الناس قديماً وحديثاً وسائل شتى لامتحان قوة الإرادة ، أو قوة الأعصاب، منها القدرة على مقاومة الحركات «غير الإرادية» كالتثاؤب والضحك المغصوب من جراء الدغدغة فى المواضع الحساسة من الإبطين وما يليهما، ومثلهما مقاومة النوم بعد التحديق الطويل فى مكان واحد تمهيداً للتنويم المغناطيسى فى بعض الحالات.

فإذا جاز أن يكون فرط اليقظة سبباً لسرعة الإحساس بعدوى النوم، فمن الجائز أكثر من ذلك أن يكون فرط اليقظة منبهًا للإرادة إلى المقاومة قبل سريان التأثير إليها بغير اختيارها.

والمعول فى جميع هذه الحالات على عمل الإرادة فى حينها لاستجابة الشعور المنتقل من الآخرين أو لمقاومة هذا الشعور.

ويقال إن قوة الإرادة كثيراً ما تكون سبباً لسرعة حدوث التنويم المغناطيسى، إذا أراد الإنسان أن يجارى رغبة منومه ولم يرد مقاومتها. . لأنه فى هذه الحالة يعمل بالتقاء إرادتين معاً على غاية واحدة، ولا يعمل بإرادة مستسلمة تخضع لإرادة أخرى.

obeikandi.com

مضغ اللبان*

«... يثيرنى كثيراً مضغ اللبان... ثم أقول لنفسى: مالى وللناس؟ فليفعل كل مايحلو له إلا أننى لا أستطيع أن أنسى أن اللبانة جُعلت للمرأة، وإذا كان عذر ماضغها أن يستعيض بها عن التدخين فإنى أفضل له العودة إلى السجاير بدلا من هذا التشبه بغير الرجال، وأرجو ياسيدى أن أطلع على رأيكم الحاسم فى هذا الموضوع».

محسن يوسف

طنطا

... وفيما نعلم أن المضغ ليس بمقصور على اللبان. فإن فى الصعيد رجالا فحولا يمضغون التبغ وقلما تمضغه المرأة إلا إذا جاوزت الخمسين، وبين صنوف الحلوى التى تروج فى البلاد الأوربية والأمريكية «ملبسات» صغار يمضغها الرجال والنساء والأطفال من الجنسين، ولكن مضغ اللبان إذا كان ماضغه يتشبه بالمرأة معيب كمعابة كل شىء يفعله الرجل المتأنث أو تفعله المرأة المسترجلة، ولا تتغير هذه الخصلة باجتناب مضغ اللبان وحده، لأن الرجل المتأنث قد يمضغ الكلام كما تمضغه الإناث، ولا يبالى أن يعيبه من يعيب الرجل على غير سجية الرجال أو يعيب المرأة على غير سجية النساء.

---

* الأخبار ١٩٦٢/١٢/١٢

الاختــراع*

فى خطاب من الطالب الأديب (فكرى محمد حسين خليـل) بـكلية حقـوق القاهرة سؤال عن أعظم اختراع أو اكتشاف وصـل إليـه الجنس البشرى : أهـو النقود، أو النار، أو حروف الكتابة، أو اللغة. . ؟ لأننا فى عصر « الاختـراع » ينبغى أن نفهم قيمة المخترعات العصرية فى تـاريخ الجنس البشرى بـالقياس إلى مخترعات القرون الأولى.

والحق أن تصحيح معنى الاختـراع فى تـاريخ الجنس البشرى لازم فى هـذا العصر الذى ينبغى أن يفهم فيه الإنسان حـدود قـدرته على الانتفـاع بقـوى الطبيعة وتسخير مواردها.

ولابد من التفرقة هنا بين ما يصح أن يسمى اختـراعاً وبـين مـا يشـبه الاختراع، ولكنه خليق بتسمية أخرى.

فاللغة تخرج عداد المخترعات لأنها وظيفة حيـوية، شـأنها شـأن الأصـوات بالنسبة إلى الحيوان الأعجم، إلا أنها أوسع مجـالا فى اسـتخدامها على قـدر الاختلاف بين الإنسان والحيوان فى الحاجة إلى وظيفـة التعبـير، وقـد وجـدت اللغة حيث وجد الإنسان وصح من أجل هذا أن يسمى بـالحيوان النـاطق لأن النطق صفة من صفاته، وليس بالمخترع المعدود من مخترعاته.

والنار من قبيل المخترعات الحديثة فى منـافعها ولـكننا إذا نـظرنا إلى فضـل الإرادة والإفتنان فيها لم نستطع أن نحسبه من أفضال العبقـرية المختـرعة والفهـم النافذ الذى يحاول « الاختراع » لأنه يفهم نتائجه ويتـوسل إليهـا بـوسائله، فـلا نعرف من تاريخ الإنسان البدائى أن أحداً قصد إلى توليد النار فتـولدت النـار

* الأخبار ١٩٦٣/١/٣٠

على يديه، ولكن المفهوم أن النار وجدت أو انقدحت لسبب من الأسباب فتعلم الإنسان كيف يقدحها ثم تعلم كيف يستفيد منها. ومن يسأل عن صاحب الفضل فى اختراع النار كمن يسأل عن صاحب الفضل فى رى الزرع بالماء، إذ لا اختراع هنا غير مجرد الالتفات إلى أثر الماء وأثر النار فيما حوله من لوازم المعيشة.

أما اختراع حروف الكتابة فهو العمل الصناعى الذى يقابل وظيفة النطق الطبيعية فى جلالة شأنه وعموم نفعه، ولكنه أكبر من أن يحصر فى عنوان واحد، أى فى وقت واحد، لأنه يشمل المحاولة الكتابية من بدايتها الأولى من رسم الصور إلى رسم الأصوات إلى رسم النوتة الحرفية، لأن الحرف فى حقيقته إنما هو «نوتة» موسيقية لاختصار صوت متعدد المقاطع والحروف.

وحيث وصل الإنسان إلى كتابة الحرف كانت الكتابة اختراعاً حاصلا فى انتظار خطوة واحدة، لا سبيل إلى الرجوع عنها ولاإلى الوقوف دونها.

وفى اعتقادنا أن اختراع مراتب الأرقام.. ومرتبة الصفر على الخصوص، وهى أكبر عمل إنسانى يسمى الاختراع لأن قدرة «العبقرية الإرادية» فيه أوضح من قدرة الاختراع فى تلك الأعمال الموزعة بين أبناء الجنس البشرى فى أجياله المتطاولة، أو من تلك الأعمال التى استفاد فيها الإنسان من المشاهدة فائدة المقلد المستجيب.

وهذا الاختراع هو الذى استطاع به الإنسان أن يجمع مزايا النقود لكنها كلها من حساب الأرقام.

اجتذاب النجوم:

«... قرأت أخيراً فى الصحف أن علماء الفضاء بأمريكا يعملون الآن على أن يجعلوا النجوم سلعة تباع وتشترى، وأنهم يقدرون تكاليف سحب النجم الواحد إلى الأرض بمبلغ عشرة آلاف مليون دولار ويقدرون ثمن البيع بمبلغ خمسين ألف مليون دولار.. أى أن الربح هو مبلغ أربعين ألف مليون...

فهل هذا معقول؟أم أنه الفرق كما يقولون بين العبقرية والجنون فى بعض الأحيان هو قيد شعرة، وقد تجاوزها أولئك العبقريون؟

محمد فريد طاهر
محرم بك - الإسكندرية

أمثال هذه الفروض تكتب أحياناً فى القصص التى يكتبون عليها اليوم اسم «الخيال العلمى» أو الرواية العلمية Scientific Fictian ويتصور كتابها ما يمكن أن يحدث غداً لو بلغت التجارب العلمية غاية مداها فى قانون من قوانين الطبيعة، وأولها قانون الجاذبية الذى يحسب بعض العلماء أن أرصاد الكواكب القريبة والبعيدة على أسلوب الرصد الحديث قد تدلنا على شيء من الاختلاف بين فعله على الأرض وفعله على الكواكب الأخرى فيتيسر بعد ذلك فهم فعله العام كما نفهم اليوم فعل المغناطيس وفعل الكهرباء، وهى جميعاً قوى جذابة، ولكن مع الاختلاف البين فى التفاصيل: فالمغناطيس يجذب الحديد ولكنه لا يجذب الخشب، والكهرباء تجذب الأجسام المشحونة على حسب درجات الشحنة الكهربية فيها وخصائصها، ولكن الجاذبية تجذب إلى الأرض جميع الأجسام بدرجة واحدة وفقاً لقانون غاليليو المشهور، وتعليل ذلك عندهم أنها محيطة بكل جسم غير منعزلة عن مكان فى مجالها الأرضى المعروف.

فهل تؤدى تجربة التفاعل «الجذبى» فى الفضاء ومراقبة هذا التفاعل بالنسبة إلى الأجرام السماوية مع تقدير حركاتها ومقاديرها ومسافتها إلى ملاحظة فرق فى تأثير الجذب يستطاع معه العلم بمصادر هذه القوة وأسباب التساوى والتفاوت فى مفعولها؟ وهل يستطاع بعد ذلك أن نعلم بالوسائل التى تساعد على استخدام هذه القوة لجذب الكواكب أو دفعها؟ أو هل يستطاع أن نعلم وسيلة لاستخدام جاذبية الكواكب نفسها فى تقربها أو ابعادها أو تحويلها عن مجراها؟

وربما كان العلم بوسيلة ذلك هو غاية ما يطمع فيه علماء الطبيعة دون أن يتجاوز العلم بالوسيلة إلى القدرة على وضعها موضع التنفيذ.

وقد يكون أيسر من ذلك أن يعرفوا الوحدة بين الجاذبية والمغناطيسية والكهرباء إذا كانت هناك وحدة تسمح بتحويل بعضها إلى بعض على معدل معروف.

أما «المقاولة» منذ اليوم على تكاليف جذب الكواكب إلى الأرض. ومقادير أثمانها وأرباحها فربما كانت «جذبة» من جذبات اللامعقولية المتطورة وجذباتها - هى الأخرى - فنون..

من عبر الحرب الماضية*

لك أن تقول عن هذه الكتب الكثيرة التى تظهر فى الأشهر الأخيرة عن الحرب العالمية الثانية أنها هجمة غريبة فى وقت غير مناسب بعد نحو عشرين سنة من نهاية تلك الحرب بأهوالها وحوادثها وقادتها وأبطالها وضحاياها، ولكنك تتصفحها على عجل فتعلم أنها لم تفقد مناسبتها الحاضرة مع كثرة الكتب التى ظهرت عن الحرب الأولى وعن الحرب الثانية خلال هذه السنين لأن كتب الحرب التى تظهر الآن قد بنى بعضها على معلومات عن زعمائها ودعاتها كانت مجهولة كل الجهل ثم اتضحت حقائقها على غير ظواهرها، وبعض هذه الكتب كان من حق العناية به أن يتأخر إلى اليوم لحاجته إلى التحضير الطويل والاستيفاء من جميع المصادر والأطراف، كتلك المجلدات الأربعة التى حققت آثار الغارات الجوية وآراء المدبرين لها والمنفذين لخططها والباحثين فى أسرارها العسكرية والسياسية من الوجهة العلمية ومن وجهة النظر إلى المصيبين بها والمصابين بأخطارها وجرائرها.

ولا نعرف على الجملة، كتابًا من هذه الكتب التى تصفحناها يمكن أن يقال اليوم أنه فضول أو تكرار أو حشو من القول (ليس له لزوم) فى دراسات التاريخ أو دراسات « النفسية الإنسانية » بين الجماعات والآحاد.

ولا تحصى العبر التى يستوحيها القارئ من هذا المدد الفياض عن الحرب وزعمائها فيما يزيدنا علماً بالإنسان وعلماً بالناس وعلماً بالحوادث الكبرى فى هذا العالم العجيب الذى يزداد المجهول منه كلما ازاد المعلوم من خفاياه فيما يزعم الزاعمون !

---

* الأخبار ١٩٦٢/٤/٢٥.

وآخر ما كنت أنتظره من كتاب عن زعماء الحرب أننى كنت سأقرأ يوماً من الأيام سيرة لموسولينى الذى يرثى ويبدو للناظر أحياناً فى صورة المخلوق «المجنى عليه» وهو من أكبر الجناة فى تاريخ العصر الحديث... أو سيرة للدوتشى الذى هجر منبر الشرفة لينزوى إلى حجرة يقرأ فيها فلسفة «كانت» ومذاهب ما وراء الطبيعة ويسأل من يلقاهم من المطلعين على أخبار الحكماء والعظماء ماذا كان اعتقاده فى وجود الله.

أما عبر الحرب العظمى فى جملتها فأكثر ما نقرأه اليوم منها توكيد وترديد يقل فيه الجديد.

وأكبر هذه العبر حقًّا هو تلك العبرة التى يجمعها قول حكيمنا العربى:

ولا تحتقر كيد الضعيف فربما   تموت الأفاعى من سموم العقارب

فإن الحرب التى اتسعت حتى أحاطت بشعاب الأرض. وطالت حتى بقيت ذيولها وعقابيلها إلى هذه الساعة، ليست من الحوادث التى تفسرها علة واحدة من علل النصر أو الهزيمة، ولكننا إذا عرفنا لهزيمة الأقوياء فيها مائة سبب، لم يكن لنا مناص من تقديم سببين بين جميع هذه الأسباب لولاهما لتغير مجرى الحرب فى طول مدتها على الأقل إن لم يكن فى نتيجتها الحاسمة: وهما الزحف على أمتين من أضعف الأمم الأوربية التى ديست بلادها فى الشهور الأولى منذ ابتداء القتال وهما أمة اليونان فى الجنوب وأمة النرويج فى الشمال.

كان الزحف على بلاد اليونان سبباً لتأخير الحملة الألمانية على روسيا بضعة أسابيع تحول فيها الجو من صحو الصيف إلى غيوم الخريف وأمطاره وثلوجه فى الأقاليم الروسية، فتحالفت فيها قوة الدولة المعتدى عليها وقوة الطبيعة، وذهب فيها كل أمل فى نجاح الغارة مع زيادة العقبات وابتعاد المسافة بين مركز الغارة ومرماها.

وكان الزحف على بلاد النرويج سبباً لتأخير النازيين سنة، أو أكثر من

سنة، فى ميدان الحرب الجوية، وسبباً لتعطيل البحث عندهم فى سلاح من أخطر الأسلحة التى كسبت الحرب : وهو سلاح القذائف الجوية، ومنها القذيفة الذرية.

فإن أعداء النازيين لم يكن فى وسعهم أن يحطموا معهل المباحث الذرية وما إليها فى برارى النرويج لولا الفرقة الفدائية من أبناء تلك البلاد الذين كانوا على خبرة بمنافذ بلادهم وباستخدام الزحافات الثلجية بين هضابها ووهادها وتحت ظلمات الليل الطويل فى أرجائها... وهذه الفرقة الفدائية الصغيرة هى التى نسفت معقل «فرموك» من أساسه فشلت حركة الهجوم الجوى على الجزر البريطانية، وعطلت بحوث القذائف دون اللحاق بخصوم النازيين فى كشوفها وتجاربها.

ولو لم يكن من نصيب الأقدار دائماً أن تضحك ممن يحركون الفلك وهم واقفون لكانت حفنة الملايين من أهل النرويج واليونان أولى بالحذر والمبالاة من مئات الملايين فى جزيرة جون بول أو قارة العم سام.

ولكنهم يقدرون فتضحك الأقدار... !

المدنية والحضارة*

« ... ما الفرق بين قول القائل عن أمة من الأمم أنها أخذت بأسباب المدنية والتقدم وقوله عن هذه الأمة أو غيرها أنها سارت فى مدارج الحضارة والارتقاء.

إننا نقرأ هذه العبارات بقلم الكاتب الواحد فى مناسبة من المناسبات، فهل هناك فرق بين المدنية والحضارة، وهل هناك أمة لها حضارة وليس لها نصيب من التقدم والارتقاء؟

أرجو من سيادتكم توضيح ذلك فى يومياتكم مشكورين.

محمد محمد محمود

كلية التجارة - القاهرة

لا فرق بين الحضارة والمدنية، لأن إحداهما تنسب إلى الحضارة، والأخرى تنسب إلى المدنية، ومعناهما واحد فى اصطلاح كتاب التاريخ وعلوم العمران، وإذا ترجمت الكلمتان إلى اللغات الأوربية فترجمتها كلمة واحدة هى كلمة Civilization التى تنسب إلى المدنية وتوصف بها آداب المتمدنين.

ويجوز أن تكون للأمة حضارة وليس لها نصيب من التقدم والارتقاء، وإنما يحدث ذلك فى الأمم التى بلغت فيها الحضارة غايتها وجمدت على تقاليدها وعاداتها واحتفظت بآثار التقدم السابق والارتقاء القديم، ولكنها فقدت عوامل الاستمرار فى التقدم إلى شوط جديد.

ولهذا يفرق بعض الكتاب المتأخرين تفريقاً بعيداً بين معنى الحضارة ومعنى الثقافة التى يعبرون عنها بكلمة « الكلتوشر » Culture.

---

* الأخبار ١٩٦٢/٣/٢١.

فهم يطلقون اسم الثقافة على البواعث النفسية والعقلية وعقائد الفكر والضمير التى تنشئ للأمة مقاييس للعمل والسلوك غير مقاييسها الأولى، وتحفزها إلى التقدم على هدى هذه المقاييس إلى حضارة تخلقها بمجهود جديد.

ومتى أثمرت آداب الثقافة ثمراتها الفعلية فهذه الثمرات هى أركان العمران التى تتجلى فى مظاهر الثروة المحسوسة وفى معالم المدينة وذرائع القوة والاقتدار على تغليب مقاييسها بين الناس بسلاح الحرب أو أسلحة السلم والقيادة المرضية.

وقد تجد الحضارة على مظاهرها بعد انتقالها من حيز العقيدة والإيمان أو حيز المدركات المحسوسة فلا يرجى لها التقدم بغير بعث جديد من أعمال الفكر والروح.

obeikandl.com

خلق الأفراح*

من دروس الأعياد الدينية أنها تعلمنا أننا قادرون على أن نخلق أفراحاً بأيدينا، وأن نحكم عقائدنا فى شعورنا وعادات المجتمع والأسرة عندنا.

ونخصص الأعياد الدينية لأن أعياد المواسم فى التاريخ القديم ترجع إلى محاصيل الزرع وأوقات الحصاد، ولاترجع إلى الإرادة أو العقيدة، فإذا فرح الناس بالموسم فى موعده فهو الفرح الذى تجلبه خيرات الزرع والضرع بغير حاجة إلى إرادة أو اعتقاد.

أما العيد الذى يأتى فى موعد نعتقده ونريده فهو العيد الذى نصنعه بأيدينا ولاتصنعه لنا الطبيعة لنا مواعيد الأمطار أو مواعيد الثمرات.

قيل إن الحزن المشترك نصف حزن، وأن الفرح المشترك فرحان، أو عدة أفراح على قدر المشتركين!

وهذه هى الأفراح التى نتعلم من أعيادنا الدينية أننا قادرين على خلقها فى اليوم الذى نريده أو اليوم الذى نعتقد أنه يوم عيد.

ولامحل هنا لاصطناع الفرح بالاتفاق عليه، لأننا نضمن الفرح الذى لااصطناع فيه إذا ضمنا لطفل البيت كسوته الجديدة، وضمنا له حظه المطبوع من البشاشة والحنان، ولا صعوبة فى ضمان الفرح الصحيح للكبار إذا نظروا بين أيديهم إلى أبنائهم وبناتهم فرحين وفرحات راضين عن آبائهم وأمهاتهم وراضيات.

والفرح من هذا المورد المطبوع فرح جميل صالح يستحق الثمن الذى يبذل فيه.

---

* الأخبار ١٩٦٢/٣/٧

ولكنه ليس بالثمن القليل ولا بالثمن السهل وإن سهت موارد الفرح إلى نفوس الأطفال الصغار.

إن سعادة الطفل سهلة ولكن الأمة القادرة على إسعاده حين تريد لا تكسب هذه القدرة بالثمن اليسير.

فإنما هى قادرة على كسبها إذا كسبت قبلها نظام الأسرة الوطيد وكسبت معه وسائل العيش الميسور، وعمت أرزاقها على شرعة الحق والأمانة فسلمت من جشع الغنى المحدود، كما سلمت من حسد الفقيد المحروم.

فإذا تعلمنا من أعياد الدين كيف نخلق أعيادنا بأيدينا، فقد تعلمنا لدنيانا كل مانريده منها، وإذا تعلمنا أن نسعد أطفالنا، فقد تعلمنا سر السعادة كله وأخذنا مفتاح السعادة كلها فى أيدينا، وهنيئاً للأمة التى تهنأ بالعيد لأنها تهنأ بالبيت الأمين والرزق الميسور والصدر السليم، وتخلق الفرح لصغارها وكبارها حيث تريد ويوم تريد.

الحياة فى الفضاء.. وهل هى موجودة!*

نقلت الأخبار أمس عن شركات البرق أن وجود الحياة فى الفضاء قد ثبت لطائفة من علماء الأرصاد الجوية، وأن فريقاً من العلماء الأمريكيين عثروا على ما يفيد وجود حياة فى الفضاء، لأنهم عثروا على حفريات من النباتات المائية المتحجرة فى بعض النيازك التى سقطت على الأرض فى المائة والسبع والخمسين سنة الماضية».

والخبر على هذه الصورة خطير، لولا أننا نرجع من سياقه أنه ناقص أو غير صحيح.

فوجود الطحالب والنباتات الفطرية فى السيارات الشمسية ليس بالخبر الجديد، لأن الفلكيين الباحثين عن ظواهر المادة العضوية فى الفلك الشمسى متفقون على إمكان وجود النبات من الفصائل الأولية حيث يوجد بخار الماء ولكنهم يستعبدون وجود الحياة فى مرتبة أعلى من المرتبة الأولية إلى أن تثبت لهم بعض علاماتها من ظاهرة محققة بوسائلهم العلمية التى يعتمدونها.

ولقد كان انتقال الجراثيم الحية إلى الأرض مع النيازك التى تتساقط بها فرضاً محتملا فى رأى العلامة (كلفن) صاحب البحوث المشهورة فى الحرارة والكهرباء، ولكن علماء الأرصاد فى السنين الأخيرة يرفضون هذا الفرض لأنهم عرفوا الكثير من أحوال النيازك حين تلامس الغلاف الجوى حول الكرة الأرضية فإنها تلتهب فى هذا الغلاف إلتهاباً يقضى على الجراثيم الحيةفلا يصل منها إلى الأرض مايحتمل البقاء.

فالقول بأن هذه الجراثيم النباتية تصل إلينا على النيازك بعد احتراق الطبقة

---

* الأخبار ١٩٦٢/١/٣

الهوائية أمر بعيد الاحتمال، وأبعد منه عن الاحتمال أن تصل ثم تتحجر فى أقل من قرنين.. لأن النيازك تتألف من مادة معدنية أو حجرية وتسقط على ظهر الأرض حيث يحتاج تصلب النبات الحى بين أطواء المتحجرات إلى زمن طويل.

والأغلب على الظن أن هذه التخمينة ليست - مع الأسف - بأسعد حظاً من تخمينة (كلفن) فى أوائل هذا القرن، ولعلها تفسح الطريق للتخمينة الأخرى التى تحاول فى مطلع العام الجديد أن تبشرنا بسلالة أخرى من الأقارب السماويين غير سلالتنا الطينية أو المائية... لأنها سلالة من الأحياء يحل فيها النشادر محل الماء ويحل فيها النيتروجين محل الأكسجين.

فالعالم (اكسيل فرسوف) عضو الجمعية الفلكية البريطانية ينتظر العثور على الحياة فى السيارات التى كانت أبعد سيارات الشمس من مظنة الحياة لهبوط الحرارة عليها، ويعتقد أن عنصر النشادر المتوافر على السيار (زحل) والسيار (المشترى) قد يصلح لعملية التذويب اللازم للدورة الدموية فى مخلوقات تلك الآفاق، وأن الحياة النشادرية قد تخالف كيمياء الحياة فى سلالتنا نحن الأدميين أبناء الماء والطين.

وهى بشارة لنا بهؤلاء الأقارب العلويين على كل حال، ولكنها تظل معلقه فى فضائها المقدور إلى يومها الموعود..

فقد يطلبها الفلكى البريطانى غداً من إخواننا الجان، لامن إخواننا بنى الإنسان.

فما أقرب الدم النشادرى إلى العنصر النارى.. وما أبعد الطين والماء عن إخوان هذا الفضاء...

أماثيل الصعيد الأقصى:

من أماثيل الصعيد الأقصى أمثولة الفلاح الذى حضر إلى القاهرة لأول مرة

بعد أن قضى زهرة العمر وهو يسأم أكلته الخالدة، ويعيد السآمة منها على أشكال وألوان، كأشكال عدسه (الأبدى) وألوانه بين مقشور وغير مقشور، وبين سليم ومدشوش، وبين فت وحساء، وبين صاف وخليط، إلى غير انتهاء.

ودخل المطعم القاهرى الأنيق فنظر فى القائمة إلى أغرب الأسماء ليبتعد من شبهة العدس فى حرف من حروفه أو خلط من أخلاطه، ويؤمن بفراق القرية ومائدة القرية، إيماناً يتذوق طعمه بشفتيه ولايقنع منه بسماع أذنيه أو رؤية عينيه.

ونادى صبى المطعم : برجميك!

وجاء البرجميك فإذا بنفحته الأبدية تدل عليه قبل أن يقترب من لسانه أو شفتيه، فمال إلى الصفحة يراقبها ويهمس لها كأنه يعاتبها : أحسبك ورائى فى الصعيد فأراك أمامى بهذا اللقب الجديد.

وذكرت هذه القصة حين نظرت أمامى إلى الجدار صباح هذا النهار، فرأيت الرقم (٦٢) فى مكان الرقم (٦١).. ولم أزد غير قليل على كلمة الزميل الصعيدى حين همست فى أذن السنة (الجديدة) التى تطل علينا من ورقة التقويم :

يا ابنة الزمان.. عرفناك وعرفنا من قبلك أباك... أبرقم واحد فى ذيلك تخدعيننا عن غد يكون غير الأمس الذى كان؟ وتطمعيننا فى جديد لم يعده الجديدان القديمان أو القديمان الجديدان!

إن درس «التقويم» السنوى لواحد من الدروس القليلة التى يصعب علينا حفظها بغير التكرار بعد التكرار، ولو لم يكن درس التقويم هو درس الحياة التى تحب الخداع بعد الخداع وتأبى الصدق المبين ولو ملأ الأبصار والأسماع، لما استطاع رقم فى الحساب غير رقم التقويم، أن يطمعنا فى هذه الدنيا فى جديد غير القديم.

نهار يضىء وليل يجىء ونجم يغور ونجم يرى
تمر كما مر أجدادنا ويبق الزمان على ماترى

والزمان الذى نرى يعود إلينا بحديث النجم الغائر والرجم الدائر، والنسر الواقع والنسر الطائر، والسماوات وما وسعت من حى خاف أو حى ظاهر، فإذا دار الفلك دورته، وألق التقويم ورقته، وعادت الثنتان والستون بختام كهذا الختام، غير رقم يزيد فى الأرقام، فالحمد لله على السلامة والسلام.

obeikandl.com

العقل الرياضى ممتاز*

« . . . أما السبب فى أننى أعتبر نفسى غبياً فهو راجع إلى أشياء أهمها أننى أجد صعوبة فى حل مسائل الرياضيات والطبيعيات، وأنا أعتقد أن العقل الرياضى هو العقل الممتاز، ومن جهة أخرى أننى أحب اللغات وأنجح فيها وأميل إلى كل عمل أدبى ودراسة أدبية. ولست أشعر بهذا الشعور - شعور الغباء - إلاأمام المسائل وحلولها فقط ولكننى أفهم القوانين والتعريف والاستنتاجات فى يسر. . وأرجو أن أجد لديكم الرأى الذى يطمئنى ويرد إلى ثقتى بنفسى أو ينزعها. فإنما أرجو الواقع لا المجاملة ».

س. ص. م.

الإسكندرية

إن العقل الرياضى كما يقول الطالب الأديب عقل ممتاز بين العقول البشرية ولكنه ليس بالعقل الوحيد الذى يوصف بالامتياز ويعد صاحبه لتحصيل العلوم وكشف الحقائق وإجراءات التجارب التى يتوقف عليها تقدم الثقافة العلمية أو الأدبية.

وامتياز العقل الرياضى خاص بالفروض الذهنية التى لاتعتمد على التجارب الخارجية كمباحث الطبيعة والكيمياء، وهذه القدرة الممتازة فيه تؤهله لحل المشكلات التى يغنيه فيها الفرض الذهنى ولا تستلزم المشاهدة الحسية، ولكن الاكتفاء بالفروض المجردة كثيراً مايعرض الأذهان القوية للزلل ويهون عليها التصديق بالمجهولات والخرافات لأنها تشبه الفروض التى يقبلها العقل فى انتظار تحقيقها بالبرهان القاطع، وربما كان هذا البرهان القاطع نتيجة للفرض المعلق فى انتظار ثبوته، فلايخرج بالباحث من عالم الفروض إلى عالم الحقائق والمشاهدات.

---

* الأخبار ١٩٦١/١٢/٢٧

ولهذا تعرض بعض الفطاحل من الرياضيين لتصديق الأوهام التى يرفضها العلماء التجريبيون، وربما كان العالم التجريبى أصبح حكماً على الوقائع من العالم الرياضى الذى يفوقه فى الاستعداد للتفكير المجرد بغير حاجة إلى تحقيق التجارب والمشاهدات.

وقد كان «كبلر» أكبر الرياضيين فى عصره يصدر التقاويم على حساب علم التنجيم ولا يأبى عليه عقله الكبير أن يفترض الصحة فى دعاوى المنجمين الأقدمين ذهاباً مع الفروض إلى عالم المجهول.

وكان (نيوتن) صاحب قانون الجاذبية يحل أعضل المشكلات الرياضية ويشتغل فى الوقت نفسه بطوالع السعود والنحوس وأسرار الغيب التى كان الأقدمون يرمزون لها برسوم الطلاسم وأرقام الحروف.

وإلى جانب العقل الرياضى الممتاز والعقل المعرض للأوهام لتصديقه بالفروض - توجد العقول البشرية الممتازة التى يرشحها امتيازها لفهم الحقائق مع التجربة أو لفهم الحقائق مع استخدام المنطق والاستقراء أو لفهم المعانى الخفية وإبرازها فى الرسوم والأنغام والكلام الموزون كما يصنع المصورون والموسيقيون والشعراء.

فلا يحزن الطالب الأديب أن تفوته قدرة العقل الرياضى فى كل مجال من مجالاته المتعددة، ولا يملكه اليأس إذا فهم بعضها فهماً يسيراً ولم يفهم بعضها الآخر بغير مجهود كثير أو قليل، فما من عقل ممتاز - كائناً ما كان امتيازه - إلا وهو متفاوت فى درجات الفهم على حسب المباحث والموضوعات.

وربما كان لسوء الظن بالنفس أثره فى مهابة التفكير الرياضى فى بعض المسائل دون غيرها، وقد تزول هذه المهابة مع الثقة باتساع العقل البشرى لكثير من مباحث العلوم الرياضية وكثير من المباحث التى لا يمتاز بها الرياضيون.

الخلق والصنع :

(... هل تصح نسبة الخلق إلى الإنسان؟ إننى وصديقاً لى مختلفان، لأن الخلق يكون من العدم والإنسان لا يستطيع أن يخلق شيئاً من لا شيء... وقد رضينا الاحتكام إليك لما رأيكم فى التفرقة بين الخلق والصنع بالنسبة للإنسان؟

فؤاد محمد نصر أمين

ليسانس حقوق - الإسكندرية

لا فرق فى أصل اللغة بين الصنع والخلق، بل ربما كانت مادة الخلق - لغويًّا - أضعف من مادة الصنع فى الدلالة على الإبداع والتكوين.

وليست قدرة الخلق وحدها بالقدرة التى يختلف معناها عند نسبتها إلى الله ونسبتها إلى غير الله. فنحن نقول (قال الله) وليس القول الإلهى لفظاً منطوقاً بالشفتين ومنتقلا بذبذبة الهواء إلى الأذنين. ومن قال إن إنساناً خلق عملا فنيًّا وهو يعنى أنه ابتكره ولم يصنعه بآلة من آلات الصناعة فلا جناح عليه، ما دام مؤمناً بأن الله وحده وهو خالق الإنسان وما صنعت يداه. وليست كلمة الخلق وحدها هى التى توقع القائل فى الحرج والريبة، فإن المرجع فى جميع الحالات إلى عقيدة الضمير. ومن كان ينكر أن الله هو الخالق فقوله إن الإنسان خلق هذا العمل الفنى أو أن الإنسان صنعه أو أبدعه أو أنشأه سواء.

إعادة الحياة للموتى*

من أنباء وكالات الأنباء أمس « أن علماء الاتحاد السوفيتي بدءوا أبحاثهم بإعادة الحياة للموتى، وأن خمسمائة عالم يشتركون فى هذه الأبحاث، وتقول وكالة تاس إن العلماء تمكنوا فى العام الماضى من إعادة الحياة إلى مائتين وستة وثلاثين شخصاً من بين أربعمائة وستة وخمسين أعلنت وفاتهم... ».

والخبر على هذه الصورة يدل على خطأ واضح فى الرواية. فإن إعادة الحياة إلى الذين أعلنت وفاتهم يدل على خطأ إعلان الموت ولا يدل على اليقين من وقوع الموت، ولو كان المقصود غير ذلك لما صح أن يقال إن العلماء يبرءون بالبحث اليوم بعد أن أعيدت الحياة فعلا لأكثر من مائتين فى السنة الماضية.

فإذا كانت حقيقة الخبر أن البحوث الأخيرة أثبتت وقوع أخطاء كثيرة فى إعلان الوفاة اعتماداً على الأعراض التى كانت تعرف باسم الأعراض التشخيصية أو « الكلينيكية » فهذا فى الواقع تقرير علمى لا غبار عليه. فقد ثبت الآن أن ظواهر الحياة تبقى فى جسم الحيوان بعد توافر الأعراض التى كانت تعتبر منذ سنوات كافية لإعلان الوفاة، ويستطاع فى هذه الحالة أن يعاد إليه التنفس ويعود القلب إلى النبض وتعود الدورة الدموية على انتظامها أياماً بل سنوات بعد إعلان الوفاة.

أما الحالة التى يثبت فيها الموت قط فهى حالة إبتداء الانحلال فى غشاء الدماغ وقد ينجح العلماء فى وقف هذا الانحلال إذا لم يكن مقترناً بفساد البنية، فلايقال إذن أن الجسم أعيد إلى الحياة بعد الموت.. وإنما يقال إن الموت لم يحصل، وإن إعلانه كان خطأ من الأطباء.

---

* الأخبار ١٣/١٢/١٩٦١.

وكل أولئك مألوف لا استحالة فيه، فإنما المستحيل خلق الحياة فى بنية ميته ولا استحالة فى تنبيه بنية سليمة لم تفارقها الحياة.

إن العلم قد عجز عن خلق الحياة فى خلية بروتينية من الخلايا التى يقول العلماء إنها أصل الخلايا الحية، وإذا عجز العلم عن هذه فهو أعجز من إحداث الحياة إحداثاً جديداً فى ملايين الملايين من الخلايا التى يتألف منها جسم الإنسان.

Obeikandl.com

الطائر المهاجر

كانت قصة طريفة تلك القصة التى اتسعت لها بالأمس صدور صحفنا على غير عادتها فيما كتبته عن الطائر المهاجر المهجور.

وكان حديث هذا الطائر فى بلاد النرويج نفحة إنسانية تأتى فى أوانها بين تلك الزوابع الجهنمية التى كانت تهب بغبارها الذرى على بلاد الشمال، وأولها بلاد النرويج.

طائر منفرد - مهجور - من طيور الهجرة إلى بلادنا قد تخلف به الركب وفارقه سربه منذ أسابيع فلم يبق له من بنى جنسه زميل، ولا ندرى أهو أليف أو أليفة فنقول: ولا قرينة أو قرين.

ومن فرائد صحفنا أن واحدة من كبريساتها ذكرت هذا الطائر وسمته (ألواج تيل) من اسمه الإنجليزى Wag tail بمعنى هزاز الذنب... مع أن هذا الطائر أغنى الطيور بالأسماء فى لغتنا العامة على اختلاف الأقطار العربية، وهو بعينه صاحبنا (أبو فصادة) أو صاحبنا الزاطزاطة فى العراق، ومن أسمائه فى الشام أم سكمكع وأم عجلان، ومن أسمائه الكثيرة فى كتب الحيوان العربية الفتاح والقويع والذعرة، لأنه لا يكاد يُرى إلا وهو مذعور.

ولا تستغرب تلك «الزفة» التى زف بها أبناء النرويج هذا الطائر الفريد عندهم فى هذا الأوان... فإن أبا فصادة بجميع فصائله طائر «متشرد» كثير الحركة قليل القرار فى موعد الهجرة على الخصوص، فالاحتفال بهذا الطائر الأوحد الذى استقر عندهم بعد موعد رحيله ورحيل أبناء جنسه نادرة النوادر فى التقاليد النرويجية التى أوشكت أن تجعل الظواهر الجوية وما يتبعها من مواعيد الهجرة مواسم عبادة وشعائر تعبيد وتجديد، ولو تقدم الزمن بحكاية هذا

العصفور لسمعنا بها اليوم أسطورة من أساطير الفصول والأرباب وبقية من بقايا الأحاديث عن «ذوات الأجنحة» التى تحمل الرسائل من أرباب الشتاء فى الموعد الأخير.

وستظل هذه القصة مبتورة فى انتظار البقية، إلا إذا تمت على الأسلوب الذى ينبغى أن تم عليه.

والبقية التى ينبغى أن تأتى بعد هنيهة قصيرة أن يعثر هذا الأليف المهجور على أليفته التى هجرته على اضطرار، أو لاذت بغيره مختارة مع مختار، أقدر منه على المطار إلى هذا الجوار عند أبى الأنهار!

وياله من جوار رحيب بين مشتى الهرم ومشتى قارون، وبين شواطئ النيل وشواطئ البحيرات إلى جانب الصحراء، وإنها تموج اليوم بالأزواج والأسراب من فصائل هذا الطائر المشهور بالتشرد والتقلب، وقلة الاصطبار على القرار، بين الرمال وشواطئ الأنهار والبحار.

وإن شعراء العالم ليعلنون إفلاسهم ويودعون عرائسهم وشياطينهم لو أنهم غفلوا عن بقية هذه القصة التى تطالبهم بالتمام من فيض الخيال، إن لم يدركهم تمامها من واقع الحال!

ولن يصدق الأخلاف من أبناء القرون المقبلة أن الكرة الأرضية كان عليها شعراؤها فى سنة (١٩٦١)، إذا سجل التاريخ غداً إن الطائر النرويجى المهجور وجد أليفته بعد هذه الزفة «الدولية» بين مربض أبى الهول وأطلال المناهة الخالدة من آثار (اللابيرنت) ولم تزدحم رفوف المطبوعات فى سنة (١٩٦٢) بقصة هذا «الأبى فصادة» التى عزت نظائرها فى أساطير الأولين.

ضريح ستالين*

« ... شعرت باشمئزاز شديد عندما قرأت ما كتب عن ستالين وما صنع بجثة ستالين... ألا ترى معى أنه انتهاك لحرمة الموت واعتداء على المثل والأخلاق؟ لماذا لم يهاجموه فى حياته؟ ولماذا لم يتركوه يرقد بجوار لينين؟

« ...لا أظن أننى أنا وحدى الذى آلمه ما حدث، وإنى لا أدافع عن ستالين ولا لينين ولكن عن المبدأ فى ذاته...إلخ ».

أنور عبد الملك

شارع نشاطى - شبرا

كان نقل جثمان ستالين من مدفنه إلى جانب لينين يعتبر عدواناً على حرمة الموت لو أن الذين نقلوه مثلوا بجثمانه أو تركوه ملقى بالعراء، ولكن نقل الميت من مدفن إلى مدفن أمر لا عدوان فيه على الموت ولا على رفات الميت المنقول... وقد حدث كثيراً أن عظماء الرجال يدفنون فى قبورهم بعد وفاتهم ريثما تبنى لهم الأضرحة المخلدة ثم ينقلون إليها، وحدث أن أجساد العظماء التاريخيين نقلوا عندنا من الهياكل إلى المتاحف ولم يخطر لأحد أن يعتبر ذلك عدواناً على حرماتهم أو على حرمة الموت، بل رأى الكثيرون أن نقلهم إلى دور الآثار أقرب إلى الغرض المقصود بالتخليد والتمجيد.

أما العدوان المعيب على حرمات الأضرحة فهو بقاء جثمان ستالين فى الضريح بعد أن ثبت من تاريخه أنه سفك دماء الأبرياء، وأرغم أتباعه على افتراء التهم عليهم لتسويغ جناية القتل الأثيم بجناية أقبح منها وهى تلويث الضمائر وإصابة البرىء المظلوم فى شرفه بعد إصابته فى حياته، وليس مما يشرف

* الأخبار ١٩٦١/١١/١٥.

ذكرى ستالين أو يدعو الناس إلى إبقائه فى ضريح التخليد والتمجيد أن يسأل السائل اليوم؟ لماذا لم يكشفوا هذه المساوئ كلها وهو بقيد الحياة؟ لأن المسئول الأول عن إخفاء الحقيقة هو ستالين نفسه، وليست تبعة الآخرين إلا فرعاً من فروع تلك التبعة لم يكن له وجود أو لم يوجد قبله ذلك الأصل المرذول.

والمسألة هى: هل يهدم الضريح أو ينقل منه جثمان ستالين؟

فلا ريب أن تخليد إنسان فى أضرحة التمجيد والإعجاب إنما هو هدم لتلك الأضرحة من أساسها وإبطال لمعنى إقامتها ودفن الموتى المخلدين فيها، فماذا يقال للأعقاب زوار الضريح إذا بقى فيه جثمانه بعد اكتشاف مساوئه ومخازيه؟ هل يقال إنه يبقى هناك كسلا عن نقله إلى غير هذا المكان؟ هل يقال إنه يبقى لأنه سفاح استطاع أن يرهب الناس فى حياته فوجب عليهم أن يظلوا على رهبتهم منه بعد مماته، هل يقال إن التاريخ كان ينبغى أن يغمض عينيه أو كان عليه أن يرى الحسنة فى موضع السيئة وأن يكذب على نفسه وعلى الناس وهم يعلمون أنه يكذبهم وأنهم مضطرون إلى تصديق تلك الأكاذيب؟

قد يقال كما قال السيد «أنور عبد الملك» إن فضائح ستالين كان ينبغى أن تظهر وهو بقيد الحياة، ولكننا نعود فنقول إن ستالين لا يشرفه أن يكون إظهار الحقيقة خطراً فى زمنه على مظهريها. ولا يشرفه أن يزيد عدد ضحاياه مائة أو مائتين آخرين، ثم يتبعهم لا محالة أناس يكشفون هذه المساوئ كما كشفت اليوم، أو يسكتون عنها خوفاً من سؤال السائلين وتعليق المعلقين.

والحق الذى يشهد به العارفون بمخازى ستالين أن القادحين اليوم فى ذكراه لم يبالغوا قط فيما نسبوه إليه، بل ذكروا منه القليل وسكتوا عن الكثير، فلم يذكروا مثلا أن ستالين كان جاسوساً قيصريًّا قبل سقوط القيصرية بقليل، وأن الذين عرفوا ذلك السر المرهوب قد هلكوا جميعاً فى المحاكمات الملفقة حين علم باطلاعهم عليه. وأن المارشال توخاشفزكى قد ذهب ضحية لهذا السر الهائل ولم

يذهب كما زعم الطاغية لأنه خائن أو مدسوس على الدولة، وهذه وصمة من وصمات لا تحصى ظهرت قبل اليوم وستظهر على مدى الأيام وتظهر معها وثائقها التى طواها الخوف أو ضرورات الحيطة. ولا نود أن يشمئز منا السيد أنور عبد الملك كما اشمأز من نقاد ستالين بعد موته، لأن الذى نقوله عنه الآن قد رددناه منذ عشرين سنة وكتبناه أخيراً قبل ست سنوات حيث يطلع عليه صاحبنا إذا شاء، ولكنه إذا أبى إلا الاشمئزاز من نقد ستالين فالأدوية الصالحة لعلاج الاشمئزاز غير قليلة، ويغنيه عنها بعض الغيرة على حق الخلود مع الغيرة على الجثمان المنقول.. فإنها شفاء مجرب بإذن الله.

العلاج بالغدد الطازجة*

« تعليقكم المستوفى القيم على بحث الأستاذ المجرى الذى أستحق عليه جائزة نوبل للطب هذا العام، يجعلنا نسألكم الرأى فى العلاج بالغدد الطازجة الذى يمارسه طبيب معروف بالقاهرة يستخلصها من الحيوانات حديثة الذبح، ونجح إلى حد كبير فى علاج أمراض مزمنة مستعصية : الصمم وغير الصمم، فكان لنتائجه وقع بين الأطباء والمرضى لا يزال يتردد صداه.

« فالأطباء - لاسيما الجامعيون عندنا - يصرون على إنكار العلاج، وصاحب العلاج إلى الجانب الآخر صامد بمفرده مطمئن إلى ما لديه من عديد المراجع والأبحاث العلمية، .. والمريض المسكين بين الطرفين حائر يسمع ولا يدرى .. فما هى الحقيقة فى نظرية الغدد والخمائر يا ترى؟ وكيف يكون لها هذا الأثر الفعال؟ ... فالإنسانية نرجو أن تتفضلوا مشكورين بإبداء رأيكم فى اليوميات ... »

آنسة هدى السيد

محامية

كل ما نفهمه من حقيقة هذه النظرية أنها قائمة على مساعدة الخلايا العصبية على استعادة التنفس بشىء من التجديد يسرى إليها من اللحوم الغريضة.

وليس لنا أن نحكم على العلاج نفسه ولا على طريقته، وإنما يكون الحكم فى ذلك (أولا) للمرضى الذين يملكون حريتهم فى اختيار الطبيب والثقة بعلاجه.

---

* الأخبار ١٩٦١/١١/٨

يكون (ثانياً) للخبراء الطبيين الذين يملكون إبداء الرأى بمنع ذلك العلاج إذا ثبت ضرره بالأدلة العلمية المقررة، أو ثبت بهذه الأدلة العلمية المقررة أن فائدته مستحيلة.

ولاحاجة إلى رأى الأطباء أو غير الأطباء فى إباحة العلاج، لأن العلاج مباح لكل طبيب مرخص له فى الاشتغال بصناعته الطبية.

وإنما الحاجة إلى المنع عند ثبوت الضرر وامتناع الفائدة، ولايكفى لإثبات ضرر العلاج وامتناع فائدته أن تخفى على الطب أسرار الشفاء أو أسرار الإصابة، فإن أسرار الكثير من وسائل العلاج لاتزال مجهولة، ولاتزال المادة الفعالة فى كثير من الأدوية غير معلومة على وجه اليقين، وقد تحقق اليوم أن تصحيح الأجسام بتناول الفيتامينات طب سليم نافع لا شك فى تأثيره، ولكن هذه الفيتامينات - كما يدل اسمها - كانت مجهولة التركيب عند إطلاق هذا الاسم عليها، لأنها سميت بالنشادريات الحيوية من كلمتى (فيتا) Vita وأمينات Amines وليست كلها كما يعلم الأطباء الآن من النشادريات.

وقد كانت الطحالب تفيد فى العلاج وتستخدم فى الوصفات الشعبية قبل كشف البنسلين وغيره من المبيدات، ولم يكن أحد يدرى مادتها الفعالة ولا طريقة سريان التصحيح منها إلى الأعضاء المعتلة.

وكان استخدام الأمصال وما إليها محرماً يوم اجترأ «باستور» على استخدام علاج لمرض الكلب، ولكنها اليوم أساس العلاج فى الأمراض الجراثيمية (الميكروبية).

وإلى اليوم لا تعرف مقدمات الأغراض المرضية فى كثير من العلل التى تعالج على أساس من النظريات الطبية المفهومة، وإن لم يفهم الطب كيف تسرى الأعراض وكيف يسرى إليها الشفاء.

فإذا لم تكن هناك بينه قاطعة بحدوث الضرر المحقق من العلاج فلا يجوز

للأطباء منعه، وإنما يترك أمر الإقبال عليه والإعراض عنه للنتائج التى يشعر بها المرضى ويحسونها فى أنفسهم وفيمن سبقهم إلى العلاج على أيدى أطبائهم، ولا يجوز المنع لغير سبب قاطع كما لا يجوز تعجيز الطبيب صاحب النظرية بمطالبته بتوضيح أسرار الشفاء داخل البنية ولا بمحاسبته على الذين عالجهم ولم يتم لهم الشفاء المطلوب، فإنه ما من طبيب فى العالم لا يعجز مثل هذا العجز إذا سئل عن دواء من أدويته كيف يسرى فى الخلايا والأعضاء، أو سئل عن مرضاه كم منهم تم له الشفاء. وكم منهم تحسنت حالته وكم منهم قضى عليه ولم يتحسن ولم يتقدم إلى الشفاء.

وفى هذه الحالة التى تسأل عنها الأستاذة هدى يجب على الخبير الطبى الذى يمنع العلاج بالخلايا والغدد فى اللحوم الغريضة أن يثبت استحالة سريان المادة الفعالة منها إلى خلايا الأعصاب، ولانظن إثبات هذه الاستحالة ميسوراً مع ماهو معلوم من خفاء سر الغدد وأسرار الهرمونات والفيتامينات فى أداء وظائفها، بين الإفراط والنقص وبين التعويض والتعاون الذى يحار فيه العقل إلى الآن.

ونحن فى بلادنا الشرقية - خاصة - أحوج من غيرنا إلى تشجيع النظريات الطبية المأمونة، لأن المشتغلين بها من أطبائنا قليلون، وعذرهم فى ذلك أن الهيئات التى تبذل الأموال للإنفاق على معامل النظريات العلمية قليلة، وأن الفائدة المرجوة من نجاحها بطيئة لايستطيع كل طبيب أن ينتظرها مالم يكن من الأغنياء فلاأقل إذن من تيسير وسائل الطب النظرى لمن يصبر عليه، ما دام مأموناً كما تقدم، وكل مالم يثبت ضرره فهو مأمون.

نظام المطالعة :

«... أيها أكثر فائدة : التفرغ لقراءة كتاب واحد بعينه، أو توزيع الوقت بين عدة كتب؟ ولا يخفى أن قراءة عدة كتب من مزاياها إتقاء الملل ومنع تسربه إلى النفس بسرعة..»

محمد فوزى عبد المقصود

كلية الحقوق - جامعة القاهرة

(كلاهما و) ... أفضل عندى من سؤال : (أيها؟ هذا أو ذاك) فإن سؤال (أيها؟ هذا أو ذاك) قد يدل على قناعة الاكتفاء بالقليل، وقد يصرف الذهن عن الإحاطة بالمسائل من نواحيها الكثيرة، وقد يدل على سهولة الحيرة فى غير موجب للحيرة، مع قليل من الصبر على التأمل فى شتى المزايا ومختلف الفروض والاحتمالات.

وفى سؤال الحقوقى الأديب يسهل جدًّا أن نعرف مزية العودة إلى الكتاب الواحد ومزية التنويع وتوزيع الوقت بين كتب متعددة.

ففى إعادة القراءة تمكين وتقرير، وفيها كذلك تنويع واستطلاع للجديد يعوضنا عن متعة التغيير والانتقال من مطالعة إلى مطالعة، لأننا نفهم من الكتاب الواحد - كلما عدنا إلى قراءته - وجوهاً من المعنى لم نفهمها عند القراءة الأولى، على حسب اختلاف الظروف بين أوقات القراءات، وعلى حسب اختلافنا نحن بين أطوار النمو والخبرة، وليس أمتع لعقولنا من أن تراقب أنفسها، وتحس الفوارق بين أطوار تقدمها وإتساع أفقها، وليس أنفع لها من أن تدرك تأثير الظروف فى خواطرنا بين السهولة والعسر، وبين القبول والإنكار، وبين التفاؤل والتشاؤم، وبين إحساسنا بقوة الدليل الذى كنا نستضعفه أو ضعف الدليل الذى كنا نصدقه ونسرع إلى قبوله، فإن فى ذلك دفعاً للملل

السريع لا يقل عن التنويع والتوزيع، إذ ليس اطلاعنا على عقلنا فى خمس حالات مختلفة أقل متاعاً وفائدة من اطلاعنا على عقول خمسة أناس مختلفين لأول وهلة وقد يكون الاختلاف بينها أيسر من ذلك بعد إعادة النظر والمراجعة.

أما تنويع القراءة فله مزيته التى ذكرها الطالب الحقوقى الأديب، ولكن هذه المزية الأولى تزداد ظهوراً كلما عاودنا النظر إلى الفوارق بين تلك الكتب فى موضاعاتها وأساليبها وأطوار مؤلفيها، وقد نعد الكتب التى تصفحناها مرة واحدة كالوجوه التى نلمحها مرة واحدة على عرض الطريق : غرباء يظلون غرباء مدى الحياة، ولكننا لا نحسبهم من المعارف والأصدقاء، بل لا نحسبهم من (العملاء) المفضلين الذين نمر بهم ويمرون بنا على غير تعارف وصداقة، ولكننا نترقب رؤيتهم حيناً بعد حين.. أيهما ؟

كلاهما، ونمر على رأى الجعدى الكريم الظريف، وهو رأى فى مأزق التردد بين مسالك الحياة، يفض لنا كثيراً من المشكلات.

أدب المــرور*

«... كنت منذ أيام عائداً مـن عملى فـأوقفنا عسـكرى المرور ريثما تفتح إشارة عبور المشاة، ووقفنا صفوفاً ننتظر إشارة العبور، وفى هذه اللحظة تذكرت قصيدتك عسكرى المرور فى ديوانك عابر سبيل، التى تقول فيها :

متحـــكم فى الـــراكبين ... ومـا لـه أبـداً ركوبـه
لهـم المثـوبة مـن بنـا ... نـك حين تـأمر والعقـوبه
مـر، مـابدالك، فى الـطر ... يق، ورض على مهل شعوبه
أنـــا راكب رجلى ... فـلا أمـر علىّ ولا ضريبـه

وسألت نفسى : هل كان يدور بخلد أسـتاذنا العقـاد وهــو ينشئ هــذه القصيدة أن سيأتى هذا اليوم الذى يدفع راكب رجلـه غـرامة لمخالفته قـوانين المرور، لأنه لايمشى على الخطوط البيضاء..».

أحمد محمد المطيرى

الإدارة العامة للثقافة

السيد المطيرى يعلم أننى قد تمنيت هذا اليوم منذ نظمت تلك القصيدة مـن قبل تفكيرى فى نظمها.

تمنيته بعد أن رأيت حركة المرور فى المدن الـكبرى بـأسابيع قليلـة، لأنــى علمت أن خطر المارة على الراكبين لا يقـل عـن خــطر الــراكبين على المارة، ولكن الأولين يفلتون من الغرامات والضرائب وقلما يفلت منها الراكب والسـائق ومالك السيارة.

وأسلم أخطاء الطريق من المارة أن يعبر الطريق من غير مكانه المرسوم، فإنه خطأ يصلحه خط على الأرض يبين لعابر الطريق مواضع الوقوف والسلوك، وهو

* الأخبار ١١/١٠/١٩٦١

المسئول بعد ذلك عن الغرامة التى يستحقها إذا لم يفهم معنى هذه الإشارة، التى يجب أن يفهمها اللبيب وغير اللبيب.

إنما الخطأ المنكر هو خطأ هؤلاء الذين سميناهم «باللطوخ»، لأن الكلمات الفصيحة فى لغتنا أهون جدًا من كلمة «اللطاخة» التى هم أهل لها بغير مراء..

وهؤلاء اللطوخ هم الذين يتبخترون على مهل بين الرصيفين ولايبالون جنايتهم على المارة من أمثالهم ولا على السيارات التى تذهب وتأتى فى الطريق ولا سلطان لها على دواليبها ولا على يمينها ويسارها كسلطان اللطخ الذى يحرك قدميه وينظر إلى مواقع عينيه.

وكثيراً ماتفهم من لطاخة هذا اللطخ أنه يتحدى الراكبين فى السيارات لأنه هو يمشى على قدميه.

ولو كان راكبو السيارات جميعاً من أصحاب الأموال لأمكن أن يقال: فقير يتحدى أصحاب الثراء. ولكن هؤلاء الراكبين أكثرهم من الفقراء. وهم سائقو السيارات الخاصة والعامة وأضعاف أضعافهم لا يسوقون تلك السيارات ولكنهم يركبونها كما يركبها كل من يملك ثمن التذكرة، وهى مما يحسب بالمليمات. إن نظرة واحدة إلى الطريق فى المدينة العامرة تدل على نصيب المجتمع من التعاون الطبيعى، لأنه التعاون الصادر عن وحى الشعور على البديهة، فلاتعاون حيث يبالى الراكب نفسه ولا ينظر إلى غيره ولا تعاون حيث يبالى الماشى نفسه ولا ينظر إلى أمامه أو خلفه ولا إلى يمينه ويساره، وهو أقدر على النظر والتصرف من الراكبين حوله.

وإن الغرامة لحق على من يركب ولايعرف كيف يسوق العجلات الصماء، ولكن الغرامة قليلة على من يمشى ولا يدرى كيف يسوق رجليه، أو يدرى ولكنه يعطل حركته وحركة المرور من حوله تحدياً للنظام وتحدياً لشركائه فى المجتمع بغير ذنب جنوه، إلا أنه يركب رأسه وهم يركبون السيارات.

خطة مشتركة لخدمة مصالح الأمم*

«منذ سنوات كتبتم فى مجلة (المصور) مقالا تحت عنوان «لابد من حكومة عالمية» جاء فيه أنه ستوجد حكومة عالمية لا محالة لأنها حكومة لازمة لا غنى عنها ولا احتمال لتأخير قيامها، وستوجد لا محالة هيئة عالمية للاتفاق على تدبير المصالح العالمية المشتركة وتنفيذها».

ثم اتفق أن قرات لسيادتكم إجابة عن سؤال وجه إليكم من مجلة الشبان المسلمين بالعدد (١٧٨) ونص السؤال الذى أجبتم عليه: هل تعتقد أنه ستتحقق ذات يوم الحكومة العالمية؟ فقلتم ردًّا على ذلك: إن الانتقال من الشقاق بين الأمم إلى التضامن الاضطرارى بحكم الصلات الاجتماعية أولا ثم الصلات الأدبية بعد ذلك - جعل دول العالم المتباعدة، وكأنها جهاز واحد.. فمشكلة الكونغو تهم بها أمريكا وتهتم بها روسيا، وكذلك العالم كله. ويصدق هذا على مشكلة لاوس أيضاً، والسبب هو تضامن المصالح الذى سيؤدى إلى نتيجة هامة وهى التضامن الأدبى، ولكننى أعتقد أنه لن توجد فى يوم حكومة عالمية.

«فلماذا تحولتم سيادتكم من الرأى الأول إلى الرأى الثانى؟ وبعد أن كانت الحكومة العالمية لازمة لا غنى عنها أصبحت بعد ذلك متشائماً من وجودها فى المستقبل؟ هذا ما نود أن نرى أجابتكم عليه فى يومياتكم القادمة بمشيئة الله على صفحات الأخبار...

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والسلام.

محمود عبد العزيز دسوقى

رأس التين - الإسكندرية

---

* الأخبار ١٩٦١/٩/٦.

وأقول للسيد الدسوقى إننى لم أرجع إلى النص الذى نقله عن المصور، ولكننى أكتفى بموضوعه وهو موضوع الحكومة العالمية ولا أرى - على هذا الاعتبار - تناقضاً بينه وبين حديث مجلة الشباب المسلمين فى جوهر الموضوع.

ففى الرأى الأول أنه «ستوجد لا محالة هيئة عالمية للاتفاق على تدبير المصالح العالمية المشتركة وتنفيذها».

وفى الحديث الأخير أن التضامن الاضطرارى قد جعل الحكومات كأنها جهاز واحد.

والمهم فى الأمر أن التضامن فى سياسة العالم قد أصبح ضرورة واقعة تفرض على الدول الكبرى أن تحسب حساباً لما يحدث فى الأمم الصغيرة، وأن هذه الضرورة تؤدى إلى الاشتراك فى العمل بينها كأنها جهاز واحد يقوم بمهمة واحدة.

فإذا تقرر هذا فى الحالتين فالكلمة التى تؤدى معنى هذا الجهاز وليست بالموضوع الجوهرى، ولك أن تقول إنه جهاز واحد ينظر فى حل المشكلات وتنفيذ الخطط، أو إنها هيئة واحدة أو حكومة واحدة أو مرجع واحد، للقيام بهذه المهمة المشتركة..

ويلاحظ الأديب الدسوقى أن حديث «الشبان المسلمين» إنما كان تلخيصاً لكلام شفوى سمعه المحرر وصاغه بمعناه العام، وهو صحيح كما رواه بعباراته بعد كتابته.

فيجوز أننى استبعدت قيام حاكم يشرف على العالم، أو إنشاء ديوان من عدة حكام مشتركين، وذلك بعيد جداً على كل احتمال ولكننا إذا عبرنا عن الحكومة العالمية بأنها هيئة عامة أو نظام أو جهاز عام متفق عليه فلا تناقض بين الأقوال مادام الغرض من الموضوع كله تمثيل التضامن بين الأمم فى مصالحها ومخاوفها وتدبيراتها، والاتفاق على اتباع خطة مشتركة لخدمة تلك المصالح واتقاء تلك المخاوف والتفاهم على تنفيذ تلك التدبيرات.

تأليف الحيوان*

قرات فى «أخبار» الأمس حديثاً مطولا عن حديقة الحيوان وعما يلقاه نزلاؤها من سوء المعاملة على أيدى بعض الحراس الجهلاء «غير المدربين» على معاملة الحيوان، وهو كما يقول الدكتور محمد عبد المنعم المنيرى «فى حاجة إلى العطف أكثر من حاجة الإنسان إليه، وهى أسرع إلى الإحساس بالإهانة وعدم التقدير. فالحيوان كله عاطفة وغريزة ، وهو مثل الطفل تماماً يكره الشخص إذا ضربه ويحب من يخدمه، والحيوان يمرض ويحاول أن يتخلص من حياته إذا أحس بسوء المعاملة، وإن لمسة اليد - بل القبلة من الحارس نفسه - لها مفعول السحر على الحيوان.

وكلام الدكتور الخبير بهذه الأحياء محقق الصدق من التجارب القديمة والحديثة فى مشاهدات المختصين ممن يراقبون الغابات والصحارى ويقابلون بين حياة الحيوان «الوحشية» وحياته فى الأقفاص والحبوس المغلقة، مع القسوة وسوء المعاملة.

فإن الأخطار التى يتعرض لها الحيوان فى حياته الوحشية أكبر جدًّا من كل خطر يصادفه فى حياته المقيدة مع القسوة وسوء المعاملة، وإنه ليعانى الجوع أياماً فى الغابة والصحراء ولا يكاد يحس الجوع يوماً واحداً بعد نقله إلى الحدائق وميادين الألعاب، ولو كانت مع جماعات المتشردين من النور بغير قرار.

ومع هذا يعيش الحيوان ويتناسل فى الغابة والصحراء، ويدر اللبن فيها لصغاره وينمو فيها بما يتيسر له من الغذاء المحدد، ولا ينقرض هناك إلا إذا اشتد القحط أو أصابته العوارض الجائحة التى تتساوى فيها كل معاملة.

---

* الأخبار ١٩٦١/٨/٣٠.

ولكنه إذا حبس وأسيئت معاملته هزل وعاف الطعام وأضرب عن النسل على غير قصد منه لمعنى هذا الإضراب، كأنما يقول لنفسه ولمن يعذبونه ويسيئون إليه أن الحياة على هذا الهوان لا تستحق عناء البقاء والتخليد.

عجباً للإنسان فى دعواه التقدم الخارق، المذهل للعقول، كما يقولون فى عصر الصواريخ والأقمار الصناعية.

إنها دعوى نشك فيها ونرى كل يوم ما يجدد شكوكنا وشكوك المترددين فى قبول هذه الدعوى.

فالتقدم حاصل فى معلومات الناس لاجدال فى ذلك ولامراء، لأنها معلومات تضاف إلى ما قبلها جيلا بعد جيل، ودهرًا بعد دهر، فلا تتساوى معلومات الناس سنة ١٩٦١ ومعلوماتهم سنة ١٨٦١.

وقد يعلم تلميذ المكتب اليوم مالم يكن يعلمه أرسطو وأفلاطون وابن سينا وابن حيان ولكننا لا نزعم - لهذا - أن عقل هذا التلميذ أكبر من عقولهم أو أقدر على تحصيل المعرفة وتمييزها.

وهذا هو الفرق بين القول بتقدم المعلومات وتقدم العقل الإنسانى على مدى هذه الدهور، فإن نسبة التقدم بالمعلومات قد تصعد إلى نسبة الألف إلى الواحد، ولكن التقدم فى قوة العقل لا يبلغ نسبة الأثنين إلى الواحد، وقد ينزل إلى ما دون الواحد إذا قصرنا النظر على بعض العقول.

ونعود إلى الفرق بين عقل الإنسان البدائى وبين عقل الإنسان العصرى فى القدرة على تأنيس الحيوان.

فإن ذلك الإنسان - قبل عشرين ألف سنة - قد استطاع أن يستأنس الكلب والحصان والصقر وغيرها من الأحياء التى تصاحبه اليوم، بل استطاع أن يحول الكلب من عدو قاتل لأطفاله الصغار إلى حارس أمين لأولئك الأطفال

يحميهم من الإنسان نفسه، ولا يمسهم بسوء ولو ضربوه وانتهبوا طعامه عنوة من بين يديه.

وبعد آلاف السنين نسمع أن الإنسان المعاصر يجنى على الأحياء الموكولة إلى حراسته فيحبب إليها الموت ويزهدها فى الطعام، وفى الحياة.

إن القدرة على تأليف حيوان واحد على ذلك المثال العجيب أحوج إلى العقل والدراية من قدرة العالم العصرى على صنع الصاروخ أو سفينة الفضاء. لأن العالم العصرى يستفيد هذه القدرة فى محصول العقول والمعارف فى عشرات الأجيال، ولكن تأليف الحيوان الواحد فن يعتمد فيه ذلك الإنسان على «لباقة» عاطفية يبتدعها من قرارة وجدانه ولا يتعلمها من الصالونات بعد لبس القفاز، أو خلع القفاز.

وهذا هو مقياس التقدم بالعقل والخلق. وفى حديقة الحيوان ما يغنينا عن التماس هذا المقياس فى مكان آخر، بين دور العلم ومعاهد الثقافة ومنصات الدروس والمحاضرات.

الشك فى سكنى الكواكب*

قرأت حديثك الذى تقول فيه إنك تشك كثيراً فى وجود حياة أخرى فى كوكب غير الأرض، ولكن ما تأويلك لقول الله تعالى فى سورة الشورى: (ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير)... فلعل فى هذه الآية دليلا واضحاً يغاير رأيكم، فنرجو الإفادة فى يومياتكم القادمة، وشكراً.

أحمد محمد المطيرى

وزارة الثقافة والارشاد

إن تفسير هذه الآية هو التفسير الذى يرتبط بما علمناه من قبل عن حياة الملائكة والجن وتلك الخلائق التى أشار إليها الكتاب فى قوله تعالى: (ويخلق مالا تعلمون).

والباحثون اليوم عن سكان السيارات لا يبحثون فى هذه المسألة، فإنها ليست من كشوف الصواريخ والأقمار الصناعية، وإنما هى نبأ السماوات والأرضين المنصوص عليه من قديم.

وينبغى دائماً أن نفرق بين السماوات والسيارات، فإن السيارات ليست سماء بالنسبة إلينا سواء نظرنا إلى وضع المكان أو إلى معنى السماء فى الكتب «السماوية» إذ ربما كان بعض هذه السيارات دوننا موضوعاً فى ترتيب المنظومة الشمسية فضلا عن منظومات الفضاء الكونى على كل اتجاه، وربما كانت هذه السيارات من مادة الأرض أو مادة العناصر الترابية وما إليها، فلا ارتباط بين

* الأخبار ١٩٦١/٨/٢٣.

معنى الآية القرانية وبين معنى السؤال عن سكان الزهرة والمريخ أو نجوم المجرة القريبة، أو نجوم المجرات فى أبعد فضاء.

ولا نزال عند رأينا الأول «نشك كثيراً فى وجود السكان على هذه السيارات، وليسأل السيد المطيرى نفسه إن شاء: لماذا لم يبحث هؤلاء السكان عنا كما نبحث عنهم؟ ولماذا لم يسبقونا بالبحث مئات السنين؟ ولماذا لم يسبقونا إلى الحياة وإلى العلم وإلى الاختراع وإلى وسائل الاستكشاف، مادامت الكرة الأرضية واحدة من ألوف السيارات التى تتقبل وجود الأحياء؟

لماذا؟

سبب من سببين ، أحدهما أن الكرة الأرضية بدعة فى وجود الحياة أو فى السبق إليها.

والسبب الآخر أن سكان العوالم العليا قد علموا عن سكان الأرض ما يصد نفوسهم فأغلقوا باب الريح كما يفعل كل من يريد أن يستريح.

ولهم حق، إن كان هذا ما اختاروه لأنفسهم ، فمن أبناء الأرض – والله – من يريد أن يفارق هذا الكوكب، لو استطاع.

علم قراءة الكف*

أكون شاكراً لو تفضلم سيادتكم بالإجابة على هذا السؤال الذى يهم كثيراً من الناس، وهو، ما رأيكم فى علم قراءة الكف؟ وهل تؤمن به أو تعتبره لغوا لا فائدة فيه؟

سمير فايد

القاهرة

علم قراءة الكف أو Chirocancy من بقايا التنجيم القديم عرفه اليونان والمشارقة وذكروا فيه علاقات بين خطوط الكف وعلاماتها وبين كواكب السعود والنحوس لم تثبت لها حقيقة. وكل ما نستطيع أن نؤمن به من دلالات الكف المعقولة، أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الكف وشخصية صاحبها، لأن رسومها وتقاسيماتها لا تتشابه فى إنسانين، ولابد من علاقة خفية أو ظاهرة بين الشخصية وبين كل علامة تميزها ولا تلتبس فيها إحدى الشخصيات الإنسانية بشخصية أخرى.

فمن المعقول - على هذا - أن تدل الكف بعلاماتها الخاصة على حالة البنية وما تنطوى عليه من قوة وضعف ومن صحة ومرض، وليس بعيداً عن المعقول أن تدل على تركيب البنية واستعدادها للعلل والعوارض الجسدية. بل ليس بعيداً عن المعقول أن تدل على المزاج وما يرتبط به من الإخلاق والنزعات. فإن تمثيل الكف «للشخصية» كلها يمثل هذه الخصائص على وجه من الوجوه قابل للفهم والاستطلاع.

ولكن وجود العلامات التى تصلح للفهم والاستطلاع لا يستلزم الدراية

* الأخبار ١٩٦١/٦/١٦.

بمعناها ولا يزال المدعى لهذه الدراية مطالباً بالبرهان على صحة دعواه.

لماذا يكون هذا « الرسم » دليلا على حالة خاصة فى كل بنية ؟ ولماذا تختلف الرسوم ولا تختلف الدلالات ؟ وإذا أمكن العلم بأحوال الصحة والمرض أو أحوال المزاج والفطرة فكيف يتأتى العلم بالحوادث المستورة فى عالم الغيب ؟

فقد يمكن أن نعرف أن صاحب هذه « الكف » معرض للإصابة بمرض عصبى أو مرض باطنى أو غيرهما من الأمراض الجسدية، ولكن كيف يمكن أن نعرف من خطوط كفه أنه معرض للإصابة بصدمة سيارة أو قطار ؟ وكيف يمكن أن نعرف من تلك الخطوط أنه معرض لخسارة المال فى تجارة أو للعثور على كنز مدفون فى عمار أو خراب ؟

obeikandl.com

بين كذبة أبريل... وشم النسيم*

فى هذا العام افتقدنا - بحمدالله - نغمتين تعودنا أن نسمعهما فى موسم الربيع، متلاحقتين بين أول أبريل ويوم شم النسيم.

«كذبة أبريل» ماتت فى هذه السنة أو كادت أن تموت ، وكانت منذ ثلاثين أو أربعين سنة عادة سنوية يستعد الناس لها هجوماً ودفاعاً قبل موعدها بأيام، فلا يمضى أول أبريل حتى يعقب بعده من ضحايا السهو والغفلة مئات ومئات، وحتى يكون لكل سهوة أو غفلة حديث، بل أحاديث، فى أندية السمر، ومجالس الأسر، وأخبار الصحف التى تصطنع الفكاهة، أو تتقبلها بغير غضاضة عند اللزوم.

أما فى هذا العام فقد كانت الأعجوبة أن - اليوم الكاذب التزم جانب الصمت على الأقل، فلم نسمع بعده بنادرة من نوادره المعهودة، وكانت هذه مفاجأة أغرب من مفاجآته المخترعة قبل أعوام.

ويجوز الكثير فى تفسير هذا «الإبداع» الخطير.

يجوز أن الناس تركوا تعمد الكذب فى هذا اليوم إكتفاءً بما يخترعونه من الأكاذيب على عمد أو غير عمد فى سائر الأيام.

ويجوز أنها عادة باخت وساعد على تبويخها أن المجتمع الأفرنجى الذى نقلت عنه هذه العادة قد تضاءل وانزوى فى العواصم الكبرى، فأهملها الناس ولم يكترث أحد للتذكير بها فى موعدها، فانطوت غير مأسوف عليها..

ويجوز أن الناس سمعوا عن حقائق الواقع ما هو أعجب من الخيال، فاستغنوا بالحقيقة الواقعة عن التخيل والاختراع.

---

* الأخبار ١٩/٤/١٩٦١.

ويجوز أن تظهر جلية الأمر فى أول أبريل القادم، فإذا عاد الناس إلى الكذب فهى فلتة من فلتات النسيان، وإذا تكررت هذه «الغريبة» فلا بد من السبب عند التكرار.

أما نغمة «شم النسيم» التى تعودناها أعواماً طوالا ثم افتقدناها هذا العام، فالحمدلله على اختفائها، ونرجو أن يدوم هذا الاختفاء لأنه دليل خير فى أمور الدنيا والدين.

كان بعض المتحذلقين يستبقون الأبواب قبل شم النسيم ببضعة أيام للتحذير وتشديد النكير:

أيها الناس هذه بدعة.

أيها الناس هذه غواية.

أيها الناس هذه عادة من عادات القدم لم تشرع فى الدين.

أيها الناس إياكم أن تحتفلوا بخيرات الأرض وثمرات الرزق، لأن هذا الاحتفال - والله العظيم - حرام.

ولم يكن أسخف من هذه الحذلقة - من حيث المبدأ - لأن تحريم الاحتفال بشم النسيم شيء وتحريم المساوئ التى تحدث فى هذا الاحتفال شيء آخر، وقد تعود الغواة فى الأعياد والموالد أن يقترفوا كثيراً من الموبقات، وينتكسوا إلى العادات الوثنية التى يحرمها كل دين، ولم يقل أحد أن يمنع الأعياد وتحريم التهنئة بها والتردد على منازة البهجة والسرور فى أيامها ولياليها.

فالمحظور من مساوئ الاحتفال بشم النسيم، هو المحظور من مساوئ جميع الأيام، ولا يوجب لتخصيص هذا اليوم بتحريمها فيه، لأنها لم تكن حلالا فى شم النسيم ولا فى غير شم النسيم.

أما الاحتفال، من حيث المبدأ، فالواقع أنه واجب على المسلم المؤمن بدينه،

وليست غاية الأمر فيه أن يختلف عليه بين التحليل والتحريم.

إن القرآن الكريم لم يأمرنا بعد الفرائض بشيء كما أمرنا بالنظر فى محاسن الرياض والبساتين، وقد أنبأنا هذا الكتاب المبين أن رياحين الحدائق وثمراتها بهجة تسر الناظرين. فمن المحرم على صاحب الدين أن يعرض عن هذه البهجة، وأن يكتم الابتهاج بها فى أوانها، وليس لها أوان أولى بالاحتفال به من موسم الربيع.

« وهو الذى أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حبّاً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه. انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ».

« وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير ».

« أم من خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ».

وأمثال هذه الآيات البينات فى القرآن الكريم كثير، لا يفهم أحد منها أن الابتهاج بمحاسن الرياض فى مطلع الربيع حرام أو مشكوك فيه، بل يفهم منه شىء واحد وهو وجوب السعى إلى هذه المناظر لأنها عبادة وشكر واغتباط بالنعمة الإلهية.

ولم يكن شم النسيم بالفرصة الوحيدة لهؤلاء الناعبين يتمحكون فيها أسباب التمحك باسم الدين ويشبعون ما فى نفوسهم المنحرفة من نوازع المشاكسة وحب العنت والولع بالتسلط على خلق الله، على حساب الدين.

اشرب من هذه القلة.

لا.. إياك أن تشرب من هذه القلة.

اذهب من هنا.. ليس لك عندنا شراب من القلل ولا من الأكواب.

هذا هو «السنجق» المرحوم الذى خرج من الخدمة وانقطع ما بينه وبين الأنفار والأتباع، فاستعاض منهم بالقلل على قارعة الطريق، ليسمح لهذا ويأبى على ذلك، وينبذ من رحمته من يشاء، ويلعن من يشاء وما يشاء.

وفى كل جماعة بشرية طائفة من المصابين بداء العنت والمشاكسة هم أضعف شأناً وأحقر رءوساً ونفوساً من أن يصدروا الأمر إلى نعجة ويطمعوا منها بالسمع والطاعة.

ولكنهم يطمعون باسم الدين فى تحريم الحركة والسكون على عباد الله الآمنين.

شم النسيم حرام.

الألعاب الأوليمبية حرام.

سوق عكاظ حرام.

حرام كل حلال مباح، بغير الترخيص من «إدارة التحليل والتحريم» التى يتولاها هؤلاء الطغام.

إن كان هذا العنت قد غاب عن عقول هذه المخلوقات فهو خير وبركة.

وإن كان الناس يسمعونه ويعرضون عنه فتلك خيرات وبركات.

وبارك الله فى الربيع وموسمه البديع. وفى كل يوم يعرض لنا محاسن الزرع والماء وبهجة الرياحين والأضواء.

ولا بارك الله فى «قلل محمد أغا» ولا فى الممنوعات والمحرمات التى تملئون بها الأرضين والسماوات، أولئك المتسلطون على حساب ديننا السمح ولهم يوم شر من «شم نسيمهم» عند الحساب.

وخلاصة خطاب السيد «أحمد برهان الدين» أنه يسألنى عن حديث نشرته لى إحدى المجلات، ويستفسر عن بعض موضوعاته كأنه اعتقد أن نسبة الحديث إلىّ صحيحة لا ريب فيها، وهو - أى السيد أحمد برهان الدين نفسه - يبدى من الاستغراب ما ينبغى أن يكون سبباً للارتياب.

إن الحديث المشار إليه لم يكن حديثاً بمعنى الحديث المصطلح عليه فى الصحف، ولكنه كان تلخيصاً بقلم كاتبه لما سمعه فى ندوة يوم الجمعة بمصر الجديدة، وقد فهمه كما أراد عن حسن نية - على ما نظن - ولم يفهم بعضه الآخر عن حسن نية ولا سوء نية، كما هو واضح من الكلام الذى أسنده إلينا، وهو مستحيل.

هل يعقل - مثلا - أن أقول إن «سنة من النوم» معناها اثنى عشر شهراً شمسيًّا، وإنها وردت بهذا المعنى فى قاموس من القواميس؟

فالحمدلله على هذا «المصل» الواقى من أضرار هذه الأكاذيب ، فإن ناقليها جزاهم الله خيراً يودعونها بغير اختيارهم تكذيبها أو تصحيحها بغير حاجة منى إلى موالاة التكذيب والتصحيح كلما وضعوا على لسانى ما يزعمون أننى قلته ويزعم الواقع أننى أنفيه... وقد يستغنى القارئ عن التعليق على أشباه هذه الأحاديث إذا قرأها على أنها حديث وتكذيب «منه فيه»... وأنها عملية «أوتوماتيكية» من مخترعات هذا العصر «المقتصد» فى هذه البدعة، على إسرافه فى كل شيء.

علاج الحرب الذرية*
لايكون بالعجز عنها...

من حق الشيطان أن يأمن على وظيفته بين أبناء عدوه آدم أبى البشر فإنهم يبحثون عنه إذا تفقدوه فلم يجدوه، ولن يطول بهم أمد البحث عنه حتى يهتدوا إليه بين ظهرانيهم وفى صفوف إخوانهم، وياله من اهتداء كله ضلال.

إن الناس لايستغنون أبداً عن «جندى مجهول» يبرءون إليه من عيوبهم ويحملونه تبعات أوزارهم، وينسبون إليه أسباب الكوارث التى يجهلونها، ثم يحيلون إليه أعذارهم إذا لزمتهم المعذرة وثبتت عليهم الخطيئة ، فلا فرار من الأعذار.

وإن لهم فى كل عصر لشيطانًا موقوتًا أو شيطانًا «ظهورات» على حسب إصطلاح الدواوين.

ففى مطلع القرن العشرين، بعد نهاية العشرة الأولى منه، ظهر مذنّب «هالى» وتردد أياماً وليالى بين المشرق والمغرب. فحمل عليه الناس ذنوب الجو وذنوب الأجواء جميعاً، ومنها أجواء السياسة العالمية، وكادوا أن يحسبوه نذيراً من نذر القيامة كما حسبه الأقدمون على عهد أبى تمام:

وخوفوا الناس من دهياء مطبقة ... إذا بدأ الكوكب الغربى ذو الذنب
وصيروا الأبرج العليا منكسة ... مابين منقلب أو غير منقلب

ثم نشبت حروب البلقان وتلتها الحرب العالمية فقال الذاكرون منهم إنه نذير يتحقق، وإن المذنّب «المظلوم» قام بدوره على مايرام، وأسلم الدنيا بعده للمدفع والغواصة، يتوليانها بما يحلو لهما من احتراق وإغراق.

---

* الأخبار ١٩٦١/٣/١٥

واضطرب الجو أيام الحرب العالمية الأولى، فلم يكن أسرع منهم إلى إتمامها ببرد الشتاء وحر الصيف وغبار الأرض وغيم السماء.

وجاءهم الفرج الأكبر مع القذيفة الذرية المشئومة، فلاحر ولا برد ولا اضطراب ولاسكون إلا وهى مسئولة عنه وهم مستريحون إليها من عناء البحث بعد ذلك بين الأرضين والسموات عن علة البرد القارس والقيظ اللاذع، كأنها قد جاءت من عالم الذرة بالمعجزات وخوارق العادات ،وما من إعجاز يخرق العادة كإعجاز القدرة على النقيضين.

كنت فى أسوان إلى أمس الأول فسمعت التهمة بعد التهمة تنصب على القذيفة الذرية التى وصلت ببردها الخارق على خلاف العادة إلى أسوان، وهى التى قال فيها دعبل الخزاعى جزاه الله:

هبطت محلا يقصر البرق دونه ويعجز عنه الطيف أن يتجسما

وعدت إلى القاهرة فوجدت القذيفة الذرية فى كل «قفص اتهام»... ولااستثناء لمن كانوا يتهمونها منذ بضعة أعوام بالنار والضرام.

ولايستحيل على هذا «الشيطان العصرى» أن يشب النيران وأن يسقط الثلوج فى آن، فقد يكون كلاهما أثراً من آثار التخلخل والتقلقل وجريان الامور على خلاف المعهود والمأثور.

نعم، ولا يستحيل أن تكون القذيفة الظالمة بريئة من هذه التهمة المرتجلة ومن كل تهمة «جوية» شتوية أو صيفية، فإن البقع التى يرصدها الفلكيون على وجه الشمس قد تفعل هذه الأفاعيل كما فعلتها من قبل. فإن كانت هى الأخرى بريئة منها فلعلها فعلة المنظومة الشمسية بحذافيرها وهى تنتقل بين آفاق الفضاء إلى حيث تسبق الأرصاد والأنباء وتتحدى علماء الأفلاك والأجواء.

يجوز هذا ويجوز ذاك، ويجوز غير هذا وذاك، ولكنه يجب فى جميع الأحوال أن يهدئ من سورة الصائحين على التجارب الذرية وأن يدعوهم إلى شىء من

obeikandi.com

الأناة وطول البال وإلى إعادة السؤال بعد السؤال : لماذا تبطل التجارب العلمية حول هذه الذرة إذا كان من الجائز أن تبدل لنا جو الصيف وجو الشتاء، وأن تضع أيدينا على زمام الأهوية والأنواء ؟ أليست هذه القدرة كسباً للإنسان وفتحاً جديداً له فى هذا الزمان، لعله بقية من زمان سليمان، ومن سلطان الإنس على الجان ؟

إن جاز هذا، ولو بمقدار الظن العاجل والخاطر السريع، ففيه الشفاعة الكافية لتجارب العلم التى لا تحتاج فى الحقيقة إلى شفيع.

أما أخطار هذا السلاح المرهوب فلتبلغ ما بلغت من الرهبة فإننا لا نتقيها بالستر والمداراة، ولا نحسب أننا نبرئ النفوس من داء السرقة بربط الأيدى، أو نبرئ الرأس من داء اللغو بقطع الألسنة، أو نبرئ داء من الأدواء بقطع الجوارح والأعضاء، ولكننا نعالج الأمراض جميعاً حق العلاج بسالقدرة على اجتنابها مع القدرة على أسبابها، وبالعزيمة التى استطاعت أن تحمى الأمم من آفات الحرب « الميكروبية » وهى فى وسع كل أمة تقدر على تزريع جرثومة من الجراثيم.

إن علاج الحرب الذرية بالعجز عنها يبق لنا العلة كامنة ويبق لنا العجز ومعه هذا الشيطان، ولا أمان لإنسان عاجز مع شيطان خفى، كائن ما كان.

إعادة الحياة*

«...يجرى العلماء والأطباء العالميون تجارب على الميت تعيده إلى الحياة، وآخر التجارب أجريت فى بعض المستشفيات الأجنبية بالخارج منذ أيام وأدت إلى إعادة الحياة إلى ميت بعد أن فقدها منذ ثلاثين ساعة.. فهل صحيح ما يقال وإن كان الأمر صحيحاً فما هو موقف الدين منه؟..»

عزمى أمين رستم

الروضة قبلى - عزبة رستم

إذا فارقت الجسم الحياة فمن المستحيل إعادتها إليه، ولم يحدث قط أن إنساناً ثبتت مفارقته للحياة وثبت بعد ذلك أنه أعيد إليها بعمل من أعمال الطب والجراحة.

وغاية الأمر أن الاختلاط ممكن بين عوارض الموت التشخيصية Clinical death وبين عوارض الموت البيولوجية التى تثبت بانحلال أغشية الدماغ.

وربما تأخر الموت البيولوجى بضع دقائق بعد ظهور جميع العوارض التشخيصية.

وربما تمكن الأطباء من إطالة هذه الدقائق بإقلال حاجة الدماغ إلى الأوكسيجين تحت تأثير عقار من العقاقير يبطئ حركة الحياة، ولكن إعادة الحياة بعد ابتداء الانحلال فى الأغشية الدماغية مستحيل، وكل مايدعى غير ذلك فالدليل عليه أضعف جداً من الأدلة التى يصح أن يعتمد عليها فى إثبات مثل هذا الادعاء.

---

* الأخبار ١٩٦١/٥/١٠

خروف العيد :

تعودنا فى ثلاثين، أو أربعين سنة من عصر الإذاعة أن نسمع الصوت الواحد يتلاحق من دكان إلى دكان، ومن نافذة على الشارع إلى مائدة فى قهوة عامة، ونمشى على مهل أو على عجل، فنحسب أننا جلوس فى مكان واحد، لأن الصوت الذى نسمعه يتكرر فى نفس واحد على طول الطريق.

ولولا أننا نعلم الموسم الآن لخيل إلينا فى بعض الأحياء أن أجهزة الإذاعة قد احتكرها صوت واحد من الأصوات التى تنطلق بها أفواه الطبيعة فى هذا الأوان : أوان الربيع.

ولكننا نعلم الموسم، ونعلم أنه خروف العيد، ولانجهل أنه بطل المعركة بل بطل المعارك الكثيرة، بين ربات البيوت وأربابها، ولولاه لفقد المسرح نصف الإخراج ونصف التمثيل فى موسمه السنوى، بعد موسم « الكعك » المشهود فى أعقاب رمضان !

والخروف المربوط فى شرفة من شرفات الدور الثالث أو الرابع عجيبة من عجائب القرن العشرين، ولو قيل كل ما يقال وما سوف يقال عن عصر الفضاء، وعصر سكان الكواكب وراء الجوزاء !

إن ذا القرنين قديم عهد بأمثال هذه المرتفعات على أية حال.

إن مراصد الأفلاك فى الزمن القديم قد ارتفعت به قبل أكثر من ألف سنة إلى بروج الفلك العليا. وأقامت برج الحمل بين الذورة العليا من آفاق الفضاء قبل عصر الفضاء.

فلا عجب فى ارتفاع صاحب هذا البرج من حوش الدوار فى القرية، إلى شرفة الدور الرابع فى أحياء المدينة العامرة بالسكان.

نعم لا عجب فى هذه النقلة القديمة الجديدة القريبة البعيدة، فى أوان أو فِى غير أوان!

ولكن لماذا كل هذا التبكير قبل «الهنا بسنة» كما يقولون، أو قبل العيد المنتظر بثلاثة أسابيع؟

أهى المبالغة فى الاحتياط للمستقبل المضمون ونحن لانعرف هذا الاحتياط كله، ولابعضه، فى الاحتياط للمستقبل غير المضمون؟

أهو الحذر من الانتظار وارتفاع الأسعار عند اشتداد الطلب وازدحام الطالبين والطالبات فى الوقت الأخير؟

إن أضعاف هذه الزيادة فى الأسعار يأكلها آكل «العلف» فى أسبوع واحد فضلا عن الأسابيع الثلاثة أو الأربعة.. وفضلا عن ازدحام المسكن بمن يمشى على قدمين اثنتين ولايشغل الشرفات والحجرات بأربع أقدام.

فلا دخل للاحتياط ولا للاقتصاد فى هذا الاستعجال، ولكنه هو ذلك الصوت المذاع على طول الطريق، وهو هو المقصود بالنداء من هذه النافذة والجواب من تلك الشرفة، فلاترتفع شقة على شقة ولا حوش على حوش فى هذا السباق المتلاحق بين ذوى القدمين وذوات الأقدام.

«ماء» عندكم و «ماء» عندنا، ونداء يتبعه نداء إلى غير انتهاء، ولكنها لا تذهب فى الهواء، لأنها فى باب المفاخرة أبلغ من مفاخر الجاهلية بفرسان الهيجاء!...

وأبلغ ما فيها حماسة هذه الخلائق البكماء فى مضمارها... وهى ضحيتها عما قريب، يوم تخلو الشرفات وتمتلئ القدور والأحشاء!

obeikandl.com

الذاكرة ملكة مستبدة!*

يقال إن الذاكرة ملكة مستبدة، ويراد بنسبة الاستبداد إلى هذه الملكة العقلية أنها تحفظ وتنسى على غير قانون ثابت، فتذكر الأمور على هواها ولا تذكرها بقدر جسامتها واقتراب زمانها، وقد تحتفظ بأثر صغير مضى عليه خمسون سنة، وتمهل الأثر الضخم وإن عرض قبل شهور أو أسابيع.

هذه الدعوى التي يدعونها على الذاكرة الإنسانية غير مكذوبة من أساسها، وفيها ولاريب ما يوجب الشبهة، إن لم نرد أن نقول: مايوجب الثبوت واليقين.

كل ما أراجعه من معاهد الطفولة بأسوان يصلح أن يكون شاهداً لاتهام الذاكرة بهذه المحاباة، إلى أن يثبت أنها محاباة استبداد وهوس على أسلوب ابن عباد:

لاتمدحن ابن عباد وإن هطلت ... يداه بالجود حتى شابة الدِّيَمَا
فإنها خطرات من وساوسه ... يعطى ويمنع لابخلا، ولاكرما

فمن هذه المحاباة أن بعض معاهد الطفولة يذكرنى بأشياء رأيتها فى الثالثة من العمر، وأشياء رأيتها فى السابعة، وغيرها رأيتها فى التاسعة والعاشرة، ولا أحتاج فى استعادتها وإحيائها بتفصيلاتها إلى جهد عسير، بل أراها أمامى تتمثل بألوانها وأشكالها ومناسباتها كأنها من مشاهدات العيان منذ ساعات.

وإننى - مع هذا - لأجتهد بما وسعنى من الجهد أن أغالب النسيان المطبق فى أمور لم يمض عِليها غير سنين، ثم أذكرها - بعد إعنات الفكر - فتظهر لى كأنها ملتفة بغواشى الضباب، بين الكثيف منه والرقيق!

---

* الأخبار ١٩٦١/٣/٨

لكننى أعود إلى أسباب هذه المفارقات فلا أعتقد أنها محاباة على أى معنى من معانى المحاباة، ودعنا من قول القائلين وساوس ابن عباد فى الهوس والاستبداد.

فكل ماتذكرته قبل العاشرة فهو من ذكريات «الانتباه الأول».. ومن نوع الحوادث التى تأتى وحدها متميزة بين غيرها، ولا تأتى مع حوادث «الوتيرة» والسياق المتكرر المملول.

كنت فى الثالثة يوم جربت رحلتى النيلية للمرة الأولى، وكانت السفينة تضطرب بين الشاطئين ويضطرب معها الشراع الذى يحاول أن يستقبل مهب الريح على غير جدوى، وكان بيننا وبين ضريح ولى الله الذى نقصده لوفاء نذر الفدية والزيادة أكثر من عشرة أميال، فوقفت السفينة على الشاطئ الشرقى وخرج النواتية يطبخون طعامهم تحت نخلات هناك. وكانت لى فى تلك الطبخة حصة القهوة التى تعودت أن أشربها ملونة بلون البن، مشبعة بالسكر كأنها تعلة من تعلات الفطام.

ليس من استبداد الذاكرة - إذن - أن يثبت هذا المنظر فى الثالثة وأن تزول بعده عشرات المناظر من الرحلات النيلية أو البرية، التى تمر على وتيرتها مع تيار الحوادث والأخبار.

وكنت فى السابعة يوم عصف وباء الهيضة (الكولرا) بأسوان، وكاد الحى الذى نقيم فيه أن يخلو من سكانه بين مصاب وميت ومهاجر ومعتكف يحاذر زبانية الحجر الصحى محاذرة السائر آجام السباع..

ويرن فى أذنى إلى الساعة صياح النواتية إذ يعبرون النيل ويسألون كم أسعار اليوم؟ فيجيبهم زميل من المرسى المهجور يفهم معنى السؤال ويعلم أنهم يسألون بهذه الكناية وما شابهها عن عدد المصابين من أول النهار.

جنيه مصرى؛ أى مائة.

بنتو . . : أى ثمانين.
بندق. . : أى خمسين.

وهكذا حتى هبط السعر إلى الريال « الشينكو » والريال المجيدى وأم خمسة. . . أى القطعة ذات الخمسة القروش!

منظر آخر لانظن أن الذاكرة تحابيه، ولانظن محاباتها إياه - إن صحت الشبهة - ضرباً من الاستبداد.

وأجمل المناظر التى تحتفظ بها الذاكرة من ذخائر العاشرة وما دونها، منظر فتاة أوربية هيفاء لفت نظرى أنها تسير فى وسط المدينة - على غير عادات السائحين والسائحات - وتدير على خصرها حزاما « أومشداً » لايزيد قطره على بضعة قراريط، وتخطر فى الطريق الوعر كأنها تلمس أغصان الشجر بقدمى قطاة.

ولم أكن أفهم يومئذ أن نحافة الخصر جمال محبوب، ولكننى فهمت أنه أعجوبة نادرة وتبعت الفتاة الهيفاء، حول منعطفات الطريق ولا أعلم لماذا أتبعها، ولايدور فى خلدى غير الاستزادة من هذا المنظر العجيب، الرشيق.

لو أننى مصور لاستطعت اليوم أن أصور هذه الفتاة ، عن الذاكرة، فلا أخطئ منها لمحة يثبتها المصور على قرطاسه، ولست أذكر اليوم نقوش كسوتها، ولكننى إذا أثبتها بجملتها لم تخالف ما يثبته المصور من نقوش الكساء على البعد ويقنع به الناظرون.

ولمن أراد من علماء « السيكولوجية والبداجوجية » أن ينعت هذه المحاباة بما يحلو له من أوصاف الاستبداد ولكننى - بعد ستين سنة - استغفر لهم ذنوبهم إلى الذاكرة وأقول إنها ملكة مظلومة على الغاية من العدل والديموقراطية، إن كانت محاباتها كلها على مثال هذه المحاباة.

وربما ظهر من مراجعاتنا لأعمال العقل الإنسانى أن وظائف التفكير كلها

تشبه الذاكرة فيما ينسب إليها من محاباة الاستبداد، فإنها تجرى على قانون عادل فيما تعمل، ولكننا نجهل أسباب هذا العدل حتى نبحث عنها بين زوايا « الظروف » والملابسات.

* * *

« ... أكتب إليكم فى أسوان لعلها أهدأ وأرفق برسائلى من صخب القاهرة وقسوتها ومن زحمة بريد أخبار اليوم، وأنتظر إجابتكم عن سؤالى فى يوميات الأخبار.

١ ـ حدثنا القرآن الكريم عن هلاك عاد وثمود وتبع ولم يحدثنا عن مشركى اليونان والرومان، فلماذا ترك القرآن حديث هؤلاء؟

٢ ـ إنكم تصفون كل قارئ تردون عليه بأنه « أديب » مع ما تعرفون من الاحتياط الشديد الذى يحتاطه الدكتور طه حسين، إذ يضن بهذه الكلمة على كثير من الكتاب ويسميهم متأدبين..

فما هو رأيكم فى ذلك؟ وماهو معنى كلمة الأدب؟.. »

أمين محمد شلبى

مهندس نسيج بحلوان

وجواب الأديب المهندس وارد فى القرآن الكريم:

«ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله»..

فالرسل كثيرون غير الرسل إلى عاد وثمود وشعوب العرب والعبرانيين. ويكفى أن يذكر منهم ما تتحقق به العبرة من أحوال الأمم التى كذبت بالرسل، وأقربهم إلى التبليغ بالكتاب العربى المبين ومن كانوا على دين العرب وجيرانهم الأقدمين.

أما كلمة « الأديب » فهى عندى حق الخطاب فى لغة الكتابة الأدبية تقابلها كلمة « السيد المحترم » فى لغة العلاقات الاجتماعية، وليس المقصود بالسيادة والاحترام تحقيق مدلولها فى المعجمات ولا فى دواوين التشريفات، كما يعلم المهندس الأديب.

وإذا أردنا معنى الأدب « أصلا » - كما بينت ذلك من قبل - فهو فى مادته اللغوية معنى مشترك بين التهذيب والتهديب ويضاف إليهما التأديب، ومعناها جميعاً تنقية الشجرة وغيرها من الأهداب والنفايات، وتستعار كلها للدلالة على التربية والتثقيف، ولايخفى أن التثقيف أيضاً يعنى تجريد العيدان من الزوائد والفضول.

obeikandl.com

وجوه جديدة من السائحين فى أسوان*

إن مشتى أسوان غنى عن التعريف عند من يهتمون بالمشاق العالمية فى أنحاء المعمور، لأن مزاياه معروفة لا تجتمع لمشتى واحد يقصده طلاب السياحة لغير اللهو والمقامرة.

فأسوان مشتى الاشعة البنفسجية المعدنية ومناظر الطبيعة ومحاريب التاريخ، وجو الصحراء والجبال والنيل المتدفق، فضلا عن مزاياه الحديثة التى تتجدد كل عصر على حسب حوادثه المشهورة من أيام فتح السودان، إلى أيام بناء الخزان، إلى أيام السد العالى ومشاريع الصناعة.

وفى موسم الشتاء - قبل الحرب العالمية الأولى - كان السائر على شاطئ النيل بهذا المشتى يحصى من لابسى القبعات أضعاف لابسى العمائم والطرابيش والطواقى البلدية، ولكنه منظر تغير كل التغير فى أثناء الحرب العالمية، ثم عاود الظهور مرة بعد مرة على غير جدوى، لأن عدد الوافدين من الخارج فى هذا الموسم لم يزد قط على العشرات وقد كان يزيد على الألف أحياناً يوم كانت فنادق الدرجة الأولى تضيق بالنازلين بها وتمتلئ معها فنادق السدرجة الثانية ومعسكرات الجبل والضواحى القريبة.

ومن المحقق أن عوامل الدعاية لتحويل السائحين إلى المشاق العالمية الأخرى قد عملت عملها واستغلت ما اقترن بها من عوامل السياسة الدولية والمحلية، ومن المحقق أن هذه العوامل المختلفة قد وجدت من يعينها، بين المسئولين عندنا، فى أثناء الحرب العالمية الثانية، لأنها اقنعت أولئك المسئولين يهدم فندق سفواى وهو على أحسن حال من متانة البناء وانتظامه ومن حسن الموقع وفائدته

---

* الأخبار ١٩٦١/٢/٢٢

الصحية، ويكفى أن يقال فى مجمل مزاياه النادرة أنه قائم على جزيرة الفنتين التاريخية وأن كل حجرة من حجراته التى زادت على ثلثمائة كانت تطل على النيل وتتلقى أشعة الشمس من المشرق أو المغرب ومن الشمال أو الجنوب.

ولكننا - على الرغم من هذه العوامل - نعتقد أن استعادة السائح الذى عرفناه قبل الحرب العالمية، مرادفة لاستعادة الأمس الذى لايعود، وأن السياسة السياحية عندنا تحسن صنعاً إذا هى صرفت النظر عن هذه المحاولة ووجهت عنايتها إلى عناصر أخرى من السائحين طرءوا على مواسم السياحة الشتوية بعد الحربين العالميتين.

كان قوام السياحة، من قبل على طائفة النبلاء أبناء القارة الأوربية الوسطى والجزر البريطانية وكبار أصحاب الأموال من الذين ترتبط أعمالهم بتوظيف رءوس الأموال فى البلاد الشرقية، وكان يصحبهم عادة أناس يعتقدون أنهم يذهبون إلى الشرق فى حماية الامتيازات الأجنبية وأنهم يزورون بلاداً تخضع لدولهم بحكم تلك الامتيازات إن لم تخضع لها بحكم السيطرة السياسية.

أما اليوم فهذه العناصر من طوائف السائحين لا تعود ولعلها لا توجد فى بلادها كما كانت توجد قبل الحربين العالميتين.

وإنما ينتظر الإقبال من عناصر السائحين الذين يشتركون فى الرحلات التعاونيّة أو يشتركون فى الرحلات الرياضية Sport ولايبالون أن يذهبوا إلى الشرق فى الشتاء أو الصيف لأنهم يختارون الأوقات التى يتخيرها لهم منظمو الرحلة من الشركات والهيئات الرسمية، وقليلا ما يحضر معهم فى أثناء الموسم سائح فرد يستقل بتكاليف رحلته أو أسرة كاملة من الآباء والأبناء على النحو الذى كان معهوداً بين زمرة السائحين الأوائل قبل هذا الجيل.

وقد ينتظر إقبال السائحين الشرقيين إذا دعاهم إلى رحلة الشتاء داعى المناخ وحب الاستطلاع، ولكن لا سبيل إلى عودة السائح الأول ولا إلى التعويل عليه

فى إقامة موسم السياحة، ولابد من ملاحظة ذلك فى وسائل الترغيب والراحة، لأن السائح الذى يخرج إلى رحلة رياضية أو رحلة مشتركة، غير السائح الذى يخيل إليه أنه ينتقل من قصر إلى قصر ومن ديوان إلى ديوان.

والفرق كله فى سياسة السياحة يتلخص فى الفرق بين استقبال الأبهة والحفاوة واستقبال السرعة والتخفيف:

بين دنيا بهو الضيافة، ودنيا ساحة الـ«سبور!!!».

بقيت معالم شهر الصيام فى حواضر الريف على حالها منذ ألف سنة، ولم يتبدل منها بأسوان غير نزول «المسحراتى» من الجو إلى الأرض، وانتقاله من الكلام المنظوم والمنثور إلى السكوت.

نشأنا ونحن نسمع دعاء السحور فوق مآذن المساجد يوقعه المؤذن على دقات موزونة تصحبها أناشيد الوعظ والابتهال من بعد منتصف الليل إلى ما قبل الفجر بقليل.

ثم قامت الفنادق الكبرى إلى جوار بعض المساجد، واتفق مجىء رمضان إبان موسم السياحة فى إحدى السنين، فكانت دقات النقاقير الجوية - أول ليلة - مفاجأة طريفة للسائحين والسائحات وخرجت جموعهم إلى الطرقات ترصد هذا الهاتف العجيب فى جنح الظلام، واشتركت الفنادق فى سهرة السحور - تلك الليلة - إلى الصباح.

وانقضت الفرجة المفاجئة وأعقبها الضجر من الأرق والإيقاظ المبكر بعد انتهاء السهرة وابتداء ساعات النوم ،وهى - فى الفنادق الكبرى تبدأ بعد انتهاء حفلات السهرة حوالى منتصف الليل، فلايكاد النائم يغمض عينيه حتى يفتحها كرهًا على دقات النقاقير وأصوات النشيد والدعاء.

وكان بين السائحين طائفة من النمساويين - ظرفاء على عادة العلية من

كبراء هذه الأمة العريقة، فقال قائلهم لمدير الفندق الكبير: إننا لا نأبى « النقارة » قبل الفجر إذا كانت تصحبها مائدة السحور!

وخافت الفنادق هذا التهديد كما خافت الأرق والفراغ، فتوسلت إلى ولاة الأمر، وأشفق هؤلاء أن يتعرضوا لهذه العادة المتوارثة منذ قرون، لولا أن تداركهم عالم المدينة الأكبر يومئذ - الشيخ أحمد الجداوى رحمه الله - فعرفوا منه أن استخدام المآذن لدق النقاقير أمر غير مستحسن وغير مشروع فى الإسلام، وإنما هو بعض عادات الفاطميين جرى بها العرف زمناً، فخيل إلى العامة أنها إحدى شعائر الصيام.

ونزل « المسحراتى » من الجو إلى الأرض منذ تلك السنة، واستبدل بالنقارة الكبيرة طبلة صغيرة يدق عليها عند كل باب يمر به دقة خفيفة، وينادى أحياناً باسم صاحب الدار أو صاحبته، ويرفع التكليف مع الذين يعرفهم ويعرف أبناءهم الصغار فيؤدى لهم فى ذلك الزمن دوراً كدور « البابا شارو » الذى ظهر مع الإذاعة الجوية... وينادى أطفال الدار بأسمائهم، منتظراً منهم مكافأة العيد، كعكاً وفطيراً وحلوى، ونقداً إذا سمحت « العيدية »، وفاضت ببعض الزيادة من تلك الأيدى الصغار، وهى لا تحسن القبض على النقد كما تحسنه الأيدى الكبار.

وكان المسحراتى يشغل الطريق بين الباب والباب - من الأبواب التى يقف عليها - بكلمات الوعظ أو الدعاء أو التسبيح ، ثم يعود إلى النداء وترديد الأسماء :

اصح يانايم، وحد الدايم!

ياصايم انوى صيامك، وربك عالم، ثم ينطلق مدفع السحور، ويتلوه مدفع الرفع، وينادى المؤذن بالإمساك عن الطعام. ويذكر النائمين والأيقاظ أن الصلاة خير من النوم!

واليوم يبقى المسحراتى، ويبقى معه الطبل بدل النقارة، ولايسمع له صوت بدعاء ولا بترديد أسماء!

وهذه نقلة بعيدة إلى التجديد «المودرن»... لأن «الصوت الحى» لم ينقطع قط عن الدعاء إلى الشعائر الإسلامية أو ما يشبه هذه الشعائر من لوازمها الاجتماعية.. ولا بأس بالتجديد فى كل زمن وفى كل عادة. ولكن «الصوت الحى» لا ينفصل عن «عادات» الإسلام فى قديم ولا جديد.

obeikandl.com

أذان الفجر*

أسمع أذان الفجر قبل كل صباح منذ وصلت إلى أسوان:

«أسمعه قريباً، جليًّا، عالياً، بعد احتجابه وابتعاده فى بعض السنوات الماضية ولكننى لا أسمعه من مئذنة المسجد القريب التى كنت أرتل عليها - فى أيام الصبا الباكر - قصائد الدعوة الأولى والثانية إلى صلاة الجمعة. لأن هذه المئذنة العزيزة تعطلت ولا يزال العمل فى بنائها وبناء مسجدها القريب يجرى حيناً بعد حين، إلى أن يكتب له التمام، إن شاء الله.

إنما يسرى الأذان الذى نسمعه كل يوم من المسجد البعيد، ولم يكن يبلغنا قبل اليوم بهذا الجلاء وبهذا العلو والاقتراب، ولهذا سألت عنه فعلمت أن مكبرات الصوت تحمله من مئذنته «البحرية» لتؤدى وظيفة المئذنتين.

سبحان الله!

مكبر الصوت فى مئذنة!

ماذا يقول أعداء المخترعات الحديثة بالأمس، وقد كانوا يحسبون كل جديد بدعة، ويحسبون هذه المخترعات بدعة البدع من شياطين الإنس والجان..؟

ماذا يقول أعداء المخترعات الحديثة الذين أقاموا القيامة بالأمس يوم أدخل التليفون إلى معاهد التدريس بالمساجد منذ جيلين؟

نعم المعلم الزمن كما قيل.

وقد تعلم هؤلاء وخلفاؤهم من هذا المعلم القدير أن عصر المخترعات الحديثة هو العصر الذى تجاوبت فيه آفاق العالم كله بآيات القرآن الكريم، تتلى من

* الأخبار ١٩٦١/٢/١٥

الفجر إلى منتصف الليل، وتذاع من بلاد الإسلام وغير الإسلام فى عواصم القارات بين مشارق الأرض ومغاربها، ونكاد نسمع من هذا الكتاب كل عام مالم يسمع خلال ألف عام، قبل هذه الأداة التى قيل إنها «بدعة» ضالة يوم سمعت للمرة الأولى!

إن هذه المخترعات الحديثة لا تخترع شيئاً أنفع من اختراعها للعقول الجديدة التى تفرق بين جديد يلغى القديم وجديد يسبق القديم فى مضماره ويؤكده ويمد فى أجله.

والعالم الإسلامى اليوم أحوج ما يكون إلى هذا العقل القديم الجديد.

غطاء الرأس:

كان غطاء الرأس موضوع حديث طويل بيننا قبل مبارحة القاهرة.

إن صديقنا الأستاذ توفيق دياب لم يكن قط من غلاة المطربشين، لأنه كان فى إبان عصر الطربوش يضع طربوشه على المكتب إذا جلس ويحمله فى يده إذا سار. ثم تركه جالساً وسائراً وتعودنا أن نراه حاسر الرأس حيثما رأيناه فى المجمع أو الطريق.

ثم ظهر بعد حين كاسى الرأس فى مؤتمر اللغة العربية، وأبى أن يسلم أنها علامة من علامات السن، وكانت (البريهة) التى كان يلبسها - فى الحق - جميلة لا تتجاوز بلابسها سن الشباب.. فسألناه: وأين تجد هذه البريهات الجميلات؟

وشاء للصديق كرمه أن يحول هذا السؤال إلى طلب، فأرسل إلينا اثنتين من خيار هذه البريهات الحسان، ودمغهما بدمغة المجمع فسماهما قلنسوتين، ونعم الاسم ومسماه.

وأرسلت إليه هذه الأبيات شكرًا وإيذانًا بالوصول :

على الرأس ترفع تلك الهدية وتذكر فى كل نجوى خفية
وحسبى قلنسوة منهما فأعظم بثنتين من أريحية
إذا ما احتوى الرأس إحداهما فمهديهما صاحب العبقرية

قال زميل سمع بهذه الرسالة وجوابها، وهو يطمع فى إحدى القلنسوتين، أو فى الاثنتين :

وماذا تصنع بهما معاً وأنت تلبس الطربوش ؟

قلت : لو زرتنى لعلمت أننى ألبس القلنسوة منذ أربعين سنة، ولكن فى البيت وأننى أحافظ على الطربوش خارج الدار لأننى لا أستغنى عنه داخل الدار، إلا ببديل !

ولقيت الصحاب بأسوان فكان غطاء الرأس موضوع أول مناقشة سمعتها بين الصديقين المواطنين : الحاج مرغنى بيومى والأستاذ عبد الجليل حسنين.

إن الحاج مرغنى يلبس الجبة والقفطان، ويقول، بحق، إن خروج الإنسان فى هذا الزى عارى الرأس أمر غير معقول، ويقول بحق أيضاً إنه لا معنى لترك الطربوش ولبس غيره من مستحدثات الأزياء التى لا توافق هذا الكساء.

وحجة الأستاذ عبد الجليل معه على الدوام، وهو يرى أن الزى يؤخذ كله أو يترك كله، فلماذا نستغرب الرأس العارى مع البذلة الإفرنجية وهكذا رأينا أصحاب الزى من قديم الزمان ؟!

ولا وجه للغرابة حقًّا لولا خاصة فى الصديق عبد الجليل يعرفها كل عارفيه، وهى وقاره التقليدى الذى ولد معه، فكان قبل العشرين يحمل كل وقار السنين !

ولكننا إذا حسبنا للأخ عبد الجليل حسابه لم تكن هناك مشكلة بين الرأس

العارى وبين الجكتة والبنطلون، ولا مشكلة على الإطلاق حين ترفع الجكتة ويخلفها القميص فى الصيف.

أما المشكلة التى تحتاج إلى الرءوس، وما فوق الرءوس، فهى مشكلة الجبة والقفطان بغير طربوش أو بديل من الطربوش.

وهذا البديل من الطربوش ماذا يكون؟..

ولا نستهين بهذه المشكلة، لأنها مشكلة الزى التى لا تهمل ولا يستطاع إهمالها ولو بعد حين.

إن اختلاط الأزياء غير مطلوب، ولعله كذلك غير مريح، ولكن الخروج بالأزياء من التعريف إلى التنكير، قد يمحو معالم الشخصيات ومعالم الشعوب التى شبعت فى عصرنا من المحو والإلغاء والتنكير.

ولا ننسى أن معالم الأزياء بعد ظهور الحضارات الإنسانية أثبت من معالم الوجوه والأبدان.

قبل سنوات شاع فى القارتين الأمريكيتين أن ركباً من الكواكب العليا هبط إلى برية المكسيك واستطاع «الكذب» أن يصور خلائق ذلك الركب بما شاء من الملامح والأجسام، ولم يستطع السامعون أن يكشفوا ذلك الكذب المفضوح بحجة قاطعة تبطل اللجاجة وتلجم أفواه الهازلين بالغرائب والأكاذيب.

ولكن سؤالا واحداً عن الزى الذى كان يلبسه أولئك الوافدون الكوكبيون كان «جهيزة» العصر التى تسكت كل خطيب.

سأل سائل أريب: وهؤلاء الكوكبيون ماذ كانو يلبسون؟

ولم يكن هذا السؤال فى حساب المرجفين، فأدركوا لساعتهم أن تلفيق الكلام على الأزياء أعسر جدّاً من تلفيق الكلام على الوجوه والأيدى والأقدام.

إننا ننسج ملابسنا من نبات لا يعقل أن يكون من مزروعات الكواكب،

ولا يعقل أن تكون صناعة النسيج هنا كصناعة النسيج هناك، ولا يعقل أن تتشابه الأزياء بين كوكب وكوكب وهى لا تتشابه بين طائفة وطائفة فى البلد الواحد، وما يقال عن مزروعات الأرض يقال عن جلود الحيوان أو عن الشعر على تلك الجلود.

هذه هى معالم الأزياء، وهى أثبت من معالم الأجسام.

فلا يستهان بما بقى من مشكلاتها عندنا محتاجاً إلى الرءوس، وما فوق الرءوس!

obeikandl.com

الحياة الزوجية*

تنظيم العلاقات الزوجية عمل حسن دعت إليه أطوار الحياة العصرية منذ زمن غير قصير، وأحسن ما فى التشريعات الأخيرة، أنها مطابقة للنصوص الدينية مع مطابقتها لمطالب الزمن وللمصلحة الاجتماعية، وللنظرة السليمة إلى حقوق الرجل والمرأة فى الحياة الخاصة والحياة العامة.

غير أننا نود أن يلاحظ فى كل تشريع من هذا القبيل أن الشركة الزوجية ليست شركة بين رجل وامرأة وحسب، على مثال الشركات التى تنعقد بين اثنين لا علاقة لها بصاحب حق آخر، وإنما هى شركة تقوم على حقوق «الأسرة» لا على حقوق الزوج والزوجة دون غيرهما. فإذا بدا لأحد الشريكين فى عقد الزواج أن ينفصل عن صاحبه فليست المنفعة أو الضرر مقصورة على هذا أو ذاك من كلا الشريكين، ولكن الشركة تتناول الأبناء الصغار وتتناول أحياناً الأم الكبيرة التى يعولها ابنها ولا يستطيع أن ينفق على بيتين فى وقت واحد، ولا ينبغى أن ننسى أن حقوق المرأة توجب العناية بهذه الأم كما توجب العناية بالمرأة فى صفتها الزوجية، وقد تقضى رعاية الأسرة برعاية حالة الأب الكبير، إذا لم يكن له عائل غير ابنه المتزوج الذى لا يستطيع الإنفاق على أبيه فى معيشة منعزلة عن معيشته الزوجية، فلا يجوز أن تهمل هذه الاعتبارات عند النظر إلى طلب الانفصال أو الطلاق، ولا يجوز أن يكون حق الزوج أو الزوجة هو الحق الوحيد الملحوظ فى تقدير «شروط الشركة» الزوجية، ولكن حقوق الأسرة بجملتها أولى بالرعاية هنا من كل حق آخر، وحرية الزوج أو الزوجة ينبغى أن تظل محدودة أبداً بالمسئولية التى تقع عليهما معاً فى كل ما يرتبط بنظام الأسرة.

---

* الأخبار ١٩٦١/١/١٨

وليست الزوجية - بعد النظر إلى جميع اعتباراتها - شركة بين اثنين، وإنما هى وظيفة يشترك كل من الزوجين فى أداء حصتها من الفرائض والتكاليف، ويحق للمجتمع أن يفرض القوانين التى تمكنه من الإشراف على أمانة هذه الوظيفة، ولو دعا الأمر إلى الحد من حرية الرجل أو المرأة التى تفرض لهما وهما فردان مستقلان.

« .... سأكون شاكراً لو تفضلت بالإجابة على سؤالى فى يومياتكم بجريدة الأخبار :

«متى دخلت المسبحة الإسلام وما هو الأصل الدينى أو المعيشى لها؟ وهل هناك نظائر لها فى الديانات والملل الأخرى».

محمد يونس عبد العال

مدرس بالمنيا

كلمة المسبحة مولدة لفظاً وعملا، وإنما كانت المُسَبِّحة بصيغة اسم الفاعل تطلق على الإصبع التى تلى الإبهام لأنها كانت تتحرك عند التسبيح كما تتحرك أحياناً عند النطق بالشهادة.

ولم يعرف التسبيح بتكرير الأسماء والدعوات فى صدر الإسلام، بل كان المعروف تلاوة الأوراد من المصحف الشريف أو من أجزائه المكتوبة، ويقول أبوعبيد «تأويل الأوراد أن جعلوا القرآن أجزاء، كل جزء منها فيه سور مختلفة.... ولا يكون فيه سورة متقطعة، ولكن تكون كلها سوراً تامة وكانوا يسمونها الأوراد».

ثم جرى الاصطلاح على إطلاق اسم الأوراد على التسبيحات التى تعد بخرزات السبحة فسميت هذه الخرزات بالسبحة من أجل ذلك.

والغالب أن السبحة نقلت من الهند إلى بلاد الفرس منذ عهد بعيد، ثم

نقلها دراويش الطرق الصوفية من الفرس والترك إلى سائر البلاد الإسلامية، ولم تعرف بين الأوربيين قبل القرن الثالث عشر للميلاد، أو قبل ظهور جماعة الفرنسسكان وجماعة الرهبان البيض (الدومنيكان)، الذين ينسبون إلى القديس (دومينجو) الأسبانى، وكانت لهم سياحات كثيرة بين مصر وبيت المقدس وآسيا الصغرى، ولهم شعائر وعبادات يتلونها على المسبحة وتسمى الآن فى المغرب بالوردية Rosary من الوَرْد بفتح الواو لا من الوِرْد بكسرها كما يتبادر إلى الذهن من الوهلة الأولى.. ويقال إنها سميت بذلك لأن خرزاتها كانت بلون الورد، لأن هذه الخرزات كانت تعطر بماء الورد، ولعله عطر يختار لها، لما فى الورد من الشوك وهو موضوع تسبيح من التسبيحات المألوفة (الوردية) إشارة إلى إكليل الشوك الذى جاء فى الأخبار أنه وضع على رأس السيد المسيح.

والوردية التى تعد عليها التسبيحات الكاثوليكية نوعان : واحدة تشتمل على مائة وخمس وستين خرزة، والأخرى تشتمل على خمس وخمسين خرزة، ويراعى فى نظم خرزاتها عدد المشاهد التاريخية التى تذكر فى حياة السيد المسيح وفى حياة السيدة العذراء، وقد سميت إحدى الكنائس الحديثة فى البرتغال باسم كنيسة عذراء المسبحة، لأنها بنيت لمناسبة رؤيا ظهرت فيها السيدة العذراء وهى تتقلد المسبحة، ونذكر فى هذا السياق أن كنيسة (سيدة فاتيما) التى بنيت بمصر الجديدة تنسب إلى عذراء المسبحة، ولا علاقة لها بالسيدة فاطمة كما سبق إلى خواطر بعض الذين سألونا عن مصير هذه التسمية، وإنما كان أصحاب الرؤيا من أبناء بلدة «فاتيما» بالبرتغال، فأصبح اسم سيدة المسبحة وسيدة (فاتيما) يطلق على كنائس هذه الرؤيا لهذه المناسبة.

وبين الأعياد «الكاثوليكية» عيد يسمى «عيد المسْبَحَة» يحتفل به فى اليوم السابع من شهر أكتوبر كل سنة، تذكاراً لمعركة «ليبانتو» المشهورة التى وقعت فى هذا التاريخ (سنة ١٥٧١) وانتصرت فيها أساطيل أسبانيا والبندقية وجنوا

وصقلية ونابلى على الدوننمة التركية، ورويت عنها روايات كثيرة تتصل بشعائر المسبحة وتقاليد الدومينيكيين.

أما المسبحة الإسلامية فهى إحدى تقاليد أصحاب الطرق، ومنهم سرت إلى غيرهم من قراء أوراد التسبيح، وليست هى فريضة أو سنة متواترة، ولكنها كما تقدم تقليد ظهر فى أيام المولدين بعد انتشار الإسلام بين الأمم الفارسية والتركية.

obeikandl.com

حضانة الأطفال *

«... إننى حين قرأت هذا الكلام عن حضانة الأطفال سررت كثيراً لهذا الاقتراح... ولا أدل على ذلك مما قرأناه منذ بضعة أيام فى جريدتنا المفضلة - الأخبار - عن تعذيب زوجة الأب للطفل وكيه بالنار، والتبليغ عنها من مواطن صالح حيث نالت جزاءها العادل هى وزوجها، ولكننى لم أجد سيادتكم تتكلمون إلا عن الطفل الذى فقد أمه ولم ينل الطفل الذى فقد والده شيئاً من هذا الرأى الصواب وهو لا يقل - إن لم يزد عذاباً - عن الطفل الذى فقد أمه بما يناله من قسوة زوج الأم، وأقول ذلك لأننى كنت إحدى هؤلاء الأطفال، ولقيت من جزاء زواج الأم وتحويل قلبها وعطفها إلى جهة أخرى.. ألست معى فى أن واجب المجتمع أن يرعى هؤلاء الأطفال الأيتام بأن يتبناهم ويوفر لهم ما يحتاجون إليه ويعوضهم مما فقدوه وكفاهم عذاباً فقدان الآباء وقسوة الأمهات. ؟. »

عايدة سليمان صقر
المحامية

إن الرأى الذى تقول به الأستاذة المحامية، ينبغى أن يكون مفهوماً بالبداهة عند الكلام عن حضانة الأطفال الصغار، الذين فقدوا وسائل الحضانة الصالحة فى الأسرة. فلا يجوز التفاوت فى شرعة المجتمع بين طفل وطفل يحتاجان على السواء إلى كفالة، ويتعرضان لعواقب الإهمال والقسوة من الأزواج والزوجات.. وإذا صح أن يتصدى المجتمع لحماية الأبن من إهمال الأب، فهو أحق بحماية الطفل من إهمال زوج أمه أو قسوته، وليس من المعقول أن يترك طفل كهذا

* الأخبار ١٩٦١/١/٢٥

لكفالة زوجة هى نفسها معولة على كفالة الزوج الذى لا تطالبه الشريعة برعاية أطفال غير أبنائه.

إلا أن المسألة كلها تستلزم التنبيه إلى حقيقة لا خلاف عليها بين المشتغلين بشئون المجتمع وشئون التربية، وهى كفالة المجتمع للأطفال المحرومين من الحضانة الصالحة ضرورة نلجأ إليها عند لزومها، ولا يصح أن نتوسع فيها أو نذهب بها وراء حدودها، فقد ثبت من التجربة أن الطفل الذى يترى فى غير أحضان الأسرة معرض لخسارة نفسية عاطفية، لا يسهل تعويضها فى علاقاته الاجتماعية بعد استقلاله بشئونه، وانتقاله من حياة الأسرة إلى ميادين الحياة العامة، فإن لم تكن حضانته فى البيت أوخم عاقبة وأعظم خسارة من حضانته فى كفالة المجتمع، فلا موجب لهذه الكفالة التى تدعو إليها الضرورة القصوى وتعتبر على أية حال من قبيل الحضانة «الصناعية».

obeikandl.com

مصادفة تكشف أسراراً عميقة*

من أخبار اليوم أن الطبيب العالمى (رامون كاسترو) أجرى بمستشفى الدمرداش عمليتين من عملياته الخارقة فى ترقيع القرنية، فأعاد البصر إلى مريضين مكفوفين عاشا فى الظلام عدة أعوام.

قال رواة الخبر فى الصحف: (وتناول بأصابعه زجاجة بها محلول فورمالين حفظت بداخلها عين سليمة مات صاحبها منذ أربع وعشرين ساعة فقط وتركها تضىء لغيره..).

ويوحى الخبر على هذه الصورة أن السرعة فى استخدام العين بعد أربع وعشرين ساعة فقط من وفاة صاحبها مزية مفضلة لتحقيق النجاح وإعادة البصر، وكأنها لو كانت عشر ساعات، أو أقل من ذلك، لكانت المزية أفضل والنجاح أوثق وأقرب، وهو الاعتقاد الذى كان شائعاً قبل سنوات قليلة عند الابتداء بهذه المحاولات على سبيل التجربة، بين الأمل والقنوط.

ولكن التجربة كشفت، على مانذكر، عن سر من أسرار الحياة ينتفع به الأطباء الآن فى جراحة البصر، وفى جراحة الأنسجة الحية على عمومها، فربما كان التأخير أنفع من التعجل لضمان النجاح وإعداد العضو المنقول بالحياة اللازمة لاستئناف عمله فى جسمه الجديد.

ومما قرأناه عرضاً عن معجزات الجراحة الحديثة أن الدكتور «ماجيتو» الفرنسى احتاج يوماً إلى (قرنية) لاستخدام بعض أجزائها فى إحدى عمليات الترقيع فلم يجد بين يديه عيناً حديثة النقل من جسمها الميت، واضطر إلى استخدام عين مضى على نقلها ثمانية أيام، فنجحت العملية واعتبرها الطبيب

* الأخبار ١٩٦١/١/٤

أعجوبة تحتاج إلى التعليل، لأنه لم يقدم عليها إلا وفاء بأمانة العلاج، وهو إلى اليأس أقرب من الرجاء.

ولكن الطبيب الروسى المشهور فيلاتوف أثبت بعد ذلك أن الانتظار بالعين المنقولة قليلا أضمن لنجاح العملية من الإسراع بها على أثر نقلها، وفسر هذه الظاهرة بتفسيره المعروف عن القوة الكامنة فى الأنسجة الحية وجهادها المستميت لاستخراج كل بقية من بقايا النشاط فيها لمقاومة عوامل الأنحلال والفناء، وقد ظهر من مراقبة العمليات فى أعضاء الجسم جميعاً أن أنسجة البصر كأنسجة الخلايا الجسدية جميعاً فى القوة الكامنة، وروقبت هذه الظاهرة فى المصابين بالحميات الخطيرة الذين يشرفون على الموت ثم يستردون الصحة بعد انتهاء الحمى إلى آخر مراحلها وإيذانها بالخطر الأكبر بعد ساعات.

نقول: وهذا فضل للجراحة الحديثة تحفظه لها الإنسانية بين أفضالها الخالدة التى لا تحصى، ولكنه فضل يذكرنا بصاحبه الأسبق (المجهول) وهو الإنسانية نفسها فى حكمتها البسيطة التى يمر بها العلماء والجهلاء من أبنائها ولا يعطونها حقها من الرعاية حتى تهديهم المصادفة - عملا - إلى أسرارها العميقة، وراء بساطتها الظاهرة.

كما تحدث الناس أولا وأخيراً عن (صحوة الموت) وعن (حلاوة الروح) وعن (جهد المستميت) وعن (لمعة المصباح الأخير) قبل الخمود. !

هذه هى (القوة الكامنة) بعينها، وهذه هى صورتها العلمية التى يبرزها العلماء على المشرحة أو من فم الأنبيق، كأنها خفايا الأحلام التى يبرزها التأويل والتفسير. .

وكم فى حكمة الأمثال من أسرار كامنة لاتزال فى الانتظار؟ ولعل الانتظار بها أنفع من التعجيل، كهذه العيون التى تتهيأ للاستعداد زمناً قبل أن يبرزها العمل إلى عالم النور؟

آخر ورقة :

ورقة واحدة بقيت فى التقويم لاتريد أن تفارقه..

ولكن التقويم كله سيفارق مكانه على الجدار، والجدار كله سيفارق مكانه من الدار، والدار كلها ستفارق مكانها إلى قرار، أو إلى غير قرار.

لو كانت هذه الورقة اللاصقة بمكانها تستمع إلى العزاء لكان من العزاء لها، ولمن قبلها ومن بعدها، أن يقال لها، إنك أنت أنت الأمس قد ذهب وإن الغد هو أنت أنت ستعودين، وإنكم - جميعاً - بين أمسكم ويومكم وغدكم نبضات فى قلب واحد، وقلب فى جثمان واحد، وجثمان واحد يملؤه روح لايزول، وإن كان ليحل حيناً ثم يحول.

عزيزتى الحادية والثلاثين من أوراق الشهر الأخير..

إنك لست بالنفس الأخير من عام ذاهب هارب، ولكنك نفس يتصعد ويتردد، وزفير يتبعه شهيق، ونفثة وداع تتلوها خفقة لقاء، ونسمة فى صدر الزمن الذى لايذهب ولايهرب، ولا يستطيع الذهاب ولا الهروب، أو لعله يهرب من باب ليعود من باب، دائم المحضر والمغيب بين الذهاب والإياب.

عزيزتى الحادية والثلاثين من أوراق الشهر الأخير.. !

ذلك عزائى إليك تقبلينه كما قبله الذين من قبلك، ويقبله الذين من بعدك، ونقبله أجمعين راضين أو كارهين أبد الآبدين، ودهر الداهرين، على مر السنين. !

وإنه لعزاء يقبله الأعزاء، أن يقال لك إنك زفرة وداع وخوف، تعودين غداً لهفة لقاء ورجاء.

وهكذا نترجى، وهكذا نتعزى، وهكذا نرسل النفثة بعد النفثة، ونطير

بالورقة بعد الورقة، من الحادية والثلاثين فى الشهر الأخير إلى (الحادية) فى الشهر الأول، ومن السنة الستين بعد التاسعة عشرة إلى السنين الحادية والستين و...

أدب المرور :

خطوة طيبة فى طريق المرور والعبور هى الخطوة الأولى فى اليوم الأول من السنة الأولى بعد الستين.

وهى خطوة نتعلم بها المشى كما يتعلم كل ماش يحبو ثم يدرج ويسعى : خطوة تتبعها عثرتان، وعثرة تتبعها خطوتان، ثم خطوتان تتبعها خطوات وخطوات، إلى غاية كل طريق، غير طريق محكمة المرور ومحكمة العبور.

ويبقى الرصيف بعد الطريق.

نعم يبقى الرصيف بعد الطريق.

نعم يبقى الرصيف الذى ينفرد به المشاة بعيداً من السيارات والدراجات وبعيداً من ترام القضبان وترام الهواء.

السيد يتمايل ويتبختر كأنه فى حديقة المنزل العامر، لايزاحمه فيها أحد على الأرض الخضراء.

والسيد والسيدة يشتبك منهما الذراع بالذراع، ومن هنا طفل ومن هناك طفلة، ووراءهما فى سيارته الصغيرة.. طفل الرضاع !

والسادة الثلاثة - معاً - يشقون الرصيف عرضاً، وهذه اليد اليمنى فى تلك اليد اليسرى. متلاحقين، متحدثين أو متضاحكين !

والرصيف الأيمن يسلكه عشرون مقبلين وخمسون راجعين، وعلى مسافة منه زميله الرصيف الأيسر، وعدد الراجعين فيه أضعاف المقبلين.

وكل رصيف فى كل طريق، هو كورنيش النيل أو كورنيش البحر، معرض للفرجة والتفريج على مهل، وموقف للحديث والتلميح بالقول أو بالإشارة، وناد للجلوس ولكن مشياً على الأقدام، وفندق - أكاد أقول - للمبيت لا للمرور أو العبور.

وكان الله فى عونك ياقلم المرور!

كيف (تمر) بهذا وأنت مغمض العينين؟

وكيف تفتح عينيك ثم تحفظ النظام، فى هذا الطريق العام؟

obeikandl.com

العمامة والعلم الفرنسى*

«يقال إن العمامة التى يلبسها مشايخ المسلمين مأخوذة من العلم الفرنسى أيام أن عاث نابليون فساداً فى معاهدنا، وهى تتكون من الأزرق والأبيض والأحمر، لأنه كما قيل إظهار لولاء لابسيها للفرنسيين، فهل هذا صحيح؟».

أحمد سمير نصر

مدرسة طما الثانوية

... غير صحيح ولا أثر له من الصحة، لأن الطربوش بلونيه الأحمر والأزرق سابق لاختيار العلم الفرنسى بألوانه الثلاثة، ولف الشاش الأبيض عليه شائع فى البلاد الشرقية التى لم يدخلها نابليون، وقد شوهد الطربوش الحديث وعليه العمامة البيضاء على رءوس العلماء فى البلاد العثمانية بين عربية وتركية، ولم يشاهد أحد من الفرنسيين يلبس طربوشاً معمماً أو غير معمم لمحاكاة العلم الفرنسى، وإنما يلبسونه أحياناً لمحاكاة لابسيه من الشرقيين.

ويغلب على الظن أن الزعم الذى أشار إليه الطالب الطماوى إنما تردد على ألسنة بعض المازحين فى بلاد الصعيد الأوسط رداً على القائلين بوصول الجند الفرنسيين إلى الصعيد الأوسط وتأثير أزيائهم وعاداتهم فى أهل ذلك الإقليم.

---

* الأخبار ١٩٦٠/١٢/٢٨

رفقا بالأيدى*

بعنوان (٣٠٠ ألف دولار) تعويضاً لمصافحة يد - قرأت اليوم هذا الخبر: «رفع العازف البيانى العالمى جلين مولد دعوى تعويض على إحدى شركات الآلات الموسيقية بنيويورك لأن أحد موظفيها ضغط على يده بشدة وهو يصافحه فأتلف قدرة يده على العزف وطلب جلين مولد تعويضاً قدره ثلاثمائة ألف دولار».

فإذا صح أن المصافحة حصلت وأن عجز الفنان عن العزف نتيجة لها فالطلب عادل معقول، ويجوز للمنصفين أن يدخلوا فى تقديره أنه عقوبة للجلف المصافح، وللشركة التى تشغله ولا يعنيها أن تهتم بأمر الذوق والشعور عنده، وهما من ألزم اللوازم للعاملين فى معاهد الفنون الجميلة، وإن إنساناً لايعرف مقدار الضغطة المناسبة لليد الحية لا يرجى منه أن يعرف مقدار الضغطة المناسبة لمفاتيح الأنغام بمقاديرها التى تختلف فيها الألحان والأدوار.

ونحمد الله أن الأصابع الفنية عندنا ليست من الدقة، أو الرقة، بتلك الدرجة التى تستمتع بها أصابع جلين مولد، ، فإن أموال شركاتنا الفقيرة جميعاً تنفد لا محالة بعد مصافحة أو مصافحتين، ولاتنتهى بانتهائها مصافحات الغيورين على إبلاغ السلام حقه فى الغيرة والحماسة، عن طريق هز الكف والذراع وهز الجسم كله لاستيفاء شروط التحية والشوق، وقد تكون منها تحية تسلب الحياة، وشوق يموت «لهفة» ويميت!

بعض الناس من ذوى الأكف - لا من ذوى الحوافر بطبيعة الحال - يحسبون أن الشوق شحنة كهربية يرسلونها دفعة واحدة من القلب إلى الذراع

---

* الأخبار ١٩٦٠/١٢/١٤

اليمنى إلى الكف والأصابع، ليفرغوها كلها فى لمحة عين أو لمحتين!! ولابد أن تقاس هذه الشحنة بمقياس الهزات والرجفات التى تسرى منها إلى الكف الأخرى، ولو وصلت إليها وصول التيار الصاعق إلى كرسى الكهرباء، وإن جلافة هؤلاء المشتاقين الغيورين ليقل فى موازنتها بحساب التعويضات ملايين الدولارات.

لكن دولارات الأرض كلها لا تكفى لتعويض «الحماسة» الخانقة من نوع آخر ولكنه قريب من نوع حماسة السلام، وتلك هى حماسة العزومة على الشراب والطعام.

- فنجان قهوة؟

- متشكر!

- إذن فنجان شاى.

- شكراً .شكراً. أرجوك أن تعفينى لأننى لا استطيع!

- كيف هذا؟. تأمر إذن «بحاجة باردة»؟.. كوكاكولا؟

- كثر الله خيرك.. لا أشربها

- بيبسى كولا أحسن؟

- ولابيبسى كولا.

- لايمكن هذا. لايمكن.. ألاتشرب شيئاً على الإطلاق؟ أتريد أن تهيننا ياأستاذ؟

- معاذ الله، ولكنها ضرورات الصحة ومتاعب الجوف السقيم!

ولايكفى هذا الاعتذار حتى تتبعه بالكشوف الطبية المفصلة عن المعدة التى ترهقها المنبهات الكثيرة، وتعطلها السوائل الغازية والسوئل عموماً بين وجبات

obeikandl.com

الطعام ، ولايحميك هذا من إعادة القول عليك تعديلا لأراء الأطباء ونصيحة بقلة المبالاة بهذه الآراء.

وإن « إكراماً » واحداً من هذا القبيل فى كل يوم ليسقط بالكرم إلى حضيض الرذائل المكروهة، ويمتد بالكرماء الأعزاء إلى منطقة الثقلاء، فما بالك بهذا الكرم مرات فى كل زيارة وعند كل لقاء؟

إن صاحبنا الموسيقار قد عرف كيف يصف الخسارة التى طالب بتعويضها وهى تلف أصابعه، فكيف نصف الخسارة التى نطلب تعويضها بعد مقابلة أو بضع مقابلات يتكرر فيها هذا الإرهاق، وتتكرر فيها هذه اللجاجة، ويتكرر فيها حسبانها على الزائر المعتذر رفضاً للكرامة وإخلالا بواجب المجاملة؟.

أخشى أن تنقلب الحكاية عندنا فيخرج الزائر المعتذر عن قبول « الكرامة » متهما بتوجيه الإهانة إلى صاحب الدار، ومطالباً بالتعويض والاعتذار.. !

حكم النقاد :

قرأت اليوم كلمة للأستاذ التابعى يلاحظ فيها على المخرجين والمنتجين وصانعى الأفلام للصور المتحركة أنهم يفقدون الرواج الذى يعبدونه ويسبحون بحمده، وهم يحسبون أنهم يضمنونه بتشويه القصص ومسخ الأدوار وحشو « الفلم » بالمناظر الملفقة التى لا علاقة لها بالموضوع، ولا ضرورة لها فى التأليف.

ولست كبير الثقة بالكثرة الغالبة بين جمهور المسرح والصور المتحركة عندنا، وليس من غرضى هنا أن أرجح كفة التأليف على الإخراج والتمثيل، أو كفة الإخراج والتمثيل على التأليف، ولكننى أريد أن أقرر الحقيقة عن جمهورنا بعد تجربة السنين الطوال فى الكتابة بأنواعها وفى اختبار المؤلفين والممثلين والنقاد والمخرجين.

إن الجمهور مظلوم فى أكثر الظنون الكاذبة التى تنصب عليه ،وإنه على

الجملة أقرب إلى حقائق النقد من جهابذتنا النقاد، وهم يجهلون جمهورهم كما يجهلون أصول النقد وأطوار الكتابة والمطالعة والفرجة على المسرحيات والأفلام.

ناقد من نقاد «الفن» قرر أن رواية «سارة» لا توافق جمهرة القراء، وأشار إلى ذلك إشارة مفهومة عند تقديمه للفصل الثالث منها، فاضطرنى إلى العدول عن نشر بقية الفصول.

وهذه الرواية بعينها طبعت بعد ذلك على حدة فأعيد طبعها أربع مرات، وتداولها أكثر من ستين ألف قارئ وقارئة، ورأيت قراء وقارئات لها يحفظون منها الفقرات بل الصفحات.

ومثل هذا حدث فى أول كتاب من كتب العبقريات، فإن المشيرين الفطناء قد أشاروا على طابعه ألا يزيد على ثلاثة آلاف نسخة، فبلغ عدد النسخ المطبوعة منه حتى الآن مائتى ألف نسخة، ونفدت طبعته الأولى خلال شهرين!

وواحدة من اثنتين: إما أن كهان المحراب الذين يحتكرون لأنفسهم أسرار هذه الكهانة يجهلون جمهورهم كل الجهل قبل الحكم عليه وبعد الحكم عليه، وإما أن الجمهور يوجد مع المؤلف ومع التأليف حالا بعد حال، ولا يجوز الفصل بين الحكم على المؤلفين والحكم على النظارة والمطالعين، فقد يكون الجمهور فى الغيب فيخرجه الكتاب من وراء الستار إلى أمام الستار.

عقوبة الإعدام*

الأستاذ «حسين أيوب السيد أيوب - ليسانس قانون - جامعة القاهرة» يفيض فى الدفاع عن وجهة نظر القائلين بإلغاء عقوبة الإعدام ويسرد الحجج الكثيرة التى يستندون إليها وأهمها «البحث فيما إذا كانت هذه العقوبة مشروعة أم غير مشروعة لأنها تمس حقاً يعلو على سلطة الدولة، إذ ليس للمجتمع سلطة على حياة أفراده وهو لم يمنحهم هذا الحق حتى يكون له أن يسترده».

ونقول للأستاذ حسين إن هذه الحجة وكل ما ترتب عليها ينتهى بتقرير الواقع الذى تتفق عليه المجتمعات، عملا ونظراً، وهو قيام الشريعة فيها على حق هذه المجتمعات فى الحياة وحقها فى الدفاع عن حياتها وحمايتها من جميع الأخطار التى تهددها فى كيانها ومقومات وجودها.

ولو كان المجتمع يبنى حقه على اقتداره أو كفايته لإعطاء مايسلبه لحرمت الشرائع إبادة الجراثيم والميكروبات، لأن مجتمعات العالم كافة تعجز عن خلق ميكروبة واحدة أو إعادة بعوضة واحدة إلى الحياة.

وليست المجتمعات قادرة على رد حياة الجندى الذى يسوقه الواجب إلى خطر الموت، وهو الواجب الذى يفرضه كل مجتمع على الأقل فى حالات الدفاع، إن لم يكن واجباً كما يحدث الآن حتى فى حروب الهجوم!

لانخال أن تشريعات الأمم تبنى يوماً من الأيام على قدرة المجتمع على خلق الحياة، وإنما تقوم حقوق المجتمعات كما تقوم حقوق الأفراد أبدًا على الحق الأول الذى لا منازع فيه ولاهو ممايقبل المنازعة، وهو حق الحياة وحق الدفاع عنها بكل ما يملكه الكائن الحى من أسلحة الدفاع، فإذا جاز للفرد أن يمنع حوزته

* الأخبار ١٩٦٠/١٢/٧

بما استطاع ولو أدى ذلك إلى إهلاك المعتدى عليه، فليس من المعقول أن يحرم المجتمع كله حق الدفاع عن كيانه أمام فرد من أفراده، لأن كيان الفرد كيفما كان، لا يستند إلى حق أثبت من حق المجتمع كله فى حماية كيانه مما يقضى عليه، ولو لم يقض بطبيعة الحال على حياة أفراده أجمعين.

ولكننا بعد كل ما يقال من هذه الآراء، نعود إلى «القانون الأخلاق» الذى ينبغى أن يعلو فى الحياة الإنسانية على جميع القوانين، وينبغى طوعاً لهذا القانون الخالد أن تكون الحياة أشرف من أن يستحقها من يهبطون بالإنسان حضيضاً دون حضيض الحشرة السامة والوحش المسعور.

obeikandl.com

عقوبة الاعدام*

« . . . إتماما للفائدة حول موضوع عقوبة الإعدام.. أرجو التفضل بالإجابة على هذين الاعتراضين : « أليست ظروف الجهل الحالك التى تحيط بالقاتل فى بعض الأحيان والتى تجعله لا يقدر المسئولية داعية إلى التخفيف من عقوبة الإعدام ؟

« وقد يخطئ القضاء بعض الأحيان فيصدر الحكم بالإعدام لما نفع الحيلة بعد تنفيذ الحكم وظهور القاتل المستحق للعقوبة ؟ »

مصطفى محمود مصطفى

بكفر ربيع

. . . ولانحسب أن السيد مصطفى يريد بالجهل جهل الجريمة، فإن أحداً من الناس لايجهل أن القتل جريمة وأنها تعرض صاحبها للعقاب، إلاأن يكون على حالة من حالات الجنون المطبق، ولاخلاف على إعفاء المجنون من العقوبات.

كذلك لايختلف أحد من أتباع الشرائع جميعاً على حكم الجهل الذى يعطل الشعور بالمسئولية، فإنه من أسباب تخفيف العقوبة فى كل شريعة يأخذ بها أبناء الحضارة وأولها الشريعة الإسلامية التى تفرق فيما دون الجنون - بين حالات كثيرة من موانع التصرف أو موانع المسئولية، وهى العته والبلاهة والسفه والغفلة، ومايشبهها من موانع الرشد أو العقل المشروط لتحقيق جميع المسئوليات.

فلا حاجة إلى الشدة ولا موجب لها مع هؤلاء الجناة بحكم العاطفة الإنسانية أو بحكم الحاسة الأخلاقية لأن المجانين وأشباه المجانين هم أهل للعطف عليهم والأسف لمصابهم، فلا يثيرون العاطفة ولا يشعر المجتمع ولا الموتور

* الأخبار ١٩٦٠/١١/٢٣

بالجريمة نفسه أنهم أفلتوا من قصاص مشروع، إذا ظهر للقضاء أنهم غير مسئولين.

أما خطأ القضاء فليس هو بالمستحيل، ولكنه كأخطاء الأطباء، وأخطاء الساسة لا يصح أن يكون أساساً للتشريع، ولا لإقامة قواعد الحق والعدل فى الحياة الاجتماعية التى تعمل عملها، ولا يقول أحد إنها معصومة من النقص والقصور وعواقبها التى لا مناص منها ، ومنذ القدم كان من حق ولاة الأمر ونواب الأمم أن يبرموا الرأى فى أمور القتال وهى أخطر عاقبة من أحكام القضاء، وليس من المعقول أن يكون ذلك سبباً لإلغاء هذا الحق كلما وجب النظر فيه لحماية أمة أو للدفاع عنها، مهما يكن من أخطاء المسئولين عنه قبل ألوف السنين إلى هذه الأيام.

وعلينا أن نذكر أن إلغاء عقوبة الإعدام فى الجرائم التى يتجرد فيها الجناة من العاطفة الإنسانية، أمر لا يجرى على حكم الحاسة الأخلاقية، ولاعلى حكم المصلحة كيفما كان تقديرها، فإن الإحصاءات التى يتحدث عنها أصحاب هذا الرأى، لم تثبت لنا أن مجرماً من هؤلاء استحق أن يبذل المجتمع فى حمايته ما يضن به على أعضائه الأبرياء المأمونين، ولعله يكلف المجتمع علاجاً وحراسة ومسكناً ومأكلا أضعاف ما يتكلفه العضو النافع الأمين، فى حين أننا نفرض على هذا العضو النافع الأمين أن يدأب على العمل والجهد ليأخذ نصيبه من مقومات المعيشة، وهو ينظر إلى قاتل أخيه أو ولده مكفول المؤنة بما اجترأ من عدوان عليه!

إن الغيرة على الحياة مروءة واجبة، ولكننا نشك فى غيرة تذكر القاتل ولا تذكر القتيل، ونشك فى غيرة لا تأنف للحياة أن يستحقها من يستحق الموت، كما تستحقه الحشرة السامة والوحش المسعور، وكلاهما أحق بالعذر من إنسان يزهق روح الإنسان وهو وادع النفس راض عن عمله كأنه يتهيأ لمجلس طعام أو شراب.

ألوان الجلود... والصواريخ!*

فى صحف اليوم خبران من الخارج يستوقفان النظر، لأن كل خبر منهما تحتويه بضعة أسطر ولكنه ينوب عن مجلد ضخم فى تصحيح أوهام الماضى والمستقبل.

أحد الخبرين يقول لنا إن طبيباً من المتخصصين للأمراض الجلدية عالج امرأة سوداء ثلاث سنوات فذهب السواد وخرجت المرأة من العلاج «بيضاء من غير سوء».

والخبر الثانى يقول إن سفينة الفضاء السوفيتية قد احترقت عند وصولها إلى جو الكرة الأرضية وفشل العلماء فى إعادتها إلى الأرض سالمة.

ليست ألوان الجلود إذن فارقاً أصيلا بين سلالة وسلالة من نوع الإنسان، وإنما هى صبغة عارضة تزول بالعلاج الصناعى، وقد تكفى لإزالتها غداً بضع ساعات إذا كان العلاج الطبى لم ينجح فى إزالتها اليوم قبل ثلاث سنوات فلا يشعر الآدميون والآدميات بعد حين بفارق بين هذه الصبغة وبين أصباغ المساحيق التى تذهب وتعود بين ليلة ونهار.

أما العبرة من احتراق السفينة الفضائية فهى عبرة الاعتدال فى الآمال الجامحة التى أخذ«بنو آدم» يطلقونها إلى أمد بعيد، أبعد جداً من كل أفق ترتفع إليه السفن والصواريخ.

قبل نهاية القرن التاسع عشر كانت كلمة«المستحيل» تعليقاً على كل أمل يتخيله المتخيلون من الحالمين بارتفاع سفينة إلى الفضاء. أثقل من الهواء.

---

* الأخبار ١٩٦٠/١٢/٧

ورد الفعل بعد منتصف القرن العشرين أن كلمة المستحيل لم يبق لها وجود وأن الفضاء ميدان مستباح إلى أقصى ذراه، لكل من يسبق الآخرين إلى غاية مداه.

والاعتدال المطلوب بين بين، هو أن نعلم أن كلمة المستحيل لاتزال فى موضعها من القاموس، ولاتزال فى موضعها من الفضاء، ولكن الممكنات قد اتسعت قليلا وقد تتسع كثيراً بعد سنوات، ولكنها لن تتسع حتى تشغل كل هذا الفضاء.

وآخر ما قرأناه عن آمالنا فى الفضاء مبحث رصين للعالم الطبيعى باتريك مور يقول فى أوله: «إنه لمن الخطأ أن نظن أننا قد ذهبنا بعيداً إلى أغوار الفضاء، ولعلنا لن نذهب ذلك المذهب يوماً من الأيام، لأن آفاق الفضاء أمر مهول».

واحدة واحدة يابنى آدم!

لايزال كثير من الأحلام يذهب فى الهواء، قبل أن يذهب فى الفضاء.

* * *

وبعد كتابة هذا التعليق جاءتنا رسل البرق بنبأ عاصفة جبارة ثارت على وجه الشمس فأطلقت منها أفواجاً من الغازات الملتهبة إلى مسافة ألوف من الأميال، وقال العلماء الأمريكيون إنهم قد يحصلون على معلومات أخرى عن أخطار السفر إلى الفضاء!

معلومات أخرى فى الشمس نترقب أن نعرفها اليوم ونحن نقول عن الأمر الواضح مبالغة فى وضوحه إنه أظهر من الشمس فى رائعة النهار... !

ولكن الشمس هذه — وهى مضرب المثل فى الظهور — لا تظهر لعلمائنا على وجه اليقين فى أمر من أمورها، ولو كان زوبعة تمتد إلى ألوف الأميال.

هل تحدث هذه الزوابع من حركة على الشمس كحركة المد والجزر على الأرض، ولكنها من اللهب بدلا من الماء؟

هل تحدث من عملية انقسام فى ذرات عناصرها، أو تحدث من عملية التحام فى تلك الذرات؟

هل تحدث من صعود المادة فى باطنها إلى ظاهرها، أو من هبوط المادة من الظاهر إلى الباطن؟

هل تحدث من تقلص المركز بانطلاق الحرارة منه، أو تحدث من امتداد هذا المركز بازدياد الحرارة المندفعة إليه؟

يسأل علماؤنا عن هذا ويقول بلغاؤنا بعد هذا «إن الأمر ظاهر يا مولانا ظهور الشمس فى رائعة النهار».

وأصدق من هذا فى أنباء القرن العشرين، وفى أنباء البرق الخاطف، أن يقول العالم والبليغ معاً، ويقول مولاهم قبلهم: بل أخفى من الشمس فى رائعة النهار.

الغاء عقوبة الاعدام*

أحسب أن المطالبين بإلغاء عقوبة الإعدام سيشعرون بالحاجة إلى إعادة النظر فى مواضع الوهن من حججهم أمام تلك المجموعة المنكرة من القتلة الذين نفذ فيهم حكم الإعدام (الأربعاء ١٩٦٠/١١/٢).

لأنهم ينسون فى جميع تقديراتهم أن هناك نفوساً لاتستحق الحياة، وليس من حقها على المجتمع أن يحميها ويصون حياتها ويتكلف الجهد والمال لإبقائها، وقد حرموا على المجتمع حق حماية النفس، وحرصوا غاية الحرص على هذا الحق لحماية أنفس الجناة.

هذه مجموعة من القتلة لم يكن لها من بقية توصف بالإنسانية غير هياكل الأجساد:

ولد يقتل أمه ثم يقتلها مرة أخرى صادقاً أو كاذباً بفضيحة عرضها وعرضه لينجو من العقاب، ولافرق بين صدقه وكذبه فى الخسة والإجرام.

وامرأة تدخل عليها الطفلة البريئة ضاحكة آمنة، فتخنقها ثم تلق بجثتها جانباً وتقبل على إعداد الطعام، كأنها لم تصنع شيئاً يصد النفس عن الطعام ساعة من النهار.

وأخرى تختار لقتل فتاة فى ميعة العمر أن تصب على رأسها ماءً يغلى بما فيه من المحرقات الملتهبة. ثم تخنقها بيدها لتعجل بالذهاب إلى من تهواه.

ورجل يضيفه صديق فيخنقه ليسرق حطامه الزهيد.

إن دلالة الجريمة هنا أهون من دلالة وسائلها ودواعيها، وكلها تنم على

---

* الأخبار ١٩٦٠/١١/٩

عداوة للإنسانية أشد إيذاءً من عدواة الحشرة السامة والوحش المسعور.

ويرى المطالبون بإلغاء عقوبة الإعدام أن أحداً من هؤلاء لا يستحق أن يموت، ولا مانع أن يرى هو غير ذلك، فيسمح لنفسه بالحق المطلق أن يميت من يشاء كما يشاء!

كل هؤلاء معذور عند المطالبين بإلغاء عقوبة الإعدام، إلا الجماعة البشرية فلا عذر لها فى طلب الخلاص منهم، بل يجب علينا أن تتكفل بهم مدى حياتهم، ولو طالت بهم مدة الحياة.

والمطالبون بإلغاء عقوبة الإعدام يبحثون المسألة بالدم البارد كأنه فضيلة الفضائل، ولكننا لا نظنهم يصلحون المجرم أو يصلحون المجتمع، إذا أخرجوا من تقديرهم حساب الاشمئزاز والغضب على جناة الإجرام البشع والضراوة المرذولة، فإن المجتمع الذى يتجرد من شعور الغضب على أمثال تلك الجرائم، أسوأ حالا من المجتمع الذى يصون حياة القاتل لأنه ينظر إلى الجريمة نظرة الدم البارد أبداً، ويأبى أن يضيف إلى سيئاتها وطبيعة وصفها مقدار ما تثيره فى النفوس من السخط المشروع، وليست نتيجة هذا الجمود فيه أنه يحل حساب الفائدة محل حساب الغضب، لأن المجتمع الذى يفرض على العضو الصالح أن يعمل ويتعب ليأكل ويشرب، ويقاسى الحر والبرد والعجز والمرض، لا يعرف حساب الفائدة حين يجود على أراذل الخلق بما يضن به على أعضائه الصالحين النافعين، وربما كانت كفالة المجرم المرذول أغلى كلفة على الأمة من معيشة فرد صالح أمين!

والدم البارد - مع هذا - لايقول لنا شيئاً يجهله أصحاب الشرائع وهم على أشد ما يكون «الأدمى» غضباً على الإجرام.

إن القاتل - كما يقول المطالبون بإلغاء عقوبة القتل - لايكون إلا واحداً من ثلاثة: مريض نفسانى، أو مندفع مع الثورة العاطفية، أو متنفع بالجريمة

محترفاً بها ومترقباً للفائدة من أثرها، فإذا كان مريضاً نفسانياً فليس هو بمسئول، وإذا كانت الثورة العاطفية هى التى دفعته إلى القتل على كره منه، فقد يكون بغير تلك الثورة العاطفية من أسلم الناس، وإذا كان متجراً بإزهاق الأرواح أو منتفعاً بالقتل، فمثل هذا لا تمنعه العقوبة القصوى أن يقارف جنايته، إذ هو قلما يخطر له أنه سيلقى تلك العقوبة لاعتماده على خبرته بأساليب الهرب والإفلات من قبضة المحققين والقضاة.

وبعد هذه التقسيمات وأشباهها، نعود فنقول إننا لا نحتاج إلى الدم البارد لتقدير المسئولية على حسب العوامل النفسية، بل تقديرها فى بعض الظروف تبعاً لبواعث الغضب وأعذار الثورة العاطفية التى تعرض للإنسان ولايتهم من أجلها بالتجرد من الإنسانية، ولعل الخوف عليه فى هذه الحالة من الدم البارد الذى يأبى عليه تلك الثورة كيفما كانت المثيرات !

وعلى أية درجة من درجات الحرارة الدموية لا خلاف فى تقدير هذه التبعات وإنما الخلاف فيمن تجرد من شعور الإنسان هل يستحق الحياة على حساب المجتمع الذى هو خطر عليه؟

ربما أصاب من يقول إن الجانى المتجر بالقتل أو المنتفع به، يظن أنه بمنجاة من العقاب لقدرته على الإفلات والاختفاء، ولكن هل معنى ذلك أنه إذا صدق حسابه نجا من العقاب، وإذا أخطأ حسابه نجا أيضاً من العقاب؟ وهل تراه إذا توقع السجن الطويل بدلا من الإعدام يسرع إلى تسليم نفسه ويقلع عن تدبير الوسائل للإفلات والاستخفاء؟

إن افتنان المجرمين فى تدبير وسائل الهرب من العقوبة لا يوجب على المجتمع أن يسقطها عنهم، وكل مايوجبه عليه أن يجعل قدرته على اللحاق بالمجرمين أكبر من قدرة هؤلاء على الإفلات.

❁ ❁ ❁

« . . . كلنا نعلم ونوقن أن سيدنا إبراهيم الخليل لم يرزق من البنين إلا إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، ولكن جاء فى الآية ال (٧١) من سورة الأنبياء :

« ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة » ونافلة طبعاً معناها الزيادة.

« فهل يعقوب هو إسماعيل أو هو ولد ثالث لإبراهيم؟ أكون شاكرة لو تفضلت فأجبتنى عن هذه الحيرة على صفحات جريدة الأخبار لأننى أتابع قراءتها. . »

حرم كامل منو

الجيزة

يعقوب هو ابن اسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

ومعنى الآية أن إبراهيم وامرأته سارة ظلا يرقبان الذرية حتى يئسا منها فرزقهما الله الذرية المتتابعة وأعطاهما الحفيد بعد الولد، كما يفهم من معنى (نافلة) بمعنى الزيادة، ومن الآية فى سورة هود : (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب)، والكلام هنا عن السيدة سارة زوجة إبراهيم، وقد ضحكت حين بشرت بإسحاق ومعناه بالعبرية يضحك كما هو مشهور.

والمعنى واضح من هذه الآيات ومن جملة الأخبار عن ذرية إبراهيم.

العالم بين الحرب والسلام*

الأديب «محمد إبراهيم علام» الطالب بكلية الزراعة فى جامعة عين شمس يتردد بين التفاؤل والتشاؤم فى مشكلة نزع السلاح ويسأل: «هل تعتقدون أن هذا من الاستطاعة بمكان مع أن الحرب كانت ولا تزال من الطبائع المتأصلة فى نفوس كثير من البشر وقد تكون من الضروريات فى بعض الأحايين لرد الحقوق إلى مستحقيها.

والذى نفهمه من سؤال الأديب «علام» أنه يعنى الحرب بين الدول والحكومات أو بين الأمم الغالبة والمغلوبة، وهى موضوع البحث اليوم فى مشكلة نزع السلاح ومناقشات الهيئات الدولية.

والمستقبل غيب مجهول فى أمر هذه الحرب وفى غيرها من الأمور التى لا نملك زمامها بأيدينا ولا بعقولنا، وكل ما نستطيعه هو أن ننظر إلى البواعث والموانع فى العصر الحاضر فنرى، ولا شك، أن بواعث الحروب الدولية تقل وتضعف وأن موانعها تزداد وتشتد، وإن تبين من انقسام العالم إلى كتلتيه الشرقية والغربية أن الحالة على غير ذلك.

فالحرب كانت فيما مضى غنيمة للمنتصر تدوم منافعها زمناً طويلا فى يديه، فأصبحت اليوم خسارة على المنتصر فى أثناء القتال وبعد القتال، لأنه يخشى عاقبة القلاقل التى تهدد سلام العالم من جانب الأمم المغلوبة وتؤدى إلى انتشار الفوضى التى يتقى المنتصرون مغبتها قبل سواهم، لأنهم أحرص من سواهم على السكينة والاستقرار.

وقد كان المنتصر يفتتح البلاد ليستعمرها فأصبح سادة المستعمرات اليوم

* الأخبار ١٩٦٠/١٠/٢٦.

يضطرون إلى الخروج منها لكثرة تكاليفها، ويقظة سكانها، وتزاحم الدول الكبرى على الموارد العالمية.

وكان احتكار الأسواق سياسة ممكنة فى القرن التاسع عشر، فأصبح اليوم خطراً على المحتكرين، وأصبح القادرون على الاحتكار يحذرون الأقوياء والضعفاء معاً فى محاولاتهم الظاهرة والخفية، لأن منافع الاحتكار لا تعوض خسائره لو استطيع، وهو غير مستطاع.

وكانت ضربات الأسلحة الأولى محدودة تنزل بالجيش المهزوم ولا تتعداه، ولكنها اليوم ضربات قاصمة غاشمة تعم العالم كله، وتنزل بالجيوش والأمم، وتنذر النوع الإنسانى كله بالفناء.

فإذا قابلنا بين بواعث الحرب العالمية وموانعها فالموانع أرجح كثيراً من البواعث، ولا نعلم أن أحداً يريد الحرب العالمية مع هذه الموانع الكثيرة غير طائفتين محدودتين: إحداهما تعتقد أن نظام رأس المال لايزول من العالم بغير حرب ثالثة أو رابعة، والأخرى ترى أن التعجيل بالحرب الآن أسلم من الانتظار إلى أن يتم الاستعداد الكامل لها فى صفوف الطرفين.

ويوجد مع ذلك عامل مهم من عوامل الحرب فى المستقبل البعيد، وهو زيادة السكان وضيق الموارد الطبيعية بمن يعيشون عليها ويتضاعفون بين قرن وقرن مع توافر أسباب الصحة والوقاية وازدياد العناية بالعلاج والتعمير.

ولكن الأمل كبير فى تقدم العلم وفى تغلب قوى السلم والبناء على قوى الحرب والخراب، فإذا اختلف الحساب غداً فقد يختلف وراء كل هذه التقديرات ليبقى على الأرض من هو صالح للبقاء، يوم يكون الخيار بين الفناء كله وبين بعض الفناء.

وما من «هيئة تأمين» فى دنيانا هذه تراهن على مستقبل السلام مائة فى المائة، ولكن المراهنة على ستين أو سبعين فى المائة لا تحسب من قبيل

المجازفة... ولا مجازفة فى النهاية على كل حال، فقد صدق من قال: «إذا كان كل شىء مخيفاً فلا يخطر ذلك الخوف على بال».

* * *

كانت فى القاهرة، فى أثناء الحرب العالمية الأولى، طائفة من النشالين بلغت بهذه الصناعة غايتها، وبلغ من إتقانها واطمئنانها إلى قدرتها أنها كانت تباشر أعمالها أمام أبواب الأقسام والمحافظات بين الواقفين هناك للتحقق من صور النشالين المعلقة على الحوائط، ثلاثاً لكل نشال! صورة مواجهة وصورتان على صفحتى الوجه إلى اليمين وإلى الشمال.

ولكن هؤلاء النشالين كانوا على نصيب غير قليل من الأمانة فيما عدا لوازم الصناعة، فكان من عادتهم أن يأخذوا الورق النقدى ويقذفوا بالمحفظة بعد ذلك فى صندوق البريد الكبير.

ومن طريف مايروى عن هؤلاء النشالين الظرفاء - الأمناء - أنهم خدعوا فى زميل من زملائنا الأدباء المعدمين واغتروا بانتفاخ جيبه، فنشلوا المحفظة التى كانت فيه، ولكنها لم تكن غير محفظة ورق تحتوى اثنتى عشرة صورة للأديب على تذاكر بريدية، ومعها بعض الطوابع من فئة المليمات.

قال الأديب ضاحكاً: الآن يضعون التذاكر فى موضعها من الصندوق، ومضى بعدها يكرر الزيارة صباحاً ومساءً لشباك الرسائل ومكتب المفقودات، ولا خبر ولا جواب.

وجاءنا ذات يوم «متجهماً» ونحن فى رهط الأدباء الزملاء نجلس على القهوة المقاربة لمكتب البريد الكبير، فقال عاتباً كأنما يوجه الملام إلى مخاطبين مجهولين:

«أخلفتم ظننا فى أمانتكم ياأولاد الحلال... ماذا تصنعون بهذه التذاكر؟... لا هى تنفعكم ولا أنتم قادرون على استخدامها للمراسلة؟ فلماذا تخلفون عادتكم ولا ترسلونها؟»

قال أحدنا : لاتتواضع ياصلح.. إنها تحفة فنية.. ولعل نشالك أمين وصاحب ذوق... وهل ترى صاحب ذوق يظفر بهذه المحاسن ويفرط فيها. ؟

وقال آخر : لاتقلق وطول بالك.. إنها ستصل إليك مغرمة، لأنك لاتطمع من لصك الأمين أن يلصق على التذاكر طوابع بريد!

وقلت للأديب المفجوع فى خياله، وكان من أبناء بلدنا، ولى به معرفة قريبة:

ـ إياك أن تطمع فى تذكرة منها.. إنها أنفع لطائفة النشالين من المحافظ العامرة ولن يضيع وقتهم عبثاً إذا وزعها النشال عليهم مع هذا التحذير «تجنبوا صاحب هذه الصورة ولا تقتربوا منه فإنه «مشروع نشال!» بعد قليل.

ذكرت اليوم قصة هذا الأديب المفجوع فى خياله حين قرات فى الصحف قصة الديوان المخطوط المسروق من بيت أخينا عبد المجيد الغزالى، وأردت - على ضوء التجارب الماضية - أن أفضى إليه بالنصيحة الواجبة :

ـ انتظر، ياأخانا، ديوانك المسروق على شرط واحد : ألا يكون صاحبك من قراء الشعر ومحبيه، فإن كان واحدًا منهم فانتظرها سرقتين لا سرقة واحدة، وترقب يوماً قريباً يظهر فيه الديوان من المطبعة وعليه اسم ناظمه المجهول... اسم ولا ريب غير اسم عبد المجيد الغزالى.

ولايرضيك هذا فيما أعتقد، ولكنه - فيما أعتقد أيضاً - خير من أن يعيده إليك لأنه يأبى أن ينسبه إليه.

الزى الجامعى فى الجامعات*

« . . . يبحثون هنا عن توحيد الزى الجامعى فى الإسكندرية وفى القطر كله . . ألا ترى أستاذى أن تقييد الطالب الجامعى بزى مخصوص ينافى فكرة الاستقلال الجامعى الذى يجب أن تمتاز به الدراسة الجامعية . . إلخ إلخ » .

جامعى إسكندرى

ليس نظام الزى الجامعى ، فيما أرى ، مناقضاً لفكرة الاستقلال الدراسى ، وليست فوضى الأزياء بالتى تحقق للطالب استقلاله فى تفكيره أو للجامعة استقلالها فى برامج دراستها ، فقد تكون الفوضى أعدى أعداء الاستقلال ، وقد يكون النظام عوناً على الاستقلال بل مظهراً من مظاهره التى تبدو للعيان .

ومن الواجب أن تكون الجامعة « شخصية مستقلة » بزيها ونظامها ، وأن يكون شعور الطالب نحوها كشعوره نحو الأسرة التى ينتمى إليها ويحافظ على مكانتها ، ويغار على اسمها ويستحى أن يعمل عملا يخل بهذا الاسم أو يجعله دون أمثاله من الأسماء فى مجتمع العلم والثقافة .

ومن آثار الشعور بهذه « الشخصية » أو بهذه الأسرة ذلك التنافس بين الجامعات فيما تشتهر به خصائصها وتصطبغ به من طابع يلازمها ويميزها بين نظائرها . . وفى هذا المجال نسمع الأفانين من ألوان المفاخر والمنافسات ، بين جامعة تفخر بأنها تاريخية وعريقة ، وأخرى تفخر بأنها عصرية وحديثة وثالثة يقال عنها إنها امتازت بنوابغ الفلسفة ، ورابعة أو خامسة أو عاشرة يقال عنها إنها تمتاز بنوابغ الأدب أو نوابغ العلم أو نوابغ الاختراع أو بالروح الرياضية أو بإعداد طلاب للمناصب السياسية ومناصب القيادة الاجتماعية على إجمالها .

* الأخبار ١٣/١٠/١٩٦٠

obeikandi.com

وحبذا الغيرة بين الطلاب والجامعات على هذه المزايا والصفات. ففى ذلك فليتنافس المتنافسون، وسبيل هذا التنافس أن تتم للجامعة شارتها ومعالم وجودها الماثلة للعيان، مع مثولها للفكر والوجدان، فلايضير استقلالها أن تستقل بزيها بل هذا هو مظهر الاستقلال محسوساً لمن يراه.

ويفضل استقلال كل جامعة بزيها تحقيقاً لهذه الغاية، لأن تعميم الزى لجامعات القطر كله لا يحقق معنى «الشخصية» ولا معنى الأسرة العلمية التى تبث فى النفس شعور الانتساب، وشعور التنافس المحمود والغيرة المنشودة بين الجامعات والطلاب.

obeikandl.com

مجانين البطء*

كادت العاصمة تستريح من مجانين السرعة ، لأنهم « عقلوا » أو تحولوا بجنونهم إلى مستشفيات الخلاء وسكك الصحراء.

وكادت تستريح من عابرى السبيل على سنة « خبط العشواء » جهلا منهم بمواقع الوقوف والعبور، لأن أبناء المدينة حفظوا خريطتها « المرورية » بعد دراسة عشرين أو ثلاثين سنة. أما زوارها أبناء الريف فمنهم من تردد عليها قبل ذلك، ومنهم من وصلت إليه تعليمات المرور فى قريته على خريطة واسعة قابلة للتطبيق السريع على خرائط العاصمة.

بقى مجانين البطء الذين هم أقدر على توزيع التعب ذات اليمين وذات اليسار من مجانين السرعة ومن خابطى العشواء، لأنهم يكلفون السيارات أن تطير فى الهواء أو تلعب لعب الحواة، فتمشى وتقف وتتقى ماوراءها وما أمامها وما هو عن يمينها وعن شمالها، قبل أن يكلفوا أنفسهم أن يتمطوا بأيديهم أو بأرجلهم قيد خطوة فى السرير الذى يرقدون عليه قياماً ويسميه الناس طريق المرور!

من أجل هؤلاء « اللطوخ » نقول إن سوّاق العاصمة ينالون جوائز السبق فى المباريات العالمية، لو كانت « للسواقة » ميادين أوليمبية.. ! لأنهم يسلكون الطرق التى أعدت قبل بضعة قرون لنصف مليون ساكن على الأكثر. وللمشاة الآمنين بين حمير السكة ومركبات تجرها الخيل والبغال، فلا تزيد حوادثهم على حوادث المدن التى تفصل شوارعها تفصيلا، أو تبنى فيها الأنفاق تحت الأرض وترفع فيها طبقات العبور فوق سطح الهواء!

إن هؤلاء « اللطوخ » وصمة علينا، لأنهم يجهلون ماتحسنه ذوات الأربع لو

---

* الأخبار ١٥/١٠/١٩٦٠.

سمح لها أن تسير وحدها فى طريقهم، فإنها تحسن أن تسرع الخطا ولو على ضلال.

نعم.. وهم وصمة على آداب هذا المجتمع، لان نصيب المجتمعات من آداب التعاون قد يظهر للقادم الطارئ من حركة المرور عشر دقائق عند مدخل المدينة، إذ يستطيع أن يرى مبلغ التعاون بين أهلها حين يرى مجهود كل منهم لتيسير الذهاب والإياب على الآخرين. فإذا عجز هذا المجهود عن خطوة سريعة فما هو بقادر على عمل من أعمال الأخذ والعطاء وأعمال التعبير والإنشاء.

بدأ شهر المرور..

وبعد شهر، فى أول نوفمبر القادم، نرجوا أن ينظر القادم إلى القاهرة فيعلم أن السواقين بالمدينة قد فقدوا كثيراً من أسباب سمعتهم النادرة، وهو قدرتهم على المرور بين اللطوخ ومجانين البطء والنوم.

ولكنها سمعة يفقدها الواقون ونكسب بدلا منها سمعة للمجتمع والذوق الأدمى ، وعنواناً ناطقاً بلسان الحال أو بلسان المقال إذا شاء حراس المرور!

«لا يوجد فى هذه المدينة مجانين بطء ولا لطوخ... !»

obeikandl.com

هبوط الرياضة عندنا*

يقول الأستاذ «محمد حسن حلمى» سكرتير نادى الزمالك الرياضى إن بعضهم «يتهم الأندية بأنها مقصرة ومسئولة - أولا وأخيراً - عن هبوط مستوى الألعاب الرياضية عندنا... وأنها هى المهد الأول الذى ينتج ويفرخ الأبطال فى جميع اللعبات، وهناك فرق كبير بين الإنتاج والتفريخ، فإن عملية إنتاج الأبطال هى مهمة الأندية، وأما عملية التفريخ فحقيقة الأمر أنها شأن المدارس والجامعات، وشأن الساحات الشعبية، بل شأن المصانع والمعامل وعلى الأندية أن تلتقط من هؤلاء وهؤلاء».

وكلام الأستاذ سكرتير النادى الرياضى كله صحيح يصدق على نوابغ الألعاب الرياضية كما يصدق على النوابغ فى جميع الفنون والصناعات.

ومن أسباب التفاؤل والأمل فى كفاية «التفريخ القومى» لتزويد الأندية بما تحتاج إليه أن الروح الرياضية قديمة فى بلادنا كما نرى من رسوم الهياكل وأخبار الآثار، فإن الأجسام التى تعرضها هياكلنا الأثرية لا يرسمها الفنان فى أمة تجهل أصول الحركة الرياضية وأصول الاعتدال فى تدريب اللاعبين واللاعبات.

ولقد ركدت هذه الروح زمناً طويلا فى عهود الجهالة والجمود، ثم انبعثت قبل سنوات بين أبناء الشعب فى الحواضر والأقاليم، وساعدها على ذلك أن رياضة الفروسية لم تمت قط فى عصر من عصورنا القديمة والحديثة، وأشهرها رياضة السباق والتحطيب بين الراجلين والراكبين، وبين أصحاب الثراء وجمهرة الفقراء.

ويندر اليوم أن يتردد عابر الطريق على رحبة من رحبات المدن والريف دون

---

* الأخبار ١٩٦٠/٩/٢٨.

أن يرى فيها فرق الأطفال تحكى ألعاب الفرق المنتظمة وتجرى على أساليب اللاعبين المشهورين من أبطال كرة القدم أو كرة المضرب أو الكرة الفرعونية القديمة، وربما كان عدد المهتمين بالرياضة من الشبان الذين جاوزوا سن الطفولة أكبر من عدد هؤلاء الأطفال المقلدين، كما يدلنا تزاحمهم على بذل أثمان التذاكر الغالية وحماستهم لهذا الفريق أو لذلك فى المباريات العامة.

ولا تحتاج مهمة التفريخ إلى «خامات» أنفع من هذه الخامات الموفورة عندنا بين أبناء الحواضر والأقاليم.

ولا نعتقد أن مهمة التفريخ هذه قد استوفت حقها من التنظيم والتوزيع الذى يسعف الأندية على الدوام بالمدد الضرورى لمهمة الإنتاج.

ولكن الأندية - مع هذا - تملك الوسائل التى تهيئ أبطالها لأشواط من النجاح أبعد جداً من الأشواط التى وصلوا إليها، فهل تراها قد استنفدت كل وسائلها التى تملكها إلى الآن؟

إن إنتاج الأبطال لا يكفى ولا يغنى كثيراً فى المسابقات العالمية التى يشترك فيها اللاعبون من مختلف المدارس والمناهج والخطط والتوجيهات.

ولا يخفى على رجل من رجال الأندية أن حارس المرمى قد يكون من حراس الدرجة الأولى مع ظهيرين معلومين يعرف حركاتهما ويعرفون طريقته فى اليقظة والاستعداد، ولكن هذا اللاعب بعينه قد يهبط إلى ما دون هذه الدرجة مع ظهيرين آخرين، ولو كانا من اللاعبين المعدودين.

ولابد من التجاوب إذن، بين اللاعبين... ولابد مع التجاوب من التفاهم على تعبئة اللعب كله أو على المدرسة الفنية المشتركة على تفاهم بين اللاعبين فى أساليب المناورة والمداورة والتحفز والروغان، كأنهم يلعبون بقدم واحدة من فاتحة اللعب إلى منتهاه.

كم مدرسة عندنا من هذه المدارس؟ وكم فرقة عندنا لكل مدرسة؟ وكم مشرفاً عندنا على التدريب والتحكيم يقسم اللاعبين على حسب موقفهم من التجاوب بينهم أو على حسب التقابل بين المختلفين منهم؟

هذه - فيما يقول خبراء اللعب - أول مهمة من مهام الأندية، ولعلها ميسرة للأندية عندنا بما تملكه من وسائلها فى الآونة الحاضرة، فإن لم تكن ميسرة على وجه الكفاية فالاهتمام بإظهار النقص فى هذه الناحية مقدم على غيره، ومنتظر من المشرفين والخبراء، وهم لما ينتظر منهم أكفاء.

openkandil.com

العالم منذ ثلاثين ألف سنة*

من الحظ الحسن للناس أجمعين أن تكون نبوءات العلماء عن المستقبل أسوأ مصيراً، أو أسوأ حظًا من نبوءات المنجمين، فلم تصدق نبوءة واحدة عن فناء الناس فى المواقيت التى قدرها المنجمون منذ القرون الوسطى، ولم تصدق نبوءة واحدة عن زيادة الناس إلى ما وراء الحدود: حدود الكرة الأرضية وحدود خزائنها من الطعام المزروع والمولود.

قبل مائة وستين سنة تنبأ العالم الاقتصادى «مالتوس» بالمجاعة المقبلة، على حسابه لزيادة المواليد وزيادة المأكولات، وقال لأبناء زمانه، على يقين، إن الناس يتضاعفون كل خمس وعشرين سنة، ولكنهم لا يضاعفون موارد الطعام الصالح للتغذية قبل انقضاء عدة قرون.

قيل هذا فى سنة (١٧٩٨) ونحن الآن فى سنة ١٩٦٠... ولا حاجة إلى برهان على مصير هذه «التنجيمة» العلمية غير وجود الأحياء بقيد الحياة.

وتنبئنا الصحف اليوم بنبوءة «علمية» جديدة جداً فى حاضرها، ولكنها تنتظر بالناس سبعمائة سنة قبل أن تؤدى لهم الأمتحان الذى تكرم فيه أو تهان.

تروى الصحف عن العالم البيولوجى الأمريكى (جيمس بونز) أنه ينبئ بازدياد السكان على وجه الأرض حتى تضيق بهم بعد سبعمائة سنة فلا تتسع لهم إلا واقفين.

والنبوءة صحيحة على شرط معقول فى حساب هذه النبوءات.

إن الناس سيعيشون على وجه الأرض واقفين بعد سبعمائة سنة إذا عاشوا

---

* الأخبار ١٤/٩/١٩٦٠.

عليها راقدين قبل ذلك ولم يحسبوا حساباً لهذا المصير.

وسيعيشون راقدين ويصبرون على هذا الرقاد فى اليقظة والمنام إذا قضوا مئات السنين وهم عاجزون عن أستخدام الطبقات تحت الأرض كما يستخدمونها الآن فى الهواء.

وسيعيشون على جنب واحد أو على جنبين إذا ضاقت بهم الحيل قبل أن تضيق بهم الأرض فلم ينظروا فى تجهيز المكان قبل أن ينظروا فى توقيع عقد الزواج وتدبير خلوة الزفاف.

وإذا عاشوا كذلك فلماذا يعيشون ؟

فى باطن الأرض - إذن - متسع للأموات منهم إن لم يكن فيها متسع لطبقة فوق طبقة من الأحياء، تغنيهم عن طبقات الهواء.

obeikandl.com

عمر الإنسان*

«من المعلوم أن علماء التاريخ الطبيعى الأقدمين يقدرون العمر الطبيعى للإنسان بنحو مائة وثلاثين سنة، ويبنون هذا التقدير على قاعدة يستخرجونها من ملاحظة أعمار الحيوانات وهى فى العادة تبلغ من العمر ستة أمثال المدة التى تقضيها من ولادتها إلى نضجها وتمام تكوينها. وقد قلم فى اليوميات إن علماء العصر الحاضر لا يقدرون للإنسان عمراً أطول من مائة وخمسين سنة.. فهل يقدرون هذه المدة بناء على قاعدة علمية متفق عليها غير القاعدة المأثورة عن علماء العصور الماضية»

شفيق رياض

المنيا

أما «قاعدة علمية» فالواقع أنها قواعد كثيرة صالحة لبناء التقدير عليها وهم يعولون فيها جميعاً على المعلومات التى أصبحت ميسورة لهم ولم يكن ميسوراً منها للأقدمين غير القليل المشكوك فى مصادره وأسانيده.

وأما القاعدة «المتفق عليها» فلا نعلم أنهم وصلوا إليها لأنهم يدخلون فى حسابهم أموراً كثيرة يصعب الاتفاق عليها مع تفرق الباحثين فيها.

فمنهم من يعنى بتحقيق الروايات التاريخية عن المعمرين، ومنهم من يعنى بالمقارنات بين الأخبار المصححة التى حققها علماء الأجناس البشرية (أثنولوجى) وعلماء الإنسان (انتروبولوجى) وعلماء الحفريات.

ومنهم من يعنى بامتحان العظام والأنسجة فى حالتى التكوين والانحلال. ومنهم من يعتمد على ملاحظات الخبراء بأحوال العمر فى شركات التأمين.

---

* الأخبار ١٩٦٠/٩/٧.

وأسلم تقديراتهم من الخطأ والمبالغة ما كان من قبيل التحقيقات السلبية التى تنفى مبالغات الرواة عمن جاوز المائة من معمرى العصر الحاضر أو العصور التاريخية.

وبعد الكلام فى يوميات هذا الأسبوع عن دستيفسكى ومايكوفسكى تم التشكيلة بالطريقة الروسية التى يختارها أشهر العلماء الطبيعيين والحيويين من الروس المعاصرين وهى طريقة لازاريف Lazarev الذى يبنى تقدير العمر على تقدير المدة الكافية لتكوين حاسة البصر وحاسة السمع ونموهما إلى الغاية من الدقة والقوة، ثم تقدير أطوار الضعف والمدد التى تمر بها إلى الغاية من العجز والتوقف، ويرسم لهذه الأطوار خطوطاً ترتفع وتستقيم وتنحنى وتنحدر على حسب السنوات، وتظهر منها نسبة الدرجة إلى السنة بانتظام مطرد عند المقابلة بين الأحوال المتعددة، مع اختلافها فى الظروف والملابسات.

ومتى عرفت المدة الكافية لحدوث أعراض الشيخوخة، عرفت بالقياس إليها مدة العمر الباقية إذا انتهى العمر قبل تمام العجز والتوقف فى وظيفة الأذن أو العين.

وعلى حسب هذه التقديرات يرى لازاريف أن الإنسان يعيش مائة وخمسين سنة، وقد تزيد إلى مائة وثمانين إذا تمكن العلماء من حصر جميع العوامل ومنع جميع العوائق وعوارض الانحراف والاستثناء.

وكل تقدير يقوم على أكتاف «إذا» فهو دليل يهدف إلى طريقين، وقاعدة يختلف عليها القائل الواحد، فضلا عن القائلين المختلفين.

* * *

والنقلة من نهاية الحياة إلى عالم الأرواح قريبة جداً كالنقلة بين نهاية حدود الدنيا وبداية حدود الآخرة.

ولكن الاتفاق عليها ليس بأهون من الاتفاق على أمد الحياة، بل الاتفاق على أى شأن من شئون الحياة.

فمن الرسائل الكثيرة التى أتلقاها من المحضرين للأرواح والشاكين فى تحضيرها رسالة طريفة فى أسلوبها بتوقيع « المقدس سامى بولس بحلمية الزيتون » يتخللها هذا الحوار بين وسيط ومتحدث من عالم الخفاء يبادله الآراء باسم أحد الأرواح !

الوسيط - ياإلهى. إنى فى حيرة. روح تتكلم من العالم الآخر وتقول إنها ليست من أرواح البشر... روح من هذه تكون؟

الروح - اسمع واعرف.. أنا شيطان.. أنا روح من الجان، أتحدث معك، وهكذا تفعل الشياطين دائماً عندما يقال بتحضير الأرواح .. وتنتحل روح الميت وهو لا يعلم شيئاً.

الوسيط - إذن تحضير الأرواح خرافة .

الروح - ولا شيء غير ذلك.

ويمضى الحوار على هذا النسق إلى ختامه. ويختمه الروح الشرير قائلا : إلى اللقاء فى عالم الأرواح !..

والمشكلة الجديدة - بعد مشكلة التحضير - هى مشكلة هذا الشيطان « الطيب » الذى يفشى سر المهنة، ويتطوع لتحذير بنى آدم وحواء من أكاذيب الشيطان.

ولا يحزن أنصار التحضير بعد ذلك، فإن هذا الشيطان أقدر من الآدميين على تفنيد أباطيل الماديين، وتبديد شكوك المترددين.. لأنه يتكلم على أية حال من وراء المادة ومن عالم الغيب .. وليس وراء ذلك شوط مقصود للمحضرين الواصلين أو التائهين بين مجاهل الطريق.

الفول المدمس*

الفول المدمس مظلوم.. وأول من يظلمه أولئك الوطنيون الذين يحملونه تبعة «الوخم» كله... ولو شاءوا لأنصفوه وشكروه كلما تعددت أمامنا عيوب التغذية الناقصة التى يعوضها هذا الفول المظلوم.

والفول المدمس - مع البصل شريكه فى التهمة - هو المسئول على رأى «متفرج قديم» عن هزائمنا فى ميادين الألعاب الرياضية، لأن السيد «المتفرج القديم» يأبى أن يعجب لهزيمة اللاعب الذى يحشو معدته بالفول والبصل قبل ذهابه إلى الميدان، وهما - على حد القافية التى يحسنها المتفرج القديم - ضرب من «الأسمنت المسلح» لا يصلح سلاحاً للغلبة فى ميدان كرة القدم، اللهم إلا غلبة النوم!

ولسنا نزعم أننا نعرف نظام الوجبات عند أبطالنا الرياضيين، ولكننا نعتقد أنهم يحرصون على التغذية الصالحة فى يوم اللعب على الأقل، إن لم يحرصوا عليها فى جباتهم المنتظَمة خوفاً على السمعة وحكم الصنعة، وهما سيدان يتمتعان بالطاعة ممن لا يطيع أحداً فى عالم الرياضة البدنية على اختلاف الطلاب.

غير أن عشاق المائدة الحافلة من أبطال الألعاب الرياضية، يستطيعون أن يطمئنوا على هوايتهم المحبوبة بعد الإصغاء إلى تجارب الخبراء فى فنون المائدة وفنون الميدان!

فالظاهر من «تحقيقات» هؤلاء الخبراء أن صداقة اللعب لا تستلزم عداوة الطعام، وأن تكاليف الصيام الرياضى ليست من الصعوبة ولا من القسوة، بحيث تتعسر على اللاعب الغيور فى يوم المعركة وفى غيره من أيام «السلام»... أو أيام الإجازة من خط القتال.

---

* الأخبار ١٩٦٠/٨/٣١.

ويقول الخبير العالمى لوفتاس توتنهام Loftus Tottenham فى كتابه الأخير عن فن كرة القدم الحديث: «إنك لهذا السبب أو لذاك قد يتعذر عليك أن تتناول وجبتك الوافية قبل موعد اللعب بالساعات الثلاث المطلوبة، فماذا عساك أن تصنع؟... إن كل إنسان بصير بنفسه فيما أعتقد، وعليه أن يعرف بالخبرة ما يصلح له فى كل حال، وقد يرى بعضهم - وأنا منهم - أن جهازهم الهضمى من القوة بحيث يحتمل تناول الوجبة المطلوبة قبل موعد اللعب بساعة واحدة أو أقل من ساعة، وقد يشق ذلك على آخرين فلا تحتمله معداتهم الحساسة، ولكننى أشعر يقيناً بأن الأفضل من الأمرين أن تتزود بالطعام الذى يعطيك الطاقة ولا تذهب إلى الطرف الآخر فى اجتناب التغذية، ويبدو لى من مراقبة اللاعبين الشبان مرة بعد مرة أن اللاعب الذى لا يستوفى غذاءه يعجز عن الثبات فى المباراة الشاقة إلى النهاية».

أما فى عامة الأيام - غير يوم اللعب - فهذا اللاعب الفخور بمعدته يقول إن الرياضى الصادق لا ينبغى أن يحذر شيئاً على المائدة غير الطعام الموصوف للسمنة وزيادة الوزن وهو معروف، وإنه إذا فاته المقدار اللازم من أغذيته المألوفة واضطرته الدعوة العاجلة إلى اللعب فى يومه على حين غرة، فلا حرج عليه من التهام ست ملاعق جلوكوز فى قدح من الماء أو الشاى قبل اللعب بنصف ساعة، وفيها الكفاية لضمان النشاط إلى نهاية الشوط!

بهذه الوصفة من أبناء الصناعة المختصين يستطيع أبطالنا اللاعبون أن يأكلوا على هواهم وأن يتسلحوا بالفول والبصل وهم على استعداد للغلبة على خصومهم، فليس الذنب للفول والبصل فى معاركنا الرياضية المفقودة، وليس الصيام عن فولنا وبصلنا ضماناً للغلبة على النوم أو الغلبة على الخصوم الأيقاظ. ولكن السر كله فى البراعة المبعثرة على غير هدى، وقد يكون نصف البراعة الملمومة أنفع من عشر براعات مبعثرات على حد قول القائل الذى نستمع إليه والعهدة عليه...

وما على الرسول إلا البلاغ المبين!

طول العمر*

الحق معك..

والخطاب هنا موجه إلى زميلنا الأستاذ «على أمين» حيث قال فى فكرته أمس إنهم يتحدثون عن حياة الإنسان على الأرض ألف سنة، ثم قال كأنه يصرخ ليهرب من أناس يهمون بالقبض عليه: «إننى لا أتمنى أن أعيش ألف سنة.. إن حياة الإنسان ليست بعدد السنين...»

لك حق ياأستاذ على!

ألف سنة.. ؟

ألف سنة فى حياة تجتمع أحسن ساعاتها فى سنة واحدة على أكبر تقدير بعد تلفيقها من ساعة هنا ولحظة هناك، ووهم لم يحصل قط، وأوهام نزعم أنها حصلت ولا نقسم اليمين؟

ألف سنة على الأرض فى حياة يطيقها الروحانى على أمل الفناء بعدها فى الحظيرة السماوية، ويتطلع المادى إلى أمل وراءها فلا ينتهى بها إلى مصير أشرف من مصير الأتربة الذرية؟

لقد كانت أمنية من أمنيات القرن الثامن عشر أو كانت «نظرية» علمية من نظريات الزمن الذى سموه بعصر العلم والنور.

وكان العالم الذى «نظر» تلك النظرية فى سنة ١٧٧٨ - جون هنتر - ظريفاً حين خفف هذه البشارة بتوزيع «الألف السنة» على فترات تنقضى بين الثلاجة وظهر الأرض، فيحفظ الجسد، بعد الخمسين، مائة سنة أو مائتين

* الأخبار ١٩٦٠/٨/٣١.

« مثلجا » مصونا ثم يعاد بالتسخين والتحريك فيتقلب فى الدنيا الجديدة عشر سنين أو عشرين سنة، ثم يتركها باختياره ليعود إلى « الثلاجة » قرناً آخر أو قرنين.

ولكن صاحبنا لم يفلح فى حفظ سمكة واحدة من سمكاته العزيزة التى كان يربيها ويولدها ويتعهدها لتطبيق هذه التجربة عليها.

ومات قبل أن يدخل الثلاجة مرة واحدة، وقبل أن يوصى بدخولها على أمل وثيق أو ضعيف.

وكان الطبيب أو المتطبب الألعبان بارقلس Paracelsus قبله بقرنين يبيع أكسير الخلود بالألوف المؤلفة ثم يعلن عن بضاعته أخيراً شر إعلان بوفاته قبل الخامسة والخمسين.

واليوم لا نعرف عالما موثوقاً به يقدر للإنسان عمراً يزيد على مائة وخمسين سنة!

خير كثير!

ولعل الأستاذ على أمين يوافقنا على أنه خير كثير قابل للتبرع منه بعشرات السنين لو كان إلى التبرع بسنوات الحياة سبيل.

قلم جديد*

لا.. بل ذاكرة جديدة

« الذين يستمدون التاريخ من الذاكرة يخطئون عمداً أو سهواً ويتذكرون لغيرهم أحياناً مالا يتذكرونه لأنفسهم، وما أكثر المحاباة من الذاكرة إذا هى احتفظت مع ذكرى الوقائع بذكريات الخصومة وسوء الفهم والتردد بين الحاضر والماضى بقلبين ولسانين وتاريخين ».

تاريخنا الحديث بحاجة إلى إعادة كتابة وتحرير.

ولعله بحاجة أشد من ذلك إلى إعادة تذكر وفهم..

لأن الذين يستمدونه من الذاكرة يخطئون عمداً أو سهواً، ويتذكرون لغيرهم أحياناً مالا يتذكرونه لأنفسهم، وما أكثر المحاباة من الذاكرة إذا هى احتفظت مع ذكرى الوقائع بذكريات الخصومة وسوء الفهم والتردد بين الحاضر والماضى بقلبين ولسانين وتاريخين. !

ومنذ أواسط القرن الحاضر تنشر الصحف والكتب أخبار العشرات من الحوادث القريبة فى حقبة تعيها ذاكرة الأحياء، فكل ما حققناه من أمر هذه الحوادث المروية أنها بين اثنتين : إما حادثة مختلفة مختلقة، وإما حادثة صحيحة محققة، ولكنها تنفصل عن ظروفها وملابساتها عند الكتابة عنها، فلا تفهم على جليتها، ولا تسهل التفرقة بين الصادق منها وبين المكذوب، أو بين ما يصدر عن نية حسنة وما يصدر عن نية مدخولة لا سبيل إلى التعويل عليها مع الشك فيها.

ومصدر العزاء فى هذه المحنة أن ظواهر الاختلاف والاختلاق فى معظم هذه

* الأخبار ١٩٦٣/٨/٢٨.

الروايات مكشوفة للعين الفاحصة التى تعودت أن تلمح مواضع الشبهات من طيات السطور، فما من أكذوبة مدخولة النية تخفى على طالب المعرفة الواقعة إذا خطر له أن يلتفت إليها.

ويصدق ما تقدم كله على أهم الأخبار كما يصدق على أهم الرواة، ونعنى بأهم الرواة أو أولئك الذين اشتركوا فى الحوادث بأنفسهم وشاهدوا المحدثين لها بأعينهم، واشتهرت لهم مكانة يحق للقارئ أن يختصها بشىء من الثقة لا يختص به سواها.

وإن الأمثلة على ذلك لقريبة لا تبتعد بنا وراء بضعة أشهر أو بضعة أسابيع، ومنها مسألة من المسائل (الأساسية) فى ثورة ١٩١٩ هى مسألة تكوين الوفد المصرى والأساس الذى قامت عليه، وليس الراوى لها غير واحد من الخمسة الأوائل الذين هم نواة الوفد المصرى فى مبدأ تكوينه، وهم سعد زغلول وعلى شعراوى ومحمد محمود ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى، الذى سئل فيما بعد عن سبب اختيار سعد زغلول للرئاسة فقال: إنها على ما يرجح مسألة السن!.. وسئل عن أسباب اختصاص سعد وشعراوى وعبد العزيز فهمى بالانتداب لمقابلة المعتمد البريطانى فى يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ فقال: إنها قد تكون من مسائل المصادفة.. وإلا فإن لطفى السيد قد كان أقدر على البيان والإقناع من كثيرين..!

وإن هذا ليصدر من عبد العزيز فهمى لما بقى فى نفسه من التغير الشديد على سعد زغلول بعد انشقاق الوفد على نفسه، مع أن مقارنة السن لا تخفى عليه، واقتصار المندوبين لمقابلة السير ريجنالد ونجت على ثلاثة من الخمسة الأوائل لم يكن من فعل المصادفة ولم يكن مجهول السبب عند أناس لم يشتركوا فى الوفد كله ولا فى اللجنة التى اختيرت منه لمقابلة ونجت فى دار الحماية.

فالوفد كان حريصاً على تحقيق الصبغة الرسمية فى وكالته عن الأمة على نحو لا تستطيع الحكومة البريطانية أن تنكره أو تغالط فيه، وكان سعد زغلول هو

وكيل الجمعية التشريعية بالانتخاب لا بالتعيين، ولم يكن لطفى السيد ولا محمد محمود من أعضاء تلك الجمعية، فتقرر الاكتفاء بزميليهما العضوين فيها .. ولوحظ إلى جانب ذلك أن أحدهما من الوجه البحرى والآخر من الوجه القبلى، وأن أحدهما يمثل المثقفين والآخر يمثل الأعيان.

ولقد حدث ما حدث من وصف هذه الحادثة (الأساسية) فى تاريخ ثورة سنة ١٩١٩ مع وضوح الحقيقة فيها وسهولة الاستدلال عليها لمن شاء، وسهولة الاستدلال على بطلان الاختلاف فيها بعد أيسر نظرة.. فكيف بالأخبار المطوية بين ألفاف الأوراق. أو طوايا النيات.

وكل ما ينشر اليوم حول مذكرات سعد زغلول فمن شأنه أن يؤكد هذه الحقيقة عن حاجتنا فى كتابة التاريخ المعاصر إلى أقلام جديدة وذاكرة جديدة .. فإن مذكرات سعد تعلو على الشبهات فى كل ما ينقل عنها بحروفه ونصوصه، ولكنها لا تفهم على جليتها ما لم يكن نشرها مصحوباً بنشر الكثير من الحقائق التى اقترنت بها ودارت حولها، وربما كان الموعد بجلاء هذا كله طبعة معادة من كتابنا عن سعد زغلول أو جزء ثان يتمم هذا الكتاب.

ولا يقل واجبنا الخاص فى هذه المهمة عن واجبنا العام الذى تفرضه علينا حقوق التاريخ وحقوق الأمانة الوطنية، فإن معظم الحوادث التى عرض لها حضرات المؤرخين المعاصرين قد تناولت أعمالا لنا فى ميدان الصحافة، وميدان الحياة السياسية، يعجب المتعجب إذا بقيت فى نفسه بقية من القدرة على العجب، كلما اطلع على صفحة من صفحات هؤلاء المؤرخين (الثقات).. وليس أسهل ولا أقرب من ملامسة الأخطاء فيها بعد نظرة عاجلة لا تحتاج إلى طويل أناة.

* * *

فى الإسكندرية لفت نظرى بعض الأصدقاء إلى نقائض لا تحصى فى كتاب

صدر عن أدب المقالة الصحفية فى مصر خاصًا بالأستاذ عبد القادر حمزة فى جريدتى الأهالى والبلاغ، ومتمماً أجزاء أخرى يؤلفها كما جاء على الغلاف (دكتور عبد اللطيف حمزة أستاذ الصحافة بجامعة القاهرة).

فالمؤلف - كما يرى القارئ - عالم يؤدى وظيفة علمية لتصحيح الحقائق فى أذهان شبابنا المتعلمين، وليس هو بمخبر صحيفة مستعجل فى طريقه بين الشارع والمطبعة لإدراك القراء بحادثة من الحوادث المثيرة يلهوجها على ألسنة الجناة أو المتهمين، ولا تحصى أخطاء الأستاذ (المحقق) فيما نعلمه نحن علم اليقين ويستطيع القراء أن يعلموه بيقين مثله بعد قليل من المراجعة فى كل مصدر ميسور، حتى من مصادر التاريخ الحديث! ولكننا نجتزئ بمسألة واحدة من مسائل شتى لم تسلم إحداها من الغمز المستور أو التجريح الصريح.

يقول الأستاذ معلم الصحافة فى الصفحة (ال ٣٨٩)إننا كنا مع الأستاذ عبد القادر حمزة نؤيد القصر الملكى ثم يعقب على ذلك قائلا:

«كيف نسى هذان الكاتبان كل ذلك ما لم يكن الفساد الذى تغلغل يومئذ فى الحياة المصرية، وسرى داؤه الفتاك فى جسم الأحزاب السياسية، والصحافة الوطنية، هو الذى حملها على سلوك هذا المسلك المتناقض كل التناقض مع ما لها من ماض صحفى مجيد...».

ونعود فنقول بالإيجاز إن موضع العزاء فيما يكتبه أمثال الأستاذ المؤرخ «الثبت»، أن أخطاءه أظهر من أن تحتاج فى إظهارها إلى إسهاب أو استقصاء بعيد.

فالواجب على المؤرخ فى دروس يلقيها على طلابه، أن يعرف أول واجبات الباحث المحقق، إذا أراد أن ينتقد كاتباً صحفيًّا لتأييده جانباً من جوانب الخلاف فى قضية عامة، وهو أن يفصل جوانب الخلاف، ويحيط بموضوعه الذى يحمد وموضوعه الذى يعاب.

وفى وسعنا نحن أن نذكر هنا موضوع الخلاف كما يعلمه الأحياء ممن شهدوه، ولكننا نعفى أنفسنا من مظنة التحيز لناحيتنا، ونحيل الأستاذ الجامعى إلى صفحات كتاب حديث ألفه مؤرخ معاصر من أعضاء الحزب الوطنى الذى ينتمى إليه أستاذ الصحافة فى الجامعة، كما أنبأنا الذين نبهونا إلى كتابه، وذلك هو القانونى المشهور الأستاذ عبد الرحمن الرافعى صاحب كتاب «أعقاب الثورة المصرية»، وفى الصفحة الثالثة والخمسين منه يقول بعد شرح مفاسد الوزارة:

«بدأت المظاهرات والتجمعات ضد وزارة الوفد تتدفق فى المحيط الجامعى وكليات الأزهر فى أواخر أكتوبر سنة ١٩٣٧... وقد رأى مدير الجامعة حينئذ - أحمد لطفى السيد باشا - تفادياً من تفاقم الاضطراب فى محيط الجامعة تعطيل الدراسة فى كلياتها أسبوعاً.. وفى يوم الثلاثاء ٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٧ قامت مظاهرة كبيرة أمام قصر عابدين قوامها جموع زاخرة من طلبة الجامعة وطلبة الأزهر المعارضين للوزارة، وأخذوا يهتفون بحياة الملك هتافات مدوية، وأطل عليهم جلالة الملك من شرفة القصر محيياً لهم.. ووافقت لحظة قدوم المظاهرة المعارضة، مجىء مكرم عبيد وزير المالية ووزير الخارجية بالنيابة إلى السراى، لحضور حفلة تقديم وزيرى اليونان والمجر أوراق اعتمادهما، فهتف المتظاهرون ضد مكرم باشا عند دخوله السراى، وحطموا زجاج سيارته، وقد نسبت الوزارة تدبير هذه المظاهرة إلى اتفاق بين السراى والمعارضين.. وفى هذه الظروف والملابسات تفاقم الخلاف بين السراى والوزارة واتخذ شكل أزمة دستورية تناولت عدة أمور..».

هذا هو الموضوع:

موضوع خلاف بين الوزارة التى تشعر بتأييد السلطة الفعلية البريطانية لها بعد توقيع المعاهدة، وبين المعارضين لسلطانها الذى جاوز حدود الدستور، وليس الملك هنا إلا الصورة الرسمية التى تملك إقالة الوزارة بغير اللجوء إلى ثورة

دامية، أو إلى مذبحة بين الطرفين من المتظاهرين.

فلم يكن كاتب هذه السطور نصيراً لخطة القصر فى سياسة الفساد والرجعية التى تتسم بها خطط القصور، ولكنه كان يكتب لقرائه فى إبان أزمة تقف فيها الوزارة المؤيدة بالسلطة الفعلية إلى جانب، ويقف فيها الألوف من المعارضين إلى جانب آخر، وليس فى أيدى هؤلاء المعارضين أن يسقطوا الوزارة بغير حرب أهلية، فماذا يكتب الكاتب الذى يتلق دروس الصحافة من أستاذها الجامعى؟ وما هو الجانب الدستورى الذى يختاره ذلك الكاتب ويرى صاحبنا أنه جدير بماضيه المجيد؟ بل ماذا كان هو صانعاً لو وجب عليه أن يكون محرراً لصحيفة تطلع على قرائها كل يوم ولم يكن معلماً لمن سيكتبون بعد حين؟.

إن التاريخ حسن الحظ فى يدى هذا المؤرخ الذى يجنى عليه ولا يقدر على إتقان الجناية.. فما من أحد يفوته أن يعلم واجب البحث على الباحث المحقق فى هذا المقام، إذ لا يجوز لناقد أن يعيب على كاتب موقفاً من المواقف دون أن يعنى بتوضيح هذا الموقف المعيب وتوضيح الموقف الحسن الذى يقابله، فإن لم يفعل بلا تأويل لعمله غير العجز عن البحث السديد أو سوء النية، وكلاهما موجب للشك فى نقده إن لم يكن موجباً للإعراض عنه، وإن تعرض للرسوب فى الامتحان!

ما أكثر «البقية تأتى»*
فى تاريخنا الحديث

«توهم الكثيرون من أبناء الجيل الحاضر على الخصوص أن حركة (١٩١٩) جاءت مصادفة بغير تدبير مرسوم من زعمائها البارزين، وأولاهم بالذكر فى صدد هذه الأوهام، أو الشائعات، سعد زغلول، خرج المنشقون على الوفد وهم يريدون أن يثبتوا للملأ أنهم هم الأصلاء فى تأليف الوفد وأن سعداً قد سيق إلى هذه الحركة بعد مجاهدة وإلحاح..»

* * *

لا يزال الخطأ كثيراً فى تعليقات المعلقين على حوادث الثورة القومية التى نشبت عندنا بعد الحرب العالمية الأولى.

ولكن الذى نشر منها - على قلته - كان كافياً لكشف الأساس الذى قام عليه بناء الحركة من مطلعها، ولعله كان كافياً أيضاً لجلاء الحقيقة أمام الذين يخلصون فى طلب البيان الصحيح، للتمييز بين النقد النزيه، والنقد المغرض،فى التعليق على أخبار تلك الثورة، وأعمال زعمائها والمشتركين فى تدبيرها وتنفيذ خططها.. فإن بقى هناك سر من أسرار الثورة قد يمهد العذر للباحث النزيه إذا انساق على الرغم منه إلى الخطأ فى تقدير الحوادث والرجال - فذلك - السر هو ابتداء الثورة بجهازين سريين اثنين لا بجهاز سرى واحد، وانفصال كلا الجهازين فى تأليفه وفى وجهته إلى ما بعد نشوب الثورة بنحو سنتين ، وهذا ما نرى لزاماً علينا بعد التعليقات الأخيرة أن نبينه بهذا المقال.

---

* الأخبار ١٩٦٣/١٠/١٦

أما الكشف عن أساس البناء الذى قامت عليه الحركة فقد أصبح - بعد الحوادث التى تحققت - واضحاً كل الوضوح، لا عذر فيه لمن يجهله أو يتجاهله، من المغرضين فى تدوين تاريخنا الحديث، ولا يزالون غير قليلين.

فقد توهم الكثيرون من أبناء الجيل الحاضر على الخصوص أن الحركة جاءت مصادفة بغير تدبير مرسوم من زعمائها البارزين، وأولاهم بالذكر فى صدد هذه الأوهام أو الإشاعات سعد زغلول.

خرج المنشقون على الوفد وهم يريدون أن يثبتوا للملأ أنهم هم الأصلاء فى تأليف الوفد، وأن سعداً قد سيق إلى هذه الحركة بعد مجاهدة وإلحاح، وكادوا يزعمون أنهم هم الذين أكرهوه بالضغط المتواصل عليه، إلى أن يقبل العمل فى هذه الميدان.

ومن قرأ تصريحات الأعضاء المنشقين لم تسلم أذهانهم من «التشويش والتردد» فى هذه الناحية، لأنهم لم يحسبوا حساباً للورطة الضرورية التى يندفع إليها كل من يدفع الشبهات عن موقفه فى إبان ثورة جائحة، ولو كان من أمثال عبد العزيز فهمى وحمد الباسل وإسماعيل صدقى، وغيرهم من المنشقين.

ولا حاجة إلى غير الحوادث نفسها لإسقاط هذه الأوهام من كل تقدير محترم نزيه.. فقد وضح من هذه الحوادث كما وقعت أن سعداً كان هو الأساس الأول الذى قام عليه الوفد ولوحظ من البداءة إلى النهاية فى اختيار أعضائه، وأنه كان يعمل بالوفد وبغير الوفد فى توجيه الثورة إلى وجهتها من حيث الرأى ومن حيث العمل والتنفيذ، إذ كان الوفد بهيئته الكاملة لا يعرف شيئاً عن الجهاز السرى ولا يشترك فى تدبيراته ولا يحيط علماً برسائله ومصطلحات الرموز بين أعضائه، وكان رئيس الجهاز السرى من أصحاب الصلة القديمة بالحزب الذى عرف فى تاريخ الحركة الوطنية باسم «حزب المفتى» أو حزب الأستاذ الإمام، ومنه سعد زغلول ومحمد ماهر: أخو

عبد الرحمن فهمى وأبو أحمد ماهر أكبر العاملين فى الحركة السرية.

وكلما بحثنا عن علاقة سابقة جمعت بين أعضاء الوفد الأول لم نجد هنالك علاقة أخرى غير مجاورتهم لسعد زغلول فى السكن وتزاورهم فى المنازل أيام الحرب العالمية يوم كانت الرقابة بالغة فى الشدة على المقابلات السياسية العامة.

فإلى جوار بيت سعد كان يسكن، حمد الباسل ، وعلى شعراوى، ومحمد محمود، وإسماعيل صدقى، كما كان يسكن عبد الرحمن فهمى وأهم أعوانه فى الجهاز الذى تألف على غير علم من الوفد، وعلى غير معرفة بين رئيسه وبين أكثر الأعضاء الوفديين.

وقد خفى على معظم قراء الصحف وجه الاتصال بين أحمد ماهر وعبد الرحمن فهمى، واشتراكهما معاً فى تنفيذ خطة واحدة بزعامة سعد زغلول، لأنهم لا يعلمون أن عبد الرحمن فهمى، (بك) ومحمد ماهر (باشا) أخوان، وأن عبد الرحمن فهمى، هو عم الدكتور أحمد ماهر، وأن محمد ماهر باشا كان من أقرب الأصدقاء الأقدمين إلى حزب الأستاذ الإمام، وكان سعد يدعو الأستاذ الإمام فى رسائله إليه بعد الثورة العرابية «بأستاذى الكريم وأستاذى العزيز».

وقد كان محمد ماهر باشا هو واسطة الاتصال بين الخديو عباس الثانى وبين الشيخ محمد عبده، يوم كان هذا يضع برنامجه لإصلاح الأزهر والأوقاف، والمحاكم الشرعية : وهى الدواوين الخاضعة لنفوذ الخديو دون نفوذ المحتلين.

قال أحمد شفيق باشا فى مذكراته :

«ترجع حركة الإصلاح الحديثة فى الأزهر إلى أواخر سنة ١٨٩٤ وذلك أن الشيخ محمد عبده - لما رأى من عباس جرأته وجهاده للأخذ بناصية الحكم والحد من تدخل الإنجليز - مال إليه وتقرب منه بواسطة محمد ماهر باشا،

فاستقبله عباس بترحاب وعطف، ومال أليه أيضاً لما آنسه فيه من صدق الوطنية وأصالة الرأى، وتقابلا مراراً بصفة غير رسمية فى عابدين والقبة والمنتزه، وتحدثا فيما يمكن عمله من خدمة الوطن وتحقيق أمانيه، فاقترح الشيخ عليه أن هناك ثلاث نواح لا تزال بعيدة عن تدخل الإنجليز ولا يعارضون الخديو فى العمل لإصلاحها لأنها دينية محضة : وهى الأزهر والأوقاف والمحاكم الشرعية وأشار على سموه أن يبدأ بإصلاح الأزهر، واتفقا على أن يقدم الشيخ إلى سموه مذكرة بمايراه من وجوه الإصلاح.. ».

وكان من آثار هذا البرنامج - فى حينها - أن عبد الرحمن فهمى عين وكيلا لوزارة الأوقاف، وأنه خرج منه لنفس السبب الذى أغضب الخديو من الأستاذ الإمام وهو معارضته فى صفقات الاستبدال بين أملاك الخديو وعمارات الأوقاف لمصلحة الخاصة الخديوية.

فالعلاقة بسعد زغلول، وبحزب سعد زغلول القديم، كانت هى المحور الأول لاختيار العاملين فى الوفد وفى غير الوفد، جهراً وسرًّا لتحقيق مقاصد الثورة.

والجهاز السرى الذى كان يعمل لإلغاء الحماية، كان هو هذا الجهاز الذى تولاه عبد الرحمن فهمى، ثم أحمد ماهر ابن أخيه.

وكان فى البلد جهاز آخر يعمل لهذه الغاية على خطة أخرى وهى إعادة الخديو عباس الثانى إلى عرش مصر، لأنه الحاكم الشرعى الذى خلعه الإنجليز.

ولا يخفى أن خلع عباس الثانى قد أغضب الأمة برمتها من أعوانه وغير أعوانه، لأنه عمل معتسف اقترن بإعلان الحماية على البلاد، وكان عدواناً من الدولة المحتلة على حقوقها وسيادة عرشها، ولكننا خليقون عند تحقيق التاريخ أن نعلم سبب الخلع ومبلغه من الدلالة على غيرة عباس الوطنية، فإن الإنجليز لم يخلعوه لأنه وال على البلاد، ولم يلبثوا أن أقاموا فى مكانه والياً آخر من سلالة محمد على وأن يثبتوا وراثة العرش فى هذه السلالة وإنما خلعه الإنجليز، بل

شرعوا فى خلعه قبل الحرب العالمية بشهور، لأنه مد فى الصحراء الغربية سكة حديد مريوط، وفاوض إحدى الشركات الأوربية لشرائها وإدارتها على حسابه وحسابها، وكانت للخديو ميول معروفة إلى دول الوسط، لأنه تربى فى النمسا وورث العلاقة بين جده إسماعيل وبيت سفوا فى البلاد الإيطالية، فلم يستريحوا إلى بقائه على عرش مصر وهو يعمل لتسليم مواصلات الصحراء الغربية إلى دول تهم بالإغارة على حدودها.

ولم يكن مجرد المصادفة أن رئيس الجهاز السرى لإعادة عباس إلى عرشه كان من أعيان إقليم البحيرة وكان على اتصال بأبناء البادية المجاورة لها، وهو عبد اللطيف الصوفانى بك زعيم الشعبة الموالية للخديو من أعضاء الحزب الوطنى.. وكانت هنالك شعبة أخرى تبغضه يقال إنها هى التى دبرت حادث الاعتداء عليه فى الآستانة.

بل كانت الأغانى البدوية لنشر الدعاية، خدمة لقضية عباس، شائعة على حدود الصحراء الغربية بين السلوم وتونس، ومنها الأغنية التى يقولون فيها:

قولوا لعين الشمس ما تحماشى   أحسن غزال البر صابح ماشى

تونس بعيدة والعرب عطشانة.

وقد تخللتها يومئذ هذه الأبيات:

يا أمة الإسلام ليش حزينة   إن كان على عباس بكره يجينا

ويدق طبل الفرح فى أراضينا

وقد بقى هذا الجهاز منعزلا عن الجهاز الآخر برئاسة عبد الرحمن فهمى، ثم انضم بعض أعضائه من التابعين للحزب الوطنى وغيره إلى الجهاز الآخر... ونسى هؤلاء ما بين الجهازين من الفارق البعيد فى الوجهة وتنظيم الثورة، فكتبوا منشورهم الذى هاجموا به السلطان أحمد فؤاد، ليقولوا فيه إن

صاحب الحق الشرعى على عرش مصر هو الخديو عباس، وكان هذا من أسباب سخط سعد على عبد الرحمن فهمى، وكتابته إليه مستنكراً هذه الخطة فى محاربة سلطان الحماية، ومذكراً لمن كتبوا المنشور بأن يعملوا دائماً على أن حق السلطان الشرعى هو حق الأمة، لا حق أحمد فؤاد ولا حق عباس.

* * *

ولا شك أن بعض الخطأ فى فهم العوامل التى أدت إلى فشل الجهاز السرى يرجع إلى اللبس فى الأذهان بين عمل الجهازين السريين. فإن معظم الأعضاء الذين تحولوا إلى خدمة السراى فى عهد أحمد فؤاد قد كانوا من الأعضاء الخديويين بعد أن نفض الخديو يديه من حق الإمارة على أثر مفاوضات الصلح بينه وبين عمه أحمد فؤاد ، وقد بقى منهم أناس يخدمون سياسة القصر إلى ما بعد وفاة أحمد فؤاد وولاية فاروق، ومنهم من حرص القصر على ترشيحه للمجالس النيابية عدة مرات.

كذلك يرجع بعض الخطأ فى تحديد علاقات العاملين مع سعد، إلى اللبس بين الجهازين وبين الأجهزة الأخرى التى كانت تنظم مشروعات الإصلاح الوطنى فى غير ميدان السياسة، وكأن محورها أيضاً (شخص سعد زغلول) الذى كان شديد العناية بحركة التعاون بين الفلاحين، ينفذ برنامجه فى هذا الميدان اثنان من أصهار أسرته هما الأستاذ محمد أمين يوسف والأستاذ إبراهيم رشاد.

ولولا هذا اللبس لما جاز أن يخطر لأحد أن (أحمد ماهر) كان بحاجة إلى وساطة من أحد عند سعد لترشيحه للمناصب الحكومية التى تولاها... وبين الذين سبق إليهم الوهم فى هذه المسألة أستاذ مؤرخ هو الدكتور محمد أنيس، الذى قال منذ يومين فى إحدى الصحف اليومية : «ليسمح لنا الأستاذ مصطفى أمين أن نرشده إلى المسئول عن دخول ماهر والنقراشى الوزارة، وليسمح لنا أن نقول إن أمين بك يوسف والد مصطفى أمين، هو وحده المسئول عن ذلك .

وقد روى أمين يوسف هذه القصة.. فى كتابه مصر المستقلة».

وليس أضعف من الظن الذى يربط بين ترشيح ماهر للوزارة وبين ماكتبه الأستاذ أمين يوسف فى كتابه، مصر المستقلة، فإن التعيين من أساسه لم تكن له علاقة بمقترحات الأستاذ أمين يوسف لتعديل الوزارة، ولم يكن أساسه أولا - تعديلا وزاريًا على الإطلاق، بل كان المقصود، بادئ الأمر ، تعيين الدكتور أحمد ماهر عميداً لكلية التجارة، فحال دون ذلك احتجاج أساتذة الكلية بمانع السن، ومانع آخر من نظام (الكادر) وترتيب ترقية العمداء فى الجامعات، فعهد إليه سعد بوزارة المعارف ليدخل فى نطاق وظيفته تجديد مواد التعليم الاقتصادى بكلية التجارة، مع غيرها من الكليات.

وجاء ترشيح ماهر لكلية التجارة جزءاً من خطة عامة يراد بها إسناد أعمال الدواوين لعنصر الشباب من الوفديين، وقد لحق فى ذلك بزمرة صالحة من أمثال واصف غالى، وبهى الدين بركات، ومكرم عبيد وفؤاد كمال، وآخرين، وآخرين.

ولم يكن تعيين أحد من أعضاء الجهاز السرى صارفاً له عن عمله فى الوفد وفى غيره من الأجهزة السرية أو العلنية، لأن النقراشى بعد تعيينه لوكالة المحافظة ووكالة الداخلية، لم ينقطع إشرافه على لجان الوفد ولا على إدارة النادى وتنظيم أعمال أعضائه من الشبان.

ولا ندرى كيف يسهل على مؤرخ أن يسوم ذهنه تصديق لقول بأن الأستاذ أمين يوسف يصدر عن سياسة إنجليزية فى ترشيحه ماهراً والنقراشى يوم أن كان الإنجليز يطالبون برأسيهما ويحيطون بالشبهة والعداوة كل من ينتمى إليهما.. ولا ندرى كذلك كيف يكون الأستاذ أمين يوسف محامياً عن المتهمين فى قضية الاغتيالات ومنفذاً للسياسة الإنجليزية التى تقيم تلك القضية...!

أما أن الإنجليز كانوا يهتمون بالأستاذ أمين يوسف، فذلك لا يمنع أن

تكون رحلاته إلى بلادهم رحلات خصومة لسياستهم المصرية وسياستهم مع الوفد على الخصوص، وإنما كانوا يهتمون به اهتمامهم بسفير شعبي يحتاجون إليه كلما احتاجوا إلى حل أزمة بينهم وبين البلد من طريق غير طريق الوزارات التى كانت بمعزل عن البلد فى مطالبه وأمانيه، وكان الأستاذ أمين يوسف ركناً من أكبر أركان التعاون الصناعى والزراعى وهو المشروع الذى كان الإنجليز - يتقربون إلى الشعب بإظهار الغيرة عليه، وكانوا يسمونه أحياناً فى عهد اللورد كرومر باسم (مصالح الجلابيب الزرقاء) وأحياناً فى عهد لورد كتشنر باسم مشروع الأفدنة الخمسة، وأحياناً كثيرة بعد ذلك بشتى الأسماء التى كانت خلاصتها كلها أنهم يحمون لابس الجلباب الأزرق من لابس الطربوش، وقد أشار الأستاذ محمد أنيس إلى كتاب مصر المستقلة ولم يكن من الحسن أن يبتدئ بصفحة (١٢١) منه ويتخطى الصفحة الرابعة والعشرين بالأرقام اللاتينية، وفيها خطاب النواب الإنجليز الذين أثبتوا كلمات المؤلف حين قال لهم: «إننى أكون سعيداً جدّاً لو استخدمتم كل ما فى وسعكم من نفوذ لتحقيق الإنصاف والعدالة لعضوى الوفد النقراشى والدكتور ماهر..».

ونعود للمرة العاشرة أو العشرين، فنقول: ما أكثر البقية تأتى فى تاريخنا الحديث...

ولكننا نزيد على ذلك - بعد ما عرف من حوادث الجهازين السريين - أن البقية الباقية كادت أن تنجلى من البوادر الظاهرة، وكادت وسائل التصحيح أن تغلب على وسائل اللبس والتمويه.

obeikandi.com

العقائد البهيمية أخطر من الحرب*

« ... معروف عن أستاذنا العقاد أنه متفائل. فما رأى سيادته فى احتمال وقوع حرب عالمية ثالثة؟.. ».

عبد الرزاق فهمى المهداوى

إسكندرية

والحق أننى أحسب نفسى من المتفائلين كما يحسبنى الطالب الإسكندرى إذا انقسم الناس إلى مؤمنين بمستقبل النوع الإنسانى وغير مؤمنين.

ولكننى لاأعتقد أن التفاؤل بهذا المستقبل ينقطع بانقطاع الأمل فى السلام، وإن كانت الموانع التى تقضى باجتناب الحرب العالمية أقوى مما كانت « فى زمن من الأزمان » كما يقولون فى لغة الساسة الدوليين.. !

ولو كانت الحروب تمتنع على قدر الخوف منها وقلة الرغبة فيها لامتنع وقوع الحرب العالمية الثالثة بغير جدال.

فليس فى المعسكرات الدولية من يرغب فى هذه الحرب غير فريقين من جانب اليمين ومن جانب الشمال، ونعنى بهما الفريق الذى يرى من أقصى اليمين أن التعجيل بالحرب أسلم من الانتظار بها إلى أن يتم الاستعداد لها فى المعسكر الآخر. ويقابله من أقصى اليسار ذلك الفريق الذى ينكر إمكان التعايش السلمى فى العلاقات الدولية ويرى أن الانقلاب العنيف أصلح تمهيد لانتشار الدعوات التى يؤمن بصلاحها ويعتقد أنها آتية لا ريب فيها.

غير أن الفريقين أضعف نفوذاً فى معسكريهما من أن يقتحما بالعالم كله غمار الحرب على الرغم منه.

---

* الأخبار ١٩٦٢/٤/١١.

ثم نعود فنقول إن الحروب العالمية فى بعض ظواهرها أحداث كونية كأحداث البراكين والصواعق التى تنفجر على غير إرادة، وعلى غير انتظار، فى أكثر الأحايين.

وقد كان مقتل الأرشيدوف النمسوى (سنة ١٩١٤) حادثاً من هذه الحوادث التى لم تقع فى حسبان أحد قبل حدوثها بأيام، ولم يكن أحد من الطرفين المتقاتلين على استعداد للحرب فى تلك السنة، كما ظهر فى حالة روسيا والنمسا وإنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة بعد ابتداء القتل ببضعة أسابيع... ولكن الفتيلة اشتعلت على حين فجأة، فاشتعل البركان تحت أقدام الواقفين عليه، ومثل هذا الحادث قد يفاجئ العالم والعياذ بالله فى المستقبل البعيد أو القريب فيدفع به إلى جحيم لم يعهد لها نظير فيما تقدم من تاريخ الإنسانية، ويئول بها بعد ذلك إلى خراب يقصر عنه مدى التفاؤل، وإن بلغ إلى أقصى مداه.

على أننى أحسب أن التفاؤل بمصير الإنسان الروحى أولى من التفاؤل بمصير الحرب المشكوك فيه، وشر من هذا المصير أن ينحدر النوع الإنسانى إلى حضيض العقائد البهيمية التى تلغى كل قيمة وصل إليها فى تاريخه الطويل غير قيمة الكروش والقروش.

ولهذا استبعد وقوع الحرب العالمية، لأن هذه البهيمية أحد نتائجها المحتملة فإذا وقعت الحرب العالمية - وقاكم الله - فالبعيد فى اعتقادى أن يكون هذا الاحتمال هو الوحيد الذى تنتهى إليه، وهو تغليب عقيدة الكروش والقروش.

سكان الكواكب:

قرأت فى الأخبار اليوم - نقلا عن عالم أمريكى - «أن هناك احتمالا بأن المريخ به مخلوقات ذكية وصلت إلى تحطيم الذرة والقيام بعمليات كبيرة لاستصلاح أراضى المريخ».

وجاء فى الخبر الذى نقلت عنه هذه الرواية «أن العالم المذكور يحذر القائمين بإدارة أبحاث الفضاء الأمريكية من محاولة إنزال الإنسان الآلى على سطح المريخ قبل أن يتأكدوا من هذه الحقائق مخافة من غضب سكانه».

ونسبة هذا الخبر إلى عالم معروف أو مجهول لاتفيدنا شيئاً مجهولا من أمر الكوكب المخيف - إله الحروب عند الأقدمين - ما لم يكن الخبر مشفوعاً بكشف جديد غير الكشوف التى استقرت عليها بحوث الفلكيين خلال السنوات الخمس الأخيرة. وليس فيها ما يرجح وجود الحياة على ظهر المريخ إلا على أبعد احتمال، وفى صورة من المادة العضوية لا ترتقى إلى درجة فوق درجة الفطريات والجراثيم الميكروبية.

فقد أبطلت الكشوف الأخيرة أوهام القائلين بمشاهدة الجداول الهندسية على سطح المريخ واستدلالهم بها على وجود المخلوقات العاقلة التى تشتغل بالزراعة وتحسين تنظيم الجداول والأقنية على القواعد الهندسية.

وكل ماثبت من حقيقة هذه الخطوط التى تشبه رسوم الجداول أنها أخاديد فى المساحة الجافة من الكوكب تتسرب إلى المساحة الصحراوية على سطحه، وهى أوسع المساحتين ومنها تنعكس الأشعة الحمراء التى تصبغ الكوكب بلون كلون الدم، وتجعله فى رأى الأقدمين (إله الحرب) بين كواكب السماء التى يوصف كل منها بوصف إله يناسبه: كالزُّهَرَة ربة الجمال، وعطارد رب الفنون، وزحل رب النحوس والمغامرات.

وظهر من رصد الكواكب أن الجدب يستولى عليه فى كلتا المساحتين، وأن الماء فيه قليل جداً، وأقل منه عنصر الأكسيجين الطليق.

فالمساحة الكبرى منه رمال قاحلة إلى ناحية قطب الشمال، والمساحة الباقية إلى الجنوب أغوار جافة كانت فيما مضى بحاراً لا تحتوى كثيراً من الماء.

ولايستحيل نشوء الحياة على المريخ فى زمن مضى، ثم تطورها مع طوارئه

obeikandi.com

الجوية بما يناسب وضعه الجديد، وكذلك لا يستحيل نمو النبات فى جو كجو المريخ كما ينمو بعض النبات فى الأقاليم القطبية، فإن بحوث العلماء الروسيين والأمريكيين فى جوانب القطب الشمالى تدل على إمكان تحويل النبات مع هبوط الحرارة إلى حالة غير حالته التى توافق الزرع فى الأقاليم الحارة، ولكنهم لم يصلوا بهذه التجارب إلى حالة تلائم الكائنات العضوية فوق درجة الأعشاب والجراثيم.

ولا يبعد - مع هذا كله - أن تكون للحياة العليا صورة مناسبة لكل جو من أجواء الكواكب السماوية، وأن يكون سكان تلك الكواكب من المخلوقات العاقلة فى مرتبة كمرتبة الإنسان أو فوق هذه المرتبة فى العقل والبصيرة.

ولكن السؤال الذى لابد أن يسبق إلى الخاطر فى هذه الحال هو: لماذا لم تبحث هذه المخلوقات عنا كما نبحث نحن عنها بوسائلنا العلمية منذ قرن أو يزيد ؟

جواب واحد يمكن أن يجاب به عن هذا السؤال، وهو أنها كفت عن البحث عنا ومحاولة الوصول إلينا لأنها عرفتنا وعرفت غنيمة البعد عنا..

وليست بالسمعة الحسنة لنا بين سكان الكواكب، أن يكون سكان الكوكب الذى سماه أجدادنا الأولون بإله الحرب أحب منا للدعة والموادعة وأحرص منا على السكينة والسلام.

obeikandi.com

أوهام العلماء*

من أنباء «القوقاز» أن الجليد تساقط على إقليم «بنزا» بلون الورد وعللت شركة الأنباء التى نقلت الخبر تلك الظاهرة الطبيعية فقالت إنها حدثت على أثر «عاصفة رملية من الصحارى الأفريقية هبت فى الحادى والعشرين من هذا الشهر فاختلط لون الجليد بألوان الرمال الصحراوية».

هذه ظاهرة طبيعية لو حدثت قبل ألف سنة لفهم الناس، أو حاول الكهان أن الكهان أن يفهموهم، أن غضب الله يمطرهم من فوقهم دماً لينذرهم بالحرب والبلاء ويتوعدهم بالجزاء الذى يلتقى فيه غضب الأرض بغضب السماء.

وتصحيح أوهام الجهلاء حسنة من حسنات العلم فى هذا الزمن، ولكن الأحسن منه هو تصحيح أوهام العلماء «الفطاحل» ممن تعودوا فى الأزمنة الحديثة أن ينكروا كل حادثة يرويها التاريخ فى سياق الحديث عن خوارق العادات، فإن التاريخ القديم حافل بمئات من الحوادث جهل الناس يومئذ ظواهرها الطبيعية، فسلكوها فى عداد الخوارق والأعاجيب، ثم جاء علماء العصر الحديث فكانوا أعرق فى جهلهم من أولئك الجهلاء الغافلين، وأنكروا الحوادث كلها كأنها غير قابلة للحدوث على وجه من الوجوه، بل أنكروا أن يكون لها أثر فى حركات التاريخ وأطوار الأمم، وهى أبلغ أثراً من أكبر الحوادث المقررة فى أوانها، لأن العبرة بما اعتقده الناس من أسبابها وربما رتبوه من أعمالهم لاجتناب تلك الأسباب، واتقاء غضب الله واكتساب رضاه.

وقد روى عن بعض الفلاسفة الإسلاميين - كذباً على ما نظن - أنه شك فى وجود قوم «عاد»، وفى الريح الصرصر العاتية التى هبت على ديارهم فأهلكتهم وتركتهم عبره لمن بعدهم، ثم جاءت الكشوف الحديثة فأثبتت أن بعض

---

* الاخبار ١٩٦٢/٣/٢١

المدن التى تناولتها أخبار «عاد» قد هدمتها الزلازل والأعاصير ثلاث مرات، وقام بعضها على أنقاض بعض فى حقبة بعد حقبة من تاريخها الطويل، فهى فى عالم الوقائع تاريخ أصدق من مذاهب الفلسفة التى دان بها علماؤها المتشككون، واعتقاد الناس فى أسبابها التاريخية حقيقة أثبت من حقائق العلم ونظرياته التى طال فيها الخلاف، وقد يطول بعد اليوم سنوات وسنوات، لأن هذا الاعتقاد قد ترتبت عليه عبر التاريخ الواقع فى ضمائر الناس، وهو العامل الأكبر فى توجيه العقول إلى التفكير كما فكرت، والعمل كما عملت، ولم تزل نتائجه تتسلسل فى أفكارنا وأعمالنا إلى هذه الأيام.

إذا صحح العلم أوهام الجهلاء، فالمطلوب قبل ذلك من السادة العلماء أن يصححوا أوهامهم وهم يحاولون أن يفهموا التاريخ، كأنهم قد صححوا ظواهره الطبيعية لأهله، وقد كان أهله (طبيعيين) فى شعورهم وعملهم، بل كانوا أصح منهم فى الانقياد.

رابعة العدوية:

يقول السيد (سعد صادق محمد) من جماعة أنصار السنة المحمدية رداً على ما جاء فى اليوميات عن السيدة رابعة العدوية:

«قلتم إنه لا يحق لأنصار السنة أن ينكروا على عابد أو عابدة زيادة الصلاة على الصلوات الخمس...

وردنا على هذا أننا نعترض على رابعة لأنها كانت تقوم الليل بعد أداء الصلوات المكتوبة، كما كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم، بل اعترضنا على أنها كانت تصلى ألف ركعة فى الليلة دون أن تعطى جسدها حقه كما يقول الرسول فى الحديث: إن لجسدك عليك حقًا...

وقلتم إنه لا حرج على مسلم متدين أن يطيع الله حباً لطاعته ولا ينتظر الثواب ثمناً لطاعته، وردنا على ذلك أن القرآن الكريم يقول لنا فى سورة آل عمران: «فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو

أثني... » ويقول مثل ذلك فى كثير من الآيات... إلخ إلخ.

ونحن نجتزئ بهذه الأسطر من خطاب السيد السنى لأنها تدل على باقية.

ولا نحتاج - ولا يحتاج غيرنا - إلى علم كثير بالسنة المحمدية لنعلم أن هذه السنة السمحة تأبى على المسلم أن يتعجل إلى اتهام الناس أخذاً بالظن والإشاعة، وأن يحرم على صاحب الدين أن يطيع اللّه حباً للّه لا طمعاً فى الأجر وخوفاً من العقاب.

ولقد كان فى وسع السيد السنى أن يسأل نفسه قبل أن يتعجل باتهام السيدة رابعة وإدانتها: هل يصح عقلا قول الرواة الذين زعموا أنها كانت تصلى فى الليلة الواحدة ألف ركعة؟

إن الركعة إذا استغرقت دقيقة واحدة وجب أن تقضى «رابعة» فى صلاتها سبع عشرة ساعة على الأقل، غير فترات الراحة والانتقال بين الركعات.

فإذا فرضنا أنها فعلت ذلك بضع ليال متواليات فلابد أنها قد أحست بعد ذلك بالإعياء فعرفت لبدنها حقه، ولم تتابع الصلاة ألف ركعة كل ليلة، على هذا المنوال مدى الحياة.

فإذا قدرنا أنها لم تمسك عن موالاة الصلاة، فليس بالمعقول أن تتأتى لها القدرة على احتمال هذه المشقة طول حياتها، بغير معونة من اللّه كرامة لها وتقبلا منه لعبادتها.

فهل فى وسع السيد السنى أن يفترض هذا الفرض ثم يعترض على عمل لا سبيل إليه بغير معونة من اللّه، وكرامة من كراماته - جل وعلا - للأولياء؟

لقد كان على السيد السنى أن يرجع نفسه قبل أن يتعجل باتهام إنسان ما قد ثبت أنه على حال من ثلاث حالات لا معدى عنها:

فإما أنه لم يرهق نفسه بالصلاة ألف ركعة كل ليلة، لأن الشك فى الخبر هو المعقول.

obeikandi.com

وإما أنه أرهق نفسه، ثم عرف لبدنه حقه فأمسك عن هذه المشقة.

وإما أنه قد أعين عليها بكرامة من كرامات الله لعباده الصالحين.

فأى حالة من هذه الحالات يجوز للسيد السنى أن يعترض عليها؟

وإذا سمح السيد السنى لنفسه بالتعجل إلى أمثال هذا الاعتراض، فالأمر الذى تأباه عليه سنة النبى وسنة العقل الذى أمرنا القرآن الكريم بالاحتكام إليه، أن يجعل طاعة الله حباً لله عيباً يؤاخذ عليه أحد من عباد الله.

فالمحب لرضوان الله لا ينكر الثواب والعقاب فى الدنيا ولا فى الآخرة، ونحن فى كل مكان نرى سنن الثواب والعقاب، ولكننا لا نعيب الإنسان الذى يقول إنه يجتنب السرقة لأنه يعافها، لا لأنه يخاف السجن، وأنه يبذل المال صدقة وإحساناً لأنه يستريح إلى العطف على المسكين، ولا ينتظر الربح والفائدة على رأس ماله. فكيف نعيب من يحب الله أكثر من حب المواطن الصالح للقانون؟ أو من يقول إنه يعظم الله لعظمته وينتهى عن عصيانه ترفعاً بأخلاقه ومروءته عن تلك المعاصى، لا لأن الله يستحق التعظيم بثمن وأن المعاصى لا تعاف ولا تجتنب مالم يكن عليها عقاب؟

إن صلاح النفوس درجات يا أخانا السنى الغيور على السنة، وأرفع من درجة الصالح الذى يطلب الثمن لصلاحه، ويحذر الشر خوفاً من عقابه، أولئك الصالحون الذين استقامت ضمائرهم على حب الصلاح، لأنه جميل حسن وعلى كراهة الشر لأنه قبيح مرذول.

وكلمة فى أذنك، بينى وبينك، ياسيد ياسنى ياغيور على السنة.

سنة «محمد» صلوات الله عليه، سنة يسر وسماحة وعفو ومعافاة، وليست سنة عسر وعنت واستعلاء على الناس بالإدانة والاتهام، لكلمة تقال أو إشاعة تذاع.

معنى الشعب*

« قرأت فى جريدة مصر مايأتى : (إنه سبق أن دعا إلى تعريب القداس حتى يفهمه الشعب القبطى) وتكررت هذه العبارة فى مواضع كثيرة من الصحيفة... وأود من سيادتكم أن تشرحوا هذه العبارة فى يومياتكم. وهل يصح على هذا القياس أن يطلق المسلمون على أنفسهم اسم الشعب الإسلامى ؟ »

سعيد مصطفى صيام

مدرس بمدرسة العقاد بالمطرية

وردت كلمة الشعب فى كتابى العهد القديم والعهد الجديد بمعنى الجمهور الذى يحضر الصلاة أو يستمع للوعاظ ورجال الدين، فلايراد بها على هذا المعنى أنها تمييز لجنس من الأجناس أو قوم من الأقوام، وإنما يراد بها أن تطلق على غير الكهنة والرؤساء الدينيين.

وفى كتاب أشعيا من العهد القديم يقال فى الإصحاح الرابع والعشرين : إنه « كما يكون الشعب هكذا الكاهن.. ».

وفى الإصحاح الأول من إنجيل لوقا أن الشعب « كانوا منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه فى الهيكل ».

وفى الإصحاح الثالث والعشرين منه : « إن بيلاطس دعا رؤساء الكهنة والعظماء والشعب ».

وفى أعمال الرسل أنهما « بينما هما يخاطبان الشعب أقبل عليهما الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون ».

---

* الأخبار ١٩٦٢/١٠/١

فشعب الهيكل أو المعبد بهذا المعنى هو جمهور المصلين فيه غير رئيسه الدينى أو الواعظ الذى يلقى قداس الصلاة، ومن قال إن العناية اتجهت إلى إلقاء القداس باللغة العربية ليفهمه الشعب فإنما يعنى بالشعب هنا جمهور المصلين وتسرى هذه التسمية إجمالا على الشعب بالنسبة للكنيسة فى عمومها. إذ كان لكل معبد دينى رؤساء وجمهور، وليس فى إطلاق العبارة بمعناها هذا تمييز بين قوم وقوم من وجهة التقسيمات المعروفة فى علم السلالات البشرية، ولكنه تمييز بين رؤساء الكنيسة وشعبها، قد ينصرف أحياناً إلى الكلام عن راعى كل كنيسة وشعبها فى بلدان القطر الكثيرة، فيقال كثيراً إن لهذا الراعى شعباً أكثر من ذلك وإن الشعب الذى حضر قداس هذا العام أكبر من الشعب الذى حضره فى الأعوام الماضية. ولم تجر العادة بتسمية المصلين المسلمين بشعب هذا المسجد أو ذاك، لأن - المساجد الإسلامية ليست لها هيئات خاصة تستقل براسمها وينتسب المصلون فيها إلى الهيئة بجملتها أو إلى عضو من أعضائها، وإنما تطلق (الجماعة) هنا بدلا من الشعب فى صلوات المساجد الجامعة.

أما كلمة الشعب فى تقسيمات علم السلالات البشرية فلامحل هنا لإطلاقها على أبناء دين من الأديان التى يدين بها أناس متحدون فى أصول السلالة كما تألفت من قديم الزمن قبل المسيحية وقبل الإسلام.

خواطر صحفية :

« ... نقرأ عن تسميتين للرجال : رجل الساعة، ورجل الدقيقة، فالأول هو المحنك أو الملهم أو حلال المشكلات، والثانى يخصون به رجل الحوادث أو هو الفدائى على أكبر الاحتمالات... وفى اجتماع «شلتنا» رحنا نتنازع اختصاصات الرجلين حتى استقر الرأى على ما أوضحت لما رأيكم فى حقيقة ما ذهب إليه جمعنا وأقره بعض صحبنا.. »

جورجى شنوده عوض

مدير التغذية بجامعة القاهرة

هذه كلمات مصطلحات حديثة يملك كل كاتب أن يتصرف فيها كما يختار لمقصده من الساعة أو الدقيقة.. وقد كنا نقول قديماً عن البطل المختار لعمل من الأعمال الجسام: هذا يومك، وهذا أوانك.

يـأيها الـرجل المرخـى عمامتـه هذا أوانك فـاستأذن لنـا عمـرا

وليس حديثنا اليوم عن رجل الساعة إلا تصرفاً عصريًّا فى حديث أجـدادنا عن رجل الأوان أو رجل اليوم أو رجل الزمان، وأوحد الزمان.

ومن التفنن المقبول أن يتحول رجل الساعة إلى رجل «الـدقيقة» أو رجـل اللحظة، لمن يقوم بالعمل الذى يتم فى دقيقة أو لحظة، ولا يراد به التفرقة بين عمل دقيقة وعمل ستين دقيقة (مضبوطة) بعدد مـا فى الســاعة الـزمنية مــن الدقائق، لأن مهمة رجل الساعة قد تستغرق السنين الـطوال، ولـكنها لعبــة لفظية حسنة للتفرقة بينها وبين حركة المفاجأة الـتى يتـولاها الفـدائيون وتبتــدئ وتنتهى فى لمحة عين، وقد يأتى غداً من يستكثر الدقيقة على عمل يـتم فى جـزء من مائة جزء أو ألف جزء من الثـانية، كأعمال الإشـعاع أو التحـام الـكهارب والنويات، فلا ندرى على أى حصة من الزمن يستقر بـه اللقـب بـين الثـوانى والتواسيع والعواشير.

obeikandi.com

لاجديد تحت الشمس*

قرأت فى سفر الجامعة فى العهد القديم لسيدنا سليمان الجملتين الآتيتين :

«ماكان فهو ما يكون، والذى صنع فليس تحت الشمس جديد إن وجد شيء يقال عنه : انظر. . . هذا جديد، فهو جديد، فهو منذ زمان كان فى الدهور التى كانت قبلنا».

«ومن المسلم أن هذا الكلام صحيح لا ريب فيه لأنه صدر عن حكمة عظيمة. فماذا نعلل الآن وجود الصواريخ وسفر الإنسان إلى الفضاء وغير ذلك من مخترعات العصر الحديث؟

سمير راغب تادرس

التجارة الثانوية م- إسكندرية

صدق سليمان الحكيم حين قال : (إنه لا جديد تحت الشمس).

ونحن نصدق اليوم إذا أعدنا مقاله فى العصر الحديث بمعناه الذى أراده فى زمنه، ولا يعقل أنه أراد معنى سواه.

فالنبى سليمان - صلوات الله عليه - كان يعلم أن الدنيا يجد فيها كل يوم بل كل ساعة، إنسان يولد ولم يكن فيها ذلك، وكان يعلم أن الزهرة التى تنبت هذا الربيع شيء جديد لم يره أحد من أجدادنا الذين شهدوا مواسم الربيع موسماً بعد موسم، وعلموا أنها جديدة تحت الشمس بأعيانها وذواتها التى نراها ولم يراها من قبلنا أبناء القرون الأولى.

ومما لا ريب فيه أن النبى الحكيم لم يقصد إلى الجديد بهذا المعنى، لأن

---

* الأخبار ١٩٦٢/١/٣١

الخطأ فى هذا القول ظاهر للحكماء، وغير الحكماء، ولا حاجة بالإنسان إلى حكمة كحكمة سليمان أو دون هذه الحكمة بشوط بعيد، ليعلم أن إنكار الجديد بهذا المعنى خطأ لا تخلف فيه عينان.

فلابد - إذن - من فهم الجديد بمعناه الذى عناه ولا يمكن أن يعنى شيئاً سواه وهو الجديد فى حقيقته النفسية وفى موقعه من شعور الإنسان، ولا يلزم أن يكون جديداً بصورته التى يقع عليها العيان.

وعلى هذا لا جديد فى الصواريخ ولا فى الصعود إلى الفضاء، لأن الناس تحدثوا قديماً عن سهم (النمروذ) الذى أرسله إلى الفضاء فعاد إليه مخضباً بالدماء، وتحدثوا عن صعود الجن إلى مدار الفلك، وعن صعود الأرواح إلى السماوات، ولم يشكوا فى حقيقة هذه الأحاديث، بل كان يقينهم بها أعظم من يقيننا اليوم بالسفر إلى القمر أو ما وراء القمر من أفلاك المنظومة الشمسية، وأفلاك المجرة المنظورة، والمجرات التى لا ترى بالعين ولا تلمح بالمناظير.

وقد تحدث الناس ببساط الريح من قبل سليمان ومن بعده، وتحدثوا عن عرش بلقيس الذى انتقل من اليمن إلى فلسطين قبل ارتداد الطرف، ولم يزل فى البلاد الإفريقية من ينتسب إلى الذرية التى خلفت من زفاف بلقيس إلى سليمان.

وكل هذه الأحاديث حقائق نفسية نذكرها بآثارها فى النفوس الإنسانية فلانرى من جديد فى الصواريخ ولا فى سفن الفضاء، ولم يتحقق شعور الأقدمين به كما يتحقق شعورنا نحن الآن بمخترعات القرن العشرين... بل نحن متأخرون عن الأقدمين إذا قارنا بين الإمكان فى نظر المخترعين اليوم والإمكان فى أنظار المعاصرين لسليمان الحكيم ومن سبقوهم فى الزمان بأجيال قبل أجيال، فإنك لو سألت المخترع العصرى عن إمكان الصعود إلى المجرة تردد قبل الجواب، ولكن هذا الإمكان لم يكن فيه موضع للتردد عند أجدادنا الأولين إذا

سألهم السائل عن صعود الجن إلى الكواكب أو صعود الإنسان بروحه إلى عرش السماء.

ولا جديد تحت الشمس على هذا المعنى فى حقيقته النفسية، حتى الشمس ونحن ندور حولها، تارة فوقها وتارة تحتها، وهى تحتنا فى جهات الإرصاد الفلكية، فلم تبطل الصواريخ حرفا مما قاله سليمان بمعناه الذى عناه، بل يزاد عليه اليوم: ولافوق الشمس من جديد. وهل كان فى وسعنا أن نسمع من إنسان فى العصور الأولى أن السماوات قد ظلت طوال الأبد مغلقة فى وجوه الصاعدين والهابطين قبل اختراع الصواريخ وأشباه الصواريخ؟

عسل النحل*

« . . . قرأت مقالا للدكتور إسماعيل مظهر يلاحظ على رسالة فى النحل ألفها بعضهم ولم يذكر اسمه ويقول إنه طالع كتاب عجائب المخلوقات للقزوينى، وتذكرة داود، ومفردات ابن البيطار، فعاب عليهم جميعاً واعتبر أن ما ذكروه مخالف للعلم وكذلك شك فى الحديث الذى اشتمل على هذه الجملة : صدق اللّه وكذب بطن ابن أخيك. . . على أن ما ذكره الدكتور محمد صدقى فى كتابه سفن الكائنات هو غير ما ذكروه فى الكتب القديمة، فالطب الحديث يؤيد ما سطرته هذه الكتب، وفيه شفاء للناس كما جاء فى القرآن الكريم. . . وصفوة القول أننا نريد أن نعرف رأيكم فإنكم لا يغيب عنكم ما قاله أرسطو عن أفلاطون، وأن أفلاطون صديق ولكن الحق أصدق منه، وبين أيديكم المقال تراجعونه وتبدون رأيكم فيه. . . ».

سيد على الطوبجى

اسيوط

بعد إذن صاحب الفضيلة الشيخ سيد على الطوبجى نستخير الله ونتوسل إلى صديقنا أبى السباع الأستاذ مظهر أن يرحم ولى الله « العلم » من الأخذ بخناقه فى عادات الناس وتجاربهم من أقدم العصور، أو نتوسل إلى الصديق على الأقل أن يرحم (العلم) المسكين من تلك المحرجات التى تجعل له وظيفة فى هذا العصر كوظيفة الدين القديم عند كهانة الأقدمين : كل قربان مرفوض ما لم تباركه كهانة المحراب.

قرأت مقال الأستاذ مظهر قبل أن يصل إلىّ خطاب الشيخ الطوبجى فقلت فى عقلى : ياأستاذ مظهر يرحمك الله. . . ماذا من مخالفة العلم فى قول القائل

---

* الأخبار ١٩٦١/١١/٢٩

obeikandl.com

إن غذاء العسل مصحة للأبدان؟ ولماذا يمنع العلم أن يكون فيه صلاح الجسد أو دواء؟

إن كرامات (القوطة) رضى الله عنها قد كادت أن تبلغ حد المعجزات ولايستطيع العلماء أن يعرفوا لها ينبوعا للفيتامينات أغزر وأغنى وألذ وأمتع من ينابيع الأزهار والثمار التى يستمد النحل رحيقه منها. بل لا يستطيع العلماء أن يعرفوا لها تاريخاً للتجربة الطويلة يضارع واحداً فى الألف من تاريخ التجارب العسلية بين الأمم كافة من عصورها الأولى، قبل العلم بواحدة من السكريات أو الحلويات وقبل مولد العلم العزيز.

وإن عجائب البرتقال طيب الله ثراه لتنافس عجائب القوطة رضى الله عنها بإذن الطبيب وقبل الإذن بها فى مذابح القربان العلمى المقدس، كما يريده صديقنا أبو السباع.

وأيسر ما فى الأمر أن وصفة العسل تجربة عالمية قديمة كتجارب العقاقير التى يصفها الأطباء اليوم.

ولكنه اليوم أكثر من تجربة شعبية متواترة فى الأمم القديمة والحديثة، لأن الأطباء يصنعونه كما يصنعون الأدوية والعقاقير التى امتحنت بالتحاليل فى معامل الكيمياء، وبين يدى مادة العسل فى الطبعة الأخيرة من دائرة المعارف البريطانية تقول: إنه كان معروفاً بخصائصه الطبية منذ القدم، وإنه - لخصائصه الحافظة - كان يستخدم فى التحنيط عند قدماء المصريين، وإنه تركيبة صالحة للأدوية الطبية، وإنه يوصف مع اللبن لغذاء الأطفال ومعالجتهم من أدواء الكساح، وفقر الدم، والأسقربوط، وسوء التغذية، والتهاب الأمعاء، وإن المصارعين وغيرهم ممن يمارسون الأعمال البدنية المجهدة يستفيدون منه ويستعيدون به نشاطهم المفقود، وإن فوائده الكثيرة تأتى من سهولة تحوله فى مجرى الدم وفى الكبد، وصلاح المادة السكرية التى يحتويها لأعمال الهضم والتمثيل فى البنية، وإنه

مصدر من مصادر النشاط أو الطاقة الحيوية، ولهذه المزايا فيه يعتمد عليه بعض الأطباء فى علاج داء السكر، كما يعتمدون عليه مع بعض الأمزجة لتلطيف أعراض الحميات.

وقد خصص الدكتور جارفز Jarviz فى كتابه عن الطب الشعبى فصلا وافياً لتحليل عسل النحل من الوجهة الطبية والكيمية، وبيان الأسباب التى تجعله واقيًا بعض الجراثيم ومبيداً لها فى فترات من الوقت قسمها ورتبها على حسب الأمراض والميكروبات.

نفرض - بعد هذا - أن أحداً من «العلماء» لم يذكر خاصة علمية واحدة لعسل النحل كما عرفها الأقدمون والمحدثون، فهل يظن صديقنا أبو السباع أن الناس لايحق لهم أن يعرفوا ما يغذيهم وينفعهم بغير بركة القربان العلمى المقدس رضوان اللّه عليه؟ وهل يحرم على أعشاب الأرض وأزهار الشجر أن تعلم الناس فوائدها، وتعرف خلق الله بطعومها بغير «تطويبه» من يد كاهن المعمل وحارس السر الأمين على الذبائح والقرابين فى القرن العشرين؟

إن العالم الطبيب لا يخصه تذكير الناس بنعم الخالق التى أودعت فى عالم الحيوان والنبات، فلماذا على الرجل الدينى إذا أشار إلى هذه النعم مستشهداً بتجارب الأولين والآخرين، وغير مستشهد بتذكرة التحليل من المعمل والصيدلية، ومن أين لتذكرة التحليل أن تنكر مزايا التجربة بغير تجربة مثلها فى الأنبيق وفى الورق وفى جسم الإنسان؟

فالرحمة الرحمة بولى اللّه «العلم» يا أبا السباع!

وكن عالماً وأنت عالم لاشك فى علمه ولا فى غيرته العلمية.

ولكن بالله عليك لا تكن عالماً بعذبة وراء الرأس أطول من عذبات السبكيين والفيضيين والحيانيين أجمعين.

معلهش من واردات الغرب*

«إن ما عليه شيء» هى «معلهش» إذا نطق بها عربى فصيح، ولكننا لا نذكر فيما قرأناه ووعيناه أن هذه العبارة كانت من العبارات المتداولة على ألسنة الفصحاء بالمعنى الذى تداولنا به كلمة «معلهش» فى الأيام الأخيرة..».

كان جان كوكتو يحب الشرق، ولكنه لم يحببه قط لأحسن ما فيه... كان يحب شرق «معلهش» ويحييه على طريقته حين ألف كتابه بهذا الاسم وحرص على تسميته بالكلمة العربية وهو يظن أنها فريدة فى معناها بين لغات العصر، فلا توجد فى هذا المعنى كلمة تماثلها باللغات الأوربية.

ولكن الحق «أولى به أصحابه» كما يقول الذين تجرى على ألسنتهم كلمة معلهش من الناطقين بالعربية.

وإذا عاد الحق إلى أصحابه - بعد وفاة صاحب الكتاب - فالحق أن «معلهش» إحدى واردات الغرب الحديث وليست من العبارات التى تنتمى إلى أصل عريق فى لغة الضاد.

فهى مفهومة باللهجة الدارجة التى شاعت بعد اتصالنا الوثيق بالأمم الأوربية، ولكنها ليست مفهومة على تركيب واحد من تراكيبها بلغتنا الفصحى.

فمن الذى قال يوماً فى حديث أو كتابة مروية عن الأقدمين:

«ما عليه شىء...»

إن «ما عليه شىء» هى «معلهش» إذا نطق بها عربى فصيح، ولكننا لا نذكر فيما قرأناه ووعيناه أن هذه العبارة كانت من العبارات المتداولة على ألسنة الفصحاء بالمعنى الذى تداولنا به كلمة «معلهش» فى الأيام الأخيرة.

---

* الأخبار ١٩٦٣/١٠/٢٣

ويجوز أن قائلا قال فى معرض التهوين والتناسى أو المسامحة:

... لا عليك، وهو يعنى: هون عليك... ولا تشغل بالك بهذا... ولا تطل أسفك عليه... إلخ إلخ.

ويجوز أن يقال أيضاً فى معرض كهذا من معارض الحديث: لا بأس عليك، أو لا عليك من بأس، ثم تنتهى الكلمة فى معرضها ولا يبلغ من تداولها أن تصبح مضغة فى الأفواه تعاد فى موضعها وفى غير موضعها كما تعاد كلمة معلهش على كل لسان.

أما هذه «المعلهش» التى أصبحت فلسفة حياة، وعنواناً لقلة المبالاة وقلة المؤاخذة، وقلة التفرقة بين مواضع الملام ومواضع الرضا والاستخفاف...

هذه «المعلهش» مرادفة لقول القائل فى معرض التشهير أو اللوم على قلة المبالاة: «عامل الافرنكا»...

وقريب منها بعد ذلك «عامل مودرن..» وعامل «سبورت» حين أصبحت الكلمة بلفظتها الأوربية تغنى عن أختها «معلهش» فى الجيل القديم.

وبينما نتعب فى البحث عن أصل فصيح لهذه «المعلهش» لا نحتاج إلى بحث طويل عن مرادفاتها فى أشهر اللغات الأوربية بتركيبها الفصيح أوتركيبها الدارج على الألسنة.

فليس أعرق لفظا من عبارة «سان فيه ريان» باللغة الفرنسية Ça ne fait rien وليس أعرق فى اللغة الإنجليزية من قولهم: «نفر مايند» Never mind أو من قولهم «نو ماتر» No matter.

وكل هذه العبارات أوسع رحاباً فى معارض التسهيل والتهوين من «معلهش» كوكتو وغير كوكتو بين نعاة هذه السهولة على الشرقيين.

وعلى خلاف المظنون نعتقد أن الشرقيين مصابون بداء على نقيض هذا

الداء المأخوذ عليهم فى أقاويل الغربيين : داء التسهيل والتهوين أمام الأقاويل وأحاديث الملام والتبكيت.

وقديماً وحديثاً يتخيل السامع فى مقام «معلهش» الحديثة من يصيح بمخاطبه : «ياعيب الشؤم!.. ماذا يقول علينا الناس».

وقبل المتنبى وبعده كان لسان حال العربى قول هذا الشاعر المغامر الجسور :

والعار مضاض وليس بخائف من حتفه من خاف مما قيلا

فإن لم يكن بد «لمعلهش ياسيد كوكتو» يغفر لك الله!

معلهشك مردودة إليك وإلى مكانها بجوار «سيه نيه فيه ريان»... ولا أسف على مكانها الخالى فى لغة «النار ولا العار».

* * *

مما رواه الأستاذ أنيس منصور عن كاتب هذه السطور رأى نميل إليه فى تعليل من تعليلات كثيرة لفلسفة التشاؤم بأنواعه ، وفحوى هذا التعليل أن أناساً من المتشائمين يسخطون على الحياة لأنهم أصحاب «مثل عليا» يئسوا منها ولم يستطيعوا تحقيقها، ولا الإيمان بإمكان تحقيقها بعد التجربة.

ويقول الأستاذ «مغاورى همام مرسى المتخصص للدراسات النفسية والاجتماعية إنه لا يرى ارتباطاً سيكولوجيًّا واضحاً بين كون الفرد متشائماً وما يكون لديه من مثل عليا وقيم أخلاقية».

ثم يقول فى ختام رسالته : «هذا ما أراه. وقد يكون الأمر على خلاف ذلك، فأرجو الإيضاح».

ونعود إلى هذا الموضوع الذى خصه الأستاذ أنيس منصور لنقول إن الأمر على خلاف ذلك فيما نراه، ولكن بعد الاحتياط الشديد من تعميم القول على

obeikandi.com

جميع مذاهب التشاؤم، إذ ليس الإيمان بالمثل العليا أساساً لكل تشاؤم بالفكر أو بالمزاج، بل كثيراً ما يكون المرء متشائماً لأنه ضعيف الثقة ضعيف الأمل ضعيف القدرة عليه وعلى العمل فى آن.

ولكن العلاقة بين الأمل الكبير وبين التشاؤم عند بعض الناس واضحة جد الوضوح فى حياتنا الاجتماعية.

ومن أمثالنا الشائعة أن «العتب على قد العشم».

وتفسير ذلك أننا نغضب ممن نرجوه، ولا نغضب ممن لا رجاء فيه، ونسخط على من نظن فيه الخير، ولكننا لا نسخط على من نسئ به الظن و«نرمى حجره»، فلا نبالى ما يصنع من إساءة وإحسان.

وأذكر أننى قلت للسيد أنيس منصور إن الإنسان قد يسخط على محسن أعطاه خمسين جنيهاً ويرضى كل الرضا عن آخر لم يأخذ منه غير خمسة جنيهات، ولا موجب لهذا الاختلاف فى الشعور غير الاختلاف فى الأمل، فإنه إذا أخذ الخمسين وهو ينتظر الألف سخط واتهم من أعطاه بالبخس والانتقاص، ولكنه لا يتهم بهذه التهمة أحداً أعطاه خمسة جنيهات وهو لم ينتظر منه غير جنيه واحد، أو لم ينتظر منه عطاءً على الإطلاق.

وهكذا يكون الانقباض من الحياة فى بعض الأحيان دليلا على انتظار الكثير، ثم اليأس من الكثير والقليل.

* * *

جاء فى يوميات الأسبوع الماضى أن الزعيم الخالد سعد زغلول أخذ على بعض المنشورات التى أذاعها الجهاز السرى بالقاهرة، أن كاتب المنشور أنكر ولاية السلطان أحمد فؤاد، لأن صاحب الحق فى العرش هو الخديو عباس الثانى المعزول، وكانت تعليمات سعد تقضى بأن يكون العمل كله قائماً على

اعتبار مسألة العرش حقًا للأمة دون غيرها، وليست حقًا لعباس ولا لفؤاد.

وفى رسالة مطولة بتوقيع (طالب تاريخ بجامعة إسكندرية) يقول الطالب الأديب إنه هو وطائفة من زملائه سمعوا من بعض المعاصرين للثورة بعد الحرب العالمية الأولى أن سعداً إنما كان يعمل لرئاسة الجمهورية، وأن هذا العمل كان سبب الخلاف بينه وبين المنشقين من أعضاء الوفد، ولا سيما بعد رفضه النص على اعتبار مصر دولة ملكية عرشها فى بيت محمد على، كما جاء فى قواعد الاتفاق الذى أعدته لجنة ملنر وأقرها عليه عدلى يكن باشا وزملاؤه، وقد كان عدلى يكن - كما هو مفهوم - من أصهار الأسرة الخديوية.

ونختصر الطريق فنقول للطالب الأديب وزملائه، إن سعدًا لم يكن عليه من حرج ولا معابة لو أنه قام بالدعوة إلى الجمهورية، ورشح نفسه لرئاستها بعد إعلانها أو قبل إعلانها ، فلو لم تكن هذه الخطة مقبولة من الزعماء لما قامت فى العالم جمهورية ولا سقطت فيه أسرة ملكية.

ولكن سعداً رحمه الله قد أغلق هذا الباب فى تلك الظروف لأنه أراد أن يجمع الجهود كلها على الإيمان بقضية الاستقلال وإلغاء الحماية، ولو أنه فعل غير ذلك لانفتحت أبواب الدسائس على القضية القومية من كل جانب، ولاستطاع المحتلون أن يصوروه للناس - بمصر وغير مصر - فى صورة الخارج على السلطة الشرعية التى يدعون حمايتها من أوائل عهد الاحتلال كما فعلوا فى محاكمة عرابى لعصيانه للسلطان توفيق، ويقترن ذلك بغلبة الشكوك على النفوس فى صدق الإخلاص لقضية الاستقلال وفى دخيلة النيات عند العاملين لتلك القضية، ولابد من سريان سوء الظن فى هذه الحالة، وانتقال المسألة من محاربة سعد لأنه خصم الاحتلال والحماية إلى محاربته لأنه «صاحب مطامع شخصية» ينافسه عليها كثير من أبناء وطنه، وينكرها عليه بيت الإمارة وأشياعه وأصهاره وخدامه ومأجوروه.

ولقد عرض الإنجليز ملك مصر على سعد وهو فى طريقه إلى منفاه بجزر سيشل، وسمعنا تفاصيل هذا العرض من لسانه فكتبناها فى ترجمة حياته، ولولا أن هذه المسألة قد خرجت من طوايا الكتمان على لسان رئيس الوزارة البريطانية نفسه، لبقيت روايتنا فى كتاب سعد زغلول هى السند الوحيد المكتوب لهذه الحادثة التاريخية، قبل نشر تفاصيلها فى مذكراته، ولكن لويد جورج صرح بها لرهط من وزراء مصر وزعمائها فى المأدبة التى أقامها رئيس الوزارة المصرية «عبد الفتاح يحيى باشا» لتكريمه. فثبتت الرواية فى سجلات التاريخ من مصادر شتى.

أما إنكار سعد للنص على نظام مصر الملكى وولاية أسرة محمد على لعرشها - فهو الموقف الذى لا مناص له منه وهو يحارب الحماية البريطانية وينادى بحق مصر فى استقلالها واختيار نظام حكومتها بمشيئة شعبها.

وقد كان مشروع ملنر يقضى فى أول فقرة من فقراته «باستبدال الحالة الحاضرة بمعاهدة تحالف دائم بين بريطانيا العظمى ومصر يشترط فيها (أولا) أن تتعهد بريطانيا العظمى بضمان سلامة مصر واستقلالها باعتبارها دولة ملكية ذات أنظمة دستورية».

وكان سعد يستنكر هذا النص من وجهة القانون الدولى ومن وجهة القوانين الدستورية المرعية فى نظام كل أمة مستقلة.

ولما أعرب الإنجليز عن استعدادهم لحذف النص على ضمان سلامة مصر واستقلالها، قال سعد إن النص على المحالفة الدائمة التى لا اختيار للأمة فى تجديدها لا يقل فى المدلول الدولى عن النص على الحماية الصريحة، وبخاصة حين يصحبه اشتراط النظام الملكى باتفاق مع دولة أجنبية. فإن قيام هذا النظام بمعاهدة دائمة مع دولة أجنبية هو اعتراف بحماية تلك الدولة لعرش البلاد وإشرافها على نظام الحكم فيها، وقد كان سعد يقول: هل يقبل الإنجليز منا

أن نشترط فى المعاهدة أن يكون الاتفاق مع ملك يجلس على عرش انجلترا من هذه الأسرة أو تلك بين الأسر المالكة؟

كان يقول ذلك فكان المنشقون عليه يحرفون الكلم عن مواضعه ويخرجون المسألة عن كونها مسألة دولية دستورية إلى عداد المسائل الشخصية التى يرمى سعد من ورائها إلى مآرب يخفيه، ولا خفاء به فيما أعلنوه وروجوه.

وهكذا بلغ من سخف التأويلات التى فسروا بها مناقشة سعد للنص على النظام الملكى فى معاهدة دائمة مع دولة أجنبية، فهل كان يكثر عليهم تشويه قضية الاستقلال بحذافيرها واتهام الدعوة القومية من ألفها إلى بائها، لو افتتحها سعد بغير خطته المأثورة فى طلب الاستقلال والدستور؟

جلسة تحضير الأرواح فى بيتى*

صاحبنا محضر الأرواح أديب مشغول بالبحث عن الأماكن المجهولة والأزمنة المنسية فى تاريخ الأدب العربى، والعهد به عندنا أنه كثير الحيطة فى كل نتيجة يصل إليها، فلا يختار موقعاً واحداً لقصة يستطيع أن يختار لها موقعين أو يتركها فى مهاب الجهات الأربع لاجتهاد المجتهدين.

وقد هجر الأماكن المجهولة فى الأيام الأخيرة وانتقل من البحث فيها إلى البحث عن الأرواح الشاردة فى عالم المجهول، ولكنه فارق موضوعه ولم يفارق عادة « الحيطة » فى النتيجة التى يصل إليها، فإنه جاء إلينا منذ أيام وهو يقول متعجباً : ياله من زمن !. إن الأرواح تكذب فى العالم الآخر كما يكذب الأحياء فى هذا العالم، وكلما اقتربت من زماننا الحديث كانت أكذب كلاماً وأضل سبيلا !..

وكانت هذه هى حيطته الأولى..

ثم أتبعها بالثانية فقال : وعلى أية حال لا يضمن أحد نتيجة المحاولات الروحانية مائة من المائة، وغاية ما وصلنا إليه حتى الآن نجاح ثلاثين فى المائة...ولم ينس الأديب المدرس صناعته ولا حزبه الوطنى القديم فقال : ولكن الأمل كبير فى الملحقات!

ولم يتحقق من هذا الأمل شىء فى التجارب التالية، فإن المحاولات المتكررة نصف ساعة أخفقت كل الإخفاق ولم تحضر الروح الأولى التى اقترحها الحاضرون. وهى روح الصديق المازنى رحمه الله..

قلت للأستاذ المحضر : هذه أول مرة يأخانا يدعى فيها المازنى إلى هذا المنزل ويرفض إجابة الدعوة!.. فهل تتغير الأرواح كل هذه التغير على يديك ؟

* الأخبار ١٩٦٠/٤/١١.

وكان على الأستاذ المحضر أن يحتاط لهذا المحظور أكبر الحيطة، لأنه إخفاق فى أول محاولة لابد أن يدعو إلى التساؤل وإثارة الشكوك، ولأنه فوق ذلك إخفاق غريب غير معقول، فليس من أحد يصدق أن المازنى تبلغه الدعوة إلى منزل العقاد ويأبى أن يجيب.

ولكن السيد المحضر أحوط مما نحسب، لأن حضور المازنى مشكلة أكبر من مشكلة امتناعه، وكل سؤال يوجه إليه قد يستعصى جوابه على كل وسيط ولا يجيبه غير مسئول واحد إذا شاء، وذلك هو المازنى نفسه رحمه الله.

ومن الجائز أن يفهم المازنى سؤالا عن إنسان نسميه باسمه المعروف بيننا ولا يعرفه أحد غيرنا، بل من الجائز أن يفهم الإيماء إلى حادثة مفصلة بكلمة عابرة أو إشارة مقتضبة فكيف يكون الجواب عن مثل هذا السؤال؟

وربما وقع الحرج كله من اللحظة الأولى، لأننا كنا سنسأل الصديق الراحل أن يملى اسمه كما تصنع الأرواح، ونعلم علم اليقين أنه لا يكتب «إبراهيم» بالألف كما يكتبها أكثر المعاصرين، ولا حاجة إلى بيان بعد العنوان. !

لتكن إذن إحدى الأعجوبتين إن كان لابد من العجب....

لتكن أعجوبة الإحجام عن الحضور، أو أعجوبة الحضور والإخفاق فى جميع الأسئلة وفى جميع الملحقات، ولا ينتظر هنا من الروح المسئولة أقل من نجاح مائة فى المائة فى كل جواب.

والأعجوبة الأولى أهون.

والوسيط الأريب أخبر بوجوه الحيطة كما ظهر من هذا الامتحان السريع.

وجاء دور «عبد الله النديم» باختيار الأستاذ الوسيط، فحضر السيد النديم بعد لحظات، وبدأ السؤال والجواب:

- أين وضعنا أعداد مجلاتك ياسيد يوم كنا نقرأها فى عهد التلمذة بأسوان؟

والسيد عبد الله النديم لم يكن يعلم بلا مراء أين توضع مجلاته فى بيوت المدن والقرى وهو بقيد الحياة.

ولكن « الوعى » الخفى خدع السيد الوسيط فى هذه المرة فسبق إلى وهمه أن الروح لا يجهل شيئاً من الأشياء، ثم سبق إلى وهمه مرة أخرى أن الصندوق هو الوعاء الوحيد الذى تحفظ فيه الودائع فى الريف قبل عهد الصوان الإفرنجى وعند فقدان المكاتب النفيسة التى لا يقتنيها التلميذ الصغير.

وساء حظ السيد النديم أو السيد الوسيط فى هذه « التخمينة » الروحية.. لأن أعداد الأستاذ واللطائف وغيرها من مجلات تلك الأيام، لم توضع قط فى صندوق، وإنما كان موضعها رفاً داخل الجدار من تلك الرفوف التى لا تزال موفورة فى « منادر » الريف.

قال السيد الوسيط: وما الصندوق وما الرف إنهما قريب من قريب!

قلت: لا عليك ياأستاذ من هذه السهوة الهينة... لعلها من غلطات الصحافة المطبعية، أو لعلها من أكاذيب الأرواح العصرية، أو لعلك رحمت الروح فساعدتها فى هذا الامتحان، ولا عجب فى هذه المساعدات الأستاذية على كل حال...

وأوشكت الأرواح أن تشكك أحد الحاضرين فى نسبه، لأنها سئلت عن اسم أبيه فحامت يد الوسيط على حروف « خريستو » مع تصحيف قليل، ولولا أن الاسم الأول « محمد » وشكل المسمى به محمدى مائة فى المائة، لكانت شبهة من شيطنة الأرواح تودى بالأرواح...

ولم يبق إلا أن تنصرف بسلام أو ينصرف الحاضرون. وقد انصرف الحاضرون وبقيت الأرواح حتى ذهبت مع الوسيط الذى اشتهرت عنه حيطة أخرى غير الحيطة فى مجاهل التاريخ، وهى الحيطة الشديدة مع الضيوف الأحياء والأموات!

لماذا لا يتكلم فهمى أبو الخير عن الآخرة*؟

كان «وليام ستيد» صاحب مجلة المجلات الإنجليزية رائداً كبيرًا من رواد الصحافة الشهرية، لأنه جعل مجلته لأزمة لمن يقرءون المجلات ومن لا يقرءونها فى وقت واحد، ولا يخفى أن المجلة الأوروبية - كما يدل عليها اسمها - تعيد عرض الأخبار والموضوعات للتعليق عليها، ومن هنا اسم «ريفيو Review» ومعناه الحرفى إعادة النظر أو النظر فى الموضوع مع التعليق عليه، فإذا صدرت فى الشهر بعد الشهر مجلة، تعرض المجلات وتلخص موضوعاتها، وتعلق عليها، فهذا صنف من الصحافة يتعود قارئه أن يراجعه شهراً بعد شهر، ليحيط بما تكتبه الصحافة الدورية ويحيط فى الوقت نفسه بجملة الآراء، التى تقال تعليقاً عليها، وربما أغنته فى هذه الحالة عن متابعة الصحف والمجلات عند صدورها إذا تعود من مجلته المختارة براعة التلخيص وبراعة التعليق، واستقلال الفكرة والإفضاء بها على الأثر قبل فوات أوانها.

وكانت هذه البراعة كلها إحدى ملكات وليام ستيد المعروفة عنه فى البيئات الصحفية والسياسية، وكانت له مفاجآت يستظرفها القراء وإن لم يطمئنوا إليها اطمئنان الثقة واليقين فى عصر الشكوك والمتناقضات المتلاحقة: ذلك العصر الذى عاش فيه وليام ستيد قبل خمسين سنة ولا تزال بقاياه على قوتها فى الديار الأوربية.

من تلك المفاجآت أنه كان ينشر أحياناً آراء الأقطاب السياسيين والثقافيين من الموتى الراحلين فضلا عن الأحياء العاملين، لأنه كان يشتغل بتحضير الأرواح ويقول إنه يستكتبها فتملى عليه كلامها دون كلامه... وإن كتبه بقلمه على مسمع ممن يشهدون جلسات التحضير.

---

* الأخبار ١٩٦٠/٨/١٠.

ومات وليام ستيد غريقاً فى الباخرة الجبارة «تيتانك» التى غرقت فى أول رحلاتها وكان لغرقها دوى لم ينقطع عدة شهور.

قال بعض المعقبين : الآن تسمعنا روح وليام ستيد ما يمليه بقلمه من أخبار ساعاته الأخيرة، بعد أن فارق الدنيا على غير موعد، وترك أعماله ومصالحه وتعليقاته الصحفية المنتظرة بغير وصية وعلى غير انتظار من أصحابه ومريديه، ولا من خاصته وذويه.

ثم مضت الأيام والشهور ولا خبر عن وليام ستيد ولا حديث من الصحفى الكبير فى أحوج المواقف إلى الأحاديث!

وقد تساءل بعض خصومه المولعين بمناقضته يومئذ : ما على الصحفى الكبير مبتدع التعليقات المتأخرة أن يتابع إصدار مجلته من العالم الآخر على هذا الأسلوب الذى يلائم أسلوب الكاتب من عالم غير هذا العالم، كما يلائم أسلوب الإشراف على البعد وعلى القرب؟

ولم يسمع مع هذا صوت الصحفى الراحل فى خطاب منه إلى المؤمنين بتحضير الأرواح ، ولا إلى غير المؤمنين بالتحضير، على سبيل الإفحام والإلزام!

ويحق للمشتغلين بتحضير الأرواح فى مثل هذا الموقف أن يتساءلوا : لماذا لا يسمع هذا الصوت المنتظر ولماذا لم يسمع فى تلك المناسبة ولا فى المناسبات التى تماثلها على كثرة تكرارها منذ وفاة ذلك الصحفى المشهور؟

لماذا يذهب المشتغلون بتحضير الأرواح بعد اشتغالهم بها عشرات السنين ولا يسمع منهم فصل الخطاب فى هذا الموضوع الذى تغرى كثرة اللجاجة فيه بفصل الخطاب؟

لا يمكن تفسير ذلك بقلة الاهتمام، ولا يمكن تفسيره بجهل الشروط اللازمة للاتصال، لأن الذى يعرف هذه الشروط وهو بعيد من عالم الأرواح لا يجهلها وهو مقيم فيه؟

قرأت اليوم فى الصحف اليومية حديثاً عن وفاة الروحانى المشهور الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير رحمة الله عليه، فخطر لى أن قراء نعيه جميعاً ينتظرون فصل الخطاب الموعود، كما انتظره أمثالهم الكثيرون فى أمثال هذه المناسبات.

وأكبر ظنى أن الانتظار سيطول كما طال بعد وفاة عشرات الروحانيين فى الزمن الأخير وفى الزمن المتقدم، فلا بد للمشتغلين بالتحضير من تفسير معقول لهذه الحالة وما شابهها، ولأن الإقلاع عن التحضيرات الروحية هو النتيجة الوحيدة لانقطاع الدليل الحاسم من قبل الروحانيين بعد انتقالهم إلى عالم الروح، إذ ليس لانقطاع الخبر الحاسم فى هذه الأحوال من معنى غير استحالة الاتصال بطريقة التحضير، ولولا ذلك لكان أول شىء يدركه المتصلون، أن يعلموا أنهم لا يملكون زمام الأرواح فى العالم الأخير ثم يستعصى عليهم زمام أرواحهم بعد انتقالهم إليه.

والسؤال هنا طبيعى معقول، لابد له من جواب طبيعى معقول من المختصين بالأمر دون غيرهم، وإلا فقد بطل السؤال والجواب وانتهى الأمر من جانبهم إلى فصل الخطاب.

نزاهة المرأة:

«نشرت إحدى المجلات مناقشة لكم حول موضوع تعدد الأزواج واستحالته بالنسبة إلى المرأة قال كاتبها مخاطباً لكم: «شهدت ياأستاذنا العقاد دون وعى منك وبطريقة مباشرة بنزاهة المرأة وعفافها وطهرها إذ قلت إنها لا تستطيع أن تتزوج - أو تلد - من أكثر من رجل واحد».

واستطرد الكاتب فى مناقشتكم على هذا المنوال مما يدعونا إلى الرجوع إليكم لسماع ردكم إن كان لكم رد ينقض هذا الاعتراض..»

عزيزة سيد

شبرا

obeikandl.com

إن كان لنا كلام نرد به على مثل هذا الاعتراض فهو الأمل فى أن يتعود القارئ الناقد أن يطلع على الكلام الذى ينكره قبل إنكاره.

فنحن لا نقارن فى هذه المسألة بين طهارة المرأة وطهارة الرجل ولا بين الأخلاق الإنسانية فى بنى آدم وحواء دون سواهم، ولكننا نتكلم عن تركيب بنية الأنثى فى جميع الأحياء بغير مساس بالناحية الخلقية أو الناحية الاجتماعية، فلا محل للمفاضلة بين الحصان والفرس فى آداب الفضيلة والعفاف، لأن الحصان يلد من أفراس كثيرات ولا تلد الفرس من غير حصان واحد، فإنما المسألة هنا مسألة بيولوجية يتساوى فيها الفضلاء وغير الفضلاء رجالا ونساء ويتساوى فيها الأحياء جميعاً حيث لا يخطر وصف الفضيلة أو الرذيلة على بال.

سأكتب كل أسبوع :

« .. والذى أريد أن أسأل عنه لماذا لا تكتب هذه اليوميات كل أسبوع ومن المسئول عن ذلك.. »

سيد مصطفى

محاسب قانونى - شارع الجمهورية

هذه محاسبة مقبولة من الأستاذ المحاسب، واستجابة لها نقول إن المسئول هو الوقت وحده، فإننى إذا اشتغلت بتأليف كتاب يستنفد الوقت فى المراجعة والتحضير، مع العمل فى مجمع اللغة ومجلس الآداب والفنون، وغير هذا العمل الدائم من الأعمال الأدبية أو الشخصية العارضة لم يحتمل جهد الطاقة موالاة الكتابة فى اليوميات ، ولكننى أستطيع ذلك كلها توافر الوقت وقلت الجهود المطلوبة لحينها... وموعدنا بموالاة الكتابة الأسبوعية إن شاء الله من هذا الأسبوع.

تحديد النسل*

يقول السيد أحمد عبد الرحيم السايح بكلية أصول الدين: «إن فكرة تحديد النسل أو تنظيمه تظهر بين الحين والحين على صفحات المجلات والصحف ونود أن نقرأ لكم رأياً عنها فى اليوميات».

ومثل هذا السؤال يرد من السيد (فوزى عبد الخالق حسن) بالمعهد العالى للخدمة الاجتماعية.

ومثله من السيد (كمال محمود يوسف) صاحب المكتبة الحديثة بطنطا.

ومثله من السيدة (عنايات.م.ص.) بالمنصورة.

وهو اهتمام جدير بهذه المسألة الهامة فى حينها، لأننا فى العصر الذى يجب أن نهتم فيه- وطنيًّا وعالميًّا ونفسيًّا - بضمان سلامة الأسرة فى المستقبل القريب، كما نهتم فيه أشد الاهتمام وأعجله بمشكلة السكان وتزايد عددهم فى أنحاء العالم كله، مع ما يتصل بذلك من خطر العدوان بين المتنازع على المكان المعمور وخطر الحرب العالمية التى تهيأت اسلحتها الذريعة ويجب أن تتهيأ أسباب الوقاية منها وموانع الإقدام عليها.

وإذا وجب الاهتمام بهذه المسألة على كل ناظر إلى المستقبل القريب، فمن الواجب قبل ذلك أن نفرق بين السؤال عن تحديد النسل قبل الحمل، وبين السؤال عن الإجهاض بعده، فإن الإجهاض عمل لا خلاف فى تحريمه بأحكام الشرائع الدينية وأحكام القوانين الوضعية، لأنه إزهاق روح لا يجوز إزهاقها بحال من الأحوال، وإنما يحدث اضطراراً إذا لم يكن منه مناص بحيلة من الحيل الطبية عند علاج الأم الحامل لإنقاذ حياتها من الخطر المحقق وهو- حينئذ - أهون الضررين.

* الأخبار ١٩٦٣/١/٩.

أما تحديد النسل أو تنظيمه فلا فرق بينه وبين امتناع الزوجين عن الاتصال بينهما فى أيام محدودة، وحكم هذا هو حكم ذاك.

ومن الواجب أن نذكر أن جراثيم الحياة التى تذهب بغير ثمرة تعد بالألوف الألوف فلا حرج فى ذهاب ثمرة واحدة مع هذه الملايين.

وما لم يكن فيه عدوان على روح أو على حق، ولم يكن فيه - بلغة التشريع - عدوان على الأنفس والأموال والآداب فلا حرج فيه، وقد يكون واجباً وجوب الضرورة عند توقع الضرر الكبير من إهماله، وكل عاقل مأمور باتقاء الضرر مسئول عن ذلك كسؤال العقلاء عن كل تكليف.

حاشية على اليوميات:

بين آخر سنة وأوائل سنة، أرى من الواجب لقراء اليوميات أن أريحهم من الحاجة الدائمة إلى السؤال فى هذه اليوميات عن آراء لى تنسب إلىّ فى بعض الأحاديث الصحفية ولم تصدر عنى قط أو صدرت منى ولكنها نشرت بعد التحريف والتشويه.

فمن الأحاديث التى قيل إننى أفضيت بها إلى بعض الصحفيين خلال السنة الماضية حديث زعم ناشره أنه لقينى بالقاهرة، وكنت فى حينها بأسوان.

ومنها أحاديث لم أعرف من كتبها ولم أسمع بخبرها إلا من السائلين عنها فى اليوميات.

ومنها أحاديث سئلت فيها وأجبت عنها عرضاً فى الطريق أو فى بعض المكاتب ، ثم نشرت فى صورة حديث مطول بين المقدمات والملحقات والحواشى والإضافات ، مزيداً عليها كلمة مدسوسة من هنا وكلمات مبدولة من هناك، ومثبوتاً فيها على طول الطريق غمزات ولمزات لا يحتملها المقام.

ومنها أحاديث ينتحلها الصحفى السائل للطعن فى أناس يريد هو أن ينال

منهم ويعلم أن صحيفته لا تسمح له بنشر آرائه فيهم، فإذا هو يلقيها على لسانى ويحملنى بذلك مؤنة الاعتذار بالتصحيح والتكذيب، وليس أثقل من موقف الاعتذار عن الإساءة الواقعة، فكيف بالاعتذار عن غير وزر مقصود أو غير مقصود.

ومن تلك الأحاديث ما يزعم ناشره أنه سمعه فى ندوة يوم الجمعة التى استقبل فيها الزوار الأدباء، وإنهم ليعلمون أنها تنسب إليهم وتنسب إلى مقالا لم نقله، أو قلناه ولكنه تعرض فى أثناء نقله لسوء الفهم وسوء التعبير، إن لم يكن لسوء القصد وسوء التقدير.

وقد نشرت فى خلال السنة الماضية تصحيحاً واحداً رجوت أن يغنينى ويغنى القراء مقدماً عن إعادة التصحيح والتذكير.

ولم يمض من السنة إلى اليوم أكثر من سبعة أيام، فليكن هذا التصحيح منذ اليوم شاملا للمدة الباقية من السنة. خمسين أسبوعاً قابلة للزيادة أو النقصان بضع ساعات ، مسبوقة بالنفى القاطع فى موضعه على بياض... ولو خصتنى تلك الأحاديث أو خصت قراء اليوميات بآيات الحمد والثناء ، فإنما يتناول النفى حصول السؤال والجواب ، أيًّا كان غرض السؤال ومضمون الجواب.

جرثومة الحياة*

«قرأنا فى الصحف أن ثلاثة من الأطباء نالوا جائزة العلوم هذه السنة لأنهم اكتشفوا تغيير مادة حمضية تتكون منها جرثومة الحياة الأولى، وأنهم بذلك يقتربون من خلق الحياة فى المعمل، فما هو مبلغ هذا الخبر من الصحة فى اعتقادكم ؟ وهل إذا صح يمكن التوفيق بينه وبين الإيمان بأن الله جل شانه هو خالق الحياة دون سواه؟»،

متعلم متدين

بور سعيد

إن القول باقتراب العلماء من صنع جرثومة الحياة لا يعدو أن يكون بعض التهويلات فى عناوين الأنباء البرقية ولا يعقل أن يصدر مثل هذا القول من أولئك العلماء المشتغلين بهذه البحوث لأنهم أدرى بحقائق الأسرار التى يعملون فيها، وقد كتب أحدهم الأستاذ (كريك) دراسة عن تركيب المادة الوراثية نشر منذ سنوات فقال: «إن فى جسم الإنسان من مادة ذلك الحمض ما يكفى لكتابة ألف كتاب كبير، وكل ما نحاول معرفته مع هذا هو.. ماذا ترمز إليه هذه الجفرة؟».

وقد قرأنا فى آخر عدد من مجلة «تايم» كلمة للدكتور «شرام» أشهر الباحثين فى هذه المادة من علماء الألمان يرد بها على الصحفيين، أبناء وطنه، الذين تعجلوا فأعلنوا اقتراب اليوم الذى تصنع فيه جرثومة الحياة فقال «إنه يجب أن نعلم أن المادة المذكورة ليست مادة حية، وكل ما فى الأمر أنها عند اختبارها بوسائل الكيمياء تشبه جزءاً من الخلايا الكبيرة التى تدخل فى تركيب الأحياء».

---

* الأخبار ١٩٦٢/١٠/٣١

ويظهر مبلغ التعجل فى تهويلات أولئك الصحفيين من العلم بأبسط الحقائق عن مادة (الدال والنون والألف) dna التى وردت عنها تلك الأخبار وهى أنها تتناهى فى الصغر حتى تقاس بوحدة «الانجستروم» وهى واحدعلى مائة مليون من السنتيمتر، وأنها لا تدرك بالمجاهر العادية ولكنها تعرف بالحساب مع تكرار التلوين واستخدام الجهر الإلكترونى عدة مرات، وليس المهم فيها - بعد هذا - أنها من الصغر بهذه الدقة البالغة التى لا يدركها التصور، بل يرجع السر المهم فيها إلى أشكال تركيباتها وإلى الفجوات بين هذه التركيبات وإلى النسبة التى تجعلها صالحة للتعاون فى العمل مع مثيلاتها فى الصبغية الواحدة وتجعل هذه الصبغية صالحة للتعاون فى عملها مع أخواتها من الصبغيات المتعددة فى خلايا الأنواع الحية.

وعلى مقدار هذا الاختلاف فى الأشكال، وفى ترتيب هذه الأشكال، وفى تركيز الحمضية المكتسبة من وراثة ملايين السنين، يتوقف الفرق الذى يجعل إحدى الصبغيات منتجة لحيوان يسمى الضفدع أو الفيل أو منتجة لحيوان يسمى الإنسان.

ومن بسائط علم الخلايا نفهم بعض البديهيات التى تكشف عن طيش العقول التى تتخبط ذلك التخبط فى موضوع خلق الحياة.

وبين هذه البسائط التى أصبحت فى حكم البديهيات :

أولا : أن المادة العامة فى الصبغيات التى تتولد منها جميع أنواع الأحياء متشابهة على الجملة.

وثانياً : أن عدد الصبغيات فى كل نوع من أنواع الأحياء يختلف اختلافاً ثابتاً لا يتغير، وأنها توجد بمثل هذا العدد فى خلية الذكر وخلية الأنثى، ولابد أن تتقابل بنسبة مقدورة فى كل صبغية وما يقترن بها للانقسام، ثم إعادة الانقسام ملايين المرات إلى أن يتجمع منها جسم الكائن الحى بوظائفه المركبة

obeikandi.com

من اللحم والدم والأعصاب وسائر المواد التى تتألف منها الأجساد الحية، فلا تحل ناسلة واحدة فى هذه المجموعة الهائلة محل الناسلة الأخرى لتركيب لون الجلد أو الشعر أو العين أو الجوارح التى تنقل خصائصها بالوراثة، ولابد أن يكون ذلك كله ملحوظاً منذ البداية فى اختلاف كل شكل من أشكال الناسلات واختلاف النسبة بينه وبين غيره.

وثالثاً: أن كل فرد من أفراد النوع الواحد له صبغياته وناسلاته التى تتماثل فى التركيب عامة بين أبناء النوع كله، ولكنها تتخصص فى كل فرد بالأشكال التى لا تتكرر فى غيره، ولهذا تحمل كل منها خصائص الوراثة فى الفرد الواحد، فيأتى الأبناء بهذا التعدد الهائل فى صفات الجسد والعقل والاستعداد للقوة والضعف إلى غير نهاية.

ويجب أن نفهم ذلك جيداً لكى نفهم أن العلم بتركيب المادة العامة للخلايا الحية لا يوصل إلى العلم بالأشكال أو الترتيبات التى تكمن فيها خصائص الحياة، وأن هذا الاختلاف فى الشكل يقع فى مقدار من المادة يقاس بجزء من مئات الملايين من السنتيمتر الواحد.

فإذا فرضنا أن مقدار الحمض الذى يحمل خصائص الوراثة فى النوع الإنسانى قد عرف بجميع تفصيلاته وأشكاله، فسوف يبقى بعد ذلك أن اختلافاً يسيراً جدا فى أشكال هذا الحمض هو الذى يجعل هذين الزوجين ينتجان إنساناً أبيض أزرق العينين أشقر الشعر طويل القامة له خطوط فى كفه لا تشبه خطوط كائن آخر من بنى الإنسان، وهو الذى يجعل زوجين آخرين ينتجان وليدا أسود لا يشبهه فى تركيب عضو من الأعضاء، ويفعل هذا الاختلاف الشكلى الدقيق فعله الحاسم فيما بين الوليدين من تفاوت القوى العقلية وتباين الصفات الخلقية وكوامن الاستعداد للمرض أو لمقاومته ومكافحة جراثيمه.

فإذا كان هذا بعض ما يترتب على اختلاف دقيق بين «الحمض الوراثى»

فى إنسانين من نوع واحد فماذا يفيد العلم بمقدار الحمض فى ضبط الخصائص التى لا تحصى ولا يدرى أحد كيف تتناقل بالوراثة من أقدم الأزمان ؟

إن الذى يقول إن العلم بمقدار حمض (الدال نون ألف) فى الناسلة أو الصبغية يجعلنا قادرين على خلق الحياة بالمعمل أشد طيشاً ممن يقول إن العلم بالمادة التى تسبك منها الحروف الأبجدية يكفى لإصدار « أخبار اليوم » فى هذا الصباح وفى صباح الغد وبعد ألف صباح ، متسلسلة من هذه التركيبة المعلومة إلى غير نهاية، كما تتسلسل الأجيال ويتتابع الأبناء من مادة (الدال نون ألف) أو من جميع مواد الصبغيات والناسلات.

إن العالم الطبيعى الذى يخوض فى أسرار المادة الحية أولى بالتواضع والذهول من كل مؤمن يعجب لأسرار الروح ويقول فى طمأنينة وتسليم « إنها من أمر ربى » . . . فإن فهم العقل لفهم روح يبث الحياة فى المادة، أقرب إلى الإدراك من فهم العالم الطبيعى كيف تنتقل الخاصة الحية فى جزء من مائتى مليون جزء من السنتيمتر، ذلك الانتقال الذى نسميه الوراثة ولا نزيد، كأن كلمة الوراثة أوضح تفسيراً لحقيقة الحياة من كلمة الروح !

حواء والأزياء*

يسأل السيد محمد فريد طاهر بمحرم بك (الإسكندرية):

«هل فكرت حواء - وهى تطالب بحقوقها المهضومة - فى هذه الموضات التى يفرضها عليها رجال الأزياء وهم يقولون لها: كونى شوالا أو كونى برميلا أو البسى البنطلون وأنت البرميل المنتفخ شحماً ولحماً؟..».

ثم يستطرد إلى العجب من أزياء الرجال الذين يبدون فى أزياء كالكرنفال، ولكنه يحار فى أمر حواء ولا يحار فى أمر هؤلاء!

والسيد (محمد فريد طاهر) ينسى هذه المرة أن رجال الأزياء يخدمون حواء ولايخدعونها أو يتسلطون عليها، فإن حواء التى تلبس الشوال والبرميل تسخر «الموضة» لمداراة عيوب الأعضاء التى تبديها الأزياء المفصلة على هندام الجسم الرشيق، وهنا تتمشى «الموضة» مع تيار العصر الذى يخلط كثيراً بين الثورة على الاغتصاب، والثورة على الامتياز حيث كان، فى جمال الأجسام أو جمال العقول!

ومهما يكن من شطط «الموضة» لخدمة التشويه والدمامة، ومحاربة الرشاقة والوسامة، فهى على كل حال «موضة» معقولة لم تذهب فى التخريف مذهب «الموضات» الفنية التى يروجها معشر المشوهين بالعقول والأذواق.. فإن أزياء الشوال والبرميل لم تزعم أنها تلغى اليوم صناعة النسيج أو صناعة التفصيل كما نشأت مع الإنسان منذ عرف الكساء وتعلم نسج الملابس من الخيوط والألياف، وهى لا تقول للنساء ولا للرجال إنها مسحت العقل الظاهر واستبدلت به عقلا باطناً لا يعقل الشىء مرتين على صورة واحدة، وإنما تظهر

* الأخبار ١٩٦٣/٩/٢٥

الأزياء وتختنق وهى فى حدود الموضة التى لا تتجاوز، ولا تستطيع أن تتجاوز، عمرها المقدور بالأسابيع أو الشهور.

ولعلنا لا نسترسل مع السخط أو النفور من إحدى هذه «الموضات» حتى تكون هذه الموضة قد احتجبت وبرزت فى مكانها حليفة لها لا يطول بها الأجل - هى أيضاً - وراء أيام التساؤل أو السخط والاستهجان.

يا أخانا السيد طاهر!

إن حواء فى هذه المرة معقولة مريحة، ولكنها نزلت عن نقائضها الخالدة لرجال ليسوا من الرجال، هم أولئك الذين ينسجون لعقولهم وفنونهم ثياب الأشولة والبراميل، ثم يحرمون على أبناء الحاضر والمستقبل كل زى عرفه الناس قديماً وحديثاً، كما يحرمون صناعات النسيج والتفصيل كأنها خلقت خطأ، وحان اليوم أوان العدول عنها بعد طول الصبر عليها فى غفلة «العقل الباطن» الذى هجر «الباطنية» اليوم وخرج للتهتك والعربدة على حل الشعور.

وسيبقى معرض الأشولة والبرميل من هذا الطراز إلى أجله المحتوم، وسيحل هذا الأجل لا محالة يوم يعلم الناس أن هؤلاء الرجال حواءات ممسوخات على غير سواء الخلق القويم، ويومئذ يصبح «اللامعقولون» معقولين جداً فلا يخفى أمرهم على أحد..

ولا حياة للظلال والأشباح فى وضح النهار

الجنون والعبقرية*

«... الفرق شاسع بين المجنون والعبقرى، فالأول - وهو المجنون - لا يكاد العالم يشعر بوجوده ولعله هو لا يشعر بوجود نفسه، ونقول عنه إنه شاذ.. والعبقرى يقال عنه أيضاً إنه (شاذ) لمخالفته سائر الناس، وهو ذو فضل على الناس بما يجنيه المجتمع من ثمرات بحوثه واختراعاته ومجهوداته، فهل من الإنصاف والوفاء أن نطلق عليه وصف الشذوذ، ونسوى بهذه الصفة بينه وبين المجانين... ألا يوجد فرق بين المجنون والعبقرى؟.. أرجو توضيح ذلك - إن سمحتم - بيوميات الأخبار».

إبراهيم محمود رضوان

طلخا - شارع المنشية

إن الذنب على الترجمة فى مقابلة الكلمة الأجنبية بالشذوذ وهى فى لغتها موضوعة للدلالة على معنى الاستثناء، ومخالفة العادة الشائعة فيما يستحسن وفيما يستهجن على السواء، وهى كلمة Except Lonae.

فالعبقرى مخالف للمألوف، والمجنون مخالف للمألوف، ولكنها مخالفة إلى الزيادة من جهة وإلى النقص من الجهة الأخرى، وبينهما فرق لا يلتبس فى مظهره ولا فى نتيجته: وهو الفرق بين الإنتاج والعقم، أو بين التفوق على المستوى والهبوط دونه درجات، قد ترتفع إلى الذروة العليا وقد تنحدر إلى الوحدة السفلى، ومن العقم أو من نتاج الشر والإيذاء.

ويظهر أن الكلمات التى تفيد الخروج على (المستوى) العام عرضة لهذا الخلط بين الطرفين فى كل اصطلاح تتداوله الألسنة ويطول به الاستعمال، فإن

---

* الأخبار ١٩٦٢/٥/٢٣.

كلمة (النبوغ) فى اللغة العربية، تفيد معنى البروز والتميز من خط الاستواء بين الناس، فمازالت على الألسنة حتى دلت على (النابغة) وهو المتفوق العقلى، كما دلت على المرأة الناشزة المنبوذة من البيئة الشريفة... وكذلك كلمة الناشزة من النشز ، وهو المحل المرتفع، والنشز وهو التمرد والخروج على العرف المحمود.

وقد يقال عن العبقرى إنه خارق للعادة فلا يسلم بعد حين من معنى مكروه من معانى الاختراق والمخرقة والخرق، وهو الحماقة والطيش، فلا حيلة إذن غير التفرقة المعنوية بين دلالات الألفاظ، كما نفرق اليوم بين الشيء (المحرم) من التحريم، وبين الشيء (المحرم) من الحرمة والصيانة، وليست هى أول ضحية من ضحايا العبقرية، ولا أول مصيبة من مصائب الجنون.

رأينا فى المرأة:

«... نغمة جديدة من العقاد فى دفاعه الأخير عن قاسم أمين، فهل هى رأى جديد فى المرأة غير الذى عرفناه من مؤلف كتاب المرأة فى القرآن الكريم.»

فتحية أحمد عبادة

بين أقدم كلام كتبته عن قاسم أمين، وأحدث كلام كتبته عنه، خمسون سنة، لا اختلاف بينهما فى الثناء والتقدير، بل لعل الكلام الأول أبلغ فى الحماسة العاطفية والفكرية من الكلام الأخير.

كان كتاب (خلاصة اليومية) أول كتاب طبعته قبل خمسين سنة، وفيه أقول:

«تحرير المرأة ليس من الأعمال الطنانة التى أكثر ما فيها دوى ورنين، ولكنه عمل هادئ رصين ينزوى فى البيوت والخدور، لا يبرز إلا قليلا على قوارع الطرقات، ولا يصرخ إلا نادراً على منابر المنتديات.

فالمرأة المصرية مدينة لقاسم لأنها كانت سجينة فأطلقها، وكانت أَمَةً فاعتقها، والأمة المصرية مدينة لقاسم لأنها كانت شلاء فأبرأها من ذلك الشلل الذى أمسك شقها عن الحركة دهوراً وأعواماً، والإنسانية مدينة لقاسم لأنه أنقذها من رق لا تجرؤ مصلحة الرقيق على مطاردته ، والفخر فى تحرير المرأة لا يزال الآن وبعد الآن من نصيب قاسم.. أما من قفوه فى هذا المقصد فإنما درجوا على طريق بينة الآثار..

ولا يرتفع الجديد من كلامى عن صاحب تحرير المرأة إلى مقام أرفع من هذا المقام فى عرفان الفضل والإنصاف من أراجيف الجهلاء وأتباع التقليد والجمود.

وأحسب أن السيدة فتحية قد فهمت على السماع أن تحرير المرأة مذهب لا أرضاه ولا أقول به من قديم ، فإن كان هذا ما فهمته فهو خلاف الواقع الذى كتبته مراراً عن المرأة عامة وعن نسائنا المشهورات، إذ ليس تحرير المرأة ما أعارضه وأناقش الداعين إليه، وإنما أعارض اللغط الذى يخالف العلم والواقع والتاريخ، لأن اللاغطين به يزعمون أن المرأة والرجل جنس واحد سواء فى وظائف الجسم والعقل، وفى واجبات الحياة وحقوقها، ولا يذهب إلى هذا صاحب مذهب يتأمل لحظة فى معنى ما يذهب إليه.

فى انتظار الدليل الحاسم*

شفاء من داء الغرور بالشهرة أن نسمع اليوم من يسأل : ومن هو هذا وليام ستيد الذى كتبتم عنه فى اليوميات الماضية لمناسبة الكلام عن تحضير الأرواح ؟

وليام ستيد الذى كان أشهر من نورثكليف - نابليون الصحافة - فى زمانه، أو لعله على هذا الأسلوب من التشبيه كان «بابا» الصحافة يوم كان نابليون الصحافة يملك أزمة التايمز والديلى ميل وعشرات من الصحف اليومية والأسبوعية والمجلات الشهرية ونصف الشهرية.

وليام ستيد هذا، كان فى زمانه أشهر الأسماء بين المشتغلين بقضية السلام، وقضية الوحدة العالمية، والدعوة إلى الحكومة الاتحادية فى القارة الأوربية، وكان أشهر الأسماء بين المشتغلين بإصلاح القوانين ولا سيما قانون العقوبات، الذى أصبح فى رأيه أثراً من آثار القرون الخالية، وبقية من بقايا مراسيم القبيلة وتقاليد العصبية، وكان وليام ستيد هذا، أول من نشر الدواوين وكتب السلف المخلدين بخمسة مليمات للديوان الواحد أو السفر الواحد، ليشترك الفقير والشاب الناشئ فى نعمة الاطلاع على الكتاب الذى يشترى بالجنيهات !

وهذا وليام ستيد، هو الذى قادته حملته الشعواء على تجارة الرقيق الأبيض إلى السجن، ثم أرغمت خصومه على تحقيق دعوته بعد ذلك بشهور.

وهذا وليام ستيد، هو الذى ألف كتابه «لو جاء المسيح إلى شيكاغو» فأقام عليه القيامة، وتعرض من جرائه للسخرية بعد موته فتساءل العابثون : ماذا يصنع وليام ستيد على الأرض لو عاد إليها مرة أخرى بدلا من إملائه الخطط المرسومة لعودة السيد المسيح !

---

* الأخبار ١٩٦٠/٨/١٧.

ووليام ستيد هذا، قد صنع كثيراً فى حياته ولم يصنع شيئاً واحداً كان ينبغى أن يصنعه بعد موته، ومن أجله تجددت ذكراه فى هذه الأيام ، وعدنا نتساءل مع المتسائلين، لماذا لم يظهر هذا الروحانى الكبير لمنتظريه ممن كانوا يحسبون بالألوف بين قراء موضوعاته الكثيرة وأولها موضوع تحضير الأرواح ؟

إنه غرق فى أكبر حادثة من حوادث الغرق رواها تاريخ العصر الحديث، وهو غرق الباخرة « تيتانك » المنسوبة إلى جبابرة التيتان من مردة الأساطير.

غرقت الباخرة فى منتصف شهر أبريل « من سنة ١٩١٢ » فتعجب الناس أن يقرءوا خبرها بأقلام الصحفيين فى المشرق والمغرب، ولايكون بين هذه الأقلام قلم الصحفى العالمى والروحانى العالمى، الذى شهد الحادث بعينيه دون هؤلاء الصحفيين أجمعين!

وأعدنا منذ أسبوع ذكرى ذلك العجب فى أقوال المعقبين والمنتظرين، ومنهم من كان يقول « الآن تسمعنا روح وليام ستيد ما يمليه بقلمه من أخبار ساعاته الأخيرة، بعد أن فارق الدنيا على غير موعد وترك أعماله ومصالحه وتعليقاته الصحفية المنتظرة بغير وصية وعلى غير انتظار ».

وازداد عجبهم حين «مضت الأيام والشهور الأخيرة عن وليام ستيد ولاحديث من الصحفى الكبير فى أحرج المواقف إلى الأحاديث».

واليوم - الخميس - أقرأ فى الأخبار أن السيد محمد يوسف خليفة « يؤكد أن مستر ستيد الصحفى وعالم الأرواح المعروف الذى جاء ذكره أمس فى يوميات الأستاذ العقاد قد أملى من العالم الآخر كتاباً كاملا سنة ١٩١٩ بعنوان « ميت يتكلم » ترجمة الأستاذ عبد الحميد فهمى مطر المفتش السابق بوزارة التربية ».

هكذا قال الخبر. وهكذا يؤكد السيد محمد يوسف خليفة أن الصحفى الراحل « أملى » كتاباً كاملا بعد وفاته بسبع سنوات.

وشكراً للسيد على هذا التنبيه، ولا نكتمه أن الكتاب الذى تفضل بالإشارة إليه لم يكن فى حسابنا حين كتبنا اليوميات، ولكنه إذا راجع ما كتبناه علم أن هذا الكتاب تحصيل حاصل فى موضوع التعليق، إذ الحاصل فى كل

يوم أن الروحانيين ينقلون إلى الناس كلاماً من عالم الأرواح لا دليل عليه، بل الحاصل أن وليام ستيد نفسه قد نقل كلاماً كهذا الكلام، ولم يكن ذلك مغنياً عن انتظار الدليل الحاسم منه فى أحوج المواقف إليه كما أسلفنا فى اليوميات، ولا ينسى السيد محمد يوسف أننا طلبنا فصل الخطاب وطلبنا الدليل الحاسم وأعدناه مرات :

« لماذا لا يسمع منهم فى هذا الموقف فصل الخطاب ».

« إن الإقلاع عن التحضيرات الروحية هو النتيجة الوحيدة لا نقطاع الدليل الحاسم من قبل الروحانيين بعد انتقالهم إلى عالم الروح. إذ ليس لانقطاع الخبر الحاسم فى هذه الأحوال من معنى غير استحالة الاتصال بطريقة التحضير ».

فالناس على حق حين ينتظرون الدليل الحاسم فى هذه المواقف بما يدفع كل لبس، ويثبت للمرتابين أن الروح المنتقل من الدنيا هو الذى يخاطب منتظريه بما يعلمه هو وبما ينتظر منه دون غيره عند فراق دنياه، قبل أن تندثر معالم دنياه !

أما قول قائل بعد سبع سنوات إنه استحضر روح وليام ستيد، وإنه استملاه فأملى عليه، فهذا هو الذى يحصل كل يوم ولا يحسم الخلاف أو يفصل الخطاب.

ولا يزال السؤال قائماً يعاد فى كل مناسبة من هذه المناسبات : لماذا لا يستطيع الروحانيون أن يلقوا إلى الناس بفصل الخطاب فى هذه اللجاجة المتكررة حول هذا الخلاف.

وفصل الخطاب غير إعادة الدعوى بعينها بعد فوات الأوان وفى غير الوقت الذى تثبت فيه معالم الاتصال الصحيح بين الروح ومواضع العلاقة من دنياه.

على البلاج :

على شاطئ الإسكندرية يوم الأحد.. الشاطئ عامر بالسابحين والسابحات

كما رأيته أيام زياراتى الأولى للإسكندرية قبل أكثر من أربعين سنة، وكما نراه بعد ذلك فى أيام الرواج وأيام الكساد، كأن البحر عالم مستقل عن عالم الأسعار والأموال.

ولا جديد بين الماء والسماء!

ولكن ربما كان هناك جديد يسترعى النظر بعد لفتة أو لفتتين، وهو قلة الاكتراث على الشاطئ بمظاهر الترف والخيلاء.

فقليلا ما ترى أحداً ينزل إلى الحمامات كأنه تاجر من تجار النفائس والتحف يعرض هناك بضاعة البذخ والزينة.. لزوم العراة الحفاة!

وقلما ترى من الجانب الآخر أحدًا يتكلف للفرجة عليه ويتراءى بمظهر فوق مظهره فى كسوته أو مظلته أو فى آنية طعامه وشرابه.

لا كبرياء من هنا ولا استكانة من هناك ، ولعله خير كبير إذا كان كله علامة على اقتراب اليوم الذى يقل فيه الاكتراث بحواجز الطبقات.

وخير منه أن ترتفع هذه الحواجز لتخلفها علاقات التقارب والتعاون بين أبعد الأطراف وأدناها فى سلم المجتمع، فلا تفاوت بينها إلا كتفاوت السن وتفاوت الوزن والطول، وهو التفاوت الذى لا موضع فيه للظلم والطغيان من بنى الإنسان.

قصر نفس الصحافة :

يقول مكاتب الصحف المتحدة فى عاصمة باكستان - يقول كيت وكيت .

من المفهوم بعد زيارة سكرتير الأمم المتحدة للكونغو - من المفهوم بعد هذه الزيارة أنه قد حدث هذا أو ذاك.

يرى الخبراء بالسياحة بين الكواكب بالصواريخ - يرون أن كذا أو كذا ممكن أو مستحيل.

هذه الجمل التى تلهث من قصر النفس، مثال للتعبيرات الحديثة فى الصحافة وفى الإذاعة وفى الخطابة بعض الأحيان.

قصر نفس - والعياذ بالله - يفترض فى العقل البشرى أنه لا يقوى على متابعة الخبر كلمتين أو ثلاث كلمات حتى يحتاج إلى تنبيه أو تذكير.

فرغنا من الحذلقة التى تفرض على الكاتب أن يعفى القارئ من التفكير العميق.

وفرغنا من الحذلقة التى تفرض عليه أن يعفى القارئ من الإلمام بالمعرفة الشائعة على الأفواه.

وفرغنا من الحذلقة التى تفرض عليه أن يتجنب كل كتابة غير كتابة التسلية وتضييع الوقت وثرثرة الفراغ.

ولكن الابتداء فى هذا الطريق على ما يظهر لا ينتهى ولا يقف عند حد محدود.

فنحن اليوم مطالبون بأن نعفى القارئ من حفظ كلمتين أو ثلاث كلمات فى ذاكرته قبل الاسترسال فى الخبر أو الحديث.

واليوم سمعت مذيعاً من إحدى المحطات يفرض فى سامعيه أنهم قادرون على حفظ سطرين بغير تذكير.

أخشى أن يُفْصَل هذا المذيع من وظيفته فلا أسمعه مرة أخرى يسىء الظن بالمستمعين هذه الإساءة.

وإلا فأين - فى مذهب المتحذلقين - ذلك السامع أو القارئ الذى يطول به نفس الذاكرة هذا المطال.

obeikandi.com

مواسم مسيحية*

« ... مسيحية تريد أن ترجع إلى علمكم فيما استشكل على محدود علمها واستعصى على فهمها.. فهل لى أن أطمع فى توضيح لمدلول الكلمات الآتية بيوميات الأخبار :

١ - أحد الشعانين.

٢ - اثنين البسخة.

٣ - ثلاثاء سارة.

٤ - أربعاء أيوب.

وهل هناك علاقة لهذه المواسم بالاختلاف بين موعد عيد القيامة المجيد عند الشرقيين والغربيين ؟ ».

سهام توفيق عطا اللّه

دمنهور - الثانوية

... أشهر هذه الأعياد هو أحد الشعانين، ويحتفل به لذكرى دخول السيد المسيح إلى أورشليم وبين يديه الحواريون والتلاميذ، يحملون السعف ويبتهلون بدعاء الخلاص، وهو بالعبرية « هو شعنا. هو شعنا » ومعناها « خلصنا. خلصنا »، ولهذا سمى اليوم باسم عيد الشعانين أى عيد طلب الخلاص.

والبسخة، أو البصخة، مأخوذة على الأرجح من كلمة « بساخ » العبرية أو فساح التى تقابل مادة « فسح » باللغة العربية، ومعناهما واحد وهو السفحة أو

---

* الأخبار ١٩٦٢/٥/٩

الانفساح وطلب المكان الفسيح والانطلاق، ومنه اسم عيد الفصح لأنه العيد الذى انطلق فيه جماعة العبريين من أسر فرعون كما جاء فى سفر الخروج من العهد القديم.

ولايعرف على التحقيق موعد بشارة السيدة سارة بمولد «إسحاق» أو «يسحك» باللغة العبرية بمعنى «يضحك» العربية، لأنها ضحكت حين بشرت بمولده وهى عقيم فى سن الكبر.

وكذلك لايعرف على التحقيق موعد التجارب التى ابتلى بها أيوب عليه السلام، وهو النبى الذى يضرب به المثل لصبر الصابرين، إذا ليس لموعد شفائه موعد معروف على التحقيق فى التاريخ المكتوب، ولكن الأخبار المتداولة بين أتباع الأديان الثلاثة تنقل عن سبب شفائه أن الرياح حملت خيمته - وهو فيها - فالقت بها جانب البحر حيث سمع من بعض حيوانه ونباته وصفة العلاج التى يتم بها شفاؤه، وكان ذلك يوم أربعاء على ما جاء فى المرددات الموروثة التى نسمعها إلى اليوم فى قصة بلوى أيوب، فكان هذا اليوم موعد بشرى الشفاء، أو موعد العفو بعد طول الابتلاء بالعلل والأدواء، وبهذا اليوم يتيمن المصابون وطلّاب الفرج من محنة السقم والهم ومحنة الكرب والضيق على العموم.

والذكريات التى ترتبط بقصة أيوب وقصة سارة كثيرة، يعيدها إلى الأذهان فى مناسباتها، أنها مناسبات تربط بالحياة البيتية المتجددة فى كل زمن وكل موطن، فلا تنقطع شكوى العقم ولا شكوى السقام المزمن فى بيت من بيوت المتدينين الذين يلتمسون الأسوة، ويستمدون الأمل من سير الأنبياء والصالحين.

وقد أشرنا فى اليوميات الأخيرة إلى بعض أسباب الخلاف بين موعد الفصح عند الكنائس المسيحية وموعده عند الإسرائيليين، وكلاهما مرتبط بموعد عيد القيامة كما هو معلوم.

قوة المرأة*

إننى من المؤمنين بالأستاذ «على أمين» الصحفى المتفنن.

ومن المؤمنين بالأستاذ «على أمين» الإدارى القدير.

ومن المؤمنين بالأستاذ «على أمين» مدير «مقالب» الإحسان من طراز القرن الحادى والعشرين، إلى الخامس والعشرين!

ومن المؤمنين بالأستاذ بعينه عدو الشعر الموزون والشعر المكسور والشعر الذى لا وزن له على الإطلاق.

ومن المؤمنين به أيضاً وهو يرفع علم الجهاد فى وجه النقرس وموائد الحلوى وصحاف الطعام الفاخر (المسبوك).

إننى من المؤمنين بهؤلاء العليين الأمناء جميعاً فى جميع هذه الصفات.

إلا واحداً لا أؤمن به ولا أظن أنه يتطلب الإيمان به من أحد يعرفه.. وذاك هو صاحبنا الفيلسوف الاجتماعى أو «الشارح» على مثال الشارح الأكبر فى مذهب الرشدية والرشديين.

ولقد كفرت به أخيراً مرة أخرى حين قرأت فلسفته (الحريمى)، ورأيته يقول منها بعد سطور عن ضحكات حواء من آدم وبنيه:

يقول بلسان العلم إنه بدأ يفتح عيوننا وعقولنا لأنه «أثبت لنا أن المرأة أشد احتمالا من الرجل وأقوى منه على تحمل الصدمات والأزمات، وأثبت لنا أنها أطول عمراً وأكثر مناعة من الرجل الحمش الذى يقف الصقر على شاربه. وأخيراً أثبت العلماء أن قلبها أقوى جداً من قلب الرجل، وأعلن خبير القلب

---

* الأخبار ١٩٦٢/٥/١٦

الدكتور الأمريكى ستاملر، أن الطريقة الوحيدة لحماية الرجال من أمراض القلب، هى حقنهم بهرمونات النساء، وقال العالم الأمريكى إنه حقن عدداً من مرضى القلب بهرمونات النساء، فأطال أعمارهم بين خمس سنوات وعشر سنوات.. ».

الطبيب الأمريكى أثبت كل هذا دفعة واحدة. !؟

ياقلبه.. !

ولماذا لم يثبت لنا ماهو أفضل من ذلك للمرأة وللعلم وللحياة الإنسانية، وهو تكوين المرأة قلباً وقالباً بذخيرة من العطف والتضحية تستحق من أجلها كل عطفنا عليها، وكل معونتنا لها فى رسالتها الأبدية المثقلة بالأعباء والتكاليف: رسالة الأمومة، ومعها رسالات الحمل والرضاع والفطام والحضانة.

لو أن الطبيب الكريم أثبت ذلك لا نتفعت المرأة وانتفعت الحياة الإنسانية بما أثبت لها وأثبت للرجل معها من حق مجهول يعاونها على أداء رسالتها الأبدية، ولكان ذلك أفضل لها وللنوع الإنسانى من تلك القوة الموهومة التى تحيل عليها أعباءً فوق أعباء، وتسلبها من حقوق المعونة ما يجب للضعفاء « المحملين » بالأثقال والأرزاء.

أما هذه القصة « الهرمونية » التى لا جديد فيها ،فالمرأة آخر من ينتفع بتصديقها إذا صدقناها على طريقة الطبيب الأمريكى وطريقة الفيلسوف (الأمينى)، لأنها تسلبها حق الاستغاثة من سطوة الحياة على « الأنوثة » ومن المظالم « البيولوجية » التى تقررت منذ الأزل على بنات حواء، وبنات كل أنثى فى عالم الأحياء.

إن هذه القصة « الهرمونية » تتهم المرأة بثروة مجهولة تفتح عليها أعين الطامعين فيها ولا تنفعها بهرمونة واحدة من تلك الهرمونات التى يحسبونها اليوم عليها.

obeikandl.com

وماذا يقول الأستاذ المذكور فى ساعى البريد الذى يحمل فى حقيبته خمسين حوالة بريدية أو خمسين شيكاً بأسماء الناس على المصارف وأصحاب الرصائد والحسابات ؟

ماذا يقول «لمصلحة الضرائب» - حماه اللّه - إذا هى راحت لذلك الساعى البريدى تطالبه بنصيبها من أرباح المهن الحرة، وأرباح كسب العمل، وأرباح الدخل والإيراد ؟

هذا هو بعينه ما يجب عليه أن يقوله عن هذه الثروة المنسوبة للمرأة باسم الهرمونات، وعن الضرائب التى تطالب بها وفاءً بحقها، بدلا من المعونة التى تستحقها إذا هى عرفت على حقيقتها.

وما حقيقتها ياأبا حسن رضى اللّه عنك وعنا وعن طبيبك الغيور ؟؟

حقيقتها أنها أجر «مناول» لا نصيب منها للمرأة غير مهمة «التوصيل»

حقيقتها أن هذه الدورة الدموية فى بنية المرأة «محسوب فيها حساب» خمسة أو ستة أشياء لا تستفيد منها المرأة غير ما يستفيده ساعى البريد من حقيبة الحوالات والشيكات.

من هذه الأشياء أن هذه الدورة الدموية مخلوقة لتزويد كائن آخر ينمو فى أحشاء المرأة ويتركب بلحمه وعظمه من قطراتها وعصاراتها وإفرازاتها ويعيش فى جوفها تسعة أشهر ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم.

ومنها أن هذه الدورة الدموية «محسوب فيها» حساب الفائض الشهرى الذى لا يستفيد منه جسم المرأة لو بق فيه، بل يصيبها بأشد الآلام وأوخم الأضرار ولا بد لها مع هذا من إفرازه والاستغناء عنه، مدى الحياة إلى سن الخمسين، أو نحو الخمسين.

ومنها أن الدورة الدموية محسوب فيها حساب «اللبانة» الحية التى تشتغل على ذمة الرضيع النهم سنتين أو أكثر من سنتين.

ومنها أن هذه الدورة الدموية محسوب فيها حساب «الوحم» الذى يملى على المعدة أن ترفض كثيراً من الطعام مع حاجتها إلى الكثير من الغذاء.

ومنها حساب البطانة الدهنية التى تصقل الجلد (الحريمى) طاهراً ولكنها فى الواقع تبطنه لحماية حياة الجنين من عوارض البرد والحر وطوارئ الجو والهواء. ويأتى الأستاذ (على أمين) فيحسبه احتمالا مفرطاً من المرأة لتلك العوارض وتلك الطوارئ لا يطيقه أبناء آدم.. «من حواء ياترى أو من غير حواء!!»

هذا هو تصريف الثروة «المفاجئة» التى يضيفها الفيلسوف (الأمينى) إلى رصيد المرأة المظلومة، وهى هى الثروة الموزعة على «الديانة» قبل توقيع الشيك بملايين السنين

فرحمة بهذه المرأة القوية ياأستاذ.. !

ورحمة بهذا العصر الحريمى من الناس أيها الناس. ولا نقول: رحمة بكم أنتم من هذا العصر المظلوم.

علم الكف:

«... زرت مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية. وبينما كنت أتجول فى فناء المستشفى مع عدد كبير من الإخوة طلبة كلية الحقوق اختارنى أحد نزلاء المستشفى - المجانين - ومد إلىّ يده مصافحاً، فصافحته فأمسك بيدى ولم يتركها. ثم بدأ يطرق بأصابع يده الأخرى على راحة يدى وأخذ يقرأ لى ما سطرته أصابعه على كفى، أو بعبارة أخرى أخذ يقرأ لى الكف وقال لى من بين ما قال: أنت كنت ناوى بعد ما تخلص المدرسة تتزوج بنت عمك؟ فقلت له: نعم! فسأل: «وبعدين؟»... قلت: حصل زعل... ثم قال لى أشياء كثيرة تنطبق علىّ فعلا. ولكن الذى أذهلنى هو معرفته بنيتى السابقة عن زواجى ببنت عمى، وهو الذى جعلنى أتساءل: كيف عرف أنها بنت

عمى وليست هى ابنة خالى أو غريبة عنى؟ وكيف عرف غير ذلك من شئون الخاصة فى حياتى، فهل تؤمنون سيادتكم بقراءة الكف؟ أو تأخذون بالقول المأثور: كذب المنجمون ولو صدقوا؟...»

فؤاد محمد نصر أمين

ليسانسيه فى القانون - اسكندرية

أصبتم فيما تنبهتم إليه من موضع الدهشة حين أنبأكم المنجم بحقيقة القرابة بينكم وبين خطيبتكم. فمهما يكن من دلالات علم الكف فليس فى وسع العقل أن يصدق أن الطفل يولد وله كف يستطيع المنجمون أن يعرفوا بعلاماتها بعد أكثر من عشرين سنة:

١ - أن هذا الطفل خطب فتاة فى سنة أخيرة من هذه السنين.

٢ - وأنه كان فى المدرسة ونوى فى ضميره أن يتزوج بتلك الفتاة بعد خروجه من المدرسة، فظهرت لهذه النية علامة على كفه بين مئات العلامات التى يجب أن تتركها على الكف أمثال هذه النيات فى باطن الضمير.

٣ - وأن هذه الفتاة هى بنت عم وليست بنت خال أو بنت خالة أو غريبة لا قرابة لها به كما قلتم.

٤ - وأن هناك خلافاً طرأ بعد ذلك وله علامة «فزيولوجية» تظهر على الكف واضحة، كما تظهر الكتابة المقروءة بغير التباس بين حروفها وعلاماتها.

٥ - وأن يكون لذلك كله خبر مرسوم على الوجه يميزه قارئ الكف من بعيد، فيختارك أنت لا يختار أحدا آخر من أصحابك. وقد كان توكيد النبوءات الكفية يعم حقاً باختيار زميل أو زملاء آخرين تصدق معهم تلك النبوءات كما صدقت فى أخبارك وحدك من بين أولئك الزملاء.

وربما جاز فى العقل أن ترتسم على الكف علامات العمر والصحة

والسعادة، أو علامات الموت والمرض والشقاء، لأنها تتصل بتركيب البنية ويسهل ارتسام علاماتها على كف الإنسان بعد انقضاء الزمن الكافى على تطوراتها الداخلية.

وربما جاز فى العقل أن تكون رسوم الكف ذات دلالة على « الشخصية » الخاصة، لأن المشهور عن رسوم الكف ونقوش الأصابع أنها لا تتشابه بين شخصيتين.

وربما جاز فى العقل أن تظهر بين ذلك علامات للجنس وعلاقاته، ثم تظهر معها علامات للميل إلى الزواج أو لتعدد الزواج بعد حصوله مرات.

ولكن الذى لا يجوز فى العقل بحال من الأحوال، ولادة الإنسان بكف ثابتة تتميز فيها علامات للمدرسة، ومواعيد الخروج منها وللخطبة وحقيقة قرابتها، وللنيات الباطنة وأطوار ثبوتها ثم تغيرها.

فهذه كلها أحوال عارضة ليست لها علامات واضحة تسهل قراءتها فى كل ساعة ،ولو أنها كانت من العلامات التى تكتب بالكلمات والحروف لما وضحت فى الرسم هذا الوضوح الذى يلمحه القارئ بنظرة واحدة فلا يلتبس عليه بين صورتين مختلفتين.

هذا أبعد احتمال يخطر على البال عند مشاهدة التجربة التى ذكرتموها.

وأقرب منه إلى الظن احتمالات كثيرة لا غرابة فيها ولا امتناع لوقوعها على هذه الصورة.

ومنها احتمال قريب يرجح لنا أن المنجم كان يعرفكم وأنتم لا تعرفونه، أو كان يعيش على مقربة من جواركم فسمع بالخطبة وعرف وجودكم بالمدرسة، وأضاف إلى ذلك من عنده ما تفرضه المناسبة للتوفيق بين أجزاء القصة، وبخاصة إذا كان خاتم الخطبة فى غير موضعه المعهود عند تصحيح النية على الزواج.

ومن تلك الاحتمالات، أنه كان يلقى سؤالا بعد سؤال ويستدل بالجواب بعد الجواب على الخبر الذى يليه.

ومن تلك الاحتمالات، أنكم ساعدتموه على غير قصد منكم برغبتكم فى تحقيق الدهشة، كما نرغب جميعاً فى التشوف إلى ما يدهشنا ويوافق خواطرنا، وقد يدل على هذه الرغبة عندكم، أنكم لم تحاولوا مغالطته عند الإجابة عليه، ولم تكرروا التجربة مع غيركم، لتوكيد العلم بأمثال هذه الأخبار، وإمكان النظر إلى رسومها فى عدة كفوف، بل أنتم لم تحاولوا أن تسجلوا العلامات التى كان ينظر إليها، وتتعرفوا تلك الخطوط التى ثبتت عليها نظراته عند إخباركم بصفة الخطيبة، وموعد الخروج من المدرسة، وموعد اختلاف النية بين وجود الرسم الذى يدل على النية ووجود الرسم الذى يدل على تغييرها.

وكل ذلك أقل فى الغرابة وأقرب إلى التخيل من التصديق بأن التنجيم يصل من قراءة الكف إلى الإحاطة بجميع تلك التفصيلات.

وقد فاتكم، على كل حال، أن تستطلعوا كل ما يتعلق بسوابق ذلك المنجم قبل وصوله إلى مستشفى الأمراض العقلية، ولانعنى السوابق القضائية أو سوابق الجنايات والعقوبات، بل نعنى سوابق نشأته وما يصلح منا لتفسير تلك التجربة وتفسير الرغبة فى الإيهام أو الاحتيال بهذه السوسيلة أو بغيرها من الوسائل عند ذلك المنجم، ولابد أن تكون له نزعة عقلية شاذة وصلت به إلى مظنة الجنون.

والأمر الذى لا شك فيه ولا موجب فيه للحيرة، أن الحوادث التى ذكرها ذلك المنجم لا ترتسم لها علامات واضحة بمواعيدها وتفصيلاتها تتأتى معرفتها بغير التباس بينها على عاقل أو مجنون.

سعادة الإعطاء:

نحن نعلم دائماً أننا نشعر بالسعادة إذا أخذنا شيئاً حسناً نحتاج إليه.

وقد نعلم كثيراً أننا نشعر بالسعادة إذا وهبنا شيئاً لمن يسعد بأخذه ويستطيع أن يبادلنا العطاء.

ولكننا - قليلا مانعلم - أن للإعطاء أحياناً سعادة دونها سعادة الأخذ والمبادلة وتلك هى سعادة «التضحية»... سعادة العطاء بغير جزاء من أسعد المعطين والواهبين؟

إنهم هم الآباء والأمهات حين يبذلون عطاءهم من حنانهم وعطفهم للضعاف من البنين!

وإنهم هم العشاق المحبون حين يقيسون حبهم بمقدار ما يبذلون فيه غير مجزيين، بل غير مشكورين.

وإنهم هم عشاق الفكرة ولو كلفتهم الفكرة بذل الحياة.

ماأجدرنا اليوم أن نذكر هذا فى عيد التضحية والفداء. !

ما أجدرنا أن نسأل اللّه - واهب كل شىء - أن يجعلنا أهلا لأن نعطى عطاء التضحية، وأن نعرف السعادة واهبين كما نعرفها موهوبين.

لنكونن إذن أهلا لفضيلة السعادة، بل أهلا لنعمة السعادة والإسعاد، لأنها نعمة السعادة فى الخير.

وكل عام وأنتم بخير...

obeikandi.com

ذكاء للطالب الثانوى*

(... قرأت كتاب علم النفس التربوى للدكتور أحمد زكى صالح، وتوقفت عند الصفحات التى يقول فيها الدكتور الفاضل وهو يتكلم عن التعليم الثانوى العام: إن الطالب الثانوى العام على قدر من الذكاء أكبر من قدره عند الطالب الفنى، وقد عقدت ندوة مع بعض الأساتذه لأعرف رأيهم فيا قرأته، فمنهم من قال إنها هفوة من الدكتور المؤلف ومنهم من قال إنها دليل على أننا مازلنا نعانى من رواسب الماضى... وأردت أن أعرف رأيكم فيا قرات وفيا قالوه.. إلخ إلخ).

محمد محمد الأومانى

والذى أراه أن الخلاف لا يدور هنا على الأعمال البدنية التى يفرقون بينها وبين ما يسمى أحياناً بأعمال الذكاء فى اصطلاح الصناعة الحديثة Skilfull .

فإذا كان هذا هو المقصود فالطالب الذى يصلح للتعليم الفنى لا يستغنى عن نصيب من الذكاء يعادل ذكاء الطالب الثانوى أو يزيد عليه فى بعض الأحوال، وكل ما هنالك من فارق بينهما أنه فارق بين أنواع من الذكاء تختلف فى الاستعداد ولا يلزم أن تختلف فى قدرة الفهم ولا فى الطبقة الفكرية التى يرتفع إليها.

وهذه الصناعات التى يسمونها بأعمال الذكاء فى عرف الصناعة الحديثة، هى بعينها تلك الصناعات التى سماها الأقدمون بالأعمال الميكانيكية من كلمة Mechanikos اليونانية بمعنى الحيلة أو التصرف أو التدبير، وكان المترجمون للعلوم اليونانية عندنا يترجمونها بعلوم الحيل لأنها تحتاج إلى التصرف وحسن التناول فى

* الأخبار ١٩٦١/١١/٢٢

استخدام الآلات، أو فى اختراعها وتحويل فائدتها من عمل إلى عمل آخر، ولا يعقل أن الذهن الذى اخترع الحاكى (الفنغراف) يقل ذكاء عن الذهن الذى راقب خصائص الصوت وسجل قوانينها فى علوم الطبيعة، ولا أن الذهن الذى اخترع حروف المطبعة يقل ذكاءً عن الكاتب الذى يجمع الكلمات من تلك الحروف ويودع المعانى فى تلك الكلمات.

فلا تفاوت فى قدرة الذهن بين الطالب الصالح للعلوم الفكرية والطالب الصالح للأعمال الفنية، ولكنه اختلاف فى الاستعداد ليس إلا، كاختلاف الاستعداد بين ذهن المهندس وذهن الطبيب، أو بين ذهن الشاعر وذهن المصور، أو بين ذهن الزارع وذهن الصانع، وكلها أذهان قابلة للارتقاء إلى الطبقة العليا من العقول الإنسانية فى قدرة التفكير وكفاية العمل.

ولم أفهم معنى رواسب الماضى التى أشار إليها بعض أساتذتكم، لأن الماضى كما رأينا كان يقدر لهذه الأعمال قيمتها، ويفرق بين كفاياتها ويعرف مقادير الذكاء الضرورية لكل منها، وليست كلمة Skilfull العصرية بأدل على الذكاء من كلمة ميكانيكوس أو كلمة الحيل والتصرف التى أطلقت فى الماضى على هذه الأعمال بعينها، وويل للحاضر من رواسبه إذا بطلت فيه فوارق الاستعداد ومواهب الأذهان وملكات العقول والأذواق.

وليام ستيد وتحضير الأرواح*

« ... بالنسبة لوليام ستيد الذى ضربتموه مثلا للروحيين الذين يذهبون ولا يعودون ليتصلوا بالأرض، أقول إن وليام ستيد قد اتصل بعد انتقاله إلى عالم الروح عدة مرات، وتكلم بنفس صوته، وفى حضور كثير من معارفه صفحة ٥٠ من كتاب الموت ليس النهاية (Dath is not the end) لمؤلفه Akdy Collins .. إلخ.

« .. وإذا كنا لا نصدق الكتب ولا الشهود ولا العلماء، فأحرى بنا ألا نصدق أى شىء نقرؤه فى كتب الأولين ولو كانت هذه مسلماً بها كل التسليم ».

دكتور على عبد الجليل راضى
مدرس بجامعة عين شمس
ورئيس جمعية الاهرام الروحية

لا نحب أن نعيد على القراء ما كتبناه لهم أكثر من مرة بياناً لوجه التساؤل فى موضوع الروحانيين الذين ينتقلون إلى العالم الآخر، ولا يعملون عملا حاسماً يفصل الخطاب فى دعوى تحضير الأرواح ، وربما كان الدكتور الفاضل قد أطلع على ما كتبناه أخيراً بعد كتابة رسالته التى اقتبسنا منها هذه الأسطر فيما تقدم، فلا حاجة إلى إعادته مرة ثالثة.

ولكننا نقف هنيهة عند قوله عن وليام ستيد، إن روحه يتكلم من العالم الآخر بصوته المعروف، أو بنفس صوته كما قال لنوضح له مذهبنا فى الحقائق التى تدعو إلى مناقشة أقوال الشهود ولو بلغوا المئات. فإننا نرى أن الظاهرة الطبيعية المقررة لا تنقضها أقوال الشهود ، بل هى التى تنقض أقوالهم ولو

---

* الأخبار ١٩٦٠/٨/٢٤

أجمعوا عليها، وكذلك نرفض كلام القائلين إنهم سمعوا حجراً يتكلم ويرد الجواب، ولو تكررت منهم هذه الشهادة مرات بعد مرات.

فنحن نعلم أن الصوت الإنسانى عمل من أعمال الأجهزة الجسدية يتغير بين إنسان وإنسان، بل يتغير فى الإنسان الواحد بين طفولته وكهولته تبعاً لتغير الحبال الصوتية وتركيب الحنجرة والأنف والفم، وتغير العمل الذى تؤديه الغدد الصماء وسواها، ويرتبط بنمو الجسم ووظائف الأعضاء.

والإنسان روح واحد من أيام رضاعه إلى أيام هرمه، ولكنه ينطق بصوت يختلف بين أيام الرضاع وأيام المراهقة وأيام النضج وأيام الشيخوخة، وقد يتغير فى اليوم الواحد كلما عرض للأجهزة الصوتية عارض من طوارئ المرض أو الطوارئ الجوية، فكيف نسمع هذا الصوت بعينه بعد زوال البنية ومفارقة الروح لهذا الجسد المرتبط بوظائف أعضائه التى لا تتشابه فى ملايين الآدميين والآدميات ؟

إن خطأ الشهود أقرب إلى التصديق من تغيير ظواهر الطبيعة ومن التسليم بنقائض المحسوس والمعقول ، وإذا انتقل الأمر من تقدير أقوال الشهود إلى تعليل ظواهر الطبيعة المتواترة،فالمعول هنا على صحة التعليل لا على الكثرة والقلة فيمن يأخذون بذلك التعليل.

إن صوت وليام ستيد لم يبق مع روحه بعد زوال جسده، لأنه لم يبق فى حياته مع اختلاف تركيب ذلك الجسد وهذه هى الحقيقة التى يريد الدكتورأن ينقضها بشهادة الشهود، ونقول نحن إن هذه الشهادة لا تكفى لنقضها، ولابد لها من تعليل لا يقوم على كثرة العدد، وإلا رجعنا إلى حكاية الميت الذى قرر « قره قوش » أنه مات، وهو ينادى فى نعشه بأنه ما يزال بقيد الحياة، لأن قره قوش لا يكذب المئات ليصدق شاهداً واحداً ينقض ما يقولون !

مدارس كرة القدم :

يعرف خبراء كرة القدم أربع مدارس مشهورة لهذه اللعبة العالمية، وهى :

« المدرسة الأيقوسية »، وهى التى تعتمد على الضربات القريبة مع ملاحظة أساليب الشخصيات اللاعبة التى تنتقل الكرة منها وإليها لحظة بعد لحظة.

والمدرسة الإنجليزية، وهى التى تعتمد على الكرة نفسها وعلى اللاعب الذى يصادفها بعد وصولها إليه ولو ابتعدت المسافة بين من يرسلها ومن يتلقاها.

والمدرسة الأوربية، وهى تجمع بين الطريقتين على حسب المناسبة، وتضيف إليها شيئاً من ألاعيب الرشاقة والمناورة.

والمدرسة الأمريكية التى يسمونها مدرسة « ماثة ريال » ويشرحونها على وجوه كثيرة، أقربها إلى الواقع أنها توزع الحركة نصفين متعادلين بين خطة الدفاع وخطة الهجوم وبين الابتداء بالسرعة أو تأجيل السرعة إلى الأشواط الأخيرة.

ويقول خبراؤنا الوطنيون إن الأندية الرياضية عندنا أخرجت من اللاعبين الممتازين طائفة تضارع نظراءها فى كل مدرسة من هذه المدارس العالمية، ولكنها إلى الآن لم تخرج « مدرسة كاملة » تجرى على خطة متفق عليها بين اللاعبين، ومن هنا تتسرب إليها الهزيمة حيث ينبغى أن تنتصر، لولا هذا التخاذل فى تطبيق الخطة العامة.

فاللاعب الممتاز عندنا يعرض « ما على الحبل كله » دفعة واحدة فى ميدان اللعب فيحاور ويناور، ويسرع ويتراجع، ويقارب ويباعد، ولا يعنيه فى جميع هذه الحركات أن يختار لها مناسباتها أو من يناسبونها من الزملاء والخصوم.

والمطلوب – إذن – هو الأتفاق على مدرسة تحكم اللعب فى الميدان، كائناً ما كان الأسلوب الذى يبرع فيه اللاعب على حدة، وليس بالعسير بعد ذلك

أن يوجد عندنا الفريق الذى ينازل سادة اللعب فى جميع الميادين.

بعد يومين تبتدئ الدورة الأوليمبية فى العاصمة الإيطالية، وتشترك فيها أشهر الفرق العالمية، ولا نستهين بالفخر الذى نناله إذا كان لفريقنا نصيبه من الفوز فى هذا السباق المشهود.

منذ أربعين سنة سئلت عن أنفع وسائل النهضة التى تنقلنا من جمود العبودية إلى حركة الحرية، فكان اعتقادى يومئذ - ولا يزال هو اعتقادى اليوم - أنهما وسيلتان اثنتان: الألعاب الرياضية والفنون الجميلة.

وبحق هذا الاعتقاد الراسخ أعود بين حين وحين إلى هذا الميدان ولا أحسبنى مبتعداً فيه عن ميدان القلم والقرطاس.

obeikandl.com

سيئات تعدد الزوجات*

قرأت فى الصحف «أن اللجنة الدائمة للنشاط النسائى» تعد نداءً إلى الفتيات تنصحهن فيه برفض الزواج من الرجل المتزوج، وتشير من أجل ذلك بإشراك المرأة فى لجنة مراقبة الأفلام لحماية النشء من الانحراف.

ونقول إن هذه الخطوة إحدى الخطوات الصحيحة التى يرجى أن تؤدى إلى التخفيف من سيئات تعدد الزوجات. فإن تقييد هذا التعدد إنما يكون بإرادة المرأة ورغبتها وثباتها على هذه الرغبة، وإلا فالعمل على منع التعدد المكروه تقييد لحريات النساء وليس بتقييد لحريات المسيئين من الرجال.

ونود أن نسأل لهذه المناسبة: أما من شىء يعمل لحماية الأطفال الصغار الذين تموت أمهاتهم ويتزوج آباؤهم بغير أولئك الأمهات؟

هل من الحق أن يقال إن المجتمع لا يملك أن يعرض الآباء لمتاعب العزوبة ولكنه يملك أن يعرض الأطفال لمتاعب القسوة والتعذيب وهم أهم بحمايته من الراشدين المسئولين؟

أليس المجتمع هو الضحية التى تبتلى بنتائج تلك القسوة من الإجرام والانحراف، وفساد الخلق واعوجاج الطوية، حين ينموا أولئك الأطفال فى جو النقمة والأذى، ويفقدون الأمل فى الرحمة والإنصاف يأساً من رحمة الأب وإنصاف الأقربين؟ شىء لابد أن يعمل، ومما ينبغى أن يعمل ولا حرج فيه أن يثبت الأب الراغب فى الزواج قدرته على تدبير أمر الحضانة النافعة لأطفاله، ولو كانت هذه الحضانة موكولة إلى المجتمع يتولاها فى مدرسة خاصة

---

* الأخبار ١٩٦١/١/١١.

تؤتمن على الطفل الذى فقد الأقربين القادرين على حضانته، وفقد الأمل فى الحضانة الصالحة مع زوجة أبيه.

شىء لابد أن يعمل على أية حال، وكل شىء جائز - بل واجب - إذا تحققت ضرورته لحماية تلك الخلائق الضعاف ووقايتهم من الشعور باليأس من الإنصاف فى البيت وفى المجتمع وفى هذه الدنيا الواسعة بين الأرض والسماء.

obeikandl.com

يأجوج ومأجوج*

« .. أعتقد أنه لم يبق فى الكرة الأرضية مجاهل بعد أن أحرز العلم الحديث هذا التقدم... وقد قرأت كثيراً فى كتب التفاسير والتواريخ عن يأجوج ومأجوج وخرجت من هذه القراءة جميعاً أسائل نفسى. أين مكان يأجوج ومأجوج؟ وهل يعجز العلم الصحيح عن كشف هذا المكان فى زمن الصواريخ العابرة للقارات؟

محمد على الطعمى

واعظ مركز نجع حمادى

إن يأجوج ومأجوج قد ذكروا فى التوراة والإنجيل قبل ذكرهم فى القرآن الكريم.

وقد جاء فى سفر التكوين من العهد القديم أنهم من ولد يافث ومعهم ماواى وياوان وتوبال وماشك وتيراس.

وورد ذكرهم مرتين فى سفر حزقيال، وقيل عنهم مرتين إن «مأجوج رئيس روش»

وجاء فى رؤيا يوحنا اللاهوتى من الإنجيل أن عددهم مثل رمل البحر...

والمرجح من مقابلة الأخبار والآثار التاريخية أنهم شعوب مغولية تختلط بأجداد «الروش» من سلالة السلاف الأقدمين.. فإذا صح هذا الترجيح فقد عرف المؤرخون مكانهم قبل عصر الصواريخ وعوابر القارات، وقد أشار أبو الفداء والإدريسى إلى السد القديم فى إقليم بلخ، وكشف المنقبون من الروس عن سد منيع على مقربة من مدينة دربت التى تسمى باب الأبواب، وذكر

---

* الأخبار ١٩٦١/٣/١

السائح الألمانى «سيلد برجر» فى أوائل القرن الخامس عشر أنه رأى السد وهو فى حاشية «شاه روح» وقال السائح الأسبانى كلافيجو (سنة ١٤٠٣) إنه رآه على الطريق بين سمرقند والهند، ولخصت مجلة المقتطف هذه الروايات فى مجلد سنة ١٨٨٨، ثم أسهب الأستاذ طنطاوى جوهرى رحمه الله فى التعقيب عليها من تفسيره لسورة الكهف بالمجلد التاسع من «الجواهر فى تفسير القرآن الكريم» وقد رسم لهذه الأماكن خريطة مفصلة قال بعد إيضاحها : «إن السد المرسوم هنا الفاصل بين بلاد الصين قديماً وبين بلاد يأجوج ومأجوج ذكر صاحب إخوان الصفاء أنه عند ٢٧ درجة شمالا والمرسوم فى الخريطة أبعد منه بنحو عشرة درجات، وهذا السد الجنوبى غير السد المذكور فى هذا المقام. فإذن يأجوج ومأجوج كانوا محاصرين بين سدين خفية بطشهم بجيرانهم..

وهذه الخريطة على ما نعلم تحيط بجميع المواقع المفروضة لتلك الشعوب، وكل ما يروى عن يأجوج ومأجوج يصدق، جغرافيًّا وتاريخيًّا وقديماً وحديثاً، على شعوب فى هذا الحيز من العالم المعمور.

الطب وعلم النفس*

«قرأت فى كتاب الدكتور إدوارد سبنسر كولنز بعنوان (لاتخف) ما معناه أن الأطباء البشريين هم أحوج الناس إلى دراسة علم النفس... فما رأيكم فى هذا؟ إننى طالب بكلية الطب وأريد أن أدرس شيئاً فى علم النفس، وأرجو أن توضح لنا معالم الطريق، وكيف تكون هذه الدراسة..»

محمد رضا السيد عوضين

كلية الطب - جامعة القاهرة

إن الخبرة بالنفس البشرية، أداة لازمة لأصحاب كل صناعة تتصل فيها العلاقات بين صاحب الصناعة وأفراد من الناس مختلفين بالطبائع والأمزجة والعادات.

والطبيب الحاذق يعلم أنه يعالج إنساناً مصاباً بهذا المريض أو ذاك، ولا يكفى لنجاحه أن يعرف علاج المرضى كما يوصف فى كتب الطب لجميع المصابين.

فإن لم يكن للمرض الواحد دواء مختلف بين المصابين به فالواقع الذى لا شك فيه أن وسائل الإقناع والثقة بينهم تختلف أبعد اختلاف، وأن وصف الدواء للمريض الذى تنتظر منه اتباع الإرشاد الطبى غير وصف الدواء لمريض يحتاج قبل ذلك إلى إقناعه بضرورة الإصغاء إلى الوصايا الطبية. وكذلك يختلف أثر الدواء على حسب الاختلاف بين الطفل والصبى والشاب والشيخ وإن كان اسم المرض واحداً فى معجمات الأطباء.

والخبرة بالنفس البشرية تستفاد من النظر والتجربة والاطلاع على تجارب

* الأخبار ١٩٦١/٥/٣١.

الآخرين، ولا ينحصر العلم بها فى الدراسات النفسية التى يطلقون عليها اسم « السيكولوجية » على تعدد فروعها وموضوعاتها، وليس أكثر من الكتب التى تعالج هذه الموضوعات، ولكننا لا نستريح إلى أساليب بعضها فى تفسير العلل على مثال تفسير الأحلام، ونرى أن التعويل على النتائج مع استقامة التطبيقات على التجارب المقررة أسلم من كل تفسير يقوم على التخمين، ولايزال فهمنا للإنسان مأمون العاقبة مادام المرجع فيه إلى مقابلة العادات والوقائع والتحقيق منها دائماً قبل استخراج الرموز والفروض منها بما يشبه تأويلات الكهان ومفسرى الأحلام.

ومهما يقل القائلون عن ألغاز النفس البشرية فعلاج الألغاز بالألغاز خطر غير مأمون ولابد أن نفهم اللغة ونفهم العلاج معا قبل المجازفة التى كان الكهان يسوغونها بمصاحبة الدعاء والصلاة، وليس لها مسوغ مثلها فى صناعة الطبيب.

* * *

وقد كنا نقرأ خطاب الطالب الطبيب وبين أيدينا تقرير مسهب عن تجارب النفسانيين المشتغلين بعلاج الأمراض الجسدية من طريق الاطلاع على دخائل النفس المريضة، جمعت فيه المجلة التى نشرته خلاصة تجارب عملية سجلها كبار علماء الطب النفسانى فى هذه السنوات الأخيرة، فكان أصرح ما فيها وأولاه بالثقة والاطمئنان، أن الحالات النفسية درجات شائعة بين الرجال والنساء عامة، وليست شذوذاً خاصًّا بطائفة من المشوهين المعزولين عن الحياة، وأن الإصابات بها تتفاوت فى جميع الناس كما تتفاوت الأمراض من الزكام الطارئ إلى السرطان، وأن أكثر المصابين بالعلل النفسانية يستطيعون أن يعرفوا عللهم بالملاحظة اليسيرة ولا يحتاجون إلى أكثر من الانتباه لما ينساقون إليه مع رغباتهم وأهوائهم بغير انتباه، وقد تستعصى العلة على الفهم زمناً طويلا أو قصيراً إذا

كان مرجعها إلى حادث بعيد بين حوادث الطفولة المنسية، وهنا يبتدئ دور الطبيب النفسانى الذى يشبه أدوار الاستطلاع وتفسير الأحلام، لأنه يعتمد فيه على «التنويم المغناطيسى» لإقناع المريض بالتفتيش عن خبايا السريرة المطوية عنه باختياره أو على الرغم منه، وقد يعتمد فيه على العقاقير التى تشل الإرادة ولا تشل الحس والذاكرة، فيتغلب الطبيب على إرادة المريض المصر على إخفاء الحقيقة عن نفسه، ويستعين به بعد ذلك على تصحيح إرادته أو تصحيح رغبته فى الشفاء، وهذه هى المرحلة الخطرة بين الطبين المعروفين: طب الأجسام وطب النفوس، ولكن الخطر يزول أو يدخل فى طاقة الطب كلما ظهرت نتيجة «التنويم المغناطيسى» مطابقة لتجارب الواقع ومقررات الطب المفهوم، وهذه وسيلة من وسائل التحقيق والبحث لتشخيص الأمراض يصح الاعتماد فيها على طبيب الأجسام ولا يصح أن ينفرد بها النفسانيون والمنومون بأية حال، وخير من تفريقة العلاج على أساسين مختلفين أن يكون طبيب الأجسام على علم بالكشوف النفسية، أو يكون طبيب النفوس على علم بطب الأجسام، لأن قسمة الإنسان بين طبين منعزلين حالة من أحوال الفصام «الشيزوفرانيا» يشترك فيها الطب والمرض، ويصاب فيها الطب نفسه بداء «الفصام» الوبيل... وإنما يطلب طب الجسد وطب النفس معاً لإنقاذ الإنسان من هذا الانقسام.

الأديان هى التى علمتنا أن الأرضين والسماوات عامرة بالخلائق الحية*

« . . . وجدت الحياة على الأرض ولا بد أن توجد على الكواكب الأخرى لأنها ظاهرة طبيعية وليس من المفهوم أن تكون شروطها قد وجدت فى الأرض بين هذه الكواكب التى تملأ الفضاء ولم توجد فى غيرها، فإذا وصل الطيارون الأرضيون إلى كوكب فيه سكان عقلاء فما هو موقفنا معهم فى مسألة الدين؟ هل نعتبرهم جاهلين ينتظرون التبشير بدين من أدياننا؟ أو نعتبرهم سابقين لنا فى الوحى السماوى فنأخذ منهم الدين الذى سبقونا إليه..»

«غير مؤمن ولا مؤاخذة»

هذا التوقيع «غير مؤمن – ولامؤاخذة – منقول بحرفه.. أما الخطاب فقد لخصناه لطوله وتكراره واكتفينا فى هذه السطور بالجانب الجوهرى منه، وهو جانب الظاهرة الطبيعية وضرورة ظهورها على الكواكب كما ظهرت على الكرة الأرضية.

ونقول «لغير المؤمن بلامؤاخذة»، إنه لم يتكلم عن الحياة بلغة الدين ولا بلغة العلم، ولا غرابة فى مخالفته للدين لأنه غير مؤمن، ولكن الغريب أن ينتحل صفة العلم وأن يقول إنه يستند إلى آراء العلماء وهو بعيد فيها بعد الأرض من كواكب الفضاء.

إن الكرة الأرضية ليست بالظاهرة الطبيعية التى تتكرر بالكثرة التى يظنها (غير المؤمن ولا مؤاخذة)..

لأنها جزء من منظومة شمسية متوسطة بين أجزائها، وله قمر واحد يلحق به

* الأخبار ١٩٦١/٦/٧.

على صورة غير متكررة حتى فى السيارات ذوات الأقمار بين أعضاء المنظومة الشمسية.

وقيام الكرة الأرضية بهذا الوضع شرط كبير الأهمية فى مسألة الحياة، لأنه يجعلها بعيدة من حالات الحرارة المفرطة والبرد المفرط، وأن توسطها فى الحجم أهم من توسطها فى البعد عن الشمس، لأنه يجعل الجاذبية فيها صالحة للاحتفاظ بالطبقة الجوية حولها وعزلها عن عوارض الفضاء الضارة بالحياة، فلا هى جاذبية ضعيفة تطلق الأهوية إلى الفضاء ولا هى جاذبية ثقيلة تشل حركة الأعضاء الحية.

وإلى جانب ذلك يتعادل النور والظلام على أكثر جهاتها بين أوقات الليل والنهار، وتتعادل الفصول وما يتبعها من توزيع عوامل الخصب والنماء، ويأتى دور القمر بالإضافة إلى هذه العوامل فيفعل فعله فى المد والجزر وفى تنظيم التبخير وتقسيم مجاميع المياه بين الملح والعذوبة، وتهيئة الملح لقبول الشحن الكهربية الصغيرة التى تناسب الخلايا الأولى فى البحار.

هذا مع شروط كثيرة متعلقة بدرجات الحركة ودرجات الإشعاع لم يتكرر له نظير بين كل ما يعرفه الفلكيون من مجاميع الفلك ومنظوماته، وكل ما يقال عن إمكان وجود هذا النظير فهو من قبيل الفروض المنطقية التى يفرضها كل فارض كما يشاء، ولادليل لها من الأرصاد ولا الحساب.

ونترك كل هذه الوقائع وكل هذه الفروض ثم نأتى إلى الواقعة الكبرى التى لا جدال فيها، وهى صلاح الأرض لظهور الحياة عليها.

فما معنى ذلك على «التحقيق العلمى» الذى يحكيه «غير المؤمن ولا مؤاخذة»...؟

معناه أن الأحياء موجودون الآن على الكرة الأرضية، ولكن هل توجد

obeikandi.com

الآن ظاهرة واحدة تثبت أن الحياة تنشأ من مادة الكرة الأرضية فى صورة من أبسط الصور البدائية التى ندركها للكائنات الحية؟

هل يوجد فى الأرض مكان واحد تتحول فيه خلايا المادة إلى خلايا حية؟

فلماذا لاتتكرر اليوم نشأة الخلية الحية من الأجسام المادية؟

هل شروط هذا التحول موجودة اليوم كما كانت موجودة عند ابتداء ظهور الحياة؟ إن كانت موجودة فلماذا لا تفعل فعلها اليوم كما كانت تفعله قبل ملايين السنين؟

وإن كانت قد زالت فما هى؟ وكيف عرف العلماء أنها هى شروط تكوين الأحياء؟ وكيف حكموا هذا الحكم على الفرض والتخمين؟ وهل هم علماء (يحققون تحقيق العلماء) حين يخبطون فى هذه الظنون ويهرقون بما لا يعرفون؟

إن آخر ما اطلعنا عليه من أخبار هذه التجارب هو تجربة «ستانلى ميلر» الأستاذ بجامعة شيكاغو، وهو يبنى تجربته على فرض من أمثال هذه الفروض، خلاصته أن الكرة الأرضية كانت مغطاة قبل ملايين السنين بالهيدروجين والنشادر والميثين. Methane أو غاز المستنقعات، ولم يكن فيها «أوكسيجين» منفصل من الماء، وقد تعرضت هذه العناصر لدفعات الأشعة فوق البنفسجية فتولدت منها أحماض النشادر التى تدخل فى تكوين المادة البروتينية، وهى قوام الخلايا الحية، وعلى هذا الفرض جمع الأستاذ بعض تلك العناصر بنسبة مختلفة وعرضها فى الأنابيب لدفعات من الكهرباء تكثر فيها الأشعة فوق البنفسجية، فتولدت فيها أحماض نشادرية كالتى تحتويها البروتينات، واستخلص الأستاذ من ذلك أن الكرة الأرضية فى أوائل عهدها بالابتراد كانت تصلح لتوليد أحماض النشادر ثم توليد البروتينات ثم توليد الخلايا الحية، إذا فرضنا أن الأشعة التى كانت تتلقاها من الفضاء كانت على مثال أشعته التى اختارها لتسليطها على

أنابيبه، ثم حدثت الحادثة ونشأت خلايا الحياة مرة واحدة ولم تتكرر بعد ذلك بالوسائل الطبيعية ولا بالوسائل الصناعية.. !

وتلك هى الظاهرة الطبيعية التى يقول «غير المؤمن ولا مؤاخذة» إنها شيء محقق لابد من مصادفته فى السماء كما هو على الأرض !... ويفوته أننا لا نصادفه على الأرض اليوم حيث تحقق وجود الحياة وبقائها فلا موجب للتوكيد فيما وراء ذلك من مجاهل الفضاء.

وهناك احتمالات كثيرة، تحول دون هذا التوكيد.

فيحتمل « أولا » أن المنظومات الشمسية من قبيل منظومتنا لا توجد فى أنحاء الفضاء التى يصل إليها الطيارون الأرضيون.

ويحتمل « ثانياً » أن توجد المنظومة ولاتوجد السيارة المتوسطة على مثال كرتنا الأرضية.

ويحتمل « ثالثاً » أن تكون السيارة أو المنظومة فى حالة كالحالة السابقة لظهور الحياة على الكرة الأرضية، وأنها لاتزال مغطاة بالهيدروجين والنشادر وغاز المستنقعات ولم تصل إلى درجة صالحة لتكوين الروتين إلخ إلخ.

ويحتمل « رابعاً » أن تكون السيارة أو المنظومة فى حالة متأخرة فقدت فيها شروط ظهور الحياة وشروط بقائها.

ويحتمل « خامساً » أن تجرى الحياة هنالك على خطة غير خطتها فوق الكرة الأرضية، وأن يكون شأنها بالنسبة إلينا كشأن الأحياء التى انقرضت عندنا قبل عصور التاريخ.

وبين هذه الاحتمالات المتضاربة لا سبيل إلى توكيد شيء من الأشياء.

ولاندرى لماذا نظن أننا نحن أبناء الأرض نبحث عن سكان الكواكب

ونجدهم بالطيارة دون غيرها ولا نجدهم قبل ذلك بتيارات الأشعة ومواصلاتها التي تسبق الطيارة بالسرعة والنفاذ؟.

ولماذا يوجد سكان على الكواكب ولا يبحثون عنا ويصلون إلينا؟ هل هم أقل منا علماً؟ هل هم أعلم منا؟ هل هم مثلنا فى العلم؟.. فلماذا ننفرد نحن بالسؤال عنهم والوصول إليهم، ويمكثون هم على كواكبهم مستترين منتظرين، إلى أن يبلغ إليهم الرسول من ناحيتنا نحن على هذه الكرة الأرضية؟

إن العلم الصحيح لا يسوغ هذا التطوح بالظنون إلى ما فوقنا من أنحاء الفضاء السحيق؟

وهل هو فوقنا حقاً أو نحن فوقه على كل اعتبار من اعتبارات الأبعاد والجهات؟

أما إذا صح يوماً أن نلتقى بأبناء وطننا الكونيين فليس من المنتظر أن يكون لقاؤنا بهم مشكلة دينية سواء وجدناهم جاهليين أو وجدناهم هداة مهتدين سابقين لنا بالوحى واليقين، فإن الأديان هى التى علمتنا أن الأرضين والسموات عامرة بالخلائق الحية من غير بنى آدم وحواء: ملائكة وأرواح وجنة وأحياء عند ربهم، ويخلق مالا تعلمون.

فإن كان «غيرُ المؤمن ولامؤاخذة».. يحار فى أمر زملائنا الكونيين فليتركهم للذين يؤمنون ويفهمون أبناء السماء فهم الزملاء، فإنهم أقرب إليهم ممن يخبطون الآن بين كواكب السماء خبط عشواء، وإنهم لأقوى على النظر فى ظلماتهم ممن يغوصون بين أنقاض النشادر وغاز المستنقعات، وبين البقايا والنفايات، ثم يحصرون الأكوان والآباد فى معامل الكيمياء..

حكمة الحياة*

« ... إن الإنسان والحيوان والشمس والقمر والماء والهواء والنبات وسائر معالم هذا الكون لم تخلق عبثاً بل لها فى وجودها حكمة... ولكن الشىء الذى يختلط فيه الأمر على كثيرين وأعجزنى تماما عن الوصول إلى تفسيره تفسيراً معقولا مقنعا. هو ذلك الخضم الهائل من أنواع الحشرات المهلكة التى تهدد البشرية كلها بالويل والدمار... ولست فى حاجة إلى أن أذكركم بتلك المجهودات الجبارة التى تقوم بها الحكومات فى سبيل القضاء عليها... وأرجو من أستاذنا أن يتسع صدره للإجابة عن سؤالنا بما فيه راحة للضمير.. »

لطفى أحمد عبد الشافى

دمنهور

هذا سؤال من أسئلة كثيرة أتلقاها فى معناه بين حين وحين، وكلها تدل على علامة من علامات العصر الكبرى : وهى حب التوفيق بين معنى الكون ومعنى حياة الإنسان، وحب الوقوف على السبب حتى فى العقائد الخطيرة كعقيدة الإيمان بالحكمة الإلهية. ولهذا أرى من الواجب أحياناً أن أشرح لأصحاب هذه الأسئلة - وهم كثيرون - كل ما يستطاع تلخيصه من تجاربى العقلية والروحية فى هذه الأمور.

وأول مايلزمنا أن نذكره أن الكون لم يخلق للإنسان، وأن الإنسان جزء من نظام لكون ولكنه ليس بالغاية الأخيرة ولا بالعلة الأولى لهذا النظام.

إن الإنسان جزء من أجزاء هذا الكون الواسع، ومخلوق من مخلوقاته التى لا تحصى، وأفضل ما يعتقده الإنسان فى أمر نفسه أنه مخلوق مميز على غيره

---

* الأخبار ٢٨/٦/١٩٦١.

بالعقل والإرادة والتصرف، فهل يجوز لناأن نفهم من ذلك أنه يحقق هذه الصفة بوجوده فى عالم لا عمل فيه للعقل والإرادة والتصرف ولا فرق فيه بينه وبين المخلوقات التى هو مفضل عليها وليست لها قدرة تضارع قدرته على الوقاية والمقارنة.؟

وليكن هذا العالم كله مخلوقاً لأجل الإنسان، فهل يتحقق ذلك بوجوده بين مخلوقات تعمل له ما ينبغى أن يعمل لنفسه وتعطيه ما ليس يسعى إلى طلبه، وتجعل العامل من أبناء نوعه كالعاجز عن العمل، والواقف بين ما ينفعه وما يضيره على حد سواء كالعارف المميز بين دواعى المنافع ودواعى الأضرار؟

إن تاريخ الإنسان فى هذه الكرة الأرضية هو تاريخ المقاومة لما يخالفه ويناقض مصلحته وعوامل بقائه، ولو أننا حذفنا من تاريخ الإنسانية اليوم كل ما استفادته من مقاومة عناصر الطبيعة ومصارعة الضوارى والسباع والتنقيب عن الجراثيم الخفية وعن علل الأمراض المجهولة، لما بقى بين يديها شيء يفضلها على سائر المخلوقات، وأكاد أقول إن الإنسانية لو خيرت بين حذف الخيرات التى جاءتها عفواً صفواً بلا اجتهاد ولا مقاومة وبين حذف الخيرات التى استفادتها وتستفيدها من مقاومة ذلك الخصم الهائل من الحشرات والمخلوقات المهلكة لترددت كثيراً فى الاختيار، وقد ينتهى التردد بترجيح خيرات الاجتهاد والمقاومة على خيرات السهولة والهوادة.

ونرى أن كلمة «حكمة الكون» وحدها بالنسبة للإنسان تستدعى هذا الاختلاف بين الظواهر وبين نتائج الأشياء، والمخلوقات التى لا تظهر للعقل أو للحس من نظرة واحدة.

وكل حكمة للخلق معناها الوحيد أن نعرف بعد التجربة ما لم يكن معروفاً من النظرة الأولى.

وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم كما جاء فى الكتاب المبين.

وأحب أن أذكر فى هذا اليوم الذى تظهر فيه هذه اليوميات - وهو يوم ميلادى الثانى والسبعين - أننى لا أحمد تجاربى كلها فى هذا الكون، ولكننى لو سئلت : كيف تريدها محمودة أو غير محمودة؟ لقلت إن احتمالها على علاتها أقرب إلى وحى العقل والضمير من عقيدة تسخر الوجود والموجودات جميعاً لأنانية الإنسان وأنانية كل إنسان..

obeikandl.com

القداسة والتصوير*

اطلعنا فى المجلات الأمريكية على مقال للأسقف «سدنى لنيار» أحد رؤساء الدين - بمدينة نيويورك كتبه لصحيفة نيويورك هرالد تربيون عن المناظر الدينية وصور الأنبياء والقديسين التى تعرض على اللوحة البيضاء، ويظن الكثير من قرائنا أن الاعتراض عليها «عصبية إسلامية» ينفرد بها رجال الدين الإسلامى أو أنصار العرف التقليدى من عامة المسلمين.

وليس مقال الأسقف لنيار بأول مقال من قبيله فى هذا الموضوع، ولكننا أحببنا أن نشير إليه الآن لأننا نتلق أخيراً بعض الأسئلة عن عرض صورة الذات النبوية وصور الخلفاء الراشدين بين الصور المتحركة التى تحتويها الروايات وفصول التاريخ، ونريد أن نقول لهذه المناسبة إن رجال الدين المسيحى، فى البلاد التى اشتهرت بأنها بلاد البدع والتفانين الحديثة ينكرون الإغراق فى تسليط الفن على موضوعات القداسة والعبادة، رعاية على الأقل لحكم الذوق فى الفصل بين معارض الفنون ومعارض العبادات، وقد يمنع «الذوق» أن يغض التمثيل من مهابة القداسة، كما يمنع الذوق أن يجور الجامدون باسم القداسة على مسرح التمثيل.

ومن المسلمات - فيما نعتقد - أن نحتفظ للذوات الدينية بحقها من القداسة والمهابة ونمنع كل ما يغض من قداستها ومهابتها فى نفوس المؤمنين بها، فإذا لم تكن هناك غضاضة تناقض شعور التقديس والإجلال فلا حرج ولا امتناع، ولا تكفى هنا سلامة النيات: لأن الصور المتحركة تتخطى النيات الخفية إلى عالم المنظور والمسموع، وتختلط بالأقوال والمواقف التى تبدر من الممثل على غير قصد منه، لأنه يملك ماهو قادر عليه من البراعة الفنية ولا يملك ما يفوق

* الأخبار ١٩٦١/٨/١٦.

حدود هذه البراعة من محاكاة العظمة بما يناسب كل مقام، وكثيراً ما تكون هذه المقامات فوق إدراك الفنان ولا يكون قصاراها أنها فوق قدرته الفنية.

والذى نعرفه بالتجربة مما شاهدناه على المسرح أو على اللوحة البيضاء، أن أدوار القداسة وأدوار العظمة التى تقاربها، لم تظفر بمن يقدر عليها من ممثليها المخلصين الراغبين فى تنزيه صورها من عوارض النقص والابتذال.

وقد خذلتهم ملكاتهم فى تمثيل رجل عظيم كصلاح الدين، لا يرتفع عند المسلمين ولا عند غير المسلمين إلى مقام الأنبياء، ولا إلى مقام الخلفاء الراشدين.

وهكذا تنتقل بنا هذه القضية من سؤال السائل: هل يجوز التمثيل؟ إلى سؤال لازم قبل ذلك وهو: هل يستطاع؟

إن الخلاف - فيما نرى - قليل بعد الاتفاق على استطاعة تصوير القداسة فى صور لا تغض منها ولا تجور على مهابتها، ولا محل للسؤال عما يجوز إذا كنا لم نفرغ بعد من السؤال عما يستطاع.

obeikandl.com

«الأنغال» المتولدة من حيوانين موجودة فى كل مكان*

« .. وبعد، لى عدة ملاحظات على كتابكم الرائع (الإنسان فى القرآن الكريم) أجملها فيما يأتى:

١ ـ جاء فى الكتاب من المنقول عن إخوان الصفاء أن أول المرتبة النباتية خضراء الدمن، وفى النبات نوع آخر فعله فعل النفس الحيوانية وإن كان جسمه جسماً نباتياً: وهو الأكشوث، ولا شك عندى أنه حدث خطأ مطبعى وصحته الأكثوث بالثاء لا بالشين.

٢ ـ كنت أود أن تشيروا فى باب مذهب التطور إلى مجهود الأستاذ إسماعيل مظهر الذى نقل كتاب أصل الأنواع.. وكم كنت أحب أن تشيروا إلى كاتب عاش طول حياته يتغنى بمذهب التطور وهو المغفور له الأستاذ سلامة موسى.

٣ ـ قد استعملتم اصطلاح «تنازع البقاء» ترجمة للعبارة Struggle For Existincs

فى حين يفضل الأستاذ إسماعيل مظهر اصطلاح التناحر على البقاء، وأنا أرى أن العبارة الأخيرة أدق فى الترجمة.

٤ ـ لماذا فضلتم ترجمة كلمة Mutation بالتحول الفجائى على كلمة طفرة.

٥ ـ ما رأيكم فى كلمة أنغال ومصدرها نغولة مقابل كلمة Hybrids، وهى من الكلمات التى وجدتها فى ترجمة كتاب أصل الأنواع للأستاذ مظهر، وهل

---

* الأخبار ١٩٦١/١٠/٤.

يمكن أن تقوم كلمة أنغال مقام كلمة الأنواع الوسطى التى جاءت فى كتابكم فى أكثر من موضع؟

« .. وبعد، أرجو الرد لو تكرمتم، على هذه الملاحظات فى يومياتكم الأسبوعية بجريدة الأخبار.. »

سعيد أحمد البطرنى

مدرس العلوم بمنوف الثانوية

هذه خلاصة لخطاب المدرس الفاضل تدل على جملة موضوعاته، وفيها الكفاية للجواب المفيد فى هذه الموضوعات.

ونبدأ بالكلمة التى اعتقد الأستاذ البطرنى أنها خطأ مطبعى فنقول إنها صواب لا خطأ فيه كما نقلت من كتاب إخوان الصفاء ومن المراجع اللغوية كالصحاح ولسان العرب، وهى الكشوث بالهمزة وغير الهمزة، وتعريفها أنها نبات مجتث يتعلق بأطراف الشوك وغيره، ولعله من المتسلقات، وليس هو من خضراء الدمن التى تشبه الفطريات فى جملة الصفات.

ونرجو أن يذكر الأستاذ أننا ألفنا كتاب (الإنسان فى القرآن الكريم) لنعرض المذاهب الفكرية والعلمية من حيث علاقتها بالدين، ولم نؤلفه لننقل فيه كل ما كتبه الباحثون والمترجمون عن مذهب التطور وغيره. وهم مئات لا حصر لهم فى جميع اللغات.

ولهذا ناقشنا فيه أقوال الفريقين اللذين تناولا مذهب التطور من هذه الناحية، وهما الفريق الذى رفض مذهب داروين باسم الدين، والفريق الذى رفض الدين باسم مذهب داروين، وناقشنا كلا من الفريقين بما يقتضيه المقام.

ونقول للأستاذ البطرنى إننا نعجب بترجمة الأستاذ إسماعيل مظهر لكثير من المصطلحات، ولكنه فيما نرى لم يوفق إلى الصواب فى بعضها ومنها اصطلاح

obeikandi.com

التناحر على البقاء واصطلاح (الأنغال) فإن الخطأ فيهما يبلغ مبلغ المناقضة للمعنى المقصود.

فالتناحر على البقاء خطأ لأن أصحاب مذهب التطور لا يقولون إن الحى مطبوع على أن ينحر الأحياء الآخرين، وإنما قالوا إنه مطبوع على حب البقاء وإن وسائل البقاء قد تضيق بهم جميعاً فيحدث بينهم التنازع عليها ،ويأخذ أقدرهم بالنصيب الأوفر منها.

ولم يقل أحد من النشوئيين - ولا هو من المعروف فى الواقع - إن الأحياء المغلوبة تموت كلها منحورة بأفرادها وأنواعها، ولكنهم قالوا كما هو الواقع إنها تنقرض على مهل أو على عجل لأنها فقدت وسائل البقاء من الغذاء والمسكن والإنتخاب الجنسى، فهى تنقرض كما ينقرض من فقد هذه الوسائل، ولا تموت منحورة كما يفهم من كلمة التناحر، بل كثيراً مايتفق أن يكون المنحورون فى ميادين الصراع والقتال أقوى الأقوياء، إذا يتوارى غيرهم من المغلوبين بعيداً عن تلك الميادين.

أما ترجمة الأنواع الوسطى بالأنغال فهى مناقضة للمعنى كله ومضيعة للنقطة المهمة فى الخلاف بين القائلين بتحول الأنواع والمنكرين لهذا التحول.

فإن المنكرين لتحول الأنواع يقولون إن هذا التحول لا يحدث فى الطبيعة، ولو حدث لوجدنا فيها أنواعاً وسطى فى دور التحول من نوع إلى نوع، ولكن هذه الأنواع الوسطى غير موجودة ولم توجد من قبل، فلا دليل إذن على صحة مذهب النشوئيين.

هذا هو أصل الخلاف الكبير بين الفريقين، فكيف إذن يسمون الأنواع الوسطى بالأنغال، مع أن الأنغال التى تتولد من حيوانين موجودة فى كل مكان، كما يوجد البغل من الحصان والأتان أو من الحمار والفرس، أو كما توجد الأنغال فى أقوال الرواة عن توالد الذئاب والكلاب وأبناء آوى؟

إن العالم الطبيعى الذى يقول إن التحول لم يحدث لأن « الانغال » غيرموجودة يناقض نفسه ويناقض الواقع، ولكنه إذا قال إن الأنواع الوسطى لم توجد ولا وجود لها الآن، فهو صاحب الحجة الناهضة إلى أن تبطل هذه الحجة بدليل من المشاهدات أو من بقايا الأحافير، ولم تبطل هذه الحجة - بعد - بدليل مقبول.

أما ترجمة كلمة Mutation بالطفرة فقد فضلنا عليها كلمة التحول الفجائى لأن « الطفرة » محال فى رأى الأكثرين، وإنما تختفى أسباب التحول أو تتجمع حتى تظهر فجأة فلايقال عنها إذن إنها حادثة لغير سبب كما تحدث الطفرة بغير مقدمات.

ونرى أن هذا البيان كاف فى جواب ما أشرنا إليه من كلام السيد البطرنى وما لم نشر إليه.

obeikandl.com

تحضير الأرواح !*

آن (للنفس) أن تبحث (المرآة) نفسها بعد أن نظرت طويلا فى صفحة المرآة.

خمسون سنة، أو ستون، أو سبعون من أخلاط التحليل والتعليل، بين العقد النفسية ومركبات النقص، والوعى الباطن، والوعى الظاهر، واللاوعى، والتابو، والفوبى، والساديزم، والماسوشزم، وكل اسم، وازم، واثم، يخطر على البال، أو لا يخطر على البال!

وتلك هى الأشباح والأطياف والبعابع والتهاويل التى تفقدتها النفس الإنسانية المعذبة طويلا فى تلك المرآة، وظلت تعيد النظر إليها خمسين سنة ، أو ستين، أو سبعين!

ثم إلى متى؟

إلى وقفة لابد منها تتأمل المرآة بعد أن تأملت ما فى المرآة.

وقفة لابد منها لتكشف عن هذه المرآة ما هى؟ وماذا احتوت داخل الإطار؟ وماذا احتوت وراء الزجاج المظلم، المصنفر، المكسور!

وقفة يقال فيها (لفرويد) وأصحابه من سحرة الطلاسم. تعال أنت وهو جميعاً وقولوا لنا: من أين لكم هذه الطلاسم والتمائم؟ وهذه الطواطم والطماطم؟ وما لاندرى ولا تدرون، مما تتفقون عليه ولا تتفقون؟!

وقد تطول هذه الوقفة بعد ذكرى فرويد منذ عامين، وقد تصاغ المرآة كلها

* الأخبار ١٩٦٠/٢/٢٩.

مرة أخرى فى مصنع آخر، فلا يعرف فيها (فرويد) وجهه إذا نظر إليه، بعد مائة عام أخرى من هذا العام.

أما اليوم فالذى حدث أن (فرويد) العظيم قد حملوه مكتوف اليدين والقدمين إلى المشرحة التى طالما ألقى الناس عليها، فأصبح الآن (حالة نفسية) تضاف إلى العشرات، بل المئات، بل الألوف، من الحالات التى رصدها من قبل، ثم رصدها من بعده مريدوه ومؤيدوه، كما رصدها معارضوه ومناقضوه.

(فرويد) حالة كأحسن الحالات - أو كأسوأ الحالات - التى تمثل فيها أعراض العقد والمركبات.

هو حالة من الحالات التى تتمثل فيها عقدة أوديب، وعقدة التمرد على النقص، وعقدة الخوف من المجهول، وعقدة الجنون بالعظمة، وعقدة الوعى الباطن و(اللاوعى) على أشكال وألوان.

فرويد كان يهجس بالغيرة على أمه، وكان يكتم شعوراً يخامره من عقدة أوديب، ولهذا لم يذكرها فى غير ثلاثة أحلام من ثلاثين حلماً يختارها من أحلامه لتفسير (رؤى) المنام..

فرويد كان يتمثل نفسه فى صورة هانيبال حنيناً إلى أصله السامى، لأنه كان يتمثل فى (رومة) صورة السلطان الذى يثور عليه اليهود، الساميون.

فرويد كان لا ينسى أنه يهودى لأنه كان يدرس فن النحات الكبير (ميكالانجلو) صانع تمثال موسى، ويحلم بأنه هو - كموسى - وقف برحلته على مقربة من أرض المعاد.

فرويد كان لا يفارق أمه فى صباه، وكان فى شيخوخته لا يسافر منفرداً ولا يطمئن إلى قطار.

فرويد كان يخاف ما حوله وكان يمزق كل ورقة يستغنى عنها فلا تبق منها بقية يعرف منها ما تحتويه.

فرويد كان يخاف الموت جوعاً ولا يفارقه هذا الخوف بعد أن ضمن اليسار وأمن على الكفاية من القوت والجاه.

فرويد كان يحلم دائماً بأبيه ويقول له: هاقد أفلحت.! لأنه سمعه فى صباه يقول: لن يفلح هذا الغلام!

وأبوه قال عنه ماقال لأنه كان يبل نفسه فى الفراش، ويرسل نفسه فى حجرة أبيه بعد السابعة، عنادًا أومحاكاة لما يتصوره من عمل أبيه!

هذا وأمثاله يكتبه اليوم خلفاء (فرويد) من أعوانه فى مدرسته ومن خصوم تلك المدرسة الذين اعتقدوا أنهم نقضوه أوعدلوه.
أتراهم يمجدون ويعظمون، أم تراهم يفندون ويتهمون؟

آخر من قرأنا لهم فى هذا الباب أمريكى فروم Fromm الذى يضارعه فى الشهرة بين علماء النفسانيات ويقف موقف التواضع فيقول إنه لا يمجده ولا يفنده، ولكنه (يكشفه على حقيقته) ولا يزيد.
ولا إخال أحداً يبلغ من تعظيم الرجل ما يبلغه فروم بهذا (الكشف عن الحقيقة) ومنه الكشف عن النقائص والعقد والمركبات والمغالطات.

فلا رجاء لرائد (النفاسيات) فى عظمة أكبر من هذه العظمة العلمية، وحسبه أن تكون نقائصه وآفاته دليلا على صدق وسائله وآرائه، فهى - بتطبيقها عليه - تشهد بمواطن ضعفه فتشهد له بصدق الوسيلة وصحة التجربة.. وماذا يقال من ثناء على صانع الموازين أصدق من ميزان توزن به بضاعته، فلا تنقص مثقال ذرة، ولا تزيد؟!

* * *

تحضير الأرواح صناعة قديمة فى أسوان، شهدت جلساتها منذ ستين سنة على الطريقتين البلدية والأفرنجية، ولم تكن تجاربى فيها مقنعة، أو كانت مقنعة للأرواح بالابتعاد عنا!

كان فى كل حى من أحياء المدينة امرأة أو فتاة «تـدلى الميتـين» بتعبـيرهم الشائع، ومعناه أنها «تنزل أرواح الموتى» لوجه الله أحيـاناً ، وبـالجزاء العـاجل أحياناً أخرى.

وكانت الأرواح تحضر لوجه الله فى أحـوال الغيبـوبة - أحـوال التشـنج العصبى والصرع الهستيرى - الذى لا يندر فى الريف ولا فى المدن الكبيرة.

أما الأرواح التى تحضر بالإغراء والجـزاء فهـى فى الغـالب أرواح الأطفـال الصغار، ولابد لإقناعها بالحضور من الجنة.. وإلا فأين هى ياترى؟... من تفاحة أو برتقالة أو طورة من البلح المقرش النادر، تتناولها الوسيطة بـالنيابة عنها.

وفى ليلة من ليالى الشتاء كانت الوسيطة عندنا وتناولت الرسم المعلـوم مـن البلح المقرش، فحضرت على الأثر روح طفل محبوب صـغير عـولج فى طفـولته قبل السابعة.

وكان من عادة والدى بعد انفضاض مجلس السـمر فى المنـظرة أن يصـفق عند باب الرحبة، فصفق تلك الليلة ولم يسمعه أحـد لاشتغال ربـات الـدار وزائراتهن بحديث الضيف الصغير المقبل من العالم الآخر.

فلما اقترب والدى إلى الدهليز لمحته الـوسيطة فبـادرت إلى قنـاعها ومـلاءتها وسكتت عن الكلام.

قلت فى نفسى : إذن لم يكن طفلا ذلك الـذى كان يتـكلم منـذ لحـظة، ولكنها فلانة التى تلبس قناعها أمام الرجال ويغلبهـا الحيـاء فـلا تسـتطيع أن «تتصنع» للموقف كما يتطلب الدور الروحانى المزعوم!

وبعد أكثر من ستين سنة، حضرت هذا العام إلى أسوان، فـرأيت أطفـال الدار فى مثل سنى يومئذ، أكبر منى - قليـلا - يسـتعدون لجلسـة التحضـير،

ويطلبون بخور الصندل والعود، والمجمر والمقطف، والورقة وقلم الرصاص ويتأهبون بالعزائم والدعوات.

ولم أشهد الجلسة ولكنى دخلت قاعة الأطفال بعد الغروب، فرأيت الجمع فى سخط ولغط، وحجاج ولجاج..

- فلانة ضحكت فغضبت الأرواح ولم تحضر؟

- فلانة كانت تسأل وتجس المقطف من لحظة لأخرى.

- كيف استطاع بنات جارنا وأبناؤه أن يحضروا الأرواح أمام أبيهم ونحن لا نستطيع؟

وانتقلت المسألة من قضية امتحان روحانى إلى قضية (مباراة) بين فرقة وفرقة من الزملاء والزميلات فى الشارع الواحد.

وأظرف من هذه المباراة الأسبانية أننى سمعت فى مجلس من مجالس الكبار حديث الأرواح وتحضيرها يدور عليه الحوار. بين تصديق وإنكار، وواحد من كبار الحاضرين يسألنى: ألا تصدق أن الكاتب المعروف - زيداً - وقع بخطه الذى يعرفه أصدقاؤه على وثيقة من وثائق التحضير؟

قلت: على شرط.. إذا اعتمدت هذا التوقيع على وثيقة بألف جنيه فإننى على استعداد للتصديق.

ولاح على صاحب السؤال لأول مرة أن الحقائق الفكرية تساوى سندات البنوك، أو يجب أن تساويها قبل الصرف والاعتماد...!

والحاصل من ضجة الأرواح إلى الآن شىء لا يتوقف على نجاح التجارب بين الثبوت والنفى أو التردد الذى لا يستقر على قرار.

فالثابت إلى الآن أن الناس فى هذا العصر العادى يتعطشون إلى نفحة من عالم الروح كيفما اتفق وبأية وسيلة.

ونرى من تجارب هذه الأيام أن التعطش إلى هذه النفحة الروحانية ظاهر بين المتعلمين أكثر من ظهوره بين الأميين، وبين البنات أكثر من ظهوره بين الصبيان وبين الناشئين على العموم أكبر من ظهوره بين الكهول والشيوخ.

ولا يصعب تفسير السبب فيما نحسب..

إن المتعلمين يقرءون ويحسنون خطاب الأرواح التى تكتب على الورق، وإن البنات أشد شعوراً بالحاجة إلى السند الروحانى من العالم الآخر، وأنسب لهن فى هذا العصر أن يبحثن عن الأرواح بدلا من البحث عن عفاريت الزار.

أما الكهول والشيوخ فقد صفوا حسابهم مع عالم الروح منذ سنين، واطمأنوا إلى عقيدة مريحة لا يزال الشباب فى دور البحث عنها، بالمقاطف والسلال تارة وبالصواريخ والمناطيد التى تصعد إلى الأحياء فى علم السماء تارة أخرى..

ويكفى للتجربة هذا المقدار من النجاح، إلى أن يطلع الصباح وتسكت شهرزاد عن الكلام المباح.

* * *

كانت مزايا «التخصص» مجهولة فى العصور الماضية، لأن الإحاطة بأصول العلوم لم تكن عسيرة على طلاب المعرفة، ومن القصور المذموم أن يستطيع العالم الإحاطة بالكثير ثم يقنع باليسير.

ولكن مزايا «التخصص» قد عرفت الآن وزادت على حدودها، ولا يبقى بعد تجاوز الحدود إلا الرجعة قليلا قليلا إلى ما قبلها، ولو بخطوات إن لم يكن بوثبات وطفرات..!

وتظهر هذه الحقيقة فى المسائل العملية ومشروعات المال والاقتصاد كما تظهر فى مباحث الفكر ودراسات العلوم.

منذ أكثر من عشر سنين غرست على جانبي الطريق بين أسوان والخزان أشجار الجميز واللبخ وغيرها من أنواع الشجر التي تراد للظل ولا تراد للثمر، فكبرت وأورقت وأوشكت أن تبسط ظلها الظليل على طول الطريق.

وهذا طريقى المفضل الذى أعبره غير مرة كلما وصلت إلى أسوان للإقامة ولو بضعة أيام.

وفى هذه السنة عبرتها فأوحشنى منها ذلك الظل الوارف المعطر الرصين، وكدت أرى فى مغارس الأشجار أحطاباً قائمة بلا ورق ولا زهر، فى انتظار الحطاب..

وإنها لتنتظر الحطاب حقًّا إذا صح ما سمعت .لأن المسئولين عن صيانة الطريق لاحظوا أن عروق الشجر تسرى تحت طبقة الأسفلت فتقلقله وترفعه، وتصدع هذه الطبقة بالشقوق والأخاديد.

ولا نظن أن هذه العبرة تمضى بغير درسها الذى لا ينسى، أو لا ينبغى أن ينسى.

إن مد الطرق فى الصحراء أو فى الخضراء مسألة تشترك فيها علوم الزراعة وعلوم التخطيط والتنظيم.

إنها مسألة ذات جذور وليست بمسألة سطوح وقشور... وهكذا كل مسألة من مسائل هذا العصر الشامل: عصر العالمية والعموم..

تحديد الزوجات.. بقانون !*

فى الصحف اليوم، أن أكثر من ستين سيدة تجمعن أمام محل شيكوريل لتقديم التماس بتعديل قوانين الأحوال الشخصية فيما يتعلق بتعدد الزوجات وبيت الطاعة وحضانة الأطفال.

وتساءل فريق من قراء الخبر: هل يجوز تحديد الزوجات بقانون؟

ووضع السؤال على هذه الصيغة يبتعد بنا عن محور المسألة كلها، وهو حق المجتمع فى منع الأضرار التى تصيبه بجملته، أو تصيب أفراده على حدة. فهل يحق ذلك للمجتمع؟ بل هل يكون المجتمع مجتمعاً سليماً صالحاً لحماية نفسه وحماية أفراده إذا امتنع عليه أن يعالج شروره بوسيلة من وسائل التشريع؟

إن الشرائع الدينية والدنيوية جميعاً تبيح للمجتمع، ويصح أن نقول إنها توجب عليه أن يحجر على الفرد فى ملك يديه إذا ثبت له أنه يسىء التصرف فيه، فإذا جاز للمجتمع أن يحرم على صاحب المال أن ينفقه، فهو أحق بالحجر عليه فيما يتناول الأنفس والأعراض بالضرر، ولا تؤمن عواقبه على الأبناء والزوجات، وقد يتهاون الشارع بأمر المال لأن المال إذا خرج من يد السفيه لم يفقده المجتمع ولم تقع خسارته عليه، بل لعله يذهب إلى من يحفظه ويحسن تصريفه ونفع الناس به فى المرافق المشتركة، ولكن التهاون بما يصيب الأنفس والأعراض خسارة محققة عليها وعلى الأمة فى مجموعها، فلا نزاع فى حق التشريع – أو فى واجبه – أن يمنع كل ضرر يهدده بكل ما يستطيع.

ولكن هل يمتنع هذا الضرر بالتشريع؟ هذه هى المسألة التى تحتاج إلى النظر الطويل. فإن المجتمع الذى يرفض تعدد الزوجات لا حاجة به إلى منعه بالقانون.

---

* الأخبار ١٩٦٠/١/٤.

أما المجتمع الذى يقبله على علاته ولا يأنف منه، فهو بحاجة إلى إصلاح كثير قبل أن يصل الأمر إلى إجراءات القانون والإدارة.

وعلى المرأة الرشيدة أن تعترف بالحقيقة حين تعترف بالحاجة إلى القوانين فى هذه الأمور.

أفلا يخطر لها أنها فى هذه الحالة كمن يصيح بالناس من حوله : الحقوق قبل أن أرضى بالزواج من صاحب زوجة أو زوجتين؟

إنها تعترف بأن المرأة هى التى تسىء استخدام حريتها، لأن الرجل لا يتزوج امرأة على الرغم منها، ولو كانت المرأة قد بلغت من الرشد أو من الاستقلال بالمعيشة أن تصون حريتها لما طلبت النجدة فى مسألة تملكها ولا سلطان فيها لغيرها على إرادتها.

الحقوق يا ناس!

لا. الحق نفسك يا هانم... الحق نفسك يا آنسة... وثق أن أحداً من الناس لا يستطيع اللحاق بك على غير ما تريدين.

* * *

هـ-٣:

(تتردد فى هذه الأيام دعاية قوية عن دواء إعادة الشباب للعالمة الرومانية - أنا أصلان - فأرجو أن تتكرموا بالإجابة على ما يأتى:

١ ـ ماهى فكرة هذا الدواء؟

٢ ـ أذكر أننى قرأت - وأنا صغير - حديثا عن النبى صلى اللّه عليه وسلم قال فيه : كل داء له دواء إلا الهرم.. أليس القول إذن بأن هذا الدواء يعيد الشباب معارض لهذا الحديث؟

٣ ـ أريد رأى سيادتكم فى إمكان نجاح مثل هذا الدواء)

سيد مصطفى

محاسب قانونى

حب التهليل والتهويل هو المسئول عن هذه الدعاوى التى تنسب إلى (الجيروفيتال) Gerovital الذى اهتدت إلى تحضيره الدكتوره أنا أصلان ولم تنسب إليه معجزة من المعجزات تبرع بها لدوائها من لا يقنعون بدرجة من الغرابة دون درجة الإعجاز أو دون تحقيق المستحيل.

كادوا يقولون إن الجيروفيتال يعيد الميت إلى الحياة... ومن لم يبالغ هذه المبالغة فهو لا يرتضى لهذا الدواء كرامة أقل من منع الهرم والعودة بالشيخ الفانى إلى ريعان صباه

وهذا كثير على عالمة أن تدعيه لدواء يستخدمه الأطباء، فغاية ما فى هذا الدواء من الفائدة المطلوبة أنه كما يدل عليه اسمه، يزود الشيخوخة بالحيوية والشعور بالنشاط والراحة، وليس هذا بشىء جديد فى مستحضرات الطب ولا فى البحوث العلمية منذ أواخر القرن الماضى وقبل ابتداء هذا القرن العشرين.

وعندنا فى القاهرة بدأت هذه المحاولات على الأساس العلمى، وشرع الدكتور فورونوف Voronoff ،وكانت له عيادة بجوار المدرسة التوفيقية فى تجربة علاجه لتنشيط الغدد الصماء وتلقيح المرضى بغدد جنسية منتزعة من القردة، فنجحت بعض النجاح ثم ظهرت لها أضرار كثيرة وقيل إنها نجحت أكبر من هذا النجاح فى علاج الحيوان.

واستحق الدكتور متشينكوف جائزة نوبل (سنة ١٩٠٨) لأنه اهتدى إلى مصل يساعد الكريات البيضاء فى الدم على إبادة الجراثيم، ويقاوم فعل الانحلال الذى يعرض لخلايا الجسم بعد سن الشباب، وقد كان هذا الطبيب يوصى بأكل (لبن الزبادى) لأن طول العمر يكثر بين أمم البلقان حيث يدخل هذا الطعام فى أكثر الوجبات.

وكل ما يقال عن علاج الشيخوخة بعد ذلك، فهو قائم على مثل هذا

الأساس العلمى، ولا يعدو أن يكون علاجاً للغدد الصماء أو تزويدا للجسم بأصناف الفيتامينات، ولكنه يصلح فى حالات ويقصر عن النفع بل يضر فى حالات أخرى، وهى حالات (الحساسية) التى لابد من تحقيقها والحيطة لها قبل العلاج.

ولايزال الأطباء وعلماء الحياة وعلماء الحيوان يجهلون سر العمر وأسباب طول الأجل وقصره فى تركيب البنية الحيوانية، ولا يدعى أحد منهم أنه يفهم هذا السر بغير التخمين، لأنهم عاجزون حتى الآن عن تعليل ظواهره المختلفة فى تكوين الإنسان والحيوان.

فلماذا يتم تكوين الأسد فى بطن أمة أربعة أشهر، ولايتم جنين الفيل قبل نحو السنتين؟ ولماذا يتم تكوين جنين الكلب والقط فى شهرين، ويبقى جنين الخروف فى بطن أمه خمسة شهور؟ ولماذا يبقى بعض الأشجار ثلاثة آلاف سنة، ولا يزيد عمر حيوان قط عن مائتى سنة؟ ولماذا تعمر السلحفاة ولا يعمر الحوت على نسبة جسده بالقياس إليها؟ بل لماذا يتكون جنين النوع الإنسانى من ثمانى وأربعين صبغية فقط، ولا يتكون جنين سمك القرش من أقل من مائتى صبغية؟

إن الذى يجهل أسباب هذه المفارقات فى عمر الجنين وعمر الحيوان وعناصر تكوين الأحياء فى بطون أمهاتها، لا يستطيع أن يدعى أنه وضع يده على سر العمر فضلا عن سر الخلود، وغاية ما يجوز ادعاؤه للباحثين المعاصرين أنهم أعلم بنظام المعيشة ووسائل الوقاية وأساليب التغذية الموافقة للأجسام فى مختلف الأعمار، وإذا ارتبط تحسين الصحة بطول العمر فالجديد فى هذه القصة هو زيادة التحسين أو زيادة العلم بالنظم الصحية، وليس فى ذلك غرابة تصل إلى حد الإعجاب وتحسب من خوارق العادات، فإنها جميعاً من الممكنات التى يرجى أن تزداد إمكاناً مع تقديم العلم وتقديم الفهم والعناية بالمعيشة الصحية.

obeikandi.com

قانون لمنع تعدد الزوجات*

« ... تقولون فى يومياتكم إن عدد الزوجات يمكن أن يحدد بقانون فهل تعنون بذلك أن ولى الأمر يستطيع أن يحرم على ما أحله الله.. إلخ إلخ »

مسلم غير متفرنج

· كلا. ياأيها المسلم الذى يظن أن الرجل يكفيه أن يكون غير متفرنج ليجمع وشروط الإسلام كله..

ليس معنى كلامنا فى اليوميات ولا فى غيرها أن ولى الأمر يحرم على الإنسان حقه المشروع، وإنما معناه أنه يحق له - بل يجب عليه - أن يراقب تنفيذ الحقوق على الوجه الذى لا جور فيه ولا ضرر على صاحب الحق ولا على غيره.

وقد أبيح حق المِلْك فى الشريعة وأبيح معه للقاضى أن يحرم المالك حق التصرف بماله إذا أساء التصرف فيه، وقد أبيح حق استنشاق الهواء وأبيح معه أن يحجر ولى الأمر على صاحب البيت أن يفتح منافذه على بيت غيره أو يوصدها عليه.

وإذا وجب منع التصرف بالمال عند ثبوت السفه فمنع التصرف بالأرواح والأعراض أوجب وأولى، وكل حاكم يرى بعينه ضرراً يصيب الأزواج والزوجات والأبناء والأصهار من جراء السفه فى الزواج والطلاق، ثم يتوانى عن منع ذلك الضرر، هو مخالف للتشريعة ولا ريب، ومقصر فى أوجب الواجبات عليه، وإنك ياأخانا المسلم غير المتفرنج لتسىء إلى الإسلام وتحابى الفرنجة غاية المحاباة إذا اعتقدت أن الفرنجة وحدها هى التى تمنع السفهاء أن يعبثوا بالأعراض والأرواح ذهاباً مع شهوة حيوانية يزعمونها ديناً، وهى نقيض الدين ونقيض كل حق يباح لإنسان غير حيوان، وإن مسلماً غير حيوان لخير ألف مرة من مسلم غير متفرنج على هواك ومعناك، والله يتولانا ويتولاك ويصلحنا وإياك.

---

* الأخبار ١٩٦٠/١/١٨.

الخط والشخصية*

« .. هل تقرون سيادتكم النظرية التى تقرر أن هناك صلة بين خط الإنسان فى الكتابة وبين شخصيته، أو بعبارة أخرى : هل يمكن الحكم على شخصية فرد على ضوء دراسة خطه ؟ وهل تستطيع هذه الحروف والكلمات التى يسطرها بخط يده أن تنم على بعض نواحى شخصيته ؟».

عيسى متولى

بنك مصر - القاهرة

سؤالكم يعود بى إلى ذكرى عزيزة. وأن تكون أليمة من بعض جوانبها. وهى ذكرى زميلنا الفقيد عبد الرحمن شكرى رحمه الله.

كان شكرى قد انقطع عن الكتابة نحو سنتين، وكان قد أصابه الشلل فأصبح يعالج الكتابة بيسراه تارة وبيمناه تارة أخرى، وجاءنى منه وهو يعالج هذا الداء خطاب لم ألق نظرة على غلافه حتى علمت أنه مكتوب بخطه، لوحدة القاعدة مع الاختلاف البعيد فى رسم الحروف.

أول ما نفهمه من هذه الوحدة فى قاعدة الخط أنها مسألة « دماغ » وليست مسألة محصورة فى مرانة الأصابع اليدوية، وأنها من أجل ذلك وثيقة الصلة « بالشخصية » فى كيانها الفكرى وكيانها العضلى فى وقت واحد، ويحق لنا - من ثم - أن نستدل بالخط على « الشخصية » وما تحتويه من القوى الإرادية وغير الإرادية.

ولكن الأمر كله يتوقف على وسيلة الاستدلال وصحة التفسير، ولانعلم أن النظر فى ذلك قد جاوز حدود التخمين والمقاربة إلى حدود اليقين الذى يصح القياس عليه.

---

* الأخبار ١٩٥٩/١١/٩.

إن دلالة الخط على الشخصية أشبه بدلالة الكتابة « الهيروغليفية » قبل تفسير حجر رشيد.

الكتابة ذات دلالة مفهومة بلا جدال، ولكن أين المفتاح الذى يعتمد عليه فى هذه الدلالة ؟

إنه لم ينكشف بعد، ولكنه خليق أن ينكشف فى زمن قريب.

obeikandl.com

الشهادة أعلى فضائل الإنسان*

الشهادة أعلى فضائل الإنسان ارتقت معه إلى ذروتها العليا، واستعد بها النوع البشرى لفهم العقيدة والإيمان، ولكنها ملكة فطرية عميقة الأصل فى الحياة ملحوظة فى أنواع كثيرة من الأحياء، لم تخلق مع الإنسان ولكنها ارتقت مع الإنسان، أو ارتقى بها الإنسان . والشهادة حيث وجدت مقرونة بفضيلة الفداء، أو فضيلة التضحية وبذل النفس والنفيس.

وهذه الفضيلة - فضيلة التضحية - موجودة فى أصول الفطرة، ملحوظة فى تركيب الأحياء لأنها تتمثل فى تضحية الفرد بنفسه لإبقاء نوعه. وكثير من الأحياء يبذل الأباء منهم حياتهم لإبقاء أبنائهم والمحافظة على أنواعهم. وهذه هى التضحية الأولى التى ركبها الخلاق فى طبائع الأحياء، فكانت دليلا على سنة الحياة الكبرى. سنة التضحية بالفرد الصغير حفاظاً على النوع الكبير.

هذه الحقيقة جديرة بأن نذكرها فى هذا الزمن، لأنه زمن يكثر فيه الشك كما تكثر فيه الحزلفة والادعاء، ومن شكوك أدعياء العلم فيه أن الشهادة من مخترعات الرسل، لترويج الدعوة إلى الدين وتثبيت عقائد المؤمنين بالغيب أو بما بعد الحياة.

أما الواقع الذى نراه بأعيننا فى طبائع الأحياء، فهو طبيعة التضحية التى يقوم عليها بقاء الحياة الخالدة، فلا دوام لبنية حية، بنية صغيرة أو كبيرة، بنية فردية أو اجتماعية، بنية حيوانية أو إنسانية، إلا بدوام التضحية والفداء وعلى التضحية والفداء تقوم فضيلة الشهادة، وترتقى من حيز الفطرة الغريزية إلى حيز العقيدة والضمير لأن الإنسان قد خلق للارتقاء ولم يخلق للبقاء على جهالته، محكوماً بغرائزه العمياء.

---

* الأهرام ١٩٥٦/٤/٤.

والنوع البشرى - كغيره من الأنواع الحية - يدين بالتضحية فى سبيل بقائه، وما من أم أو أب إلا نرى فيه أو فيها مثلا للتضحية على صور شتى، قد تنتهى إلى التضحية بالحياة.

هذه سنة الفطرة، وما العقيدة الدينية أو القومية إلا هداية للفطرة ترتفع بها من غرائز الحيوان إلى وحى الضمير - والشهادة من أصلها فى الفطرة الحية درجات تترقى مع ارتقاء الإنسان باستعداده ومعارفه ومطالب حياته. أول درجات التضحية غريزية يتساوى فيها أنواع الحيوان، ويكاد يتساوى فيها الإنسان وسائر الأحياء. وترتقى هذه الدرجة مع النوع البشرى ، فيفهم التضحية بوحى الحماسة الروحية، ويضحى بنفسه من أجل قومه وحرمة جواره أو حرمة ذماره. ثم ترتقى هذه الدرجة مع العقيدة الدينية فترتفع إلى ذروتها العليا، ترتفع إلى ذروة الشهادة فى سبيل الحق وسبيل الإيمان بالكمال، ولا مرتفع فوقهما لخلق من خلائق الإنسان.

وينبغى أن نفرق بين مجرد الشجاعة وبين الشجاعة التى تستحق اسم الشهادة أو اسم التضحية والفداء.

لابد مع شجاعة الفداء من فكرة أو عقيدة أو معنى أكبر من معانى المنفعة الفردية.

أما الشجاعة - مجرد الشجاعة - فقد توجد فى الحيوان الأعجم كما توجد فى الحيوان العاقل، وقد توجد فى الحيوان العاقل لغرض من أغراضه التى لا ينتفع بها أحد سواه.

فقد كان العربى فى الجاهلية شجاعاً يحارب ويناضل، ويحتاج إلى شجاعته فى الدفاع والهجوم.

ولكنه احتاج إلى نوع آخر من الشجاعة حين صمد للقتال فى وجه الدولة الفارسية، يوم ذى قار.

كانت حروبه بين قبائل الجزيرة العربية تجيز الفرار كما تجيز الغارة والاقتحام، وكان من أجل هذا يسمى الحرب كرًّا وفرًّا. ويستبيح بعد الغارة أن يلوذ بالنجاة.

أما فى حروبه مع الدولة الفارسية - يوم ذى قار - فقد احتاج إلى شجاعة غير هذه الشجاعة ، احتاج إلى شجاعة الفداء والتضحية، لأنه يحارب فى سبيل فكرة قومية، ولا يحارب لأجل الغنيمة أو لرد الغنيمة من المغير عليه.

فى وقعة ذى قار استمات العرب أمام الدولة الكسروية وأحرقوا السفن وراءهم كما نقول فى اصطلاح هذه الأيام..

وإنما كانت سفنهم الإبل - سفن الصحراء - فقطعوا أحزمة رواحل النساء والبنين، وتنادى بعضهم على بعض - إنما هى حرب بقاء أو فناء.

وارتفع العربى شأواً فوق هذا الشأو يوم آمن بدينه، وآمن بفريضة الحق فى أعماق ضميره، يومئذ كانت المائة تغلب المائتين، والألف تغلب الآلاف، وبداوة الصحراء تغلب حضارة الأكاسرة والقياصرة والفراعين...

يومئذ تعلم المسلم أن الشهيد عند الله فى الرفيق الأعلى مع النبيين والصديقين والصالحين، وآمن إيمان اليقين أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون.

ودلت الشهادة باسمها على معناها الرفيع - الشهادة هى الحضور.

والشهيد حاضر فى ساعة الروع حين يغيب الخائف الحريص على الحياة.

والشهيد حاضر بذكراه.

والشهيد حاضر بآثاره وآثار أعماله وهى حية لا تموت.

ونعود إلى المنكرين، فلا ننسى أنهم يهونون من شأن الشهادة ويزعمون أنها بذل للحياة الدنيا فى سبيل النعيم الدائم بعد الحياة، وكأنهم يقولون إن الشهد

لا يضحى بحياته من أجل إيمانه، ولكنه يستبدل بها ما هو خير منها وأبقى....

نعم.. هذا صحيح لا غضاضة فيه، ولكنه لا يعيب الشهادة ولا يدل على هوانها واقتدار كل راغب فيها على ارتقاء ذروتها.

إن جميع المؤمنين يصدقون بالحياة الآخرة، ويصدقون بحياة النعيم والبقاء بعد حياة الشقاء والفناء، ولكن الشهداء - مع هذا - قليلون من أبناء كل دين . لأن الشهادة فضيلة عزيزة لا ينالها كل طامع فيها، ولا يدركها إلا من هو أهل لها، مستحق للإيمان بها، صابر على شدائدها وأهوالها.

وتبقى حقيقة الحقائق فى أمر هذه الفضيلة العليا، كما تبقى حقيقتها التى لا تنفصل عن التضحية والفداء. فهى من معدن البذل والشجاعة وليست من معدن المساومة وتبادل الأخذ والعطاء.

ومما يدل على فضل الدين فى ترقية هذه العقيدة الخالصة أن العالم يتلقى دروسه فى التضحية من العقيدة الدينية. ومن الشهادة فى سبيل العقيدة تعلم رجال العلم الحديث كلمة «العالم الشهيد»، وأطلقوا هذه الصفة على من يجود بحياته لتحقيق مكتشفاته، فمن كان فى شك من فائدة علاج جديد يخاف خطره ولا يؤمن أثره جربه فى جسده فاستحق بذلك صفة العالم الشهيد.

والشهادة فى العقيدة الإسلامية أرفع من ذلك قدراً وأوسع من ذلك معنى.

الشهيد فى العقيدة الإسلامية من يبذل حياته فى سبيل الحق، أو من يذهب مظلوماً فى سبيله صابراً غير متزعزع ولا ناكص على عقبيه.

والشهيد فى العقيدة الإسلامية من يشهد الله على صدقه وإن كذبه الناس، وخسر عندهم الحياة وحسن الأحدوثة على الأفواه بعد الحياة.

الشهيد فى الرفيق الأعلى مع الأنبياء والصديقين والصالحين... غاية

لا يبلغها كل طالب ولا يطلبها كل من شاء. إلا أن يشاءها بما هى أهله من عدة الخلق والبصيرة والإيمان.

وما وجدت الشهادة عبثاً فى تركيب حى من الأحياء، إنما وجدت غريزة فى تركيب كل حى لأنها ضرورة لا غنى عنها لبقاء الحياة كلها، ثم ارتقت بها العقيدة شأوًا رفيعاً فرق الضرورات وفوق الأمل والجزاء. لأنها تتعلق بالكمال وما زال الكمال ولن يزال ، غاية وراء المطامع والآمال..

ترجمة القرآن*

إذا كنت فى أسوان سرنى – فيما يسرنى من رحلتها المباركة – أن تتعدد فرص الاجتماع بالنخبة المختارة من أدبائها والمثقفين من ضيوفها، وهم بحمدالله كثيرون يزدادون عاماً بعد عام. فإننى أستطيع هنالك أن ألقاهم أياماً من الأسبوع بدلا من اليوم الواحد الذى أفرغ فيه للزيارة بالقاهرة، ولا أزال فى كل اجتماع أستمع إلى خلاصة الشئون التى تشغل الذهن المثقف فى بلادنا وفى غيرها من البلاد العربية، ولا يزال المتحدثون بهذه الشئون يحومون حول كل موضوع يكتبه الكاتب أو يقرؤه القارئ : من حديث الشعر إلى حديث القصة، إلى حديث المرأة، إلى الحديث عن مصير إسرائيل ومصير القضية العربية، إلى كل حديث يتساءل عنه المتسائلون ويختلف عليه المختلفون.

وأهم الأحاديث التى أذكرها بعد هذه الرحلة حديث الاختلاف على ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية، وأحسبه من موضوعات الساعة عندنا وعند المشتغلين بمباحث الأديان الغربيين، إذ لا أعرف زمناً بلغت فيه العناية بالاطلاع على القرآن الكريم ما بلغته منذ نهاية الحرب العالمية على التخصيص، ومن دلائل هذه العناية ظهور ترجمة «بكتال» بالطبعة الشعبية ونفادها فى أسابيع معدودات ، وظهور ترجمة «اربرى» للآيات المتفرقة عن الأحكام وآداب الحياة، ثم ظهور الترجمة الكاملة على أثرها فى مجلدين، وقد أعيدت طبعة «كازميرسكى» النادرة باللغة الفرنسية ووصلت منها ثلاث نسخ إلى القاهرة، فما هو إلا أن طلبتها إحدى المكتبات الكبرى حتى جاءها الرد بالاعتذار لأن الطبعة كلها نفدت بعد شهر واحد من ظهورها.

هذه العناية من غيرنا، لابد أن نتلقاها بعناية من نحونا تساويها أو تزيد

---

* الأخبار ١٩٥٦/٣/١٢.

عليها، فكيف تكون عنايتنا إذا أردنا أن نعمل شيئاً نستطيعه ولا نستطيع السكوت عليه؟

أغاية ما فى وسعنا أن نعود إلى الخلافات البيزنطية على جواز الترجمة أو تحريمها، أو جواز بعضها وتحريم بعضها، ثم ترك هذا البعض وذلك البعض على السواء إلى أن يتجدد الخلاف بعد فترة أخرى؟

ينبغى أن نعلم على كل حال أن الخلاف القديم إنما كان على موضوع غير موضوعنا فى هذه الأيام، وإنما كان الباعث الأكبر عليه أن الأمراء والولاة من الأعاجم، كانوا يريدون أن يستأثروا بالإمامة، وهم لا يعرفون العربية ولا يحسنون القراءة بها، وكان وراءهم أتباع من العرب وغير العرب يراد منهم أن يقيموا الصلاة خلف هؤلاء، سواء عرفوا العربية أو جهلوها.

وليس هذا موضوعنا اليوم، لأن أحداً من الناس لا يريد أن يستأثر بالإمامة بعد ترجمة القرآن إلى اللغة الأجنبية، وكل ما يراد هو تمكين الأمم - غير العربية - من الوسيلة الوحيدة التى يخلصون بها إلى فهم كتاب المسلمين على أصلح الوجوه.

والرأى المتفق عليه أن تفسير القرآن للأميين الذين لا يفهمونه جائز بل واجب، فلم لا تجوز الترجمة إذا جاز التفسير؟

إن معانى القرآن كانت موجودة قطعاً فى اللغات الأخرى كما جاء فى الكتاب الكريم: «وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين وإنه لفى زبر الأولين»

وقد جاء فى المبسوط لشمس الأئمة السرخسى «إن الفرس كتبوا إلى سلمان الفارسى رضى الله عنه أن يكتب الفاتحة بالفارسية فكانوا يقرءون ذلك فى صلاتهم حتى لانت ألسنتهم للعربية»... وروى أنه كتب لهم بعد البسملة «بنام يزدان بخشايند بخشانيد إلخ» ولم ينكره النبى عليه السلام.

ومهما يكن من القول المختلف عليه فى إمكان الترجمة قبل العصر الحاضر، فالترجمة فى هذا العصر أيسر وأقرب إلى الإتقان، لكثرة العارفين باللغات الأجنبية من المسلمين وكثرة التراجم التى نعارض بينها ونستخلص منها الأصح والأجمل الأكمل من التعبيرات والتفسيرات.

أما الطريقة المثلى عندنا فى ترجمة الكتاب، فهى البدء بترجمة الآيات الجامعة لحكم الأخلاق، وآداب الحياة، ووصايا المعاملة والمعاشرة، وأسس العقائد والعبادات.

فهذه الوصايا تشوق أناساً عديدين من القراء غير المشتغلين بالمباحث الدينية، ومنها يتدرجون إلى الاطلاع على الكتاب بتفصيلاته كلما وجدوا من الآيات المتفرقة ما يشوقهم إليه، وبخاصة حين يقرءونه بمقدماته التاريخية، وتعليقاته التى ينفذون منها إلى السير والأنباء فى حياة النبى وصحبه ومناسبات الإيحاء والتشريع.

ولنعلم أن الإفتاء بتحريم الترجمة لن يحرمها على الأوربيين والأمريكيين، ولكنه يفتح الأبواب جميعاً للأخطاء والأغاليط، ويغلق الباب الوحيد للتصحيح والتحقيق.

obeikandl.com

خرافات الشرق والغرب*

يرد إلينا مع البريد الأوربي ، منذ مطلع العام، أشتات من التنجيمات والنبوءات التي تنشرها الصحافة والتقاويم، ويدعي أصحابها العلم بالتنجيم والقدرة على مطالعة الغيب، في أمور الدول والشعوب وأفراد الناس - أو المواليد - على حسب المنازل والفصول.

وارحمتاً للشرقيين المساكين إنهم مظلومون.

إنهم مظلومون إذا قيل في هذا العصر : إنهم قد انفردوا بالخرافة وتركوا العلم للنصف الآخر من الكرة الأرضية الذي يغرب فيه نور الشمس، كما نقول نحن الشرقيين على سبيل القصاص.

فالشرق كله لم تظهر فيه خرافات كهذه الخرفات التي تنشرها المطابع الأوربية، ويتداولها القراء الأوربيون.

لم تظهر في الشرق خرفات كهذه الخرافات في عددها ولا في موضوعها ولا في طبقات المقبلين عليها. فإن الشرقي الذي يذهب إلى المنجم ليسأله عن الغيب المحجوب يغلب عليه أن يكون من الأميين وأشباه الأميين. ولكن هذه التقاويم التي تنشر في الغرب تقسم فيها الصفحات والجداول والمقارنات على النحو الذي يضل فيه الأميون، ولا يهتدي فيه غير المطلعين على أطراف من العلوم، وربما اشتمل التقويم منها على نبوءات لا يحفل بها الرجل الأمي أو الرجل الساذج، لأنها تحيط بحوادث العالم الكبرى وعلاقات الدول وأسرار السياسة مما يعرض عنه الأكثرون من الأميين والسذج ولا يلتفتون إليه.

وقد ينظر بعض المفكرين إلى هذه الظاهرة بشيء من الاستحسان أو التماس

---

* أخبار اليوم ١٩٥٦/١/٢١.

المعذرة، لأن هؤلاء المفكرين ينكرون « الماديات » ويعتقدون أن إقبال الناس على تلك التنجيمات علامة حسنة من ناحية واحدة على الأقل، وهى ناحية الإيمان بأسرار غير أسرار المادة، وعلوم غير العلوم الحسية والعقلية، ومن الخير فى عرف أولئك المفكرين أن يكفر الناس بالمادة على أية صورة من الصور، فإن الكفر بالمادة خطوة عندهم فى طريق الإيمان بما فوق المادة أو بما وراء المادة، بل هو خطوة قريبة من الإيمان بالروح.

تصدر فى العاصمة الإنجليزية مجلة تسمى الحكمة Wisdom يشرف على تحريرها الأستاذ جون أرميدو Armido، ويكتبون على غلافها أنها رسالة « إلى المفكرين من الرجال والنساء ».

وفى العدد الأخير من هذه المجلة فصل معقود عن « التنجيم »، أهو صحيح أم باطل.. يقول كاتبه ما خلاصته إن أساس التنجيم صحيح كل الصحة، لأن تأثير العوامل الكونية فى حاضر الإنسان حقيقة لا غبار عليها، وأن حياة الإنسان ظاهرة من ظواهر المنظومة الشمسية لا تتكرر فى السموات العلوية، فليس من الغريب أن ترتبط أسرار المنظومة وسياراتها بأسرار الإنسان فى حياته الخارجية والباطنية، لأن جملة العوامل المؤثرة فيها هى جملة العوامل المؤثرة فى الإنسان.

يقول صاحب هذا البحث الطريف : « تخيل أنك فى معمل من معامل المستشفيات الكبيرة، يجلس فى وسطه مريض يراد الكشف عليه ويعرض على جميع الأدوات التى تستخدم للكشف فى الطب الحديث، ومنها أدوات الأشعة على اختلافها... واستحضر فى ذهنك أن المريض نفسه شحنة مركبة من القوى الطبيعية، يشتمل على أخلاطه الكيماوية ويرسل حوله الأمواج الأثيرية التى تصدر عنه، فيتقبل بعض الأشعة التى توافقه ويرفض غيرها من الأشعة التى لا توافق طبيعته.. ثم تمثل الكون كله على هذه الصورة، فإن هذه الحالة

مطابقة تمام المطابقة لحالة الكرة الأرضية بين آفاق الكون، وحالة الإنسان على هذه الكرة ».

صحيح ولكن :

والتشبيه صحيح كما قالت مجلة « الحكمة » بغير اختلاف كبير.

إن حاضر الإنسان ومصيره خاضعان ولا شك لجميع العوامل الكونية، وإن الذى يحيط بتلك العوامل يستطيع ولا شك أن يحيط بمصير الإنسان.

ولكن أين هو الجرس ؟ وأين هو القط؟ وأين هو الفأر الذى يعلقه فى عنقه ؟

هذه هى العقدة التى لا تحل.

ومن قال إنه يحلها فالأدلة كلها تناقض دعواه، وليس عنده دليل واحد يقابلها بما يصلح للرد عليها.

باطل لا شك فيه :

فما لا شك فيه أن القواعد التى قام عليها التنجيم منقوضة كلها من جذورها، سواء منها ما يتعلق بالكواكب السماوية، وما يتعلق بأسرار الحروف، وما يتعلق بضرب الرمل وخطوطه وتخوته وكراسيه.

إن الأقدمين يحسبون السيارات سبعاً ويحسبون منها الشمس والقمر.

وهذا - قبل كل شىء - خطأ ظاهر، لأن الشمس والقمر لا يحسبان من السيارات، ولأن الأرض سيارة لم يدخلوها فى الحساب.

أما بعد ذلك فالمعلوم فى هذا العصر أن السيارات تسع وهى عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل وأورانوس ونبتون وبلوطون، عدا « النجيمات » والمذنبات وعدا السيارات الصغيرة التى تعد بالمئات.

obeikandi.com

فإذا كانت مقادير الناس معلقة بسلطان السيارات عليها فالحساب «خارم» أو مخروم من جانب السيارات المعلومة، وجانب السيارات المجهولة على السواء.

ومثل هذا يقال عن أسرار الحروف الأبجدية ، لأن ترتيب الحروف مختلف بين اللغات الشرقية «السامية» فضلا عن اللغات الأخرى.

فالحروف العبرية مرتبة على حسب ترتيبها فى «أبجد هوز حطى».. إلى آخرها.

والحروف العربية تخالفها بعد الألف والباء ولا توافقها بعد ذلك فى الترتيب.

ومن الواجب أن نذكر أن العبريين كانوا يستخدمون الحروف بدلا من الأرقام قبل علمهم بالأرقام الهندية، فكانت الألف تساوى واحداً والياء تساوى عشرة والكاف تساوى عشرين والقاف تساوى مائة والعين تساوى ألفا وهو أكبر الأعداد فى هذا الحساب.

ولكن العرب نقلوا الأرقام الهندية فاستغنوا عن الحساب بالحروف. وجاء الأوربيون فرتبوا حروفهم ترتيباً آخر لا ختلاف النطق والرسم ، وإن كانت «أبجد» قد بقيت عندهم على ترتيبها الأول وهو : A.B.C.D.

فإذا كانت علة الحساب بالحروف جهل الأرقام فهذا عذر العبريين فى أزمنة الجهالة، وليس بالعذر الصالح للكواكب والسموات التى نرجع إليها فى استطلاع الأسرار والغيوب.

وإذا كان الهنود مثلا يحسبون بالأرقام ولا يحسبون بالحروف ، فكيف تسقطهم من حساب الأقدار، أو من حساب الكواكب لأنهم لا يجمعون أسماءهم كما يجمعها العبريون!

أما «الرمل» فقد أخذه الغربيون من الشرقيين وسموه باسم يونانى يعرف به

فى لغاتهم الحديثة، ومعناها نبوءات الأرض أو التراب Geomancy. ويقابلون به علم السماء أو الكواكب والنجوم.

وقواعد هذا العلم - إن صحت تسميته بالعلم - كلها خطأ وباطل، لأنه قائم على مذهب قديم فى تقسيم العناصر إلى أربعة وهى النار والتراب والماء والهواء.

ولقد ثبت اليوم أن العناصر تزيد على مائة بعد إضافة العناصر التى تصنعها المعامل على هدى العناصر الطبيعية.

ويرجع بنا علم الرمل فى بعض نخوته الشرقية إلى حساب الحروف ، وهو حساب يختل غاية الخلل كلما اختلف الهجاء.

خذ لذلك مثلا اسم إبراهيم أو داود. فإذا كتبت «إبراهم» بغير ألف كما تكتب أحياناً ، أو كتبت داوود بواوين كما يكتبها الكثيرون، فقد يختلف الطالع من العنصر الترابى ألى العنصر النارى ولا يستقيم الطالع بعد ذلك على وجه من الوجوه.

فى الانتخابات :

وأحب أن أقول للقراء إننى اصطنعت التنجيم فى رحلة انتخابية لمقاومة الدعاية التى كان أحد المرشحين فى الصعيد ينشرها ويعتمد فيها على حساب الحروف.

كنا نعبر النيل من سوهاج إلى أخميم، وكان فى الزورق النقراشى رحمه الله، والأستاذان توفيق دياب ومحمود غنام وصاحب الدعاية «التنجيمية» وكاتب هذه السطور، وبعض المرشحين والدعاة.

وكان صاحب الدعاية «التنجيمية» يهول على الناخبين ويذيع بينهم أنه

« مرشح الله » لأن حساب اسمه بالحروف يساوى حساب هاتين الكلمتين.

وكان بعض الناخبين يأخذونه مأخذ المزاح لأنهم يجهلون قصة هذه الحروف المحسوبة لا لأنهم ينكرون التنجيم، وكأن بعضهم يسلم لـه الحساب ولكنهم يعتصمون منه بما جاء فى الأثر عن التنجيم : « كذب المنجمون وإن صدقوا » .. وكان غير هؤلاء وهؤلاء يترددون ولعلهم يخافون.

وخطر لى أن أوقع صاحبنا فى شركه، فقلت له : عند الامتحان يكرم المرء أو يهان !

قال : نعم . وإن الامتحان يوم الانتخاب، وإننى فيه لمن المكرمين، لأننى مرشح اللهّ !

قلت: ومارأيك إذا كان حساب اسمك يقول إنك «مرشح يهان».

وحسبها الرجل فاصفر وجهه وانعقد لسانه، لأن الجمع بحساب الحروف صحيح ولأن حروف «اللهّ» تحسب بالمد كما تنطق. ولا تحسب بالكتابة على الورق فى رأى المنجمين.

واستراح الغاضبون من دعاية لا تؤمن على الأقل فى أصوات معدودة تقدم وتؤخر فى حساب الصناديق.

كلهم فى الهوى سوا :

ولا يهولننا معشر الشرقيين أمر التنجيم الأوربى فى القرن العشرين، فإن « الهوروسكوب » الأفرنجى المزخرف، هو بعينه جدول الطوالع الممسوح الذى ننظر إليه فى كتبنا الصفراء، أو هو بعينه تحت الرمل المخطط الذى يرسمه رمال عارف بصناعته، وكل ما هنالك من فارق هو تحلية بضاعة وتلبيس « بوصة » ولا مزيد.

كلنا نرى الفاكهة الملفوفة بالورق اللماع تحت اللوح الزجاجى النظيف، وكلنا

نستطيع أن نعلم أنها هى بعينها فاكهة البائع البلدى الذى يطوف بها فى مقطف الخوص ولا يكسوها بشيء غير أثوابها الإلهية من الأوراق والقشور.

وهكذا اختلاف «الهوروسكوب» وجدول الطوالع فى الكتب الصفراء، فإنه مترجم بنصوصه من الكتب العربية أو الشرقية، وترجمتهم الحرفية له تذكرنا بقفشة «ابن البلد» للشاهد الأوربى الذى أراد أن يترجم «البردعة» فقال إنها «جاكتة الحمار.»!.

وكذلك ترجموا البروج ومنازل القمر فقالوا عنها إنها «بيوت» Houses كأنما يسكنها القمر ويستقر فيها وهو المشهور بالتنقل على طول الأيام، وفاتهم معنى المنزلة باللغة العربية وهى فى هذا السياق تقابل المحطة أو العلامة فى أثناء المرور.

الصحيح وغير الصحيح:

ونعود إلى مجلة «الحكمة» والمثل الذى ضربته للدلالة على تأثير الكواكب والعوامل الكونية فى الإنسان.

فلا جدال فى إمكان العلم بمصير الإنسان، إذا علمنا جميع العوامل الكونية التى تؤثر فيه، وجميع العوامل الباطنية والنفسية التى تتأثر بتلك العوامل الكونية فى السماوات والأرضين. من المنظومة الشمسية إلى نهر المجرة إلى ما وراء الرصيد والمنظار.

ولكن من الذى يعلم هذا؟

لايعلمه إلا عالم الغيب والشهادة، ولا سبيل إليه لفلكى ولا لمنجم ولا لرمال.

فأما مابقى بعد ذلك فغاية ما فيه أنه تخمينات للتسلية، كامتحان المرء

لبخته بفتح الصفحات فى كتاب، أو بعد الأوراق فى زهرة، أو بالرهان على أول قادم فى الطريق.

تسلية كغيرها من التسليات التى يخترعها الإنسان لنفسه، ولا يجهل أنها محض اختراع، أو يتجاهل ذلك على سبيل التمثيل لحبك الصنعة، ومحاولة التصديق، حيث يرضيه التصديق.

وقد تصدق أحياناً :

ولعل سائلا يسأل : ألم يصدق معك التنجيم مرة واحدة فيما جربته من باب التسلية أو تزجية الفراغ ؟

أقول نعم.. صدق مرات

ولكن العجيب أن يكذب كله لا أن يصدق فى آونه بعد أخرى. وبخاصة حين نذكر أساليب المنجمين التى تحتمل المعانى الكثيرة ويفسرها من أراد كما يريد.

وحبذا الفأل الحسن فى مطلع كل عام.

وحبذا الخبر الحسن بعد العيان والتجربة فى الختام.

سر الحياة والخلود*

لسنا ننتقل بعيداً إذا انتقلنا من القداسة إلى سر الحياة وسر الخلود.

كتب إلينا الطالب الطبي السيد «عزت عبد الرحمن شعلان»، يقول تعقيباً على كلامنا فى اليوميات عن ولادة العذراء وعمل الصبغيات: «إن هذا الذى ذكرتم صحيح من غير شك من الوجهة العلمية، ولكنى قرأت لكم فى كتابكم (هذه الشجرة) صفحة ١٧١ أنه من عجائب الأختلاف العريق بين خصائص الذكورة وخصائص الأنوثة أن عدد الصبغيات فى خلية الذكر سبعة وأربعون وفى خلية الأنثى ثمانية وأربعون والذى يحدث عند اللقاح أن خلية الذكر تنقسم نصفين وخلية الأنثى تنقسم نصفين ثم يتقابل نصف من هذه ونصف من تلك، فإذا كانا عند الامتزاج يؤلفان ثمانية وأربعين فالمولود الذى يتخلق من هذه الخلية أنثى وإذا كانا يؤلفان سبعة وأربعين فالمولود الذى يتخلق من الخلية ذكر، وكأنما النواة الكثيرة الحركة هى العوض فى خلية الذكر من الصبغى الناقص فيها.

.. وأرى فى الكلام الأخير شيئاً من الغموض قد يعارض ما ذكرتم فى اليوميات ولذلك أرجو أن تتفضلوا بتوضيحه فى بعض مقالاتكم..».

ولانحسب أن الطالب الأديب يعنى بالغموض أننا ذكرنا فى اليوميات أربعة وعشرين صبغياً وذكرنا فى كتاب «هذه الشجرة» ثمانية وأربعين، فإنه يعلم ولا شك أن البويضة الملقحة تشتمل على أزواج من الصبغيات يحسب كل زوج متشاكل منها واحداً، ويحسب عند الانقسام اثنين.

غير أنه يشير بالغموض فيما نظن إلى الصبغى الناقص، ولا محل هنا للشرح

* أخبار اليوم ١٩٥٥/١٢/٣

المفصل بل يكفى الإلماع إليه ليرجع إليه الطالب الأديب فى مصادره وهى أوفر لديه، وأولها كتاب تطور الجنس لمؤلفيه أرثر تومسون Thomson Arthur وباتريك جيدس Patrick Geddes.

ولاشك أن الطالب الطبى يعلم أن الجنسية المتشاكلة Homogametic، تخرج الصبغيات من نوع حرف الإكس (X)، وأن الجنسية المختلفة Heterogametic، إما أن يكون فيها صبغى من هذا النوع وصبغى من نوع حرف الواى (y) أو لا شيء، وهذا ما يبدو أنه نقص ونعلله بما ذكرناه فى كتاب هذه الشجرة مستطردين فيه من تعليل صاحبى كتاب «تطور الجنس» إلى النتيجة التى يقتضيها.

ويبقى سر الخلود :

وأما سر الخلود فهو زعم الطبيب الإنجليزى الذى نقلت عنه الأخبار أنه يقول بإمكان امتداد الحياة إلى غير انتهاء، وأن الشيخوخة ليست ضربة لازب على الأحياء من بنى الإنسان.

وماذا نصنع إذا كانت أخبار البرق تفرض علينا فى هذه الأيام وظيفة الشرطى الذى يلاحق كل مسروق من الآراء يدعيه من يزعم السبق إليه ؟

إن الباحثين فى سر الشيخوخة قرروا منذ سنوات أن الشيخوخة ليست دوراً من أدوار الحياة كدور التسنين ودور المراهقة ودور الاستواء وتمام التكوين بالوظائف والعظام، ولكنها - أى الشيخوخة - حالة سلبية تنشأ حين تضعف الخلايا عن المقاومة وعملية الإصلاح والتعويض، وأن تزويد الخلايا بالقدرة على امتداد هذه العملية ممكن بتنظيم أعمال الغدد الصماء، على شريط التوازن بينها فى التنشيط والإفراز.

ويأتى الخطر أحياناً من هذه العملية نفسها إن لم تتوازن فى نشاطها.

فمن تجارب الدكتور هانس سيل Hans Seyle بمونتريال أن الجسم إذا أرهقه الجهد والتعب، نشطت الغدة النخامية والغدة الكظرية لمضاعفة الإفراز لتعويض النقص، فيأتى الخلل من هذا الإفراط، وقد عمد إلى استئصال الغدة النخامية من بعض الحيوانات ثم عرضها للبرد والحر والضجيج والحركة فلم يحدث فى باطنها ذلك الخلل الذى ينجم عن فرط النشاط من الغدة النخامية، وجرب استئصال الغدة الكظرية فحدث الخلل قليلا كأنها لا تبلغ فى إفراطها ما تبلغه الغدة الأخرى من الطغيان على الوظائف الجسدية.

ولكن ترى هل تتكرر هذه « اللعبة » فى الإنسان مع الأمان من العاقبة؟ وهل يتأتى وزن التعادل بين الغدد وإفرازاتها على قدر المجهود أو الضعف عن المقاومة، وعلى قدر الحاجة الدقيقة إلى كل إفراز من كل غدة فى حينه وعلى حسب الغرض الطبيعى منه؟

قبل أن يتحقق ذلك نخشى أن تكون حيلة الطبيب فى رد الشيخوخة كحيلة « حمام التلات اللى يرجع العواجيز بنات ».

وأين هو حمام « التلات » فى شبابه المأسوف عليه؟

فإن لم تكن حيلة صاحبنا كحيلة هذا الحمام، فأغلب الظن أنها كحقنة ستالين.. مات ستالين والناس يتكلمون عن أعاجيبها فى رد الشيخوخة إلى الشباب.

والبقية فى عمر الطبيب المبشر بحياة الخلود.

السيد المطاع*

سلطان الطفل:

من الكلمات الحديثة فى اللغات الغربية كلمة البديارش Pediarohy أو البديارطية، إذا أردنا بها المتابعة لغيرها من الصيغ التى تطلق على أنواع الحكومات، كالأرستقراطية والأوتوقراطية والديمقراطية وما إليها.

ومعنى البديارطية حكومة الطفل أو حكومة الأطفال، وقد وضعت على سبيل التهكم لتقابل حكومة الشيوخ أى الجيروتكراطية Gerontocracy فى العصور القديمة.

وليس المقصود بالبداهة نوعاً من الحكومة يتولاه الطفل وتناط به أعمال السياسة والإدارة، وإنما المقصود به سلطان الطفل فى الأسرة والمجتمع، وأنه يسيطر على الدولة من حيث لا يدرى ولا يريد.

كان بعض الطغاة من اليونان الأقدمين يشير إلى طفله الصغير ويقول: إن هذا الولد يحكم اليونان، وإذا سئل عما يعنيه قال: نعم.. لأنه يحكم أمه وأمه تحكمنى. فلاراد لما يشاء!

وهذا هو المعنى المقصود فى اللغات الأوربية بحكومة الطفل أو البديارطية: فإنهم يلاحظون أن الطفل يملك من الدالة على أبويه وعلى البيت كله ما يجعله «السيد المطاع» فى الأسرة وفى المجتمع، ويتفاءل بعضهم بهذه الظاهرة، ويرى الآخرون أنها جاوزت حدها المعقول وهو حد الاعتدال.

كان من الآداب المرعية فى الآداب الغربية ألا يجلس على المائدة مع الضيوف الكبار، وإذا جلس - نادراً - فى أثناء تناول الطعام، دخل إلى

* أخبار اليوم ١٩٥٥/٥/٢٨.

حجرته بعدها وطلبوا إليه أن ينام فى موعده المحدد، ولم يكن بمجال من الأحوال يسمح له بالحضور فى أثناء تبادل الأحاديث بعد المائدة، بين الضيوف من الرجال والنساء.

أما اليوم فقد لوحظ فى المجتمعات الغربية أن الطفل يشترك فى المائدة ولا ينصرف إلى حجرته بعد رفعها، وإذا انصرف إلى حجرته له أن يعود لاستماع الأحاديث لم يؤمر بالعودة إلى فراشه، وخجل الأباء من التصريح له بسبب انفرادهم بالكلام، وهو أنهم يتكلمون فى موضوعات لا يباح الخوض فيها ولا الإصغاء إليها.

فإذا جاز ذلك للكبار فلم لا يجوز للصغار؟

وكلما حاولوا أن يقيموا الحد بين سن الإباحة وسن المنع، تزحزحت السن عاماً أو عامين، فما كان يجوز للعشرين أصبح مما يجوز للخامسة عشرة، ثم للعاشرة، ثم بلا قيود ولا حدود.

هذه هى البديارطية التى صيغت فى اللغات الغربية الحديثة، وقد اطلعنا أخيراً على مقال للكاتب الأمريكى المعروف فيليب ويلى Wylie يقول فيه إن أمريكا هى الدولة البديارطية الأولى فى العالم، ولعله يتحدث عما يراه ويجهل بطبيعة الحال ما لا يراه.

من علامات الخير:

ونحن نحسب أن الأهتام بالطفل فى جملته علامة خير، وأن القوة التى ستعود بالمرأة إلى مكانها فى المجتمع هى هذا الاهتام بالأطفال، ومنذ أسابيع تكلمنا عن الكاتب الدنمركى هانس اندرسون - الملقب بصديق الأطفال - فقلنا إن ارتفاع شأن الطفل فى الغرب شاهد صادق على ارتقائه فى سلم الحضارة الصحيحة، وإن الشرق قد سبقه إلى هذه الحضارة الإنسانية لأنه كان

يستخدم للطفل ضمير العاقل حيث يستخدم الغرب ضمير الجماد، وإن الحكماء الشرقيين قد عرفوا حق الطفل فى القراءة فوضعوا له الحكمة فى الأسلوب الذى يعلقه، وشاعت بين الأمم الشرقية نوادر الحيوانات والسحرة والأرواح اللطيفة التى يحاكيها الكتاب الأوربيون والأمريكيون فى العصر الحاضر.

وهذه هى صحف الأطفال.

وهذه هى صفحاتهم المخصصة لهم فى صحف الكبار.

وهذه هى أركانهم فى برامج الإذاعة.

وهذه هى مطبوعاتهم ومنشوراتهم للتعليم وللتسلية وللتدرج من البسائط إلى المركبات فى مسائل الفن والأدب.

هذه كلها عندنا نحن وعند غيرنا برهان على البديارطية التى صاغوها لهذه الدولة القويّة فى اللغات الحديثة.

واللّه يبارك ويزيد، والرجاء فى حكمته ورحمته أن يبارك ويزيد إلى حدود.

نعم إلى حدود، وحدود منيعة سريعة فإننا أوشكنا أن نصل إلى «منطقة» الخطر الشديد فى البديارطية، وأوشكنا أن نسمع بجرائم الأطفال كلما سمعنا بجرائم الكبار، وأوشك العالم كله أن يتنبه لإقامة الحواجز بين سن الطفولة وسن الرشد فى حضور التمثيل وحضور الصور المتحركة وحضور الملاهى والمنازه على العموم، فضلا عن إقامة الحواجز فى الكتب والمطبوعات.

ولابد من هذه الحواجز المنيعة السريعة فى كل مكان، وفى بلادنا الشرقية على التخصيص، لأنها البلاد التى عرفت الحدود قديماً بين الجنسين وبين الأعمار، وإن تكن قد جازت بالحدود «حدودها» فى أحايين.

مع الذكرى :

وقد ذَكرنَا بحديث البديارطية باعثان من بـواعث الـذكرى على أثـر مقــالنا السابق :

الباعث الأول هو العيد.

والباعث الثانى هو شخوص شكسبير.

فأما العيد فى الشرق خاصة فهو المظهر الأكبر لدولة الطفل فى كل سلطانها ومهرجانها.

ولانظن أن عيداً من الأعياد يقدم فى الشرق لـولا الأطفـال، فـإن تسـعة أعشار الأموال التى تنفق على الملابس والمظاهر والحلوى والزيارات لم تكن لتنفـق لولا الطفل الصغير، وربما هـان على المرأة الأم أن تنسى نصـيبها مـن زخــرف العيد، لولا أنها تنظر إلى أطفال غيرها ولا تحب أن تشعر بانكسار أطفالها أمام النظائر والضرائر من النساء.

وإن السرور الذى يجلبه الطفل الصغير لأبيه وأمه وللبيـت كلـه وللمجتمع بأسره ليستحق هذه التكاليف المرهقة ويزيد عليها.

وإن القدرة المعجزة فى هؤلاء المخلوقات الصغار على العودة بالكبار مـن كل سن إلى أيام الطفولة الأولى لتستحق خزائن الأموال يـومين أو ثـلاثة أيـام، فى ثلثمائة وخمسة وستين من أيام العام.

وكم لهم من أضاحيك. وكم لهم من طرائف. وكم لهم من معارك أطيب من تلك الطرائف والأضاحيك.. ؟

حضرت معركة لرب السماء كما يقولون، لأن طفلة فى الثامنة، أو التـاسعة تطالب بثأر لها عند زميلة من زميلاتها وتأبى أن تنزل عنه لحظة واحدة.

أى ثأر؟

ثأر جسيم غاية فى الجسامة، وخلاصته أن زميلتها رأتها وهى لابسة فستان العيد فلماذا لاتراها هى فى فستانها، هل يصح أن تضحك عليها وتتفرج على فستانها ولا تفرجها على مثله؟

والمشكله عنيفة فى الحقيقة..

لأن الأسرة التى تطالبها الآنسة الصغيرة بالثأر قد تعودت أن تؤخر لباس الزينة إلى ما بعد زيارة القرافة، وليس هذا بالعذر المقبول عند صاحبة الثأر الجسيم. فإما أن تلبس لها الفستان وإما أن تسترد منها المنظر الذى نظرته ولم تبادلها عليه.

ولا تنتهى هذه المعارك وأشباهها من مساء يوم الوقفة إلى صباح اليوم الثالث للعيد.

فقل ماشئت فى الطرائف والأضاحيك.

أطفال شكسبير:

والباعث الثانى من بواعث (البديارطية) سؤال جاءنا بعد مقالنا السابق عن بطلات شكسبير.

أليس لشكسبير أبطال من الأطفال؟ أليس الأجدر بالمشاعر والأدل على قدرته أن يبرز هذه القدرة فى تصوير أبطال من الأطفال، كما صور لنا البطلات الكثيرات من نماذج النساء؟

والسؤال نفسه آية من آيات البديارطية فى العصر الحاضر، والالتفات إليه علامة من العلامات المتكررة على شأن الطفل فى المجتمع الحديث.

إلا أننا لا نقر صاحبة السؤال على قياس القدرة فى الشاعر بهذا المقياس،

فإن تصوير الطفولة أيسر من تصوير الجنس الآخر على كل شاعر أو شاعرة، لأنه ما من رجل أو امرأة إلا كان فى بعض عمره طفلا صغيراً وعاش وهو يذكر نوادر الطفولة، وأما الجنس الآخر فلا يصوره الشاعر إلا بإلهام العبقرية التى تخلق ما تتخيل وتجريه مجرى الواقع المحسوس بصدق التمثيل والتعبير.

وبعد، فإن خلق الأبطال من الأطفال على مثال البطلات فى روايات شكسبير لم يكن ميسوراً من الوجهة العملية فى عصره ولا نظنه ميسوراً فى العصر الحاضر لكل دور من الأدوار.

لقد كان شكسبير يعانى مشقة كبرى فى تدبير دور المرأة على المسرح وكانوا فى زمانه يلجئون إلى تمثيل أدوار النساء بإسنادها إلى الصبيان أو الشبان المرد الذين يجوز على النظارة أن يحسبوهم من النساء، وقد سقطت أدوار النساء جميعاً على مسرح القرن السادس عشر لقلة الممثلات وصعوبة التنويع فى أدوار المرأة على صغار الممثلين، وكانت صعوبة الممثل الطفل أكبر من هذه الصعوبة والحيلة فيها أعسر من الحيلة فى تمثيل المرأة بالصبى أو الشاب الصغير، ولا نحسب أن الفن الحديث قد ذلل هذه الصعوبة كل التذليل على كثرة الأطفال فى الصور المتحركة، فإنها صعوبة لا يذللها إلا أن التدريب على المواقف الطبيعية فى أدوار الأطفال شبيه بالتدريب على التمثيل المصطنع فليس فيه للإبداع الفنى حظ كبير.

على أن الإشارات إلى الأطفال فى روايات شكسبير تعد بالعشرات، وبعض جنياته يعرضن فى مرح كمرح الطفولة وغرارة كغرارتها، وكثيراً ما يتكلم أبطاله وبطلاته عن أبنائهم وبناتهم فلا يعتبر الطفل من المهملات فى تلك الروايات.

والسؤال الآخر:

والسؤال الآخر نقر صاحبة السؤال عليه فى جملته وتفصيله، فإن فهم القارئ لبطلات شكسبير يحتاج إلى تقديم للروايات وتعليق عليها وتلخيص

لملاحظات الشراح والنفسانيين المحدثين فى كل موضوع من موضوعاتها، ولا يكفى نقل الشخصية بكلامها فى الرواية لتوضيح أسرار تلك الشخصية ودقائق التصوير فى أقوالها وأجوبتها وتصرفاتها مع الأبطال الأخريات.

غير أن الصعوبة هنا ليست من الضخامة بحيث يتوهم المتشائم أو المستعظم للمهمة الموكولة إلى المترجمين فإنهم إذا فاتهم - أو فات بعضهم - أن يبرزوا ملامح الشخصيات بالشرح والتعليق من عندهم فليست أقوال العشرات من الشراح الثقات بعيدة منهم وليس استخلاصها بالعمل الذى يستعصى على طلابه إذا فهموه وتعاونوا عليه.

الصهيونية والنبوغ:

وأمامى بعد هذه التعليقات على أبطال شكسبير سؤالان عن الصهيونية والنبوغ، أحدهما من الأديب «أحمد مختار عمر» الطالب بكلية دار العلوم، والآخر من الأديب (ر.ت) فى الموضوع نفسه، على وجه آخر يستدعى إهمال السؤال والنظر فى «نوع» هذه الأسئلة وما هو من قبيلها على التعميم.

يقول الأديب أحمد مختار عمر: «رأيناك تناقش دعوى الصهيونيين، أن بغض العالم لهم ناتج عن حسده لهم، لتفوقهم ونبوغهم، وانتهيت إلى إبطال هذه الدعوى وسلب كل فضيلة عنهم. فما رأيك فيما يقوله الأستاذ عمر الدسوقى فى كتابه عن الأدب الحديث الذى يدرسه لطلبة دار العلوم، من أن المدنية الأوربية الحديثة بنظمها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وحياتها العلمية من أثر العقلية السامية فى الغالب ممثلة فى بنى إسرائيل».

وقبل أن نجيب عن السؤال نقول إننا لم نسلب اليهود أو الصهيونيين كل فضيلة، وإنما نفينا دعواهم أنهم يفوقون غيرهم فى النبوغ، وقلت إنهم يعتمدون فى نبوغهم على ثقافات الأمم، وليس هذا سلباً لكل فضيلة كما هو معلوم، بل

هو دفع لتهمة الحسد التى تلق على الأمم، لأنها فى زعم الزاعمين أقل نبوغاً من اليهود أو الصهيونيين.

ونحن قد أثبتنا فى هذه المسألة وقائع مقررة ولم نجعلها مسألة آراء وفروض.

فقلنا إن مكتبة الإسكندرية التى جمعت آثار الأمم الغابرة، لم يكن فيها كتاب ألفه بنو إسرائيل فى العلوم القديمة بين المصنفات التى ألفها المصريون والبابليون واليونان والرومان وغيرهم فى علم الفلك والرياضة والتاريخ الطبيعى والفلسفة واللغات، ولم تظهر لبنى إسرائيل مصنفات فى هذه العلوم إلا بعد مقامهم بين معاهد العلم فى الإسكندرية وعواصم الثقافة العالمية.

وقلنا إن اليهودى الألمانى مثلا يستفيد من ثقافة الألمان، وإن اليهودى الإنجليزى يستفيد من ثقافة الإنجليز. وكذلك يهود فرنسا وإيطاليا وأمريكا وغيرها يستفيدون من ثقافات الأمم التى يعيشون فيها. وكان ينبغى أن يكون نوابغهم أضعاف نوابغ الأمم الذين يستفيدون من ثقافة وطنهم وجهود بيئتهم العلمية والأدبية، ولكنهم لا يزيدون فى العدد على نوابغ الأمم. بل يقلون.

وقلنا إن نجاحهم المادى لا يزيد على نجاح الأمم فى البيئات المشتركة بينهم. وضربنا المثل بالجاليات الأرمنية واليونانية والشرقية فى مصر، فإن الناجحين بين كل منها أكثر من أمثالهم بين اليهود وهذا مع نجاح الأرمن واليونان والشرقيين فى التجارة والزراعة والصناعة ومرافق الأعمال المادية بأجمعها وانحصار النجاح اليهودى فى التجارة والسمسرة.

وكان ينبغى أيضاً أن يزيد عددهم هنا على عدد أمثالهم فى كل جالية، لأن الجاليات الأخرى لا تنتشر فى أنحاء العالم، كما ينتشر اليهود ولا تتعاون كما يتعاونون.

فلا محل للآراء النظرية هنا بل المحل الأول والأخير للواقع المشهود ننكره أو نسلمه تسليمنا بكل واقع مشهود.

ويبقى أن يرجع الطالب الأديب إلى الأسانيد التى اعتمدها الأستاذ الدسوقى فى تقرير رأيه، فإنه قد اعتمد على أسانيد تقبل المناقشة كما نعتقد، وليس بين أيدينا ما كتبه الأستاذ فنناقشه ونوافقه أو نخالفه. ولكننا نرجع فى هذه الأحوال دائماً إلى المعالم البارزة من أسماء العلماء أو أسماء الكتب التى ينسب إليها نشر الثقافة. فمن هو الإمام الإسرائيلى الذى يصح أن يقال إنه ابتدع ثقافة من عنده، ولم يستفدها من العرب الأندلسيين؟ وما هو الكتاب الذى كان له أثره فى توجيه الفكر من مبتكرات الأقطاب الصهيونيين أو اليهود؟

اسم الإمام أو الأئمة، واسم الكتاب أو الكتب، وعلى شرط أن يثبت فضل الابتداء، والتوجيه ولا يثبت نقيض ذلك من الاعتماد على فضل الآخرين.

إن هى إلا الأسماء:

وفى الطريق نحب أن نعيد هذه العبارة نفسها جواباً لكل من سألونا عن الرأى الذى نسبوه إلى الدكتور طه حسين، وقيل فيه إن زعامة الأدب قد انتقلت من وادى النيل إلى بيروت أو دمشق أو بغداد.

إن الزعامة لا تكون إلا بزعماء معروفين وآثار معروفة. فإذا قيل إن فلاناً وفلاناً وفلاناً زعماء الأدب العربى فى لبنان أو سورية أو العراق، فقد وضحت معالم الدعوى وأمكنت الموافقة لها أو الاعتراض عليها.

ولا يكفى أن يقال إن فلاناً زعيم الأدب والثقافة، بل يجب أن يقال مع ذلك إنه استحق الزعامة بهذا الكتاب، أو بهذه الدعوة، أو بهذه الفكرة التى لانظير لها فى بلد آخر. ويومئذ يؤخذ الرأى مأخذ التحقيق، ويوافقه من يوافقه على بينة، ويعارضه من يعارضه على بينة.

أما انتقال الزعامة من قطر إلى قطر بغير أسماء للزعماء، ولا أسماء لموضوع الزعامة فكلام لا محل للمناقشة فيه.

على أننى أعود فأقول إننى قرأت للدكتور طه حسين حديثاً مع الأستاذ الشناوى ينفى فيه أنه قال بنقل الزعامة هنا أو هناك، ويذكر ما معناه أنه إنما أراد أن يشحذ الهمم ويثير الغيرة ويستزيد من الجهود.

فلا يطالب الدكتور طه حسين إذن بإثبات الزعامة لهذا أو لذاك. وإن كان هذا لا يعفيه من تعقيب واجب فى هذا المقام، وهو أن المقام لا يسمح له بمعاملة الأدباء فى البلاد العربية معاملة التلاميذ الذين تعرك آذانهم مرة، ويربت على أكتافهم مرة أخرى، ويقال لهم اليوم : انظروا إلى تلاميذ الفرقة حرف ألف ويقال لهم غداً : انظروا إلى « الألفوات » من الفرقة جيم.

هذا كلام، بالإيجاز، لا يسمح به المقام.

الدرجات والظلام يا أيها الناس:

والأديب « ر.ت » قد كتب اسمه كاملا ولكننى اختصرته لأننى أردت أن يكون فى الرد شىء من اللوم و« التصحيح » الذى يستحب معه التوقيع المستعار.

أخشى أن أقول إن الكثيرين منا لايعرفون للأفكار ولا للأنظار درجات بين البياض والسواد، وبين الإقرار التام والإنكار التام.

وأخشى أن أقول إن قلة « الظرف » adverb فى لغتنا الشائعة دليل على نقص أصيل فى تفكير الذين يستخدمون هذه اللغة الشائعة.

فإذا مدحت إنساناً يوماً فحاذر أن تنقده بعد ذلك وإلا جاءك الاعتراض عليك بأنك قد مدحته قبل الآن فكيف تنقده اليوم؟

وإذا قلت إن اليهود لا يزيدون على غيرهم فى نسبة النبوغ، جاءك السؤال العجيب. وماذا تقول فى اينشتين؟

وإذا قلت فى الصيف إن الدنيا حر، فلا تقل فى الشتاء إن الدنيا برد.. لأنك وصفت الدنيا بالحرارة فى وقت من الأوقات فكيف تعود إلى وصفها بغير ذلك فى وقت سواه؟

وإخال أن هذه الأمثلة تغنى عن الإسهاب فى تصحيح كثير من الاعتراضات التى يثيرها بعض الآراء فى هذه المقالات أو غيرها من أقوالى المنشورة، ولو تذكر المعترضون أن «البياض والسواد» درجات وظلال، لأجابوا أنفسهم قبل أن يطلبوا الجواب.

obeikandl.com

موجة من الإباحية*

٢٧ ألف أم بلا زواج فى السويد

الوجودية الجسدية:

نشرت «الأخبار» منذ أيام خبراً عن تحقيقات الشرطة والقضاء فى جامعة أبردين بأسكتلندة لأن طائفة «من الطلاب والطالبات دأبوا على إقامة حفلات فاضحة يدعون إليها ممرضات أحد المستشفيات ويمضون الليل يحتسون الخمر، وأن كل الفتيات اللاتى يترددن عليها فى سن الثامنة عشرة أو أقل .. وقال أحد المواطنين فى الشكوى التى تقدم بها إنه شاهد كل شىء يطير فى الهواء بما فى ذلك ملابس الطلبة والطالبات...

وفى السويد:

ومنذ سنوات يتحدث السائحون العائدون من البلاد الشمالية عن غرائب الأطوار الجنسية فى بلاد السويد، ويقول «دافيد براون» مراسل التايم فى البريد الأخير بعنوان الخطيئة والسويد «إن الإحصاءات تدل على وجود سبعة وعشرين ألف أم على الأقل بغير زواج، وإن المواليد فى السنة تبلغ مائة وعشرة آلاف لا تقل نسبة الأبناء غير الشرعيين منهم عن العشر، وإن نحو خمسة آلاف امرأة متزوجة وغير متزوجة يدخلن المستشفيات كل سنة للإجهاض».

وبعد أن تكلم عن إباحة الإجهاض فى السويد وأن رجال الكنيسة لا يستطيعون الاحتجاج على هذه الحالة لأن الكنيسة فى السويد مصلحة حكومية تنفق عليها الدولة. ذكر اسم مفتشة مدرسية باسمها –وهى أوتيسين جنسن– وقال إنها تتولى الإشراف على تعليم المسائل الجنسية بالمدارس، وإنها

* أخبار اليوم ١٩٥٥/٥/٧.

تجول فى أنحاء البلاد بالقطار والسيارة لأداء هذه المهمة ولا تدارى شيئاً من المبادئ التى تقررها أمام التلاميذ والتلميذات عن العلاقات الجنسية.

قال: سألت السيدة أوتيسين جنسن عما تعلمه الشبان والشبات.

فقالت: «إننى أقول لهم إن الشيء المهم فى المسألة أن يتحققوا من الحب، وإن البنت لا حرج عليها من الاتصال بالشاب على أن يكون بينهما حب متبادل قبل ذلك».

وسألها الكاتب: «أنت إذن لا تنصحين بالانتظار إلى أن تنعقد بينهما رابطة الزواج؟»

قال: فنظرت إلىّ نظرة ساخرة وكررت بعض عبارات متقطعة ثم قالت: «إن آباءهم وأمهاتهم يعلمون كل شيء، وما الفائدة من الجهد فى تغيير الطبيعة؟».

فعدت أسألها دهشاً: «أتنصحين لهم بذلك فى المدرسة؟».

قال: فضحكت المفتشة وضحك معها الحاضرون ونظروا إلىّ يتعجبون ويتساءلون: ألعلك متدين؟

ولم يسكت صاحبنا بل عاد يسأل: أيستطيع ولد أو بنت فى نحو السابعة عشرة أن يفرق بين الحب والدفعة الغريزية؟

فأجابت قائلة: نعم. إنهم يستطيعون أن يعرفوا الحب.. إنهم يعرفون الحب الصحيح..

ووافقها جميع الحاضرين.

وفى روسيا:

وقد كتبنا فى إحدى مقالاتنا هذه - منذ أسابيع - عن تلك الصرخة التى

انبعثت من ديوان التعليم فى روسيا السوفيتية وردتها الصحف، وتبعتها حركة من حركات التفتيش الواسعة فى مدارس الذكور والإناث، واستلزمت أن تعدل الحكومة هناك عن موقفها من الآباء والأمهات ، فأباحت لهم بل أوجبت عليهم أن يراقبوا مسلك أبنائهم وبناتهم، وأن يكونوا على استعداد لمحاسبتهم عليه، بعد أن كانت رقابة الأب على مسلك فتاه أو فتاته معدودة من « التقاليد » الرجعية التى لا تحسن بالمجتمع المتقدم المتحرر، وبعد أن كان الآباء والأمهات يخافون عاقبة التشديد على الأبناء والبنات، لكيلا تتجه إليهم شبهة الرجعية، أو يتعرضوا لاتهام أبنائهم إياهم بمعاداة النظام القائم ومناصرة العهد القديم، وكثيراً ما يستعان هناك بالأباء للتجسس على الأبناء والمعلمين.

ومن آثار هذه الحملة مطاردة المعربدين والتشهير بهم فى الصحف الهزلية، وكثرة الصور الخليعة والرسائل المبتذلة وغيرها من المنوعات التى يعثر بها المراقبون وهم ينقبون عن الممنوعات عامة فى دواليب الشبان والشابات، وفى الأندية التى يترددون عليها، وقد هال ولاة الأمر كثرة ما فيها من دلائل المجون والانحراف.

وفى أمريكا :

ولم يفرغ الحديث بعد عن تقرير كنسى فى الولايات المتحدة، والكتب التى تتابعت على أثر ظهوره تعقيباً عليه وتصحيحاً له وتوكيداً لبعض ما جاء فيه بالإحصاءات والبينات.

وتفيض صفحات التقرير والكتب التالية له بالإحصاءات الحسابية عن اللقطاء والانحراف بين الرجال والنساء، وعن أحوال الزواج والطلاق التى تدعو إلى الرقابة الحكومية أو الاجتماعية، وتدل على نقص فى العرف أو القانون.

وفى فرنسا:

وحديث «الوجودية» الإباحية فى فرنسا لا ينقطع منذ سنوات بعد الحرب العظمى على الخصوص. فمن ناحية تروج الوجودية التى تستبيح كل شيء، ومن ناحية أخرى تقاومها الوجودية التى تعتصم بالرياضة الروحية والجسدية، وتنكر الإباحة إنكارها لخطر جائح من أخطار التدهور والانحلال .

وفى إنجلترا:

ولم تضعف بعد فى إنجلترا تلك الحملة التى بدأت منذ السنة الماضية على أثر فرار السياسيين المتهمين بالجاسوسية وبالشذوذ، ومعها حملة على الرقابة المشددة فى مراجعة القصص والصور المتحركة، وهى الرقابة التى يلجأ إليها المجتمع الإنجليزى كلما أحس أن الحرية بلغت حد الإباحة ، وأن الإباحة تكشف عن آفة أو آفات.

أهو ارتداد إلى الحيوانية؟

وأول ما يسمع من تفسير هذا الفساد أنه نكسة فى طبيعة الإنسان ترتد به إلى الحيوانية.

وهى كلمة تلق جزافاً ولا يكلف القائلون بها أنفسهم أن ينظروا نظرة واحدة عن أطوار الحيوان فى العلاقات الجنسية.

فالحيوان لا يبتذل هذه العلاقة ولا يتخذها وسيلة من وسائل اللهو واللذة، وليست علاقته الجنسية شغلا شاغلا له فى غير أوقاتها ومواسمها، ولا يشاهد فى حياة الحيوان الوحشى أو الحيوان المستأنس أنه يستخدم الغريزة الجنسية فى شيء غير بقاء النوع، فلا تنظر الإناث الحوامل إلى الذكور ولا تنظر الذكور إليها، ولو كان ذلك فى الموسم المحدود.

أهى نكسة إلى الهمجية؟

ويسمع كذلك تفسير آخر من هذا القبيل، وهو تفسير الإباحة بالنكسة إلى الهمجية.

وهذا التفسير، كذلك التفسير متعجل متعسف يلق جزافاً بغير نظر إلى الواقع، وإلى معناه.

فقد تكون الجماعات الهمجية خلواً من آداب الجنس التى جاءت بها الديانات العالية أو جرت عليها العادة فى المجتمعات المتحضرة، ولكن القول بانطلاق العلاقات الجنسية بين الهمج من جميع القيود كلام مرسل لا يستند إلى الواقع، بل يناقضه فى كثير من الأحوال، إذ ليس أكثر بين الهمج من المحظورات أو «التابوات» Taboes التى تتعلق بالجنس والزواج، وإذا نظرنا إلى القيود على عمومها، فربما كانت القيود الجنسية فى المجتمع الهمجى أكثر عدداً من هذه القيود فى المجتمعات المتحضرة، وإن كانت قيوداً من قبيل شعائر السحر والكهانة، ولم تكن من قيود الأخلاق والآداب كما نعرفها فى العقائد الدينية ووصايا الحكماء.

وليس بالصحيح على أية حال أن الإباحة فى الحضارة الغربية ارتداد إلى الهمجية أو نكسة من المجتمع إلى الوراء.

هل هى تقدم؟

وأعجب من هذه التعليلات تعليل الإباحة بالتقدم والانطلاق من القيود التى يجمد عليها المتأخرون من أتباع العقائد البالية والموروثات القديمة.

فقبل مائتى سنة عرف الناس فى فرنسا حالة كهذه الحالة، واضطرت الدولة وأهل الخير من المحسنين إلى زيادة الإتاوات التى تمنحها الأديرة والملاجئ

المعدة لتربية اللقطاء، وظهر أن الأمهات الشرعيات يسلمن أبناءهن للمرضعات الريفيات، لأنهن مشغولات بحياة اللهو والأناقة فى المراقص والأندية، وكان من المناظر المألوفة فى ذلك العهد - قبل الثورة الفرنسية - أن ترى المرأة الريفية عائدة من باريس وفى كل حضن من حضنيها طفل رضيع يربيه أبواه بالأجرة، لأن أمه تعد الرضاعة عملا خشناً لا تقبله «الأناقة» ولا يرضى عنه ذوق «الجمال» والزينة فى العلية المختارة.

وقبل ألفى سنة شاعت هذه المفاسد فى الدولة الرومانية، ووصفها شعراؤهم من أمثال الشاعر الهجاء جوفينال، وكان لها أثر قوى فى رد الفعل العنيف الذى انتهى باحتقار الجسد وتعذيبه وإسلامه للدود والحشرات وصاحبه بقيد الحياة، ولم يكن شيوع المسيحية قبل نهاية الدولة الرومانية إلا احتجاجاً على التبذل بالشهوات والاستغراق فى لذات الحس والمجون.

أهى قضية اجتماعية؟

ومن البديهى أن يقال إن القضية كلها آفة اجتماعية تنم على سقوط المجتمع وانهدام القواعد التى يقوم عليها.

ومن تحصيل الحاصل أن يقال إن القضية التى تحصل فى المجتمع قضية اجتماعية، فكل قضية من هذا القبيل فهى قضية اجتماعية بلا خلاف، ولا يحس القائل بهذا أنه قال شيئاً يزيد على تفسير الماء بالماء.

كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماءُ!

وأفادكم الله أيها المائيون، وأفادكم الله معهم أيها الاجتماعيون.

أما إذا أريد بالاجتماعية أنها خاصة بالظواهر الاقتصادية أو برأس المال أو بالفلوس على العموم، أو بفلسفة الديمقراطية بصفة خاصة - فهذه هى الأقوال التى تحتاج إلى الأناة الطويلة والتوقف الشديد.

إن المجتمعات لتختلف أكبر اختلاف بين سكوتلندة والسويد وروسيا وأمريكا وفرنسا وإنجلترا وغيرها من الأقطار التى طغت عليها تلك الموجة أو ذلك الطوفان.

إن الشبان والشابات الذين يتهتكون ويعربدون فى روسيا قد ولدوا بعد سقوط رأس المال فى بلادهم بنحو عشرين سنة، وإن رأس المال أنجح ما يكون فى الديار الأمريكية، وإن فرنسا التى داستها جيوش الألمان وشقيت بالهزيمة سنوات غير إنجلترا التى لم تطأ أرضها قدم أجنبية ظافرة، وغير الولايات المتحدة التى تبعثر الأموال باليمين والشمال.

فلوس لا...

ليست الحكاية حكاية فلوس، ولكنها حكاية نفوس، وليست العلة الاجتماعية فى هذه «المجتمعات» كافة إلا طريقاً إلى العلة النفسية أو طريقاً منها.

فأما أنها حكاية اقتصاد فكلا ثم كلا، ثم ألف مرة كلا كما كان يقول خطباء «الحزب الوطنى» فى الزمن القديم.

لا هى حكاية اقتصاد ولا هى حكاية فلوس، ولكنها حكاية ضمائر أو حكاية نفوس.

الحكاية أن الإيمان «بالمثل الأعلى» مفقود فى كل هذه الأمم، وتلك هى الجامعة الوحيدة التى تشملها قاطبة على اختلاف الرواج والكساد، وعلى اختلاف النصر والهزيمة، وعلى اختلاف الحرية والاستبداد، وعلى اختلاف التقدم والتأخر فى العلم والحضارة.

إن الإنسان إذا آمن بالمثل الأعلى، وعرف لحياته معنى يعلق به آماله، هانت عليه لذات الجسد، بل هانت عليه الحياة الجسدية برمتها، فلم يشغل بها أمله ولم يقصر عليها عمله، ولم يعطها فوق ما تستحقه من عنايته ومجهوده.

والحضارة المادية فى الغرب قد أفلست وفقدت معناها، وتجسم فيها هذا الإفلاس فى حالتين متشابهتين كل التشابه وإن ظهر عليهما أنهما مختلفتان أبعد اختلاف..

تلك الحالتان هما التهافت على اللذات الجسدية وكثرة حوادث الانتحار، وكلتاهما عرض لمرض واحد: وهو فقدان معنى الحياة.

ولو لم يكن ذلك التهافت على اللذات الجسدية عرضاً من أعراض المرض الوبيل لما اقترن بكثرة الفرار من الحياة وكثرة الإقبال على الموت، أو لما اقترن بكثرة حوادث الانتحار.

وابن عم الانتحار الإدمان: إدمان السكر وإدمان المخدرات وما إليها، لأنه غيبوبة عن الحس تشبه الموت.

والحضارة المادية لم تفلس لعلة واحدة، ولم يفقد الغربيون معنى الحياة من خطب واحد، ولكنها علل كثيرة وخطوب شتى، ومعظمها يتكرر مع الزمن ولا ينشأ فى هذا العصر لأول مرة، فإنه تكرر فى أعقاب الدولة الرومانية، كما تكرر فى أعقاب الدولة الكسروية، والدولة البابلية ودول الفراعنة من أقدم عصورها، ولا تنقضى دولة منها إلا ظهرت بعدها ديانة قوية بمثابة العلاج لآفاتها وبلاياها، وهكذا يرتبط تاريخ الأديان بتاريخ الحضارات المتداعية، والدولة المتهدمة، والإفراط فى شهوات الجسد ومطالبه، من قوة ولذة وثروة، إلى فتور وغيبوبة وانحلال.

وقلة أدب:

وعلى إفلاس الغرب فى حياته الوجدانية لا يخلو الأمر من قلة أدب فى أجياله الناشئة التى تلقب أنفسها بالأجيال المتحررة.

والتحرر لا يفعل كل هذا، وإنما يفعله سوء الأدب وسوء النشأة وسوء

القدوة التى يقتدى بها الناشئ عامداً أو غير عامد، ويستفيد منها بالتعليم والتلقين، أو يستفيد منها بالإيحاء والانتماء إلى «جو واحد» من أجواء الحياة الوجدانية.

نعم هى قلة أدب ولا شك، أيًا كان المسئول عن هذه النقيصة من السابقين أو من اللاحقين.

إن الحرية لا تصنع كل هذا، ولا تحض عليه ولا على استحسانه، وهذه شهوات الطعام لا تقيدها الأديان والعقائد كما تقيد العلاقات بين الجنسين، أو كما تقيد روابط النسل والزواج، فهل يبيح لنا ذلك أن نمضى على رءوسنا، نعرض شراهتنا ونتطفل على الموائد مما عندنا وعند غيرنا، ونتقمم ألوان الطعام والشراب فى كل موعد وعلى غير نظام؟

إن إباحة الشيء لا تسوغ قلة الذوق أو قلة الأدب فيه، وللطعام آدابه وتقاليده فلماذا تكون شهوات الجنس معفاة من الآداب والتقاليد، وهى التى تتعدانا إلى غيرنا ويجنى فيها الخطأ على أرواح الأجنة والمنبوذين من اللقطاء؟

هى قلة أدب وقلة ذوق على كل حال

ودواء هذا الغرور:

ودواء هذا الغرور من ناحيته هذه - ونعنى بها ناحية الأدب السيىء - أن نرجع إلى مصدر هذا الغرور الوخيم.

مصدره أن الأجيال الناشئة التى تسمى أنفسها بالأجيال المتحررة تتخيل أنها تعرف مالم يعرفه الأولون.

والحقيقة أنها أجهل ما خلق الله من أجيال إلى الآن، ولا نغالى أقل مغالاة فى تقرير هذه الحقيقة، فإنما يكون الجهل بالقياس إلى المعرفة المطلوبة. وقد كانت المعرفة المطلوبة فى الأجيال الغابرة قليلة ولكنها كافية، وكان الإلمام

بشيء من التشريع والتاريخ ونظام الدواوين كل ما تتطلبه الحياة العامة أو الحياة العالمية قبل ثلاثة قرون، فأما اليوم فالمعرفة اللازمة لفهم المعضلات الاجتماعية والنفسية أضعاف أضعاف تلك المعرفة، ومن الجهل المطبق أن يقال إن تلك الأجيال الناشئة أعرف بزمانها من تلك الأجيال الغابرة، فقد كانوا يعرفون كل شيء يحتاجون إليه ولا يقال هذا ولا بعض هذا عن ناشئ من أجيال العصر الحديث التي يركبها الغرور، فلا تدرى مقدار ما تجهل مما هى فى حاجة إليه.

ونحمد اللّه أن الشرق بنجوة إلى الآن من عقابيل تلك الأمراض التى تتلخص فى «إفلاس الحضارة!»

ولكنه لا ينجو طويلا إن لم يعتبر بما يراه، وإن لم يحذر كل الحذر من عقباه.

الفاطميون ورؤية رمضان*

لم يكن الفاطميون يحتفلون برؤية رمضان على النحو الذى نعرفه الآن. لأنهم يعتقدون أن إثبات موعد الصوم من عمل الإمام.

ولكنهم أبدعوا المواكب الحافلة فى مصر، وأبدعوا معها فنًّا من الدعوة لم يدركهم فيه أحد من أمم الغرب أو الشرق إلى اليوم.

إن «جوبلز» طفل يلعب إلى جانب الدعاة الذين أنشئوا القاهرة وأنشئوا هذا الفن البارع فى ربوعها.

وأبطال «الكومنترن» جميعاً أطفال كذلك إلى جانب أولئك الدعاة الدهاة. لأنهم فرعوا فى فن الدعوة كل فرع على كل أصل من أصولها.

فمن فروعه عندهم المواكب والزفات فى الطرق والميادين العامة، ومنها المجالس فى المساجد والقصور «والمحاول» أو دور المناظرات والمحاورات، ومنها الموالد ومواسم الذكريات.

ومنها القصص فى الأندية والقهوات. ومنها المذاهب الفلسفية لطائفة الباحثين والمفكرين، ومنها جماعات الأخوة والفتوة على مثال إخوان الصفاء. ومنها فرق المجاهدين والفدائيين، ومنها شعائر الأسرار والعهود الخفية، والمواثيق المحكمة على المثال الذى احتذاه الأوربيون فى حركاتهم الوطنية الحديثة، وسماه كتابهم بعد عصر الحروب الصليبية باسم جماعات «الحشاشين» وأخطئوا فى التسمية وتعليل التاريخ.

ومن فنونهم فى الدعوة فن الإشاعة، وفن تكذيب الإشاعة، ولهم فى كل حقبة «داعى دعاة» على حظ كبير من العلم والمنطق والأساليب الجدلية، ولهم

* الأخبار ١٩٥٥/٤/٢٥

أدلة على إلغاء القياس المنطق هى نفسها من آيـات القيـاس الـتى تفحـم المكابرين.

وإنما كانوا يبطلون القياس، ليجعلوا الأمر كله فى النهاية موكلا إلى الإمـام يأمر بما يراه غير مراجع فيه.

وكلما سمعنا حديثاً عن المواكب التقليدية، أو قرأنا فرية تذاع عـن مصر فى البلاد الخارجية، قلنا إن القاهرة أحوج ما تكون اليوم إلى تجديد فنهـا القـديم، وإن لم تكن بحاجة إلى «تقليد» الفاطميين، فـإن مصر الخـالدة لهـا كل يـوم صفحة جديدة فى سجل الخلود.

وكل رمضان وأنتم بخير.

obeikandl.com

ديانة لسنج*

ذكرنا فى يوميات الأسبوع الماضى أن الأديبين الألمانيين «هينى ولسنج» قد خملت شهرتهما قبل أيام الدولة النازية وبعدها، ولو كان هذا الخمول مقصوراً على البلاد الألمانية، وعلى أيام النازيين فيها، لأمكن أن يقال إنه أثر من آثار اضطهاد النازيين لكل من ينتمى إلى أصل يهودى كهذين الأديبين الكبيرين، ولكنه غير مقصور على تلك الأيام.

وقد نبهنا صديقنا الكاتب المحقق الأستاذ «على أدهم» إلى حقيقة من أمر «لسنج» لم نلتفت إليها. فإن أحد الأديبين - وهو هينى - ينتمى إلى أصل يهودى لأن أسرته تنصرت كما تنصر كثير من الأسر اليهودية على عهد القيصرية، أى قبل ظهور النازيين بنحو جيلين.

أما لسنج فقد كان فى كتاباته عطف على اليهود، ودعوة إلى التسامح الدينى وإلغاء الفوارق السياسية والاجتماعية بسبب العقيدة، ولكنه كان هو وأبوه وجده مسيحيين أبناء مسيحيين.

ونحن نشكر صديقنا على تنبيهه، ونشكر حقيقة التاريخ التى جعلت لسنج غير مستحق لاضطهاد النازيين بحق الجنسية أو العقيدة، وإن كانت «اليهودية» تلحق بالرجل على الرغم منه، لأن عطفه على المنبوذين السياسيين فى بلاده قد نسى كله ولم يبق منه غير المناداة بالتسوية بين اليهود والمسيحيين فى الحقوق الدستورية.

وليس النازيون وحدهم هم الذين ذكروه لهذه العلة. فإن اليهود أيضاً قد ذكروه ليحسبوه علماً من أعلام موسوعاتهم المقصورة عليهم، وقد جاءت باسمه

---

* الأخبار ١٩٦٢/٩/١٢

موسوعة المعرفة اليهودية (Encyclopedia of Tewish Knowledge) لتقول إنه كان مسيحيًا، ولكن إيمانه بالحرية الدينية جذبه إلى اليهود «وإنه لما أنس بصداقة موسى مندلسون، توج أعماله الأدبية بدرامة ناثان الحكيم، وجعل مندلسون فيها نموزجاً لحكمة ناثان، فكانت هذه الدرامة مساهمة واسعة فى حركة التحرير».

أما لسنج الذى كان من أصل يهودى ثم تنصر، فهو ثيودور لسنج الفيلسوف الذى ولد سنة ١٨٧٢، وقتله النازيون فى مارينباد (سنة ١٩٣٣) وقد تنصر قبل أيام النازيين بعد أن بلغ الحادية والعشرين، وتزوج من إحدى بنات الأسر الألمانية النبيلة، ولكنه ارتد مع سائر أهله وأقاربه إلى اليهودية وهو فى نحو الخمسين، وأعلن جهاده فى صفوف الصهيونيين فلقى حتفه على أيدى النازيين.

وبعد، فنحن نعود فى هذه اليوميات إلى أطوار النقد والشهرة فى الآداب الأوربية، لنقول إن طالب المعرفة من ثقافة الغرب لا ينبغى أن يتلق أحكام القوم على أدبائهم، كأنما هى القول الفصل والحكم الأخير فى كل حين، ولا ينبغى كذلك أن يدخل فى تقديره أسباب الخمول التى تصيب أعلام الأدب عندهم من أثر العصبية المذهبية والعداوة الاجتماعية، ولو كان ضحاياها أتباعاً للديانة اليهودية أو من ضحاياها عداوة الساميين التى يسمونها فى الغرب بالـ Anti-Somitism

ولا نتكلم عما يعنينا فى دعوتنا الأدبية، بل نتكلم عن جميع المسلمين حين نقول إنهم لم يبخسوا أحداً قط لأنه ينتمى إلى دين إسرائيل، ولم يكن إعجابهم بمن يستحقون الإعجاب من أتباع الأديان الأخرى دون إعجاب إخوانهم فى العقيدة والنحلة، ولو كان من اليهود الأقدمين أو المحدثين، قبل محنة إسرائيل فى فلسطين أو بعد محنة إسرائيل.

ولو عقل الصهيونيون لفهموا ذلك من تعظيم المسلمين لأنبياء بنى إسرائيل وهم يعرفو لموسى وداود وسليمان وغيرهم بين الأنبياء أقداراً أشرف وأقدس من

obeikandl.com

تلك الأقدار التى وصفهم بها أتباع نحلتهم قبل الإسلام وبعد الإسلام.

ولايزال المسلم إلى اليوم يفرق بين عداوة الصهيونية، وعداوة اليهودية فى كتب دينه. فهو لا يبخس عالماً ولا أديباً ولا صاحب فن من سلالة إسرائيل، لأنه يدين بعقيدة غير عقيدته، ولو عقل الصهيونيون مرة أخرى لما انتظروا من مسلم - أو غير مسلم - أن يقابل الصهيونية بغير المقت والنفور، وهم يقيمون القيامة على النازيين تنفيراً للأمم منهم، وإثارة للمقت عليهم لأنهم شتتوا شملهم وأخرجوهم من ديارهم، فما صنع النازيون يوماً صنيعاً يبغضهم إلى الناس، لم يصنعه الصهيونيون أنفسهم بالأبرياء الآمنين من عرب فلسطين، وربما عرف الناس عذراً للنازيين وهم يحاربون يهود بلادهم بعد خذلان هؤلاء لوطنهم فى ميادين الحرب والسياسة، ولا عذر للصهيونيين بالحق أو بالباطل فى اضطهادهم وتشريدهم لأولئك الأبرياء الآمنين من عرب فلسطين.

فإذا كانت (عداوة السامية) تجنى على الأديب الغربى وتصيبه بالإهمال والخمول فى البلد الذى ولد فيه، فالصهيونية وحدها هى التى تستحق منا مثل هذا الجزاء بميزان الحق والحرية والمروءة، ولا يحسن بالأديب العربى أن يجعل لميزان النقد الأدبى عنده اعتباراً فوق هذا الاعتبار.

العقد النفسية*

السؤال التالى نموذج للشكايات التى يسميها أصحابها «عقدة» نفسية ولا وجه فى رأينا لتسميتها بالعقدة لأنها معروفة الأسباب، وإنما العقدة وليدة العلة المجهولة التى يجهلها المصاب بها أو يغالط نفسه فيها، إن عرفها قبل التغلب عليها.

أما الشكايات التى يعرف أصحابها دخائلها وأسبابها فهى صدمات نفسية يقابلها المصاب بها وجهاً لوجه ولا يهرب منها.

قال صاحب الخطاب: «قرأت فى يوميات الأخبار عن العقد النفسية وتأثيرها الكبير...

«... أنا فى السادسة والعشرين، أعمل بقالا مع حصولى على التوجيهية منذ ثمانى سنوات، وسبب شقائى وبؤسى فى الحياة أن بصرى ضعيف جدًّا منعنى من دخول الجامعة ولم أقبل فى الوظائف ففتح والدى لى دكاناً للبقالة على جهلى السوق... ووقعت فى شرك موظفين بالمصالح الحكومية، حينما شكوتهم صعب على التنفيذ على مرتباتهم وأثاثهم لأنه ملك السيدة فخسرت بذلك الشىء الكثير... وأنا أكتب هذه السطور أنظر إلى من كانوا وكنت أولهم، فأرى الدكتور والمهندس والمحامى والمعيد بالجامعة فأشعر بشىء من القنوط... ولم يكتف الدهر بذلك بل خلقت برأس طويل ضيق وجبهة عريضة، مما يجعلنى سخرية الكبير والصغير... وأنا أحب التنكيت، وأحب الانخراط فى سلك الجماعة، وأحب الجهاد والكفاح، ولكن لى ذلك وأنا أوثر الوحدة غصباً... ولماذا أوجدنى الله فى السعير وهو العادل الرحيم...»

---

* أخبار اليوم ١٩٥٥/٤/١٦

وأود أن أمهد للجواب بقصة صغيرة أذكرها ويذكرها معى كثيرون من زملائنا فى مدرسة أسوان.

فتح السودان واحتاجت الحكومة إلى موظفين لم تشترط فيهم شرطاً أكبر من معرفة القراءة والحساب وقليل من اللغة الإنجليزية.. فذهب إلى تلك الوظائف إخوان لنا لم يصبروا على إتمام الدراسة، وحسبناهم نحن محرومين منساقين بحكم الضرورة إلى اقتضاب مرحلة التعليم، ولما وصلوا إلى السودان قبلت الحكومة السودانية بعضهم وتخلف بعضهم الآخر برغبته للاشتغال بالتجارة، ثم خرجت أنا من المدرسة ولم أتابع الدراسة كما كنت أتمنى، فحسبت نفسى كذلك من المحرومين المضطرين.

وكانت النتيجة كما يلى:

الذين انتظموا فى وظائف السودان بلغوا سن المعاش ومعاشهم أكبر من معاش زملائهم الذين آثروا الوظائف فى مصر بعد إتمام الدراسة العليا.

والذين اشتغلوا بالتجارة أصبح منهم «أصحاب ملايين» معروفون فى مصر والسودان، محوطون بالجاه والثروة والصدارة فى المجتمع، وكلهم جد فى عمله ولم يقبل عليه آسفاً على ما فات.

ولا أحدثك عن نفسى بأكثر من كلمة وجيزة: وهى أننى لا أتمنى نصيب أحد ممن كنت أحسبهم مجدودين موفقين، وكنت أحسب نفسى بالقياس إليهم فى عداد المحرومين المضطرين.

أكبر الظن يا صاحبى أن شعورك بالخيبة قد حملك على المبالغة فيما فاتك من مستقبل أمثالك، فتقبل عملك مقبلا عليه بكل عزيمتك، ولا تشطر همتك شطرين بالأسف على ما فات والتردد فى المصير.

ولا تبالغ فى تجسيم سوء الحظ، لأنك أسعد حظًّا من الذين يعثرون مثل

عثرتك ولا يجدون أباً يتولاهم برعايته، ويفتح لهم أبواب المستقبل من جانب كلما سدت أمامهم من جانب مفتوح.

وإذا كنت تحب التنكيت كما قلت فاتخذ من النكتة سلاحاً تذود به عن نفسك، واذكر حكمة الحكيم القائل: من يضحك من نفسه لا يضحك من أحد.

خذها يسيرة ولاتأخذها عسيرة، ووازن بين الحظ السيء والحظ الحسن فى أمرك، ولاتنظر إلى ما يعجزك بل انظر إلى ما تستطيع، ولا تنس أن كثيرين من ذوى الملاحة والوسامة والمظهر واللقب يطلبون الكثير ويعجزون عنه، ويملكون الحلوى ولا يدفعون عنها الذباب، ولا يستريحون من السم فى الدسم، ولا من «عسر الهضم» على أهون احتمال!

وقبل كل شيء: اذكر أنها صدمة نفس وليست بعقدة نفس تلك تشكوها، فإذا بالعقدة قد انحلت وإذا بالصدمة التى تلقاها وجهاً لوجه إحدى صدمات الحياة التى لا يسلم منها إنسان.

عدد سبعة:

ومن الأستاذ المهندس بتفتيش الغرب «أحمد عبد الوهاب» سؤال عن العدد (٧) يقول فيه بعد توطئة وجيزة:

«لعلكم لاحظتم خلال اطلاعاتكم أن العدد «٧» له ميزة خاصة، ولعلكم تعرفون كذلك أن أحداً من الغربيين قد لاحظ ذلك. فأرجو الكتابة عن وجوديات العدد وميزاته، ومن أمثلتها أن الطيف سبعة ألوان منظورة ولا غير، وإن كان هناك مثلا فوق البنفسجى وتحت الحمراء إلا أنها فوق مستوى الإدراك العادى. وهذه المسألة تصلح لأن تكون مقالا فى صحيفة. والسلام عليكم ورحمة الله».

نقول إن اهتمام المهندس الفاضل بخصائص الأعداد لا غرابة فيه، إذ كان أقدم الفلاسفة الرياضيين يهتم بهذه الخصائص، ويقرن بينها وبين كشوفه الرياضية ومعادلاته الهندسية والحسابية.

كان فيثاغوراس يعتقد أن العدد (٧) مقدس لأنه مجموع ثلاثة وأربعة، وكلاهما عدد رمزى فى رأيه يشير إلى سر من الأسرار.

فالثلاثة تمثل البداية والوسط والنهاية والأربعة تمثل الجهات الأربع، ويقول فيثاغوراس إن اسم الله Tetrad رباعى الحروف، ومن المصادفات أن اسم اللّه فى جميع اللغات القديمة يتألف من حروف أربعة، ومنها زيوس Zeus باليونانية وجوف Jove باللاتينية وديفا Deva بالسنسكريتية، ويهوا Jhva بالعبرية، ويطرد هذا العدد فى اللغات الحديثة مثل ديو Dieu بالفرنسية وجوت Gott بالألمانية ولورد Lord بالإنجليزية والله بالعربية.

والاعتقاد فى «السبعة» عام شائع بين جميع الأمم شرقية وغربية، ومن ذلك العمود السباعى الذى كان فى لندن يواجه الشوارع السبعة ويسمى من أجل ذلك بالمزاول السبع، وقيل فيه إنه طلسم حارس المدينة، ولا ننس عجائب الدنيا السبع، ولا القسم على النعاج السبع بين إبراهيم وأبى مالك، ولا الخطايا السبع وهى الكبرياء والغضب والحسد والشهوة والنهم والطمع والكسل، ولا المدن السبع التى تنازعت مولد هوميروس ولا الجزيرة ذات المدن السبع فى الأساطير الأسبانية.

والأغلب على اعتقادنا أن الأصل فى تعظيم «السبعة» راجع إلى خطأ الأقدمين فى حساب السيارات، فقد حسبوا منها الشمس والقمر ولم يحسبوا الأرض، ولما صحح الفلكيون المحدثون هذا الخطأ وقع الفيلسوف الكبير «هيجل» فى خطأ آخر وظهر كتابه الذى ينعى فيه الرياضيين أنهم يجهلون الفلسفة ويتخيلون أن عدد السيارات يمكن أن يكون غير «سبع» لاتزيد

ولا تنقص ولم يصدر الكتاب حتى كان سيار «بلوطس» قد كشف وتبعته سيارات أخرى تعد بالمئات، وإلى اليوم تسمى الأسبوع عند الأوربيين بأسماء السيارات على الحساب القديم.

إلا أن هذا كله لا يمنع أن نعد من السبعات ظواهر كثيرة فى الطبيعة وفيما وراء الطبيعة، ومنها ألوان الطيف التى أشار إليها الأستاذ المهندس، ولكننا كذلك نجد الخمسة معدودة فى أمثال هذه الظواهر كالأصابع الخمس والقارات الخمس والمحيطات الخمسة والصلوات الخمس، وغير هذه الظواهر وغير هذه الأعداد، وليس للإنسان أن يعلم من هذه الأمور غير حقائقها البينة، فأما الغيب فلايعلمه إلا الله.

خواطر عيد الميلاد*

فى سنة ١٧٤٠ كتب القس «دانهاور» من ستراسبورج يعجب من شجرة عيد الميلاد قائلا: «إنه بين الصغائر التى يشغل بها الناس أوقاتهم فى عيد الميلاد بدلا من اشتغالهم بكلمات الله، أنهم يقيمون شجرة من فروع التنوب يزينونها بالعرائس والحلوى السكرية، ويهزونها لتساقط ثمراتها. ولا أدرى من أين جاءت هذه العادة فهى عادة صبيانية كان خيراً منها أن يتعود الأطفال أن يتعلقوا بدوحة الروح السيد المسيح».

والقس الفاضل صادق فى قوله إن هذه العادة لم تكن من تقاليد المسيحية الأولى ولكنها من العادات التى احتفظ بها أبناء الشرق والوسط فى القارة الأوربية، ونقلوها إلى حفلات رأس السنة، ثم حفلات عيد الميلاد لأنها تجرى مع حفلات رأس السنة فى موسم واحد.

أما أصلها القديم فهو سابق لميلاد السيد المسيح بأكثر من ألف سنة، وأول ما عرف من تاريخها أن البابليين الأقدمين كانوا يسمونها شجرة الحياة ويقولون إنها تحمل أوراق العمر فى رأس كل سنة، فمن اخضرت ورقته كتبت له الحياة طول السنة، ومن ذبلت ورقته وآذنت بالسقوط فهو ميت فى يوم من أيامها.

وسرت هذه العادة من الشرق إلى البلاد الأوربية الشرقية فالبلاد الوسطى، وجعلوا يحتفلون بالشجرة ويختارون لها الورق من الأشجار التى تحتفظ بخضرتها طول العام أو أكثره، ومنها البقس والتنوب واللبلاب وشرابة الراعى والزرنب واللارقس وماإليها، وعندهم أن اللون الأخضر تخافه شياطين الجدب والموت لأنها تألف ألوان الجدب والقحط والذبول.

وهكذا يتفاءلون بالشجرة الخضراء ويمثلون بها شجرة الحياة.

* اخبار اليوم ١٩٥٤/١٢/٢٥.

وعيد الميلاد:

وقد حدث الاحتفال بعيد الميلاد نفسه بعد عدة قرون من مولد السيد المسيح وكان الحكيم المصرى المسيحى الكبير «أوريجين» ينادى إلى سنة ٢٤٥ بالتحذير من البحث فيه، وينبغى على الباحثين أنهم «يحسبونه ميلاد ملك أرضى كفرعون من فراعنة وادى النيل».

وكان كلمنت الإسكندرى قبل أوريجين يكتب متهكماً فيقول «هناك من يحملهم الفضول، فلا يقنعون بتوقيت السنة التى ولد فيها مخلصنا بل يحاولون توقيت اليوم ويزعمون أنه ولد فى الثامن والعشرين من شهر أغسطس، أو فى الخامس والعشرين من شهر بشنس، نحو العشرين من شهر مايو، ويقول القس الكبير فى موضع آخر إن أناساً من هؤلاء يزعمون أنه ولد فى الرابع والعشرين أو الخامس والعشرين من شهر برمودة... أى حوالى التاسع عشر أو العشرين من شهر أبريل».

وقد كان الحكيمان الكبيران بعيدى النظر فى الواقع، لأن القس الروسى ديونسيوس الملقب بالصغير، لم يحفل بهذه التحذيرات فوقع فى الخطأ الذى لا شك فيه وقرر أن السيد المسيح ولد سنة ٧٥٣ حسب التقويم الرومانى المحسوب من تاريخ بناء مدينة رومة، ولا شك فى مناقضة هذا التاريخ لما جاء فى نص إنجيل لوقا، الذى يذكر لنا أن السيد المسيح ولد فى عهد الملك هيرود وقد مات الملك هيرود خلال شهر مارس سنة ٧٥٠ حسب التقويم الرومانى، فلا أقل من خطأ ثلاث سنوات فى حساب ديونسيوس الصغير.

وإلى سنة ١٦٥١ كان البرلمان الإنجليزى على عهد المتطهرين يحرم الاحتفال بعيد الميلاد يوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ويعقد جلساته عمداً فى ذلك اليوم، لأن المثريين الذين كانوا يؤلهون النور، تعودوا أن يحتفلوا به فى

obeikandi.com

انجلترا ابتهاجاً بغلبة النور على الظلام، إذ كان موعد الانتقال الشتوى ومبدأ زيادة النهار ونقصان الليل.

ولقد كان الأباء المسيحيون الأولون يتوخون الحكمة فلا يحرمون حفلات الوثنيين الطبيعية فى مواسمها، بل يحولونها إلى أعياد بريئة تبطل فيها المحرمات جهد الطاقة، وقد كتب القديس جريجورى إلى القديس أغسطين ينصح له باجتناب الحظر والتحريم كلما أمكن تحويل المحافل والقرابين من عبادة الشيطان إلى عبادة الله.

أما اختلاف الكنائس فى توقيت عيد الميلاد فمرجعه إلى اجتهاد كل منها فى تفسير النصوص التى تعتمدها وتؤثرها على غيرها ،وليس فيها نصوص من أقوال المؤرخين، ولكنها كلها من مراجع المجتهدين فى المقارنة والتفسير.

لقد ولد السيد المسيح على كل حال.

ولقد كان مولده مولد الهداية والسلام.

وماأحوج العالم إلى الهداية والسلام فى هذه الأيام.

فليهنأ العالم بالمولد المبارك حيث كان، ولينهج فيه منهج صاحبه ، إن كان فيه بقية من خير وصلاح، وبقية من إيمان بغير المال والسلاح.

من رجعات الماضى :

نشأنا ونحن نسمع بدعة العصر المعادة على حساب الأقدمين.

فكل قديم منتقد أو محتاج إلى الاعتذار والتصحيح.

وأول ماانتقدناه حيث نشأنا بأسوان أن المبانى فيها محصورة فى المرتفعات والهضاب وأن سهولها المنبسطة متروكة بغير بناء.

ونذكر من التقاليد الحسنة التى كانت تراعاها مدرسة أسوان أنها كانت

تجمع الفصول المتقدمة بعد انتهاء الدراسة يوم الخميس للمناقشة فى المسائل العامة وإلقاء الملاحظات والمسائل والإجابة عنها فى حينها أو تأجيلها إلى اجتماع آخر .

وكان من هذه الملاحظات العامة ذات يوم ملاحظتان حول بناء المدينة، أو سؤالان ينتظران الجواب.

وفحوى السؤال الأول : لماذا ترك الأسوانيون البناء بالحجارة على كثرتها وفضلوا عليها البناء باللبن أو الطوب الأخضر كما يسمون الطوب من غير القرميد الأحمر ؟

وفحوى السؤال الثانى : لماذا ترك الأسوانيون السهول والبطاح وجشموا أنفسهم نقل أدوات البناء إلى المرتفعات والهضاب ؟

أما السؤال الأول فقد كان جوابه يسيراً، أو كان الإشكال فيه أقل من الجواب، فلم يعسر على بعض الطلاب أن يفسر تفضيل الطوب الأخضر بقلة الحاجة إلى الصخور فى بناء البيوت، إذ كانت السماء صحواً والمطر نادراً، وتكاليف الطوب الأخضر أهون من تكاليف كسر الصخور المحببة وتسويتها وصقلها ورفعها عدة أذرع على ارتفاع الجدران.

وأما السؤال الثانى فقد تضاربت فيه الأقوال، وأذكر أن الرأى الذى اختاره الأساتذة والطلاب فى النهاية يتلخص فى مسألة التحصين والامتناع بالهضاب من غارات النوبة والبجاة التى كانت تعاود البلد من دروبه الجنوبية والشرقية وكادت تعاوده فى أيام الدراويش.

وكان التفسير على هذا الوجه مرضياً مقبولا بضع سنوات، إذ لم يكن هناك تفسير أولى منه بالرضا والقبول.

ثم هجم السيل سنة من السنين بعد انقطاع عدة سنوات، وعاود الهجوم

كرة أو كرتين فى السنوات التالية، ومنها سنة حضرته فيها بأسوان، وهى سنة الانتخاب الأول للبرلمان (١٩٢٣).

شهدت من دفعة هذا السيل ما لم يكن يخطر لى ببال، ورأيت قضبان السكة الحديدية مقتلعة ملتوية مقذوفة على مسافة من الطريق، وتتبعت مجامع السيل فى الصحراء الشرقية فرأيت الصخور التى اندفعت أمامه وهو منحدر متدفق فكان منها ما يوزن بالقناطير أو بالأطنان.

وأبناء أسوان مشهورون بالقدرة المرتجلة على التشبيه المحكم ،فلما ذهبت إلى البطاح التى أقيمت عليها العمائر الجديدة لم أجدها أثراً فى طريق السيل، ولقيت المدير - الأستاذ عثمان فهمى - وافقاً هناك يسأل : كيف زالت هذه العمائر العالية ؟

قال أحد الواقفين وهو لا يقصد الهزل فى ذلك الموقف المزعج : ذابت كقمع السكر !

وهبطت من هنالك إلى ساحل الغلال الذى يمون أسوان والإقليم الجنوبى كله، فألقيت على مدى البصر فراغاً محزناً فى موضع تلك الأكام من القمح والذرة والشعير والفول والحلبة وغيرها من الغلال، وسمعت أصحابها المنكوبين أول من يتندر بها تندر الفجيعة ويقول لسائليه : إنها ستوزع النابت والحلبة المزرعة من أسوان إلى اسيوط.

لقد كان السيل الجارف جواباً طال تأجيله لا نتقاد الأقدمين الذين اختاروا المرتفعات والهضاب يقيمون عليها المساكن، ويفضلونها على السهول والبطاح.

ولقد أفادنا ذلك الجواب المفحم تردداً كثيراً قبل توجيه النقد الجزاف إلى الأجيال الصامتة فى ماضيها العتيق، فقد يكون من الحماقة الكبرى أن نستسهل وصفها بالحماقة بغير بينة، وخير لنا أن ننصفها قبل أن ينصفها المستقبل بصدمة من صدماته على مثال ذلك السيل الجارف، وربما تعرض العالم الكثير من هذه

obeikandi.com

الأجوبة المسكنة لأنه تعجل بالجواب الثرثار على حساب الأقدمين.

والذى أعلمه أن الحيطة متخذة على منحدرات السيل بمدينة أسوان وإن لم تكن على ما أحسب كل الحيطة اللآزمة.

ولكن الحوادث، فيما أعلم عن إقليم قنا، لم تدع قط إلى اتخاذ مثل هذه الحيطة بمدينة قنا على الخصوص، لأن السيول التى كانت تنحدر على مقربة منها لم تبلغ مبلغ الخطر، ولم تأت أخطار السيل فى هذه السنة إلامفاجأة بغير حساب.

إن الفجيعة مؤلمة، وواجب الأمة كلها حيال هذه الفجيعة غير مجهول، ولكننا نود أن نسأل السؤال الذى لا يأتى جوابه من غير المختصين فى طبقات الأرض وهندسة المياه:

ما دلالة هذه السيول فى بعض الصحراء؟ وما هو موضع المقابلة بينها وبين المياه الجوفية حيث لا تتدفق هذه السيول على وجه الأرض؟ وكيف السبيل إلى الانتفاع بهذه القوة المنحدرة القوة الكامنة منذ مئات السنين؟

أما السبيل إلى اتقائها فنحسبه أيسر وأسرع من سبل الانتفاع والارتفاق، ورب نذير من هذه الظواهر الفاجعة أنفع من بشير.

بقايا البريد:

بقيت أشتات من مخلفات بريد العام، وبقيت من السنة كلها أيام معدودات.

وليس فى الأشتات الباقية رسالتان فى موضوع واحد، إلا الرسائل الخمس التى أتناولها فيما يلى، فإنها تكاد تكون نسخة منقولة من رسالة واحدة.

إن المؤلف هو المصدر المعقول الذى يرجع إليه فى طلب الكتاب إذا كان

هو الذى يتولى طبع كتبه وتوزيعها، ولكنه آخر من يرجع إليه فى هذا الطلب إذا كان الطبع والتوزيع موكولين إلى الناشرين فلا يوجد عند المؤلف فى هذه الحالة غير نسخ قلائل لإعادة الطبع والمراجعة، أو للهدايا الأدبية إذا لم يكن قد مضى على صدور الكتاب وقت طويل.

وكثيراً ما ترد إلىّ الرسائل فى طلب نسخ من مؤلفاتى للمكتبات أو للقراء الذين لا يجدونها قريبة منهم، فكلما اتسع الوقت أجبت معتذراً أو أرسلت مع الجواب ما أجده لدى غير محتاج إليه..

ولاأذيع سرًّا إذا قلت إن أوفق الأوقات عندى للإجابة على هذه الرسائل، هو وقت الراحة بعد الفراغ من تأليف كتاب وقبل الشروع فى تأليف كتاب آخر، و يعلم هذا الوقت أحد غيرى، فليس فى المسألة إذن سر يذاع.

وجاءنى فى الأسابيع الأخيرة خطاب من طالبة فى النهاية المرحلة الثانوية بمدارس الإسكندرية تطلب فيه كتاباً بحثت عنه بمكتبات الإسكندرية فلم تجده، وتطلب مع الكتاب «بعض النصائح من نصائحكم المفيدة للشباب».

وصدقت الآنسة فيما قالت عن الكتاب الذى بحثت عنه فلم تجده بمكتبات الإسكندرية، فقد أخبرنى أصحاب المكتبات بذلك ورجونى أن أبلغ الناشر ليودعه عندهم، أو يبيعهم إياه بالشروط المتفق عليها.

فأرسلت الكتاب وأرسلت معه النصيحة..

ولم ينقض أسبوع واحد حتى كان عندى خمس رسائل من خمس طالبات بالإسكندرية يطلبن الكتاب ويطلبن النصيحة مع الكتاب.

رسالة من محرم بك تقول صاحبتها: «إننى قرأت كل ما استطعت من كتبك الكثيرة ولكننى لم أقرأها كلها ولذلك فقد قررت أن أبعث إليك بهذا الخطاب لترسل إلىّ هذين الطلبين وأولها إحدى - هكذا - الكتب الأدبية ولن

أحدد لك هذا الكتاب... والطلب الثانى إرسال بعض نصائح أدبية التى تفيدنى فى حياتى هذه...»

ورسالة من المكس تقول صاحبتها: «قرأت لك ما أقدر على شرائه.. وأرجو أن ترسل إلى كتاب كذا - وهو نفس الكتاب الذى طلب أولا - مع أحسن كتاب تفضله أنت بذوقك باعتبارى فتاة تكون لدىّ منه منفعة فى اللغة الإنجليزية. والرجا منك إرسال النصائح أولا والكتابين فى أقرب فرصة».

ورسالة من مدرسة نبوية موسى تقول صاحبتها: «قرأت لحضرتكم مقالات كثيرة فى الصحف وسمعت لكم أحاديث كثيرة فى المذياع فأعجبت بها أشد الإعجاب، وأردت أن أقرأ لك أى كتاب ولكن للأسف لم أحظ بقراءة أى كتاب لسيادتكم فسألت عن اسم أى كتاب من مؤلفاتكم فقيل إنه كتاب كذا - المتقدم - فأرجوك أن ترسله لى بهذا العنوان..».

ورسالة من رأس التين وأخرى من كرموز، كأنها نسخة واحدة فى هذا المعنى، وكلها مرقومة بتواريخ متقاربة.

وشاهدى فى الاعتذار من تلبية هذه الطلبات مكتبة الأنجلو المصرية، فإننى أشتريت منها نسخاً من مؤلفى هذا لأحتفظ وأرسل إحداها، ربما يعاد طبع الكتاب كله لقرب نفاده.

فأرجو أن يلقى هذا الاعتذار قبولا عند الآنسات الأديبات.

أما النصيحة المطلوبة مع الكتب فأظن أنها تسوق نفسها الآن إلى قلمى بغير عناء، فإذا نصحت للآنسات «ألا يكررن الوسيلة الواحدة فى موضوع واحد ووقت واحد» فهى نصيحة مجربة تفيد فى أوقات كثيرة على التحقيق.

ومما يساق إلينا بغير عناء، لهذه المناسبة، أننى تلقيت من مدرسة ثانوية بالإسكندرية خطاباً فى موضوع كهذا الموضوع، وعن كتاب غير هذا الكتاب، فأرسلته إلى طالبه ولخصت له رأيى فيما سأل عنه، فمضى نحو شهر لم يردنى منه

رد، ثم جاءنى الرد بالاعتذار من التأخير لسبب يرجع إلى التبليغ عن الطرد وتسليم إخطار البريد، ولم تتبع رسالة الطالب رسائل أخرى من زملائه الطلاب.

ألا يكون فى هذا شيء من الدلالة على بعض الفوارق بين الجنسين فى هذه السن دون العشرين؟

أحسبه لا يخلو من دلالة، وأحسب أن الدلالة التى يمكن أن تفهم منه أن الشبان فى هذه السن يتنافسون أو يتغايرون بعمل ما يخالف وينفرد، وأن الشابات يتنافسن أو يتغايرن بالحصول على المزية الواحدة، وأنها لظاهرة عامة فى جميع الفوارق البينة بين الجنسين.

لا أريد أن أقول إننى سأحتفظ بعناوين الآنسات لأرسل إليهن الكتاب بعد إعادة طبعه، فإننى أرجو لهن التقدم من التعليم الثانوى إلى ما فوقه فى زمن قريب.

ولكننى أقول إننى أهنئهن سلفاً بما سيقرأن من أمثاله ومما هو أفضل وأجدى، وكم فى الدنيا من كتب يطلع عليها، ومن أوقات للإطلاع.

obeikandl.com

عصر الصيام*

فى الأسبوع الماضى ثبتت رؤية رمضان، أو على الأصح ثبتت نهاية شعبان، إذ كان شعبان قد انتهى بغير شك ،لأنه أتم ثلاثين يوماً وهو غاية ما يبلغه الشهر القمرى بحساب التقويم. أما بحساب الواقع فهو متوسط بين التسعة والعشرين والثلاثين، وإذا حسب باليوم والساعة والدقيقة والثانية بقى فى النهاية فرق يوم كل ألفى سنة وأربعمائة، ولم تبلغ السنة الهجرية هذا الفرق بعد، ولاهى معرضة لبلوغه، بفضل هذا التدقيق فى رؤية الهلال كل رمضان وكل موسم من مواسم الحج وكل عيد من الأعياد.

فلابد من ثبوت الرؤية بالعيان.

ولكننا سمعنا فى هذه السنة بعلامة جديدة من علامات التقدم فى إجراءات المحكمة الشرعية العليا، فقد كان حساب المرصد الفلكى بعض الشهادات التى سمعت لإثبات أول الشهر، ولم يكن حساب الفلكيين قبل الآن مما يسمع لهذه المناسبة، إلّا أن يكون شهادة من قبيل شهادة العيان...

القاضى التركى:

ونذكر لهذه المناسبة أن رئاسة القضاء الشرعى بمصر، كانت موكولة إلى قاض تركى من قبل الدولة العثمانية التى كانت صاحبة السيادة على مصر إلى أيام الحرب العالمية الأولى، وكان هذا القاضى يجلس فى «بيت القاضى» عند نهاية شعبان لإثبات رؤية رمضان، وقيل له أن يستدعى رجلا فلكياً ممن كانوا يصدرون التقاويم السنوية بالحساب القديم، وكان فى الحساب ذلك الفرق اليسير الذى أشرنا إليه، فاستدعاه من باب التحقيق واستيفاء الشهادة.. ولكنه كان

* أخبار اليوم ١٩٥٤/٥/٨.

لسوء الحظ ضعيف النظر وكان قد دعى على عجل فأقبل مهرولا فى اللحظة الأخيرة وهو لا يصدق أذنيه، ولم يكن فى الواقع يصدق عينيه حين يزعم رؤية... بل كانت المسألة عنده مسألة تقدير وتقويم..

واصطدم المسكين بالنرجيلة التى كان القاضى الكبير مولعاً بتدخينها، وأعجله عن رؤيتها أنه أقبل على يد القاضى المهيب يصافحه ويحرص على تحيته، فما راعه إلا صيحة عالية من صاحبنا قبل أن يفتح فمه بتحية أو شهادة...

ـ أنت لم تبصر أمامك جذوة النار على مدى ذراع واحدة وتريد أن تشهد أمامنا برؤية الهلال فى السماء!

وبطلت شهادة الفلكى الحسير قبل أن تسمع، وكان الشيخ الأكبر على حق من حيث لايدرى، لأن الحساب الفلكى كما قدمنا لا يؤخذ به على تمادى الزمن وتتابع الأعوام، وإنما يؤخذ بشهادة المراصد الفلكية اعتماداً على آلات الرصيد التى تبلغ من دقة الرؤية ما لا تبلغه العين المجردة، فلا خطأ فى حكم الأقدمين على الحساب، وليس الصواب فى الاعتماد كل الاعتماد عليه.

كذب المنجمون:

على أن المنكرين للحساب قبل العصر الحديث، لم يكن إنكارهم قائماً على معرفة الخطأ والصواب فى تقدير الحساب.

بل كانوا ينكرون كل شىء يقول به الفلكيون، لأنهم منجمون وقد كذب المنجمون... ولم يتغير هذا الحكم على التنجيم إلا بعد نهضة المجددين من الأئمة المصلحين، فإنهم هم الذين فرقوا للناس بين التنجيم الخرافى وبين علم الفلك الصحيح، وليس المسلمون هم الذين احتاجوا وحدهم فى الشرق إلى هذه التفرقة بين المنجمين الكاذبين والفلكيين الصادقين، فإن الأوربيين قد فرقوا بينهما بالاسم والعمل، فالاسترولجى هو المقابل للتنجيم والاسترونومى هو المقابل لعلم النجوم، ومصدرهما واحد فى لغة القوم.

ولا لوم على الشرع:

ولا لوم على الشرع فى رفض حساب العلم أو شهادة الرصد كل الرفض بغير تمييز، إذ هو جهل من المتسبين إلى الشرع وادعاء عليه بغير بينة، فقد كان الحديث النبوى صريحاً فى الأمر بالتقدير عند التباس النظر، وقد جاء فى الحديث «فإن غم عليكم فأقدروا له» كما جاء فيه «فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين».

وإنما اللوم على جهل الجهلاء وجمود الجامدين، ولم يكن صوابا أن ينكر الإمام حساب الفلكيين كل الإنكار أو يقبله كل القبول، وإنما هما الرؤية والحساب مناط التحقيق والصواب، وما من أحد راجع أقوال الفقهاء الأسبقين إلا عجب للدقة البالغة فى وجوه الاعتراض والمراجعة عند هؤلاء المجتهدين وأوجب على نفسه أن يتردد طويلا قبل الهجوم عليهم بالسخرية والتسخيف، على ديدن الساخرين من معاشر السخفاء!

المسئولية الفردية:

ومن الفخر للإسلام أنه جعل للمسئولية الفردية حكمها القائم إلى جانب سلطان الإمام المطاع، فكل مسئول أمام ضميره عن صلاته وصيامه، وعن فرائضه وأحكامه، وبلغ من ذلك فى رواية أبى عبد الله بن أبى موسى «أنه استفتى رجل اسكندرى أن الشمس تغرب بها ومن كان على منارتها يراها طالعة، فقال: يحل لأهل البلد الفطر ولا يحل لمن على منارتها. فالحاصل لكل قوم مطلعه ومغربه وزواله».

وهذه التبعات الفردية هى فخر الإسلام بين الأديان، فلا تلزم الفريضة صاحبها بأمر الإمام إذا رأت عيناه غير ما رآه.

عصر الصيام:

وبعد فإن هلال رمضان إنما أثبت بداءة الصيام لمن يصومون بأمر الدين، ونحسبهم قلة فى هذا الزمن بين معاشر الصائمين.

فاليوم لايقال إن الصيام (مودة قديمة) لأن تقاليد الصيام على أحدث الأزياء تسبق فى العصر الحاضر «كتلوج» باريس ونيويورك.

كل إنسان، وكل إنسانة، فى العصر الحاضر يعرف نوعاً من الصيام يفصله على قدره، ويرقب فيه مطلع كل شمس ولا ينتظر به مطلع الهلال فى شهر واحد من العام.

وكان العرف، على حسب المودة القديمة، أن تصوم السيدة بعد الأربعين مع المغالطة فى الأرقام.

أما العرف اليوم فهو يبتدئ الصيام من العشرة الثانية، وقد يبتدئه من العشرة الأولى، وأعرف طفلة فى السابعة قدمت لها كوباً من عصير البرتقال فرفضته لأنها تعمل (رزيم...) وحدثتنى عن سر هذا «الرزيم» بصدق وإخلاص فقالت إن زميلاتها فى الروضة يسمينها فى حصة الألعاب الرياضية «بالفشلة» لسمنتها... وهى لا تحب هذا اللقب القبيح.

قلت لها: أنا أدلك على طريقة لإسكات هؤلاء السفهاء خيرمن هذا «الرزيم»... قولى «ياعصعيصو» أو «ياعصعص» لمن يناديك بفشلة!.. ثم عادت بعد أسبوع فقالت لى إنهم يبكون إذا قلت لهم ذلك ولكننى أنا أيضاً أبكى إذا نادونى بالفشلة... فما العمل؟

وأظن العمل أن «الرزيم» على كل حال خير من البكاء!

وبعد، فدعنا نحسب عدد هؤلاء الصائمين والصائمات من الحلقة الأولى أو من الحلقة الثانية، فهل تظنهم يقلون عن صوام رمضان؟

إن قلوا فأضف إليهم الصائمين للألعاب الرياضية، والصائمين لمقاومة الأملاح والسكريات، والصائمين للمطالبة بحق من الحقوق، والصائمين لتنظيم التموين، والصائمين فى محاريب السياسة والجمال والرشاقة والقوة، وأنت ولا شك تخرج من الحساب بكثرة هائلة تتضاءل إلى جانبها تلك القلة التى لا تعرف الصيام إلا فى سهر رمضان.

فنحن إذن فى شهر الصيام.

ونحن إذن فى عصرالصيام.

ونحن إذن مودرن:

وأهم من ذلك عند الأكثرين أننا لا نحسب من المتأخرين ولا من الرجعيين لأننا نقرأ فى صحفنا كثيراً عن شهر رمضان وأحاديث رمضان وتعليقات المعلقين على أيام رمضان، وإن كان منها ما يصح أن يحسب فى أحاديث مايو ويونيو، وكل شهر من الشهور بكل اسم من الأسماء.

نحن «مودرن» إذا قسنا أنفسنا فى هذه المناسبة إلى مصدر «المودرنية» فى القارة الأوربية.

فقد وصل إلينا بريد هذا الأسبوع بالصحف والمجلات التى صدرت أيام عيد الفصح، إما قبله بقليل أو بعده بقليل.

فإذا بالأعداد الأسبوعية من كل صحيفة كبرى تقصر أعمدتها على شئون الدين، إلا القليل.

وإذا بطبعات الأحد تكاد تهمل السياسة أو تنزل بها إلى المرتبة الثانية بجانب البحوث الدينية، وبحوث ما وراء الطبيعة وآراء العلماء فى مسائل الديانات، وآراء اللاهوتيين فى مسائل العلوم.

وإلى القراء نماذج من العناوين والموضوعات بغير ترتيب.

فمنها بحث حول مخطوطات الفيلسوف النفسانى « يانج » عن كتابه الأناجيل، ومنها بحث عن الكنيسة فى الهند الجنوبية، وبحث عن اتحاد الكنائس الغربية، وبحث عن النبوة البابوية حول الكلام على الفيلسوف لامنيه، وبحث عن الفن المسيحى فى القرون الأولى، وبحث عن السماء والأرض يكتبه الدكتور كارل بارت ضد التيار ويعنى به الكلام على حكم القديسين وسلطان رجال الدين، ومنها كلام عن وجهة نظر الطائفة المسماة بطائفة « الكويكرز » حيال المسائل العصرية، وكلام آخر عن دراسة إنجيل يوحنا وملاحظات المؤرخين عليه، وكلام غيره عن أسماء السيد المسيح ومراجع كل اسم منها فى العقائد السابقة للمسيحية، وكلام غيرهما أو غيرها عن كرامات القديسة تيريز، ومنها أجوبة مسيحية على أسئلة مادية، وتحقيق عن لوثر فى الواقع ولوثر فى التاريخ، وشرح لدراسات السويديين حول كتب العهدين القديم والجديد، ومناقشات عن العلاقات بين الدولة والكنيسة، وعشرات عدا ماأسلفناه من أشباه هذه الموضوعات وأشباه هذه العناوين.

أتراهم يكتبون هذا فى صحيفة دينية، أو صحيفة تصدر من رجال الدين ؟

كلا : بل هى مكتوبة فى عدد واحد من صحيفة التيمس الأدبية، ولا نحسب أنها صحيفة « أزهرية » أو شرقية تنتمى إلى بلاد المتأخرين.

أما الصحف الأخرى التى تصدر كل أسبوع، فقد كان من موضوعاتها كلام عن تحضير الأرواح، وكلام عن التلبثة أو الشعور على البعد، وكلام عن شكوك تولستوى ووساوسه، ولم تكد صحيفة واحدة تخلو من هذه الأحاديث « والمستحدثات » التى تعاد من ألفى سنة !

فلا يلتفتن « المودرن » المصرى إلى اليمين والشمال وهو يتلبس بالقراءة عن رمضان فى صحيفة أو كتاب.

وإن لج به الخوف على «المودرنية» فليقل إنه يقرأ عن «الصيام» ولاحرج عليه ولا ملام، فإنه عصر الصيام بالرجيم أن نقول إن الأمر يتجاوز الشك فيها إلى إنكارها والسخط عليها.

وبالرزيم، وفى طياته شهر الصيام على سنة الإسلام.

وفى العلم والطب:

وبين أحدث المحدثين يستمعون اليوم إلى صوت الأسقف والمطران كلما استمعوا إلى صوت الطبيب والأستاذ.

وآية ذلك تعليق المعلقين أخيراً على تقرير كنسى Kinsey المشهور، ذلك التقرير الذى دارت المناقشة عليه فى صفحات «أخبار اليوم» يوم تناول البحث مسألة «الشذوذ الجنسى» وعلاقته بانفصال الجنسين فى مجتمع أبى نواس.

لايزال هذا التقرير يثير الثائرة بين الأمريكيين أو بين الغربيين، وآخر ماظهر من ذيوله كتاب جامع لآراء نيف وعشرين طبيباً ومحللا وعالماً بالعناصر البشرية، وأديبًا وعالمًا طبيعيًا، يعلقون على التقرير ويبسطون أفكارهم فى سلوك المرأة وسلوك الرجل فى المسائل الجنسية.

وبين هذه الآراء المسموعة رأى رجل دينى مختص بدروس المسيحية التطبيقية يلقيها بمدرسة اللاهوت بنيويورك، والحق أننا لم نقرأ فى المجموعة رأياً أقرب إلى الإقناع من رأيه ورأى الأستاذ الذى يمثل علم الاجتماع بين العلوم المعروضة، وهو الدكتور برنارد باربر الذى جمع بين البحوث الفلسفية والبحوث الدينية عند الهنود الحمر على الخصوص.

وخلاصة رأى الدكتور برنارد أن المرأة لا تفهم إلا إذا اعتبرنا أن كل امرأة هى فى الحقيقة ثلاث نساء فى إهاب واحد: امرأة بيولوجية أى أنثى فى تركيبها الحيوانى، وامرأة سيكولوجية أى إنسان له حالات نفسية، وامرأة اجتماعية أى فرد له شئونه ومطالبه ومظاهره فى مجتمع قومه، ومن الواجب أن يتفق هؤلاء

النساء الثلاث المجتمعات فى إهاب واحد وإلا فهناك أزمة تجتمع منها أزمات.

وبغير اطلاع على فصل العالم الاجتماعى بسط العالم اللاهوق رأيه فى تقرير كنسى فقال إنه نذير «الفوضوية الأخلاقية» وهى الفوضوية التى تسبق مذهب الفوضويين السياسيين إلى التقويض والتدمير.

يقول هذا العالم اللاهوق رينولد نيبوهر إن المرأة «الفسيولوجية» أو المرأة من الوجهة البدنية التشريحية ليست هى كل شىء، لأنها إنسان تعيش بين أناس وليست حيواناً تعيش مع الحيوانات الأخرى فى قطيع من الخلائق البهيمية، ويقول إن الفوارق بين مسالك الناس فى الدين الواحد أبعد من الفوارق بين الأديان المختلفة، فالمتدين الغيور والمتدين المعتدل والمتدين بالاسم دون الشعور والتفكير يختلفون فى السلوك الجنسى أشد من اختلاف المتمين إلى الأديان المتعددة، وهو تقسيم تناوله الدكتور كنسى ولم يمحصه كل التمحيص.

ونحن نحسب كما قلنا فى كتابنا عن عقائد المفكرين أن العالم المتمدن يبتعد من المادية ويطلب شيئاً غيرها يعتمد عليه فى نظرته إلى الحياة، وقد قلنا إن العصر الحاضر هو عصر الشك فى المادية ونوشك.

فليست المادية «مودرنية» فى العصر الحديث على كل حال.

توبة اهرنبرج :

وأخطر من كل ما تقدم رجعة الأدب الروسى إلى «الإنسان» أو إلى الشعور الإنسانى فى هذه الأشهر القريبة، يوم كنا ننعى عليهم فى مصر أنهم مكنات وآلات، وكان دعاة التجديد أو أدعياؤه يرثون للأدباء المصريين، ويتهمونهم بالجمود والتخلف، لأنهم لا ينظمون الشعر، ولا يكتبون القصص فى التغزل بالطيارات والجرارات ومشروعات الخمس سنوات.

نعم هذه رجعة أخطر من رجعة الماديين إلى العقيدة والرغبة فى الإيمان،

وعاقبتها أهم جدًا من عواقب الحركات الفكرية التى تشيع فى الغرب وترصد لنا ظواهر التحول من الإنكار إلى الاعتقاد، أو قبول البحث فيه بشوق وارتياح.

أصبح أدباء الروس يحملون علانية على أدب الصناعة والتصنيع وأدب التلقين والتوجيه، وأصبحت شاعرة كبيرة فى شهرة «أولجا برجولتز» تكتب فى «الجازيتة الأدبية» فتقول: «إن أهم شيء فى جوهر الأدب ناقص فى أدبنا وهو عنصر الإنسانية أو عنصر الكائن الآدمى، ولست أعنى أن الكائنات الآدمية مهملة فى أدبنا كل الإهمال، فالواقع أننا نرى هناك نماذج شتى من السواقين والوقادين والبستانيين، يوصفون أحياناً وصفاً بارعاً ولكنهم موصوفون أبداً من الخارج ولا يزال أهم الأشياء ناقصاً فى أشعارنا، وذلك هو البطل الغنائى العاطفى ذو العلاقة الفردية بالدنيا وبالطبيعة».

انحلالية، انتهازية، برجوازية، رأسمالية، رجعية، بنتكلبية.. أليس كذلك؟

بلى هكذا ينبغى أن يكون الحكم عليها بقضاء الأدعياء الفطاحل من دعاة التجديد.

ولكن ما الحيلة وهى واحدة من زمرة كبيرة تقول بقولها وتخرج على الملة مثل خروجها؟

ما الحيلة ومعها الشاعر «فردوسكى» يشهر الحرب على النفاق الأدبى ويقول إن الشعراء الذين يوهموننا أنهم مفتونون بالحديد ومصنوعاته، قوم منافقون مدجلون؟ وما الحيلة ومع الشاعرة والشاعر مؤتمر «اتحاد النقاد» يتقدمه قسطنطين بستوفسكى ويدعو فيه إلى مقاومة المسرحيات الملقنة والآداب الموحاة؟

وما الحيلة والأمر يتجاوز النقد إلى القفش وتذكر الشاعرة «فيرا أنبار» متهكمة متبرمة «ما يقال من أن أغانى الأطفال توضع فى الأمم البرجوازية لينام عليها الطفل ولكنها فى روسيا توقظه وتقلق منامه..؟»

وإذا كانت فى هذا كله حيلة لمحتال، فما الحيلة فى الخواجة أهرنبرج نفسه

وهو ينحى بكل قوته على أدباء السدود والخزانات وفبريقات النسيج والحديد؟

إنه يقف مع الفردية والصدق للنفس ولا ينكر على الأديب أن يستوحى خياله ولا يستوحى هذه الطائفة أو تلك من الصناع والمهندسين، بل ينكر أن يكون الأدب على غير ذلك ، وينادى بالقول الصريح : « إن الكاتب المؤلف ليس بالآلة الميكانيكية، وإنه لا يؤلف كتابه يعرف صناعة الكتابة ، ولا لأنه عضو فى مجمع كتاب السوفييت يجوز أن يسألوه باله لم يؤلف كتباً منذ زمن بعيد... ولكن الكاتب يؤلف لأنه يشعر بضرورة إبلاغ الناس شيئاً من ذات نفسه، ويلعجه هذا الشعور حتى يتخلص منه. »

ماذا جرى ياعالم؟ ماذا جرى ياخلق الله؟ الدنيا انقلبت؟ الناس كفروا بالآلات؟ الآدميون أصبحوا آدميين؟..

هذا أهون مافى الأمر، وإنه مع هونه لخطب جسيم، وتقوم القيامة ويكتب الناس عن رمضان وعن الصيام وعن موكب الرؤية وعن كل شيء، إلا هذا الكفر الصراح.

كله إلا أن ينتكس الأدب فيصبح آدميًا ويركب البرج العاجى مرة أخرى إلى أعلاه، ويقول إن وصف الإنسان « من الظاهر » لا يكفى... ولابد له من قلب ومن وجدان، ومن غزل ومن « طبيعة » صنعها الله ولم تصنعها المكنات والآلات.

ومن أعلى برجنا العاجى الذى لا ننزل منه أبداً أبداً... نحيى الدعاة الأدعياء ونرجوا أن تصدر إليهم الأوامر غداً بتحية رمضان ونقل الصيام من قائمة المهربات والممنوعات إلى قائمة المباحات والمطلوبات.

سلام الجزر.. بعد سلام البحار*

سلام. سلام.

وفى يوم واحد، هو يوم أمس ، ترددت هذه الكلمة بما فيه الكفاية للعالم كله.

ولو كان ترديد اسم السلام يحقق السلام بمعناه ومسماه لتحقق سلام الدنيا من مشرقها إلى مغربها عدة أعوام.

ولكنه اسم !

وماذا فى اسم كما يقول صاحبنا شكسبير؟

كثير فى حساب السحرة الذين يستحضرون أرواح الجنة بأسمائها.

وقليل، بل قليل جدًّا. فى حساب العاملين الذين يأخذون من السحر بكلمات وحروف ولا يعثرون فيه على أرواح، ولا على القماقم ذات الأرواح !

وقضية السلام اليوم هى قضية «الإنسان» وليست بقضية السواس والرؤساء وذوى السلطان.

هزيمة الأمس كانت هزيمة ملك ، أو أمير، أو قائد، أو أشتات من الجنود.

ولكن هزيمة اليوم هزيمة للإنسان الحى حيثما كان، بل هزيمة للحياة الإنسانية على وجه الكرة الأرضية !

وهكذا انتصار اليوم :

إن عقباه وعقبى الهزيمة سواء، ولن يسلم المنتصر من مصير المهزوم، لأنه هو

* الأخبار ١٩٦٤/١/٨.

حامل عبء الهزيمة، حين ينجو المهزوم من جرائر الأعباء، وحين يأخذ الخراب من العمار على حد سواء.

كانوا يقولون بالأمس: سلام فى البحار سلام فى جميع البرور.

ومن علامات الزمن فى العصر الحديث أن الجزيرة تخلف البحر فى تقدير السلام.

سلام فى الجزر، سلام فى البحر المحيط وفى البر الأصيل.

قبرس فى الوسط، وفرموزة فى الطرف الأقصى من الشرق، وكوبا فى الطرف الأقصى من المغرب ، ومن شاء أن يسلك «برلين» فى عداد الجزر التى يرصد فيها معيار السلام فله عذره من جغرافية السكان لا من جغرافية المسكونة، لأنها الأرض المحصورة بين بحرين، والقلعة المغلقة فى غمار المعسكرين.

والجزر البريطانية هل ننساها فى هذا الأطلس الجديد، وهى أم البحار قديماً وأم الجزر فى الزمن الأخير؟

ليست قبرس بشىء لولا حساب هذه الجزر البريطانية.

وليست فرموزة بشىء لو لم يكن للجزر البريطانية ملحقها فى هونج كونج على شاطئ محيط السلام: ذلك المحيط «الهادئ» كما وسموه ضاحكين، ولكن غير آمنين!

سلام فى جزائر الهونج كونج.
سلام فى جزائر فرموزة.
سلام فى الجزائر البريطانية.
سلام فى قبرس .
سلام فى كوبا .
سلام فى كل مكان.
سلام لكل إنسان.

ومن بشائر السلام أن يريده اليوم كل من كان يريد الحرب بالأمس. إلا من غلبته الشقاوة على ما يريد.

لا أحد اليوم يريد حرباً ويستمع إليه ذو أذنين، غير طويلتين.

ومن كان مستكثراً على إخوته بنى آدم هذه المروءة «الآدمية» فليقل إنه خوف الحرب لا حب السلام.

ومن خاف حرب اليوم فما هو بجبان. إلا أن يكون الإقدام على خراب الدنيا والآخرة شجاعة يثنى عليها من لا يملك الثناء. بين فناء على الأرض وغضب من السماء.

إنما الجبناء هم الذين يدينون بتلك الشجاعة على خاتمة الحروب فى دنياهم أو على فاتحة الحروب غداً بالحجارة والتراب، حيث لا صواريخ ولا طوائر. وحيث لا خناجر ولا حراب.

لم يبق اليوم من يؤمن بخرافة القائلين إن الثورة العالمية خبر اليقين.

ولم يبق اليوم من يؤمن بالذهاب إلى الحرب قبل أن تأتى الحرب إليه.

ومن آمن بهذا لم يجد من يصغى إليه. وإن وجد المؤمنين لم يجد من يقول آمين آمين، مخافة اللاعنين من الشمال ومن اليمين.

وحسب الإنسان أن يأمن إرادته، ليأمن كثيراً من الشر الذى يجنيه على نفسه بيديه.

وليس الشر الذى يفجأ الإنسان من وراء الإرادة بالمستحيل.

ولكنه كثير - كذلك - أن نأمن ما هو أقل من المستحيل، بقليل.

وحبذا الرجاء فى خير يريده الإنسان ويتمناه، ويصدق النية له فى سره ونجواه.

أما الخير الذى يسومه فوق ما يريد وفوق ما يطيق، فسلام عليه. سلام. . . سلام.

يسأل الطالب الحقوق بجامعة إسكندرية عبد الرزاق المهداوى، عن «تصريح باب الكنيسة الرومانية الحالى فى خطبته أمام المجلس الدينى الذى ينظر فى التوفيق بين المذاهب المسيحية: ما المراد بقوله إن الكنيسة الكاثوليكية لا يمكنها أن تستبعد الآن فى محاولتها التوفيق الدينى أدياناً أخرى موحدة بالله كالإسلام. فإن هذا التصريح الصادر من رجل دينى كبير وإن كان مقتضباً ولكنه عميق المعنى، وعلى مسلمى العالم أن يعرفوا ما هو المقصود منه وما أهميته».

والذى نستطيع أن نقوله فى جواب هذا السؤال، إننا لم نطلع على النص الرسمى المعتمد من الفاتيكان لخطاب الحبر الأكبر فى ذلك المجلس، ولكننا نعلم من خطة الحبر الأكبر فى مسألة التوفيق بين المذاهب المسيحية وتوحيد الموقف بين الأديان الإلهية، أنها متممة للخطة التى ينهجها أستاذه بيوس الثانى عشر، وخلاصتها توحيد الموقف بين المؤمنين بالله فى وجه الدعوات المادية إلى الإنكار والإلحاد وتقويض مبادئ الأخلاق وأوامر الضمير التى تتفق عليها الكتب السماوية.

ومما أذكره أن سفيرنا فى الفاتيكان خوطب فى هذا المعنى قبل أكثر من خمس عشرة سنة، واتصل بوزارة الخارجية لا ستطلاع رأى الحكومة فى السياسة العملية التى يمكن اتباعها لتحقيق هذه الرغبة بغير إخلال بالتقاليد الدولية وتقاليد الفاتيكان فى هذه الأمور، وقد كنت يومئذ عضواً بمجلس الشيوخ وتفضل الوزير فأطلعنى على مادار فى هذا الصدد بين سفيرنا ووزارة الخارجية بالفاتيكان، ولكن العلاقات بين الشرق والغرب فى إبان أزمة الجلاء حالت يومئذ دون التفاهم على موقف قد يعرض بلادنا لمجاهرة الشرق والغرب بالعداء فى وقت واحد.

وقد أعلنت تفاصيل هذه الخطة فى مرسوم بابوى خطير ذيع فى العشرين

من شهر أكتوبر (سنة ١٩٣٩)، وقامت دعوة المرسوم على أساس التضامن بين أبناء النوع الإنسانى بجميع أممه وأفراده، وعلى اختلاف أجناسه وعقائده.

ذلك التضامن الأصيل الذى دلت عليه وحدة النسب الآدمى، ووحدة القواعد الفكرية بين عقول بنى الإنسان. وليس أضيع لتلك الوحدة من اتباع منهج « اللاأدرية الدينية والأخلاقية » فى تصرف الإنسان بينه وبين وجدانه، وبينه وبين أبناء نوعه. ويراد باللاأدرية الدينية والأخلاقية قلة الاكتراث للتمييز بين الصواب والخطأ، وبين الخير والشر على أصول المعتقدات، وعلى أصول الحكمة الأخلاقية التى يدين بها أصحاب الضمائر الحية والعقول السلمية.

فى الفقرة الثامنة والثلاثين من ذلك المرسوم يقول الحبر الأكبر:

« إن الأمم – على الرغم من فوارق النشأة وأحوال المعيشة وتعاليم الثقافة – ليس بالمقدور لها، أو المقضى عليها، بأن تحصل أواصر الوحدة الإنسانية، بل على نقيض ذلك قدر لها أن تزيد من ثروتها الروحية بالمشاركة بين المواهب وتبادل الطيبات والخيرات التى لا تتيسر ولا تتحقق إلا إذا اشترك بنو الإنسان فى المحبة المتبادلة وفى الشعور الحى بالخير شعوراً خليقاً بالأبناء المنتسبين إلى أب واحد، وخليقاً بالذين يتحدون فى الإيمان بالفداء الإلهى ».

فالدعوة إلى التوفيق بين المذاهب المسيحية، هى دعوة للذين يؤمنون بالفداء، والدعوة إلى التقريب بين الأمم على اختلاف الثقافات، هى دعوة إلى الآدميين الذين ينتسبون إلى آدم أبى البشر أجمعين.

والمفهوم أن الحبر الحاضر، قد كان من أكبر أعوان أستاذه صاحب هذا المرسوم فى تقرير هذه الخطة، وربما كان هو الوكيل البابوى الذى نيط به تحضير المرسوم وصياغة التعليمات الشفوية التى تلقاها من أستاذه الكبير، وهو على كونه تلميذاً للبابا بيوس الثانى عشر، يضارعه اليوم فى رجاحة الرأى وسعة الثقافة والقدرة على صد ذلك التيار الجارف الذى أوشك أن يجتاح أمامه عقول أبناء

الغرب باسم العلم تارة، واسم الفلسفة المادية تارة أخرى، ويؤثر عنه - يوم كان مطرانًا لكنيسة ميلان - أنه أنشأ فرقة من الرهبان تسمى بالفرقة الطائرة من راكبي الدراجات البخارية، تبادر إلى الاجتماعات التي يقيمها دعاة المادية والخروج على الديانات الكتابية على إطلاقها، لمناقشة البرهان بالبرهان، والأسانيد العلمية بما يماثلها من أسانيد العلم والتفكير، ومجمل الدعوة إلى التوفيق أن يكون البحث عن جوانب الوفاق بين الوجهات الفكرية والروحية مقدماً على البحث عن جوانب الخلاف عموماً وجوانب الشقاق والعداء على الخصوص.. ومن تعليمات هذه الدعوة لمن يقومون بها أن يحاربوا المادية ولا يحاربوا الماديين، وأن يغلبوا حسن الظن والمحبة على سوء الظن وسوء النية، وعلى طوية الكراهية والبغضاء قبل كل شيء.

ومن الواجب عند النظر إلى أمنية أى رئيس من رؤساء الأديان، أن نذكر أنه لا يتمنى شيئاً كما يتمنى أن يتوحد الناس على دينه، ولكن الأمنية التى تتعلق بالأمل شيء والأمنية التى تتعلق بالواقع وبالخطط العملية شيء آخر، ولا سيما الخطط التى يراد من أصحاب المذاهب المختلفة أن يتفقوا على تنفيذها.

وهذه الخطط العملية هى التى يصح أن نفسر بها مقاصد الرؤساء المسئولين ممن يقدرون تبعاتهم ثم يقدرون ما يستطاع ومالا يستطاع. وما من أحد يأبى أن يقابل مقاصد التوفيق بما هى أهل له من القبول، ما دامت فى حدود المستطاع وفى نطاق السعى الناجح والأمل المعقول.

« ليس فى التاريخ سند معروف لدينا يثبت أن « الشعرة » منقولة من ودائع الخلفاء العثمانيين، ولا هى من ودائع الخلفاء الأمويين الأقدمين، ولكن المرجح فى اعتقادنا أن الأخوة الأحياء من أسرة « باندى » يحتفظون بالوثيقة التى ترتفع بأسانيد الرواية إلى مصدر هذه الشعرة، وأسباب انتقالها إلى حوزة السلاطين المغول فى البلاد الهندية ».

من كشمير إلى وادى التيه*

كثر السؤال فى اليوميات عن الشعرة التى قيل إنها اختفت من خزانتها بمسجد سرينجار فى ولاية كشمير الهندية، وقيل إنها إحدى المخلفات النبوية التى احتفظ بها بعض الأمراء وانتقلت إلى سرينجار منذ ثلاثة قرون. وأودعت هنالك فى مسجدها الذى أقامه العاهل المغولى شاه جهان.

وأكثر أصحاب الرسائل يسألون عن أصل هذه الشعرة، وهل ثبت حقاً أنها من شعر النبى عليه السلام؟ وإن ثبت هذا فكيف كان انتقالها إلى سرينجار ؟

ولم نكن نعلم شيئاً عن تفاصيل هذا الحادث عندما وصلت أنباؤه الأولى إلى صحف القاهرة، فخطر لنا السلطان عبد المجيد - آخر الخلفاء العثمانيين - هو الذى نقل الشعرة معه إلى الهند من ودائع المخلفات النبوية بعد خلعه من السلطنة والخلافة وارتباط أسرته وأسرة النظام الأكبر سلطان حيدرأباد بصلة المظاهرة.

ولكن الأنباء تواترت بعد ذلك بكثير من التفصيلات عن الشعرة المفقودة، وعن الأسرة التى تتولى حراستها فى المسجد وهى أسرة « باندى » التى بقى منها اليوم خمسة إخوة يتناوبون حملها فى أيام معلومة لتمكين زوار المدينة من النظر إليها ثم إعادتها إلى حرزها الأمين فى إناء من الفضة والبلّور ملفوف بثلاثة أكياس من المخمل النفيس تغلق عليها صناديق ثلاثة فى مقصورة يدخل إليها صاحب النوبة فى الحراسة دون غيره من باب بعد باب فى أربع حجرات.

ويقال إن السرقة حدثت ما بين الساعة الثانية والثالثة من الليل، أى قبل

---

* الأخبار ١٩٦٤/١/١٥

صلاة الفجر بقليل، وهى اللحظة التى يجوز أن يكون الحارس قد فارق فيها مكانه للوضوء قبل أداء الصلاة ولم يفقد مع الشعرة شيء من ذخائر المقام، ومنها جواهر نادرة تقدر بعشرات الألوف من الجنيهات.

وروت أنباء البرق بعد ذلك أن العالم النمسوى المستشرق الأستاذ عبد الكريم جرمانوس المعروف فى بلادنا، قد سئل عن حقيقة هذه الشعرة فقال إنها قد تكون من مخلفات «غلام أحمد الغاديانى» الذى يؤمن أتباعه بنبوته ويعتقدون أنه هو المسيح المنتظر والمهدى الموعود فى أقوال بعض الشيع الدينية، ولكن الظاهر من عامة الأخبار، أن الشعرة كانت فى مكانها بالمسجد قبل مولد القاديانى بنحو مائتى سنة، وأن حراسها ليسوا من الطائفة القاديانية.

فليست هى من مخلفات القرن التاسع عشر، وليست هى من المخلفات التى نقلها والى المدينة المنورة «فخرى باشا» بعد الثورة العربية الأخيرة.

وليس فى التاريخ سند معروف لدينا يثبت أنها منقولة من ودائع الخلفاء العثمانيين، ولا هى من ودائع الخلفاء الأمويين الأقدمين، ولكن المرجح فى اعتقادنا أن الإخوة الأحياء من أسرة «باندى» يحتفظون بالوثيقة التى ترتفع بأسانيد الرواية إلى مصدر هذه الشعرة وأسباب انتقالها إلى حوزة السلاطين المغول فى البلاد الهندية، ولم نطلع على هذه الوثيقة ولا على نسخة منقولة منها.. ولعلها تنشر - لهذه المناسبة - فى صحف كشمير تقريراً للواقع وثباتاً لسلسلة الوراثة التى انتهت إلى حراس هذا الأثر منذ ثلاثة قرون.

على أن القصة كلها قد انتهت إلى خاتمة من أغرب الخواتيم، لولا أنها توافق الختام الذى يعد من كرامات الذخائر القدسية.

فقد أعلنت حكومة كشمير أنها تكافئ من يستطيع أن يرشدها إلى السارق، أو يعينها على تتبع آثار الشعرة المسروقة بمبلغ يساوى أكثر من عشرة آلاف جنيه. ومعاش دائم لا يقل عن خمسين جنيها فى السنة.

وفى نهاية الأسبوع تبدلت مظاهرات الحزن بمواكب الأفراح فى شوارع المدينة. لأن إذاعة كشمير أعلنت أن الشعرة المفقودة وجدت فى ناحية من المسجد وأعيدت إلى مكانها، ويفهم من ذلك أن سارق الشعرة كان من المؤمنين بقداستها فلم يتلفها تخلصاً من العقاب، إذا ثبت أنها هى بعينها التى فقدت من محرابها المصون.

obeikandl.com

نحن والإسبرانتو*

الطالب الأديب «على لطفى جبريل» بجامعة الإسكندرية يسأل عن لغة «الإسبرانتو»، ومقدار ما حققته من أغراضها، وما يرجى أن نستفيده نحن الشرقيين منها.

هى إحدى محاولات أربع حاولها محبو الخير والسلام منذ ثمانين سنة لتقريب أسباب التفاهم بين أمم العالم عسى أن يكون ذلك سبباً لاتصال المودة بينها، وانقطاع دواعى الخلاف التى تثير أزمات الحروب

١ - الأولى هى اللغة العالمية Volapuk، من وضع الأسقف شليير، وفيها كلمات من اختراعه وكلمات مختزلة من اللغات الأوربية الشائعة.

٢ - والثانية وهى «الإسبرانتو» ومعناها «أنا أرجو»، وهى من وضع الدكتور زامنهوف البرلوف وقاعدتها الكبرى استخدام جذور الكلمات المشتركة بين اللغات المشهورة ولا سيما اللاتينية ، وقد اعترفت بها عصبة الأمم بعد انقضاء الحرب العالمية الأولى بخمس سنوات.

٣ - والثالثة وهى الأيدو ido نسخة منقحة من الاسبرانتو اتفقت عليها لجنة مختارة تألفت فى أثناء قيام معرض باريس عند ابتداء القرن العشرين، وفرغت من عملها بعد سبع سنوات، ومدار التنقيح فيها على ضبط الحروف الأبجدية وتبسيط قواعد الصرف والاشتقاق.

٤ - والرابعة من وضع العالم اللغوى الكبير جسبرسن Jespersen سماها النوفيال أى اللغة الأممية الجديدة وأقامها على القواعد العلمية التى يعلمها عن تطور اللغات.

---

* الأخبار ١٩٥٩/٩/٢٨.

والغرض الأول الذى يسعى إليه أصحاب هذه المحاولات أن يعمموا أرجاء العالم لغة واحدة (مساعدة) يسهل تعلمها على أبناء كل لغة وتصبح كاللغة المشتركة فى أقطار العالم دون أن يؤدى تعميمها إلى تغليب نفوذ هذه الدولة أو تلك من الدول القوية ذوات المطامع السياسية أو الحربية.

والمحاولة جميلة طيبة، ولكنها فيما عدا «الإسبرانتو» التى انتشرت بعض الانتشار لا تزال مجهولة فى العالم وراء نطاقها المنحصر فى أضيق الحدود.

ونحن الشرقيين لا تغنينا الإسبرانتو عن تعلم لغة أخرى من لغات الحضارة الشائعة فإذا تساوى عندنا الجهد فى تعلم إحدى اللغات الكبرى وتعلم الاسبرانتو فالأنفع لنا أن نتعلم اللغة التى يعرفها عشرات الملايين وتحتوى بين آثارها أمهات كتب الثقافة وآيات الفنون والعلوم.

على أننا نعتقد أن شيوع الإسبرانتو أو غيرها لا يمنع الحروب، لأن الأمم التى تتكلم لغة واحدة وتنتسب إلى جنس واحد قد وقعت بينها أعنف الحروف ونزل أبناؤها إلى الميدان وهم يلعنون بعضهم بعضاً بلسان واحد جد مفهوم بين اللاعن والملعون.

وإنما تمتنع الحروب باتفاق الأذواق والأخلاق ومبادئ الآداب، ويتم هذا الاتفاق مع تقريب الفوارق فى المصالح العامة، وسد أبواب التفاوت الجائر فى المنازل والأرزاق.

وعبرة العبر فى محاولات الإسبرانتو وغيرها أن كل محاولة منها يراد بها التوحيد فإذا هى تنتهى إلى زيادة فرقة جديدة وانقسام «المشروع» نفسه إلى فرقتين أو فرق متعددة.

وكذلك حدث لمذهب البابية حين حاول أصحابه التوحيد بين الأديان الكتابية فأصبحت البابية ثلاثة مذاهب قبل أن ينقضى عليها ثلاثون سنة.

وكذلك حدث للقاديابية فى مثل هذه المحاولة، كما حدث من قبلها للماسونية التى قامت لمحو الخلاف بين الأمم فأصبحت شيعاً قومية تنفرد كل شيعة منها بقومها وعصبيتها وتحارب غيرها بأسلحتها ووسائلها.

إن الناس مختلفون ولا يزالون مختلفين، وقد يكون الخلاف الذى تتعدد به المزايا والمقاصد خيراً من الوفاق الذى يبطل مزاياهم ومقاصدهم ويشل جهودهم المتعددة فى أغراض الحياة.

وستبطل الحروب يوم تنقطع أسباب العداوة بين الناس، ولعلهم يتعادون وهم أمة واحدة ويتصالحون وهم ألف أمة، فإنما توجد أسباب العداء بين اثنين فيهما الكفاية لتوليد جميع أسبابها، فإن زالت فالاثنان والمليونان سواء.

رمضان يعود وبغير العادات*

الطعام والصيام أخوان، وإن لم يكونا توءمين !

ومنذ وجدت للطعام تقاليده وشعائره فى المجتمعات الأولى، وجدت كذلك شعائر للصيام بأنواعه على تعددها واختلافها وهى : الامتناع عن الطعام كله ساعات معلومات، واجتناب أصناف منه أياماً متواليات، والاقتصار على غذاء دون غذاء مدى الحياة، وغير ذلك من عادات الصوم التى تمتزج فيها أكثر العادات.

فليس الصيام كما يحسبه جمهرة الماديين تكليفاً من تكاليف الأديان الكتابية لا غرض له غير إجراء الفريضة بغير معنى، أو هو ذو معنى ولكنه لا يعدو أن يكون ضرباً من ضروب التسخير للعبادة والخوف من الإله المرهوب.

ولكنه رغبة إنسانية تمثلت من أقدم العصور فى مظاهرها التى لا تحصى.

فمن أقدم العصور - قبل التاريخ - عرفت القبائل الأولى اجتناب لحوم الحيوان من بعض الفصائل وقيل فى تعليل ذلك إنها تتقى أكلها لاعتقادها بوحدة النسب بينها.

ومن قبل التاريخ تقررت المحظورات أشكالا وألواناً ، وعرفت (القابوات) فى القبائل التى على الفطرة قبل أن تعرف فى بلاد الحضارة.

وقامت حضارات كثيرة على اجتناب اللحوم وتحريم كل طعام غير الذى تنبته الأرض والذى يؤكل بغير إزهاق الحياة.

وعرف الصيام حداداً على الموتى الأعزاء، كما عرف قرباناً للأرواح والأرباب.

---

* الأخبار ١٩٦٤/١/٢٢.

وفى عصورنا هذه التى سميت حيناً بعصور المادة وأنكر فيها المنكرون كل شيء غيرها ننظر فى كل مكان فلا نرى مكاناً منها يخلو من طائفة تصوم نوعاً من الصوم.

وبعض هذه الطوائف يحتمل من الصوم أضعاف ما يحتمله الصائم فى سبيل العبادة وقضاء الفريضة.

وقد يهون النسك إلى جانب الصيام الذى تصبر عليه الحسناء اللعوب حرماناً من مشتهيات الزاد وأطايب المأكول والمشروب، وقد تحتمل الحسناء أن تكف عما يروى الظمأ فى أشد أيام الصيف خوفاً من السمنة، وقد تجتنب المطعم الدسم كما تجتنب لذائذ الحلوى حذراً على قوامها من التشويه، وفى سبيل عبادة الجمال تحتمل الحسناء قيوداً تضيق بها الصدور والخصور، أقسى على الأجسام النامية من قيود الأقدام وسلاسل المعذبين.

وطلاب القوة أصبر على فرائض الرياضة من طالبات الجمال.

فكم من الأطعمة يعزف عنها البطل الرياضى وهو يشتهيها، وكم من الأشربة يتعطش إليها ويصده عنها « الحرام الرياضى » ، ولم يكن ليصده عنها حرام الدين وما يتوعده به من سعير جهنم.

وكم تسومه فرائض الرياضة أن يرفع يده عن المائدة وهى أشهى ما تكون إليه ؟

وكم يعانى من قلة المقدار، وهى أقسى على النفس من المنع والتحريم، لأن الزهد عن الطعام المشتهى ومذاقه فى الفم وصفحته بين اليدين، أصعب كلفة من هجره وهو بعيد محجوب عن العينين.

والصائمون فى سبيل الصحة لا يقلون عن صوام القوة وصوام الجمال، ولا تعفيهم مطالب الصحة من الصبر على حرمان أشد على الأذواق والمعدات من حرمان « البطولة » وحرمان الجمال.

ومن صوام الصحة من يقضى الأيام على عصير العنب أو عصير البرتقال أو عصير ثمرة من الثمرات كيفما كان.

ومنهم من يحذر الحلو الزائغ كما يحذر السم القاتل، أو يحذر الملح الذى ينغص فقدانه كل طعام.

ولا نذكر أننا لقينا أحداً من الكبار أو الصغار لم يتقبل فى حياته نوعاً من أنواع هذه الصيامات راضياً أو غير راض، وكفى بالصيام الأول فى مطلع الحياة بعد خطوات من مهد الطفولة، وهو صيام الفطام.

ولى من التجارب فى هذه الرياضة المفروضة على بنى آدم ما أرويه وأحمده، وأزكيه. وتجربتى الأخيرة منها - مدى سنوات - يوم أصوم فيه عن كل زاد غير السوائل التى أتناولها ساخنة فى الشتاء وباردة فى الصيف، وأحمدها بقية الأسبوع فلا تجشمنى تعباً ولا تعوقنى عن عمل من أعمال العقول أو أعمال الأجسام.

ومن غير المعقول أن يمتزج الصيام كل الامتزاج بحياة الإنسان ثم تخلو منه العقائد والديانات، فريضة لها معناها الصالح ومعناها المفهوم، دون اتهام للدين بالتحكم فى الضمائر والتسلط على الأبدان.

بل نحسب التحكم فى الضمائر آخر شبهة من شبهات النقد تتجه إلى فرائض الصوم فى الأديان ولا سيما صيام رمضان.

فإنه الصيام الذى يعلم الصائم كيف يتغلب على تحكم العادة، وكيف يشحذ فى طبيعته أقدر الخلائق على إنكار التحكم وهى خليقة الإرادة.

ومزية الصيام فى شهر رمضان أصلح المزايا لتمكين الطبائع الإنسانية من مغالبة العادات فى ألزم المطالب وأصعبها مراساً على إرادة المريد، وهى عادات الطعام والشراب والنوم، وهى بعد ذلك تلك العادات التى تتكرر كل يوم وتعود العزيمة كل يوم إلى علاجها من جديد.

ويتفق هذا العلاج فى الشهور القمرية صيفاً، كما يتفق شتاء، وفى الأيام التى يطول فيها النهار أو يطول الليل، وفى الأوان الذى تثقل فيه محنة الظمأ أو تثقل فيه محنة الجوع. فهو المثل الصالح لترويض الإرادة على مقاومة العادة مع اختلاف المواسم والأيام واختلاف ضروب المقاومة فى كل حال.

وما من خصلة فى ترويض النفوس هى ألزم للأفراد والجماعات من خصلة الصبر على اختلاف المألوف المتكرر على مدى الأيام، ولاسيما ذلك التكرار الذى يرتبط بقوام البدن وأطوار العادات.

وما من جماعة إنسانية تمر بأطوار السلم والحرب، وأيام اليسر والعسر، وعوارض الاتصال أو الانقطاع بينها وبين الأصدقاء والأعداء، دون أن تسومها طوارئ الزمن أن تلجأ إلى الإرادة قبل أن تلجأ إلى المثونة والذخيرة، أو إلى المال والسلاح.

ولو لم يوجد الصيام فى الدين لأوجده الناس مختارين كمضطرين، أو مضطرين كمختارين، بل هم أوجدوه - كما تقدم - قبل أن يشرعه كتاب، وإن لم يبلغوا به فى طفولة الشعوب ما بلغوه بعد أجيال وأحقاب.

ولقد تمت لرمضان رسالته من تعويد النفوس ما يثقل عليها من تغيير العادات وهو محبوب منتظر مشكور، وكاد الناس أن يحسبوه صديقاً زائراً يستبشرون بمقدمه ويستوحشون لوداعه، وتشرق الوجوه على هتاف الهاتفين : هل هلالك يارمضان، ويوشك الدمع أن يسيل من العيون على هتاف الهاتفين بعد حين : لا أوحش الله منك يا رمضان!

وحبذا الزمن «أبو الغير» يعود ليعلمنا أن نحب الغير التى يأتى بها وهى أول ما نشكوه من عادات الشهور والسنين.

هنيئاً للصابرين الباذلين*
فى مواسم الدنيا والدين

يسأل الأديب (محمد مصطفى) عن قضية السلام العالمية : هل تخدمها عقيدة (الأهمسا) التى بشر بها المهاتما غاندى فى كفاحه للإنجليز؟

ويقول الأديب : كيف يتفق هذا مع موقف المهاتما من الحرب العالمية يوم كان يؤيد الحلفاء الديمقراطيين ويعلن الحرب على النازيين؟ وهل كان غاندى يخالف فى موقفه هذا عقيدة الأهمسا، وهى عقيدة الكفاح السلمى كما سماه؟

والسؤال عن عقيدة الأهمسا فى قضية اليوم : قضية الأسلحة الذرية، قديم جديد.

وقد سأله الناس فى الهند نفسها قبل الحرب العالمية بعشرات القرون. ولابد أنهم سألوه فى هذه الآونة الأخيرة يوم استعدت الهند للحرب على حدود الصين، واشتركت فى هذا الاستعداد كل طائفة من طوائف البراهمة والبوذيين والجينيين، وهم طائفة غاندى التى تتقدم سائر الطوائف فى إنكار القتل، وتوجب بعض شعائرها على أتباعها أن يتلثموا مخافة إيذاء الهواء.. وهم عندهم من العناصر التى لم تحرم روح الحياة، ولعلهم مقتربون فى ذلك من أصول العربية التى يشق فيها كل اسم من أسماء الروح والنفس والنسمة من مادة الرياح والأنفاس والنسمات.

ولكننا إذا ذكرنا أن البرهمية فى جملتها تنهى عن قتل الحيوان، فمن الحق أن نذكر قبل ذلك أن الطبقة العليا فى أمة البراهمة هى طبقة المحاربين والفرسان،

---

* الأخبار ١٩٦٣/٥/٨.

تليها طبقة العلماء والكهان، تليها طبقة التجار وأصحاب المرافق الصناعية، تليها طبقة العبيد والمأجورين المسخرين.

فالمقاتلة فى ميادين الحرب، غير القتل فى إبان السلم بين أبناء الأمة الواحدة، والمقاتلة للدفاع غير المقاتلة للعدوان.

ومن كتب البرهمية التى تسمى بكتب (الاسمريتى) Smriti منظومات ومنثورات ضافية تروى أخبار القتال وتشيد بالبطولة فى ميادين الحروب، وهذه الكتب (الاسمريتية)، تعد فى المرتبة الثانية بعد الأسفار المقدسة التى تحسب من الوحى الإلهى ولا موضع فيها للإضافة والتأويل من قبل المخلوقات. و« الباجفاد جيتا »، أشهر هذه الكتب تفتح الأبواب الواسعة للخلاص من حيرة المعتقدين بالأهمسا كلما واجهتهم ضرورات الحروب التى تسفك فيها الدماء واصطدموا فى حياتهم العملية بشرور العداوة ومعارك الخصومة التى تفرض على الآمن المسالم أن يرد العدوان بالعدوان ويقابل الجفاء بالجفاء، وفيها يفتى (كريشنا) تلميذه الحائر أن يفرق بين تحريم إزهاق الحياة، وبين مقاتلة النفوس التى تتقلب فى الحياة الواحدة بين جسم الإنسان فى طفولته وجسمه فى صباه وجسمه بعد ذلك فى هرمه، وبعد موته، ثم تتقلب بين أجسام أخرى من الأحياء الآدميين : فإن حكم النفس المتقلبة بين عوارض الأجساد، يخالف حكم الروح الحى الذى يعتبر العدوان عليه عدواناً على جوهر الحياة ولا ينظر فيه إلى أفراد الناس وأفراد الأحياء، وإنما ينظر فيه إلى الروح الإلهى الذى بث فيهم حياته، وحرم المساس بها على عباده، وكل ما يجب على البرهمى الصادق - كما قلنا فى التعليق على (الباجفاد جيتا) - إذا اتخذ حياة العمل وعرضت له مشكلة الحرب أن يحارب ويقاوم ويعرض نفسه ونفوس أعدائه لما يصيبه، وهو منزه عن الغرض مبرأ من شهوات الطمع والأثرة، فإذا أملى عليه الواجب أن يقاتل، فهو فى خدمة الحق الإلهى وليس فى خدمة جسده الذى يشوه له مقاصد الإله.

ومما قلناه فى ذلك التعليق أن غاندى (كان يبكت نفسه لأنه غفل عن

ذلك الكتاب فى صباه ولم يطلع عليه حتى تخرج من مدارس التعليم الثانوى إلى المدارس العالية، ولكنه افتتن به بعد الاطلاع عليه ونظر إليه نظرته إلى ذخيرة من ذخائر الثقافة الإنسانية، فضلا عما يكنه له الهندى من رعاية التقديس والعبادة، وكتب فى سادس أغسطس سنة ١٩٢٥ يقول: إننى أرجع إلى الباجفاد فأهتدى إلى سطر من سطوره يبعث العزاء إلى نفسى، ولا ألبث أن أبتسم راضياً بين ما يحدق بى من أحزان مطبقة).

وقال كاتبه الأمين (ماهاديف ديزاى) الذى تولى الكتابة له عدة سنوات، إن كل لحظة من حياة غاندى إنما كانت محاولة مقصودة ليعيش محققاً فى معيشته رسالة الباجفاد، وإنه كان يقول عنها إنها مستشاره الذى يراجعه كلما أحس الحاجة إلى المشورة.

وإلى هذا الكتاب رجع غاندى فى موقفه بين المعسكرين عند نشوب الحرب العالمية الثانية، ولم يكن له اختيار فى تجنيد الجيش الهندى للقتال، ولم يكن فى هذا الموقف (جينيا) ينادى بدعوة (الأهمسا) وحسب، ولكنه كان ينظر إلى المعركة العالمية القائمة فى العصر الحديث وإلى معارك (الباجفاد) فى تاريخ الهند القديم. وكان يستشيرها كما قال كاتبه الخبير بمراجعة آرائه، فتشير عليه بما أشار به كريشنا على تلميذه، ولا تنسى فى مشورتها غاندى الزعيم السياسى ولا غاندى المهاتما القديس.

الصبر والكرم:

فضيلتان من أشرف فضائل النفس الإنسانية، إن لم نقل على طريقة فيلسوف القوة (هوبس)، إنهما مرجع الفضائل القوية فى الإنسان، فهما على التحقيق لازمتان لكل خلق قوى يتصف به ويعتمد عليه عند كل عظيمة من عظائم المطالب والجهود.

ونحن فى حل من السكوت عن الشجاعة وعلو الهمة بعد ذكر الصبر والكرم، فلا تكون الشجاعة إلا صبراً على الأهوال، ولا يكون علو الهمة بغير مراس للشدائد واقتدار على التفضل والأريحية والسخاء.

فى عيد الفطر يحتفل المسلم بفضيلة الصبر على احتمال الحرمان المختار طوال شهر الصيام.

وفى عيد الأضحى يحتفل المسلم بالفضيلة الأخرى : هى فضيلة (التضحية) وما ترمز إليه من معنى الفداء ومعنى البذل والعطاء.

حسن أن نذكر فى العيدين أننا نحتفل بفضيلتين، وأن ندرك أن القدرة على حرمان النفس والقدرة على الفداء، هما غاية الغايات فى حساب الأيام، وفى حساب النفوس.

وهنيئًا فى كل عام للصابرين الباذلين، القادرين على أنفسهم فى معونة الآخرين، وفى مواسم الدنيا والدين.

openkandl.com

قنبلة على تل رمل!*

روت الأخبار أن العالم الأثرى اللبنانى هنرى فرعون: «ألق قنبلة فى الدوائر الإسلامية ببيروت عندما أعلن أن لديه وثيقة مكتوبة بخط النبى محمد صلوات الله عليه»

وأضافت الأخبار: «أن صحيفة بيروت المساء نشرت هذا النبأ وقالت إنه يجرى الآن فحص الوثيقة لإثبات مدى صحتها».

«.. وقد صرح الدكتور عبد الحفيظ القاضى من كبار الدين الإسلامى لوكالة (اليونايتدبرس)، بأن المسلمين يعرفون أن محمداً كان أمياً وكان يستخدم خاتماً بدلا من التوقيع، وقال إنه يشك فى صحة هذه الوثيقة، ولا يستطيع أن يعرف كيف يمكن إثباتها، ولكن إذا ثبت أنها صحيحة، فسوف تكون بدون شك أكبر اكتشاف دينى أدبى فى التاريخ».

وعقبت الأخبار على ذلك فقالت: «يظهر أن الوثيقة تحمل دليل كذبها، وأنها لم تبلغ حتى درجة التزوير المتقن. فقد ذكر أنها خطاب من النبى محمد إلى الأمبراطور الفارسى قورش، والذين لهم أدنى دراية بالتاريخ يعرفون أن قورش كان قبل بعثة النبى بعهد طويل، وأن النبى محمدا عليه السلام بعث برسالة إلى الأمبراطور الفارسى كسرى أبرويز يدعوه فيها إلى الهدى والإيمان».

وقد أحدث هذا الخبر فى البيئات الأدبية الدينية عندنا هزة لا يبلغ من شأنها أن توصف بأنها قنبلة.. ولكنها دعت إلى التساؤل فى غير جهة واحدة كما يؤخذ من الرسائل التى وردت إلينا من إسكندرية والمنصورة والمنيا والقاهرة بتوقيعات السادة الأدباء: (شاهين أحمد، وأحمد صلاح الدين، وكمال فهيم وعبد الرزاق فهمى المهداوى).

---

* الأخبار ١٩٦٣/٥/٢٢.

وتكفى مقتبسات من رسالة السيد المهداوى، وهو طالب بحقوق الإسكندرية للدلالة على سائرها.

قال الأديب الحقوقى فى رسالته المطولة : «أخيراً وقع المحظور وحدث ما كان يتوقع حدوثه فى هذا القرن العشرين... فأحدث ضجة كبرى فى الدوائر الإسلامية فى الشرق... ومما يدعو إلى الدهشة ويثير التساؤل كيفية العثور على هذا المكتوب والمكان الذى وجد فيه... فإنه من غير المعقول أن تبقى هذه الوثيقة حوالى ١٣٨٢ سنة دون أن يحدث فيها أى تغيير أو مسح... والمطلوب الآن حماية الإسلام ورسول الله من هذه الادعاءات الكاذبة وتصحيح الأخبار. فما رأى أستاذنا العقاد...»... إلخ.

وقد أصابت «الأخبار» حين قالت إن الوثيقة تحمل دلالة التزوير الساذج على وجهها، لأنها تسمى الملك الذى كتب إليه النبى رسالته باسم قورش هو ممن تولوا ملك فارس قبل الدعوة المحمدية بعدة قرون. ولكننا نفترض أن تصحيفاً وقع فى النقل بين خورش وخوشرو أو خوسرو وهو اسم كسرى كما كان يلفظه الفرس الأقدمون، وإنما يدعونا إلى هذا الافتراض أن الجهل بالتاريخ الفارسى لا يبلغ بأحد يشتغل به أن يخلط بين العصور هذا الخلط الذريع.

وقد أصاب الدكتور عبد الحفيظ القاضى حين قال إن إثبات كتابة الرسالة بخط النبى عليه السلام متعذر فى العصر الحاضر، لأننا إنما نستطيع إثبات ذلك إذا كانت لدينا رسائل متعددة، أو رسالة واحدة على الأقل، نعرف منها قواعد كتابته عليه السلام ونقابل بينها وبين الرسالة المكتشفة للحكم بالمشابهة بين الخطوط. وربما ثبت أن الوثيقة المكتشفة قد أرسلت حقاً من عند النبى صلوات الله عليه، ولكن ثبوت ذلك لا يدل على أنها كتبت بقلمه، ولم تكتب كغيرها بأقلام كتاب الوحى المعروفين.

ومن الواجب أن نسأل كما سأل الطالب الحقوقى أين كانت هذه الرسالة ؟

وكيف بقيت محفوظة فى مكانها لم تعمل فيها يد المحو والتغيير طوال هذه القرون ؟

على أنها كيفما كانت ومهما يكن ما تثبته من أمر علم النبى بالكتابة، لن تمس العقيدة الإسلامية فى وصفه عليه السلام بالرسول الأمى كما جاء فى القرآن الكريم.

وإنما ينبغى «أولا» أن نفهم معنى كلمة «الأمى» على التحقيق عند اليهود وعند أهل الكتاب من المسيحيين، كما وردت فى أسفار العهد القديم وفى أسفار العهد الجديد.

ومعناها المحقق عند أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين، أن الأميين هم غير بنى إسرائيل، وأنهم ينسبون إلى الأمم فى العبرية والآرامية، ولكنهم ينسبون إلى الأمة فى اللغة العربية بحسب القاعدة المشهورة فى هذه اللغة، وهى النسبة إلى الفرد.

وردت هذه الكلمة بهذا المعنى فى عشرات المواضع من التوارة، ومنها ما جاء فى المزمور السادس بعد المائة عن اليهود المغضوب عليهم لأنهم (لم يستأصلوا الأمم الذين قال لهم الرب عنهم، بل اختلطوا بالأمم وتعلموا أعمالهم.. وأسلمهم ليد الأمم وتسلط عليهم مبغضوهم).

ووردت هذه الكلمة كذلك فى عشرات المواضع من كتب العهد الجديد. ومنها على سبيل المثال فى الإصحاح الثانى من كتاب غلاطينة «لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجميع : أنت كنت - وأنت يهودى - تعيش أمميا لا يهوديًّا فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا».

ومنها فى أعمال الرسل : «بل أخبرت أولا الذين فى دمشق وفى أورشليم حتى جميع كورة اليهودية، ثم الأمم، أن يتوبوا ويرجعوا إلى الله».

وقد وصفت المرأة من غير اليهود فى الإنجيل بأنها «أممية» ووصف الرجل

بأنه «أمى» على هذا المعنى الذى لا معنى غيره عند اهل الكتاب.

والمعروف أن اليهود يزعمون أن النبوة لا تكون فى غير بنى إسرائيل، وأن كتب الوحى لا تتنزل على غيرهم من أبناء الأمم، فكذبهم القرآن الكريم فى آيات كثيرة حين قرر لهم وللناس أن الله يبعث الرسل قديماً وحديثاً فى غير بنى إسرائيل، وأن أبناء الأمم - أى الأميين نسبة إلى المفرد على قاعدة اللغة العربية - يتنزل عليهم الكتاب، وأن الأميين كأهل الكتاب فيما يتنزل عليهم من هداية الله.

وهذا هو معنى قوله تعالى: «هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة» (الجمعة).

وهذا كذلك هو معنى قوله تعالى: «الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل» (الأعراف).

وفى هذه الآية تذكير لهم بأن الكتاب يذكر نبوة الأميين.

ويؤيد هذا ما كان من اعتقاد بنى إسرائيل تحريم ديون الربا فيما بينهم، وإباحته مع أبناء الأمم من غير اليهود كما جاء فى بعض كتب العهد القديم، وقد أنكر عليهم القرآن الكريم ذلك كما جاء فى سورة آل عمران: «ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل».

أما المقصود بمن لا يعلمون الكتاب من اليهود، فهم اليهود الذين دخلوا فى اليهودية من غير العبريين أبناء إسرائيل، فهؤلاء لا يعلمون لغة التوراة ولا يؤدون صلواتهم بها لجهلهم بألفاظها واكتفائهم بترديد التأمين - آمين آمين - على ما يسمعون من الكاهن عند وقوفه عن الترتيل.

وهؤلاء هم الذين يشير إليهم القرآن الكريم فى سورة البقرة: «ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى، وإن هم إلا يظنون».

فليس فى الوثيقة التى يقال إن الأستاذ (هنرى فرعون) قد عثر عليها أخيراً خبر من الأخبار يمس عقيدة المسلم فى صفة النبى عليه السلام، كما جاءت فى هذه الآيات، ومهما يثبت من أمر الكاتب للوثيقة المكتشفة فالمهم فى هذا الأمر هو الناحية التاريخية التى لا تغير قليلا ولا كثيراً فى حقائق الدعوة المحمدية كما وصفت فى الكتاب.

وقد فهم بعضهم أن تقسيم الناس إلى أهل كتاب وإلى أميين، يعنى أن الأميين حتما لا يكتبون، وليس هذا بصحيح على الإطلاق، لأن اليهود قد كان فيهم ألوف من بنى إسرائيل لا يكتبون، ولأن العرب قد كان فيهم من يكتب ويحسن الكتابة، وقد وجد فيهم من كانوا يكتبون آيات الكتاب عن النبى عليه السلام، وربما جاء على سبيل التغليب معنى أهل الكتاب وغير أهل الكتاب مرادفاً لمعنى العارفين بالكتابة وغير العارفين بها، ولكنه معنى مستعار وليس بالمعنى الأصيل، ولا مناقضة فيه لشىء جاء فى آيات القرآن.

على أن المحقق منذ عهد الدعوة المحمدية أنه لم يكتب بيده الشريفة رسالة قط، ولكنه لم يكن يجهل ألفاظ الحروف وأشكالها إذا أملى الكلام لساعته ويفسره أنه تناول الصحيفة التى كتب عليها صلح الحديبية فمحا منها كلمتى رسول الله حين عز على علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أن يمحوهما بعد اعتراض المشركين وقولهم عند سماع العهد المكتوب : إنهم لو شهدوا بأن محمدا رسول اللّه لما حاربوه.

اسم الاشتراكية*

يقول الأستاذ منصور جاب الله «إنه فى إحدى ندوات المتأدبين بالإسكندرية دار الحديث حول لفظ الاشتراكية ومن أدخله بمعناه العلمى فى اللغة العربية. فقال بعض الحاضرين: إن أول من استعمل الكلمة سلامة موسى وقال آخر: بل إسماعيل مظهر، وأخيرا قال كاتب هذه السطور: إنه يغلب على الظن أن أول من كتب عن الاشتراكية بمعناها الاصطلاحى والسياسى هو العقاد عام ١٩١٢.. ثم اتفقنا على أن نحتكم إلى سيادتكم عسى أن توافونا بالبيان الشاف فى يوميات الأخبار».

وفى خطاب بتوقيع (فريد حنا السويفى) يقترح الكاتب أن أوضح له وللقراء بياناً عن المذهب المفضل عندى من مذاهب الاشتراكية، بعد أن عرفت القراء برأيى فى الماركسية ومذهب المادية الاقتصادية.

وأقول للأستاذ منصور جاب الله إن كلمة الاشتراكية كانت شائعة فى الصحف والأحاديث قبل كتابة كل من سلامة موسى وإسماعيل مظهر، وكان المتعلمون يتناقشون فيها بهذا الاسم كثيراً حين ظهر كتاب محمد مسعود وزملائه عن الاقتصاد السياسى، وقد كان ذلك قبل نيف وخمسين سنة، وحدث أن الكاتب الصحفى المعروف سليم سركيس أراد أن يستدرج الدكتور شبلى شميل إلى الكتابة للمؤيد فى مثل ذلك الوقت فتحرش به متهماً إياه بالاشتراكية.. وهو يتعمد بهذا التحرش أن يغضبه لاعتبار الاشتراكية تهمة مريبة، فكان له ماأراد.

لقد كتبت عن «الاشتراكية» قبل سنة ١٩١٢ بعد شيوع هذا الاسم على الأقلام والألسنة بسنوات. وكنت على رأى بعض الفضلاء فى انتقاد ترجمة «السوشالزم» Socialism.

---

* الأخبار ١٩٦٣/٦/١٢

بالاشتراكية لأن ترجمتها الصحيحة هى «الاجتماعية» تمييزاً لها من الكومنزم Communism.

التى هى أقرب إلى معنى المشاركة وتحريم كل ملكية غير ملكية الجماعة.

وخطر لى أن أترجم الكومنزم بعد الحرب العالمية «بالمشاعية» لما فى هذه الكلمة من الموافقة لمعناها فى المعاملات القانونية، ولكن بعض زملائنا الصحفيين فضلوا «الشيوعية» على «المشاعية» ودرجت على ألسنة الكثيرين لسهولتها وابتعادها عن لغة المصطلحات الفقهية. فلم أر مانعاً من مجاراة «الشيوع» فى هذه الحالة لأنه أساس من أسس الاصطلاح، ولو على رأى القائلين أن الخطأ المشهور أصلح من الصواب المهجور. وعدلت عن استعمال المشاعية منذ أكثر من أربعين سنة.

ولما ظهرت فى اللغة العربية ترجمة كتب العالم الفرنسى جوستاف لوبون كان ذلك قبل سنة ١٩١٢، وقبل اشتهار سلامة موسى وإسماعيل مظهر بدعوة الاشتراكية على مذهب من مذاهبها التى كانت معروفة فى ذلك الحين. وكان اطلاعى على تلك الكتب قبل ردى عليها بطبيعة الحال. ولم أقصد فى دفاعى عن الاشتراكية تأييداً لمذهب خاص من مذاهبها، لأننى لا أدين بمذهب محدود من مذاهب الاجتماع أو الاقتصاد، ولا أرى أن مذهبًا منها يصلح للأخذ به اعتقادًا أو تطبيقا فى جميع الأحوال، وجميع الأمم الغربية والشرقية، ولكننى أو من إيمانا جازمًا بصحة رأى واحد يتفق عليه جميع الاشتراكيين وهو إنكار الاحتكار والاستغلال، وعلى هذا الأساس ينبغى أن يقوم كل مذهب إنسانى سليم، وميزان سلامته حين تتفق الخطط العملية على محاربة الاحتكار والاستغلال شىء واحد لا هوادة فيه ولا علامة غيره للتفرقة بين فلسفة وفلسفة أو بين عقيدة وعقيدة، أو بين أيديولوجية وأيديولوجية: على قولهم فى المصطلحات العصرية.

ذلك الشىء الواحد هو نصيب المذهب من رعاية «الشخصية الإنسانية» وهى

شيء بعيد كل البعد من نزعة « الفردية » باعتبارها عنواناً لتقرير « الذات » فى وجه حقوق الأمم والجماعات . فإن النزعة الفردية قد تنتهى إلى الأنانية البغيضة ولا محل لهذه الأنانية فى الشخصية الإنسانية الوافية سواء فى علاقاتها بالآحاد أو الجماعات.

وعلى هذا الاعتبار يكون الأساس الذى قامت عليه الاشتراكية الفابية هو أقرب الأسس التى أؤمن بها وأعتقد صلاحها فكراً وعملا لتفسير تطور الناس آحاداً وجماعات، لأنها تقيم دعوتها على قواعد الأخلاق والمرافق الاقتصادية التى تحسن بكرامة الإنسان. مع تقديس ضمير الإنسان فى المبدأ والختام.

وإنما تفترق الطريقان بعض الافتراق حين يعتبر الفابيون أن قوانين الاقتصاد مصدر التصرف الإنسانى فى دوافعه الأولى، إذ ينبغى عند التأصيل والتعميق أن تكون قوانين الحياة سابقة لقوانين الاقتصاد، شاملة لها محيطة بها من جميع الأطراف.

وإذا شاء الأستاذ (السويفى) أن يلحقنى بعنوان من عناوين المذاهب فى الدعوة الاشتراكية أو فى غيرها من دعوات الفكر والعقيدة فلا سبيل إلى ذلك. لأننى – أنا نفسى – لا أعرف ذلك العنوان ولا أظن أننى سأعرفه يوماً من الأيام، إذ لست أتبع المذاهب بعناوينها وعناوين الداعين إليها، ولكننى أوافقها بحسب الأسس التى تقوم عليها فى أصولها وإن تشعبت بها الفروع والتفاصيل ، وليس للدعوة الاجتماعية أو الفكرية عندى من أساس أصح وأثبت وأولى بالاتباع والدوام من أساس الحقائق « الحيوية النفسية » أو الحقائق التى تقوم على دوافع الحياة وتفسرها البواعث « السيكولوجية ».

فالإنسان قبل كل شيء كائن حى به نفس ووجدان.

وحياته النفسية بيئة تؤثر فى البيئة الطبيعية وليست هى بالطارئ الفضولى على بيئة الأرض والجو والزرع والهواء تقف منها موقفاً سلبياً مشلولا بلا عمل غير تلقى المؤثرات منها كيفما تشاء.

فإذا قال الماديون إن الإنسان ابن البيئة، فيجب أن يذكروا أنه هو نفسه بيئة فعالة تتطلب من ظروفها الجغرافية والتاريخية مالا تتطلبه الكائنات الأخرى.

* * *

« إننى ألجأ إلى مؤلف أبى الشهداء ليخرجنا من الحيرة التى نحن فيها لمناسبة يوم عاشوراء. وقد سمعنا من أحاديث الإذاعة أمس حديثًا دينيًا عن فضائل يوم عاشوراء جاء فيه أنه اليوم الذى رست فيه سفينة سيدنا نوح على الجودى.. ولا أعرف الجداول الفلكية التى حددت هذا اليوم بيوم عاشوراء ولا كيف طبقت؟ وأرجو أن تتكرموا ببيان يضع الأمر فى نصابه .. والسلام عليكم ورحمة الله ».

محمد عبد الرحمن عينوس

جليم - رمل الإسكندرية

والحسبة بسيطة جدّاً - على تعبير « خوجتنا » الذى علمنا أرقام الحساب.

فإذا كان المقصود بيوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر المحرم بالسنة الهجرية، فالتاريخ الهجرى كله لم يكن معروفاً قبل الإسلام على عهد المسيح أو عهد موسى عليهما السلام، فضلا عن جدهما إبراهيم وجده نوح صلوات الله عليهم أجمعين.

ولا يمكن أن تكون لسفينة الطوفان (خطوط سير) محسوبة بيوم من أيام السنة الهجرية لأن هذه الأيام لا تعود فى موعد واحد من العام، ولا يوجد عندنا التقويم الشمسى أو القمرى أو الذى جرى عليه حساب الحل والترحال على عهد الطوفان.

أما إذا كان لاسم عاشوراء مرجع آخر غير علاقته بمصرع أبى الشهداء فليس هذا المرجع موضع اتفاق بين المؤرخين من المسلمين وغير المسلمين.

والمحقق أن اسم عاشوراء كان معروفاً قبل توقيت الأيام بمواقيت السنة الهجرية، وقبل إطلاق هذا الاسم على اليوم العاشر من أول شهر فى السنة الهجرية . فإن الأخبار تتفق على أن الهجرة حدثت فى شهر ربيع الأول، وأن النبى عليه السلام قدم إلى المدينة واليهود يحتفلون بعيد عاشوراء ويقولون إنه اليوم الذى نجا فيه موسى الكليم من الغرق، فقال رسول الله : أنا أولى بموسى. وأمر بصومه.

أما أصل الاحتفال بعاشوراء عند اليهود فهو كما جاء فى العهد القديم أنه يوافق اليوم العاشر من الشهر السابع فى التقويم العبرى، وهو رأس السنة المدنية عندهم وعيد الكفارة أو الكبور الذى يحتفلون به إلى اليوم، وقد جاء فى الإصحاح الثالث والعشرين من سفر اللاويين أن الرب كلم موسى قائلا : «كلم بنى إسرائيل وقل لهم : مواسم الرب التى فيها تنادون محافل مقدسة هذه هى».

إلى أن قال : «أما العاشر من هذا الشهر السابع فهو يوم الكفارة»

وهو بعينه يوم عاشوراء فى حسابهم بهذا التوقيت.

ويقول البيرونى العالم الفلكى الكبير فى كتاب الآثار : «قيل إن عاشوراء عبرانى معرب يعنى عاشور وهو العاشر من تشرى اليهود الذى صومه صوم الكبور، وإنه اعتبر فى شهور العرب فجعل فى اليوم العاشر من أول شهورهم كما هو اليوم العاشر من أول شهور اليهود.»

ويقول محمود باشا الفلكى خليفة البيرونى بين علمائنا المحدثين إن : «الذى يتضح من الحساب أن هذا اليوم كان موافقاً لعشرين من سبتمبر، وهذا هو اليوم الثامن من الشهر القمرى باعتبار الانفصال. وذلك لأن اجتماع النيرين كان فى يوم السبت ١١ سبتمبر بعد نصف الليل بساعة تقريباً على حساب باريس ولم يتيسر للناس رؤية الهلال بالعين المجردة إلا فى مساء الأحد من ١٢ إلى ١٣ سبتمبر حتى صار حساب يوم الاثنين ١٣ سبتمبر أول الشهر الهلالى».

obeikandi.com

وجميع ذلك محقق بالحساب الدقيق فى رسالة نفسية كتبها محمود باشا الفلكى باللغة الفرنسية وترجمها «أحمد زكى أفندى» سنة ١٣٠٥ هجرية، وهو «أحمد زكى باشا» الذى أصبح بعد ذلك سكرتيراً عاماً لمجلس النظار.

فاليوم الذى أذيع فيه الحديث لا يوافق ميقاتاً محدوداً بالسنة الهجرية ولا بالسنة الميلادية ولا بالسنة العبرية، ولا سند له من أثر معروف.

ويصح أن نرجع بعيد «الكبور» عند اليهود إلى أصله القديم قبل البعثة الموسوية بمئات السنين، فلا نتتبع الشعائر التى تقترن بأعياد اليهود مما كان له أصل سابق لبعثة موسى عليه السلام، إلا تبين لنا أنها - بغير استثناء - كانت مواسم طبيعية يحتفلون فيها بالحصاد، أو بالمبيت تحت الظلال والتعاريش، أو بأكل الخبز الفطير ولحم الحمل وليد السنة من بواكير العام. وقد نقل العبرانيون هذه المواسم ممن تقدمهم إلى الأمم التى عاشوا بينها بعد سبيهم وبعد خروجهم من وادى النيل؛ وقد يشاهد أثر ذلك فى مراسم الاحتفال بشم النسيم وطبخ الحبوب فى حلوى عاشوراء.

* * *

والسيد «محمد مدحت محمود» الطالب بجامعة القاهرة يسومنى فى هذه الرسالة - سامحه الله - أن أفتح محضر التحقيق للفنانة «تحية كاريوكا»، لأنها - والعهدة عليه - كانت ضيفة الشرف فى برنامج من برامج التليفزيون فتحدثت عن رواد موسيقى الرقص، وذكرت منهم عبده الحامولى ومحمد عبده . . .

قال الطالب الأديب إننا بعد تلاحق هذه المعلومات التى تصدر عن جهات مفروض فيها أن يكون ما يصدر عنها حقيقة لا يرقى إليها الشك - نرجو أن تفيدونا ولكم الأجر عند الله :

١ - هل فى ديننا الرسمى وهو الإسلام ما يسمى الموسيقى الدينية ؟ ومتى نشأت ؟ وما هى الطقوس الدينية التى تصاحبها ؟

٢ ـ هل كان الإمام محمد عبده من رواد الموسيقى فى مصر؟ أو هناك محمد عبده آخر بلغت شهرته أن يذكر اسمه بغير تعريف؟

والذى نرجوه من السيد «مدحت» أن يقفل محضر التحقيق قبل افتتاحه إكراماً للقانون البلدى - والفنى - الذى يفتى فى هذه القضية «بأن الخطأ مردود».

ولم نسمع نحن ما قيل فى برنامج التليفزيون الذى أشار إليه الطالب الأديب، ولكننا لا نشك فى سبق اللسان أو الأذن بين القائل والسامع وبين اسم محمد عبده واسم محمد عثمان.

فهذان هما الاسمان المتلازمان فى تاريخ الموسيقَ، لا يذكر أحدهما إلّا سبق اللسان إلى ذكر صاحبه، وقد يريد أن ينطق بمحمد عثمان فيحضره اسم عبده فيصل اسم «محمد عبده» إلى السمع من هذا الطريق.

وإذا صح أن الفنانة «تحية كاريوكا» أخطأت هذا الخطأ، ولم يخطئ السامع فى السماع - فمن حقها أن تشكر، لأن اسم «محمد عبده» يخطر فى ذهنها ولا يغيب عنه فى هذا المقام.

ولا حاجة - إذن - الى فتح باب الكلام على الموسيقَ الدينية فى الإسلام، فليس فى الإسلام موسيقَ دينية، ولا شعائر يؤديها المسلم على توقيع الغناء، وغاية ما يقال فيما يجوز الاستماع اليه أن النبى عليه السلام سمح للسيدة عائشة أن تستمع معه إلى الغناء الذى «تزفن» عليه الحبشة زفنها المعروف، وهو ضرب من حركات الرقص التى توقع على الألحان ولكنها حركات لا خلاعة فيها ولا تخالف المشهور من حركات الرياضة المقبولة، وفى حكمها على ما يشابهها من حركات الإيقاع.

إتقان شيء من الأشياء
لايمنع الإلمام بغيره*

« . . . بينما كنت أتصفح كتاب فيض الخاطر لأستاذنا الجليل المرحوم الدكتور أحمد أمين أثار اهتمامي قوله في الجزء الأول ما خلاصته، أنه يمكننا أن نجني أطيب الثمار لو استطعنا إخراج الثقافة العربية الإسلامية في ثوب جديد على نمط ما يكتب الغربيون ولكن بروح إسلامي فنحيي آثار الأولين بأسلوب الآخرين، وبذلك يكون في استطاعتنا إيجاد الحلقة المفقودة، وهي تذوق الثقافتين والاغتراف من المنهلين ،وإخراج علم وفلسفة غذيت بما للعرب والإسلام من ثقافة. ولكني أردت ألا أتعجل الحكم بصحة هذا الرأى حتى أعرف رأيكم الخاص. فقد يكون هناك شيء بين سطور هذا الرأى يخفى علينا،أو قد يكون لك وجهة نظر فيما يتعلق بهذا الموضوع الذى نحن بصدده.. فنرجو من سيادتكم تبسيط ما يتعلق بذلك في يومياتكم بالأخبار، ولكم منا جزيل الشكر. . إلخ ». ،

أحمد عبد القادر سعيد

طالب بتجارة قصر العيني

إن تعميم الثقافة هو مذهب أصحاب الرأى الراجح من المفكرين في السنوات الأخيرة ولا نقول في العصر الحديث كله، لأن أبناء هذا العصر في مطلعه قضوا زمناً غير قصير وهم يذهبون مذهب « التخصص » في التعليم والتربية، ويستحسنون أن يتفرغ العالم أو الأديب لفن من فنون المعرفة يستوفيه غاية الاستيفاء ولا يلتفت لغيره، لأنه بهذا التفرغ يتقن معرفة واحدة وينتفع بها

---

* الأخبار ١٩٦٠/١٠/١١

كما ينفع غيره جهد المستطاع من المنفعة، ولكنه يعجز عن إتقان المعارف جميعاً إذا تفرقت عنايته بينها ووزع أوقاته فى تحصيلها وتطبيقها.

كلام معقول فى ظاهره.. ولكنه على رأى المفكرين فى السنوات الأخيرة، بعد التجارب الكثيرة غير معقول ولا مطابق للفهم الصحيح ولا للنتيجة العملية.

أولا - لأن إتقان شىء من الأشياء لا يمنع الإلمام بغيره ولا يصح أن يقتل طبيعة التشوق إلى المعرفة عامة. وهى طبيعة العقل الإنسانى فى أحسن حالاته.

وثانياً - لأن إتقان علم من العلوم لا يتأتى مع الاقتصار عليه والانحصار فيه، كما أن البيت الواحد لا يعرف بالانحصار بين جدرانه وإغلاق الأبواب عليها، ولا بد من معرفة البيوت الكثيرة للتحقق من صفات أحسن البيوت وتدبير أفضل الشروط للسكن المريح.

وثالثاً - لأن المطلوب بالتعليم والتربية، هو إعداد إنسان كامل للفهم والتجاوب مع الحياة الإنسانية، وإنما الإنسان المتخصص فى الواقع نصف أو ربع إنسان أو جزء من إنسان كبر أو صغر، ومثله كما قال نيتشه فى الموسيقِى الذى لا يشتغل بفن غير فنه كمثل الأذن الكبيرة يسعى بها رجل صغير يستتر تحتها ولا يحمل حاسة من حواس البصر أو الذوق أو اللمس أو الشم سواها.

ورابعاً - لأننا اليوم فى عصر العلاقات العالمية، بل العلاقات الكونية التى تشغل الإنسان المعاصر كل يوم بأخبار الكواكب فى السماوات وأخبار الأمم بين أرجاء الكرة الأرضية، فلايحسن الحياة فى هذا الزمن من ينزوى إلى المعمل أو المرسم أو المكتب، ولا يدرى بدنياه وراء تلك الزاوية التى يعكف عليها ولا يخرج منها.

وخامساً - لأن التربية ليست عملية عقل يتقن علماً واحداً أو صناعة واحدة كيفما كانت وسائل إتقانها، ولكنها عملية مقصود لتنمية العقل والروح والضمير والخيال والذوق والجسم، وكل ملكة إنسانية نافعة من الوجهة الاقتصادية، أو غير نافعة على الإطلاق إلا لتحقيق الحياة لذاتها. فإننا لا نعنى بأبصارنا لمجرد الفائدة الاقتصادية التى نجنيها منها، ولكننا نعنى بها لنبصر ونرى، لا تهمنا الفائدة الاقتصادية نفسها إن لم تكن محققة لوظيفة من وظائف الحياة.

هذه هى خلاصة الآراء الأخيرة فى مذهب التربية المثلى، وقد أثير البحث فيه منذ سنتين بين المفكرين الغربيين على نطاق واسع للمقابلة بين الثقافة العلمية الصناعية والثقافة الأدبية الفنية، وأرد الباحثون - كما قالوا - أن يقيموا بين الثقافتين قنطرة مفتوحة للعبور الدائم والانتقال من إحدى الضفتين إلى الأخرى، ولم يريدوا بهذا البحث أن يخلطوا بين الثقافتين خلطاً يحول دون التخصص لإحداهما، وإن كان التخصص المغلق مما يؤدى إلى مرض عقلى كمرض الفصام أو انقسام الشخصية، وإن لم يكن محسوباً من الأمراض فى عرف الأطباء.

ومايقال عن الثقافتين العلمية والأدبية يجوز أن يقال عن الثقافتين الشرقية والغربية أو الثقافتين السلفية والعصرية، فإن القنطرة التى تفتح للعبور من إحداهما إلى الأخرى وتنقذ العقل والروح من آفة الانقطاع بينهما ضرورية فى هذا الزمن الذى يرفض الانحصار وينزع دائماً إلى التوسع والانطلاق.

وقد كان الأستاذ أحمد أمين نفسه رحمة الله عليه، مثلا للتوسط بين الثقافتين على نوع من التوسط المأثور، لأن مدرسة القضاء الشرعى التى تخرج منها كانت بمثابة القنطرة بين ثقافة السلف وثقافة العصر الحاضر، وكذلك كان زملاؤه الذين عرفناهم من علماء مدرسة القضاء الشرعى فإنهم يحسبون اليوم من خيرة المثقفين على المذهب الأمثل بعد الحرب العالمية الأولى، وكلهم حجة

obeikandl.com

ناهضة على وجوب التوسع فى بناء تلك القنطرة أو القناطر الكثيرة حسب « المساحة » الفكرية التى تشغلها الأفكار والأذواق.

وكل ماكنت ألاحظه على زميلنا الأستاذ أحمد أمين رحمة الله عليه أنه كان كثير الوثب إلى الضفة الأخرى، كالريفى الذى « يتمدن » فيسبق أهل المدنية فى عاداتها وتقاليدها، ويدل بذلك على « الريفية » أكثر من دلالة الريفى الذى لم يفارق قريته إلى خارجها.

وكنت أجاوره أحياناً بمجمع اللغة ولا تنقطع المناقشة الخاصة بينى وبينه فيما أحسبه من التطرف حول مسألة الإعراب ومسألة المرأة ومسألة الحرية الفردية والحرية الاجتماعية.

ولحقته ذات مرة بالملاحظة على كلامه عن المرأة فى ترجمته لحياته، فقال رحمه الله ضاحكاً : هذه قفشة فى الصميم، وقال مرة أخرى بأسلوبه الفكاهى : ياعينى علينا.. نحن معشر المتفرنجين.

وكل هذا الخلاف حول حدود القنطرة لا يمنعنا أن نتفق على وجوب إقامتها وفتحها للعبور على سنة حركات المرور. كما يأتى فى اليومية التالية.

* * *

« .. الفرقليط اسم اعترضنى فى أكثر من مناسبة، وقرأته فى بعض الكتب ولكنها لم تأت بالتفسير الواضح له ،وسألت عن معناه، فقال البعض إن المقصود به هو الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، وقال البعض الآخر إنه هو القدوس، ولذا أرسل إلى سيادتكم مستفسراً وأكون شاكراً إذا تفضلتم بنشر هذه الحقيقة فى يومياتكم بالأخبار. »

محمد ثروت عبد الحافظ

مصنع السكر - كوم امبو

هذه الكلمة وردت فى الترجمة اليونانية لإنجيل يوحنا، وكانت تكتب فى الإنجيل فرقليطس Paracletos مع نطق الباء الثقيلة «وفاء»، كما هى العادة فى نطق الحروف اليونانية، ولكن الفرقليطس قد تكتب أيضاً بهجاء آخر وهو: Periclytos بمعنى يكاد أن يكون ترجمة لكلمة «محمود» أو «أحمد» العربية، ويرى بعض المفسرين لهذا أن الذى ورد فى إنجيل يوحنا هو المقصود بقوله تعالى فى القرآن الكريم: (وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد).

ويقول ابن هشام إن الكلمة التى نطق بها السيد المسيح، هى الكلمة السريانية «منحمنا»، وهى قريبة من مادة الحمد ومن مادة المناح أو العزاء، ومن كلمة المناحة فى اللغة العربية لاجتماع التعزية كما يرى بعض الشراح.

أما الكلمة اليونانية بكسر الفاء، فقد ترجمت بمعنى المعزى تارة وبمعنى المدافع تارة أخرى، ورفعت الكلمة اليونانية من الترجمات الحديثة إلى اللغة الإنجليزية ووضعت كلمة المعزى Gomforter فى مكانها.

ويقول العلامة يوسف على القاضى الهندى الذى ترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية، إن الكلمة تشير إلى النبى محمد، ولو ترجمناها بمعنى المعزى، لأنه عليه السلام قد أرسل رحمة وبشيراً للعالمين، كما جاء فى غير موضع من القرآن الكريم، وله على ورود النبوءات ببعثة النبى شواهد كثيرة من كتب العهد القديم والعهد الجديد لا يتسع المقام لتفصيلها، وتراجع فى هامش تفسيره كما تراجع فى الهوامش والتفسيرات التى نشرها بعض المترجمين من علماء الهند المسلمين.

obeikandi.com

الاشتراكية مذهب جمال الدين*

الحبر الجديد.. دمعة إيزيس

لكل ذاكرة عاداتها فى الحفظ والمراجعة والاستحضار.

وأحسب أن أصدقاءنا القراء يعرفون هذه العادات من مراقبة أنفسهم. ويستطيعون أن يجمعوا منها « قاموساً » ضافياً من مختلف الأساليب والحيل التى تتفاوت كثيراً كما تتشابه كثيراً بين كل فردين اثنين، ولو كانا من أسرة واحدة.

أما تجربتى لأساليب الذاكرة عندى، فالأغلب عليها أنها تقرن التذكر بعلاقتين مختلفتين قد تتبدلان فى الموضوع الواحد: أحدهما أننى أذكر المسائل الفكرية من حيث اتصالها بشخص معروف السيرة والملامح فى ذهنى. والثانية أننى أذكر المسألة بالاتجاه الذى تعودت أن أتجه إليه عند البحث عن مراجع الكتب فى مواضعها وإن اختلف ترتيبها، فإذا خطر لى موضوع الكتاب خطر لى كيف مشيت لأخرج الكتاب من مكانه..

وقد سئلت فى اليوميات عن أول من ذكر كلمة الاشتراكية فحضرنى على التحقيق أنها عرفت بهذا اللفظ قبل أوائل القرن العشرين، وحام فى نفسى الظن بأننى قرأتها لأول مرة فى كلام منسوب إلى المصلح العظيم جمال الدين الأفغانى، وجمعت مراجع جمال الدين على المكتب للتصفح والمراجعة فى حينها، فجاءنى ابن أخى برسالة العالم الفاضل الشيخ « محمود أبى رية » وبين يدى خاطرات « المخزومى باشا » عن أحاديث المصلح العظيم، وهى أحرى المراجع بتفصيل هذا الموضوع.

---

* الأخبار ١٩٦٣/٦/٢٦

وقد اغنتنى رسالة الأستاذ أبى رية عن البحث فى الصفحات وهى تقارب الخمسمائة فذكر الصفحة وأحالنى على مناسبتها فى الكتاب بعنوان «رأيه فى الاشتراكية - السوسيا ليست - وإنها لا تخالف الدين، بل يقول بها».

وقد كانت المناسبة كما جاء فى الصفحة الـ (١٨٩) من الكتاب، أن أحد كبار الأدباء الأتراك كان يغشى مجلس جمال الدين، وأن جمال الدين كان يحترمه لذكائه وحسن أدبه، وكان الرجل أشد الناس حرصاً على الاقتباس من آراء السيد والتتلمذ عليه، وقد سأله يوماً عن حكم الدين الإسلامى فى المذهب الاشتراكى، فأسهب السيد فى بيان هذا الحكم وأنكر آراء القائلين بمخالفته لأصول الإسلام، مؤكداً سبق الإسلام إليه بالأدلة المفصلة من الكتاب والسنة ووقائع التاريخ، ثم ختم كلامه بعد الإفاضة فيه من زيادات الراوية قائلا «إن اشتراكية الإسلام هى عين الحق، وإن الحق أحق أن يتبع».

ويؤخذ من مقدمة الخاطرات أن «المخزومى باشا» رواها عن السيد جمال الدين فى أثناء مقامه بالأستانة فى الفترة بين سنة ١٨٩٢ وسنة ١٨٩٧، وقد كانت كلمة الاشتراكية معروفة - إذن - قبل بداية القرن العشرين ببضع سنوات.

وقد تلقيت رسالة أخرى فى هذا الموضوع من الأستاذ (أحمد المصرى) السكرتير العام لنقابة البحارة بالإسكندرية يلخص فيه ذكرياته عن أوائل تاريخ هذه الكلمة باللغة العربية فيقول: «إن أول من كتب عن الاشتراكية فى العربية هما السيد جمال الدين الأفغانى والأمير شكيب أرسلان، وإنهما نشرا أبحاثاً عن الاشتراكية فى الإسلام ليعارضا بها الاشتراكية الغربية»

ثم يستطرد قائلا إن الأستاذ سلامة موسى نشر أول مؤلفاته عن الاشتراكية فى عام (١٩١١)، وأعقب كتابه الأول برسالة صغيرة، ووجهها إلى الشباب دعا فيها إلى اعتناق المبادئ الاشتراكية. أما الأستاذ إسماعيل مظهر فقد كان إلى سنة

openkamal.com

١٩٢٤ يعارض الاشتراكية وفيها نشر رسالته عن هذا المذهب وأثره فى ارتقاء الإنسان.

ويشير الأستاذ (أحمد المصرى) إلى الحزب الاشتراكى الذى أنشئ فى سنة ١٩٢١، واتخذ له مركزاً بميدان الخازندار وكان من أعضائه الأستاذ كامل البهنساوى المستشار، والدكتور على العنانى الأستاذ بالجامعة القديمة، والأستاذ عزيز ميرهم، والأستاذ سلامة موسى. وغيرهم من الأدباء والمثقفين، ولم يعمر هذا الحزب طويلا لاشتغال العاملين جميعاً بقضية الاستقلال ومحاربة الاحتلال.

ويتبين من هذه المراجع جميعاً، أن المذهب عرف باسم (الاشتراكية) فى اللغة العربية منذ نحو سبعين سنة، وأنه شاع لأول عهده بالتداول على الألسنة بين تلاميذ جمال الدين، وقلما ظهرت فى الشرق العربى نهضة إصلاح لم يكن لها أصل فى مدرسة هذا المصلح العظيم.

* * *

الحبر الأكبر فى مدينة (الفاتيكان)، هو أحد الرجال القلائل الذين ينهضون بالنصيب الوافر من أعباء القضايا الإنسانية التى تهم الناظرين إلى مستقبل العالم فى حياته الاجتماعية الروحية، أو الثقافية بعبارة أعم وأوفى، قبل كل شىء.

وقد تعاقب على الكرسى البابوى فى هذا الجيل ثلاثة من أقدر الأحبار الذين شغلوه فى تاريخه الطويل: وهم بيوس الثانى عشر، وحنا الثالث والعشرون، وبولس السادس، الذى أعلن انتخابه اليوم، وكان انتخابه دليلا على أن الوجهة التى تتجه إليها الترشيحات يغلب فيها على الدوام أن يكون اعتبار الأصلح مقدماً على كل اعتبار، مهما يبلغ من اختلاف الأقطاب الناخبين فى أسباب التقدير.

والاسم الذى اختاره الحبر الجديد أول دليل على الإدراك الواسع لمغزى

التاريخ وعلامات الزمن ومطالب المستقبل. لأن آخر من تسمى باسم بولس - أو بولس الخامس - كان هو البابا الذى حضر حرب الثلاثين، ووزن موقف الملايين من أتباعه بين الكتلتين الشرقية والغربية فى القارة الأوربية، وكانت أولاهما مع أسرة هابسبرج فى النمسا والثانية مع أسرة البوربون فى فرنسا، وكان حرج الملايين من أتباعه فى أواسط القارة وشرقيها على أشده فى ذلك الحين.

والأهبة التى يستعد بها البابا الجديد للنهوض بأعبائه بين جماعات الأمم هى الأهبة الوافية التى بلغت فى باب العلم والدراية، فلا نخال أن أحداً من أقطاب الدين يفوق الحبر الجديد علماً بمذاهب الفكر ودعوات الاجتماع فى العصر الحاضر كما ظهر من دراساته ومن خطته فى حماية العقول بين أتباعه من آفات «المادية والإنكار»، ولا سيما أتباعه الناشئين والأجراء، ولم يعرف أحد من قرنائه يعنى بتوثيق الصلة بين الروح الدينية والروح الرياضة والروح التعاونية، كما كان يعنى بها وهو يتولى منصبه الأخير فى ميلان قبل انتخابه للبابوية، ويكفى أن يذكر من ذلك أنه كان يفتح فناء كنيسته الكبرى لناشئة الحى الذين يلعبون كرة القدم، وأنه يبذل العون للعمال فى نقاباتهم وفى مصانعهم بكل ما فى وسعه من المعونة، وأنه يعد الفرق الطائرة من القساوسة لشهود كل اجتماع تذاع فيه دعوات الإلحاد والإنكار والمادية المتطرفة.. وما هذه الفرق الطائرة؟

هى فرق من رجال الدين المتعلمين يركبون الدراجات البخارية ويطيرون بها إلى كل اجتماع مفتوح للمناقشات المذهبية على استعداد كبير لقرع الحجة بالحجة ومقابلة الدعاية التى يطلقون عليها اسم دعاية الفضائح بدعاية مثلها وأنفذ منها للتو والساعة.

ولايخلو اختيار اسم بولس السادس من دلالته على ناحية مهمة من نواحى الدعوات العالمية فى الشرق الأقصى: فإن بولس الخامس قد كان رائداً من رواد التأسيس فى طقوس الكنيسة بالصين، وله فى ذلك تجاربه المبتكرة بين

الترخيص والتشديد، وهى فى المقام الأوسط بين توسع الحبر الراحل حنا الثالث والعشرين وبين تضييق الأسبقين من أخبار الفاتيكان وأعوانهم المحليين فى الصين.

إن البابا الجديد لينهض بعبء كبير من أعباء العالم الإنسانى فى هذا العصر المريج، بين مشاكله ومنازعاته التى لا تحصى فى ميادين الحياة الاجتماعية وحياة الروح والضمير قبل كل شىء، وبين مفارق الطرق التى تتشعب من الحاضر إلى المستقبل فى شتى المقاصد والغايات. وكل نجاح له فى دفع آفات المادية الحيوانية والإنكار الذميم، هو نجاح للمؤمنين من كل عقيدة وكل دين.

* * *

« تترقب ربات البيوت فى الأرياف خاصة ليلة نزول النقطة، فتسرع كل ربة بيت قبل الغروب بعجن الدقيق بالماء فقط ثم لفه بقطعة من القماش، وفى الصباح تتحول هذه العجينة إلى خميرة، ويقال إنه فى غير هذه الليلة لا يحدث ذلك مطلقاً كما جربت ذلك بنفسى، ويقال أيضاً إنه فى هذه الليلة تتكون النواة داخل البلح وفى ثمار المنجة ولا يمكن أن تتساقط بعد هذه الليلة.. فهل هناك تفسير علمى لما يحدث فى الحالتين؟ وهل تسمحون ببيان عن ذلك فى اليوميات. ؟ »

محمد الأسود

شارع حدائق الأهرام

... منذ دهور لايدرك أولها يحتفل أجدادنا وآباء أجدادنا بدمعة إيزيس التى يعنيها السيد (محمد الأسود) بسؤاله، ويسمى موعدها بالاسم الذى اشتهر به فى العصور الأخيرة: وهو ليلة النقطة أو ليلة الشيخ إسماعيل الإنبابى رضى الله عنه وأرضاه.

وقديماً كانت هذه الليلة عزيزة على ربات البيوت فى أقاليم القطر كله وفى إقليم الجيزة على الخصوص، لأنها تعيد إليهن قصة الربة المحبوبة «إيزيس» وهى تذرف دموعها على زوجها المفقود أوزيريس. وتفتتح بزفرتها موسم السموم اللافح من الحادى عشر فى شهر بؤونة إلى أن ينضج الزرع ويحتفل الضرع بما سرى فيه من تلك الدموع المباركة، وتلك الأنفاس المسعرة وكلها من نفحات الأرباب خيرات وثمرات، ولا سيما الربة التى تتحلى بحلية البقرة الولود الحلوب، بديلا من تيجان الربات والأرباب.

وقد حفظ ربات البيوت تلك الذكرى العزيزة المباركة ألوف السنين، وتوالى حفظها على الزمن حتى نسين أصلها القديم ولم ينسين موعدها المتجدد على مدى الأعوام.

وشاعت هذه الذكريات فى أقاليم القطر كله. ولكنها تأصلت فى إقليم الجيزة وبقيت فيه محفوظة ملحوظة بعد نسيانها فى أكثر الأقاليم. لأن إقليم الجيزة هو الموقع الذى ينتهى فيه مجرى النيل الموحد وتتفرع بعده مجاريه إلى الشمال والشرق والغرب، وفى جواره قامت منذ القدم عواصم منف وعين شمس وتتابعت محافل الأقدمين والمحدثين بكل موسم من مواسم النيل، وأبقاها إلى اليوم موسم العقبة وموسم التاريخ، وهى الليلة التى يقترن بها فصل السموم وفصل الفيضان، ويأتى على أثرها ميقات الانقلاب الصيفى الذى يحسبه أبناء الزمن الأخير بين الثانى والعشرين والثالث والعشرين من شهر يونية، وكان الأقدمون يرصدونه فى النصف الأخير من شهر بؤونة أو شهر «آبت سن سيت» على حسابهم لمواقيت الفيضان.

ومهما يكن من تجارب ربات البيوت وأربابها فى (خميرة) هذه الليلة دون سواها فالحق أنها ذكرى عزيزة ترث العزة من تاريخ طويل ولكنها على النقطة، ومعه مولد الشيخ إسماعيل.

ويلاحظ أن مولد الشيخ إسماعيل كان يعاد بموعده على حساب الأشهر المصرية القديمة ولا يعاد بحساب الأشهر الهجرية ولا الأشهر الميلادية. لأن مولده قد حل من الرعاية بين أهل الإقليم محل البقية الباقية من ذكرى الدمعة المقدسة، بعد أن فارقتها القداسة وحرمتها شعائر الدين، وبعد أن وافق المولد موعدها فى عام من الأعوام، ثم بقى على هذا الموعد الذى لم يتحول منذ عشرات القرون.

فليلة النقطة الحديثة، هى الليلة التى فاضت فيها دموع إيزيس فيما قبل هذا لا ينبغى أن تنسينا أن العجين يختمر فى كل بلد من بلدان العالم، وأن البلح يحمل نواته فى مصر وفى غير مصر، وأن الكرامة التى نحفظها لدمعة إيزيس وحدها تتكرر فى المشرق والمغرب حيث يجهلون اسم إيزيس ويجهلون ليلة النقطة ومولد الشيخ إسماعيل.

أزمة الموازنة بين الحقوق والواجبات!*

« يقول بعض المفكرين إن أزمة المثقفين فى العصر الحاضر هى أزمة روح لا أزمة ثقافة ويقول غيره إنهم قصروا فى التجاوب مع المجتمع، كما يقول آخرون إنهم لم يقصروا وإن النهضة القائمة الآن من ثمرات جهودهم، فهل توجد فى الحقيقة أزمة مثقفين فى الجيل الحاضر؟

وما مدى التطور الذى طرأ عليهم فى الزمن الحديث.. ؟ »

سعيد القصبى

البنك الأهلى المصرى - اسيوط

هذه الأسطر هى خلاصة خطاب للسيد سعيد القصبى، أوجز فيه آراء الأساتذة حسين فوزى، وزكى نجيب، وإسماعيل مظهر، ولطفى الخولى وغيرهم من أصحاب الآراء.

وعندنا أن أزمة الجيل المثقف هى أزمة أبدية تتجدد فى كل عصر، لأن الذى يولد فى القرن الأول للميلاد، جديد فى زمنه كالذى يولد فى القرن العشرين، ولكن الفارق بعد هذا واقع ملموس بين جيل هذا العصر وأجيال العصور الماضية.

أولا - لأن التغير العصرى أسرع خطاً وأبعد آثاراً من التغير فيما مضى من عصور التاريخ المعروف.

وثانياً - لأن المحيط العام على عهدنا الحاضر هو محيط الحياة العالمية، بل الحياة الإنسانية الواسعة المتقلبة، وهو محيط تتعدد فيه التيارات وتتعارض

---

* الأخبار ١٩٦١/٥/٢٤

الوجهات، ويحتاج إلى قوة من قوى التمييز والحكم بين الأضداد لم تكن بالأجيال الماضية حاجة إليها، ولم تكن حاجتهم إلى ما يماثلها عاجلة مصحوبة بالأخطار التي تصحب كل تهاون يقع فيه المثقف الحديث.

إلا أننا نعتقد اعتقاداً جازماً أن أكبر أزمة يتعرض لها المثقف الحديث هي أزمة الموازنة بين الحقوق والواجبات.

فالمثقف الحديث يفكر دائماً فيما هو من حقه، وفيما يعتقد أنه من حقه ويندر أن يفكر فيما يجب عليه.. وهذا هو مصدر الشكاية الكبرى من جانب المثقفين المعاصرين ومصدر الشكاية منهم في أكثر الأحوال.

لقد أفرط العالم القديم في فرض الواجبات على الناس وعود أبناءه أن يسمعهم من طفولتهم بالواجب نحو الآباء والواجب نحو الأسرة والواجب نحو الدولة والواجب نحو الجماعة والواجبات الكثيرة نحو الدنيا والآخرة.

فلما بلغ هذا الإفراط غاية شوطه وصلنا إلى رد الفعل واندفعنا فيه حتى كدنا أن نبلغ به الآن غاية الشوط من الطرف الآخر.

فالناس لا يسمعون بعد القرن السابع عشر بشيء غير الحقوق والمطالبة بالحقوق والمناقشة في الحقوق من كل نوع وعلى كل لسان.

سمعوا بحق الرعية ضد الرعاة، وحق المرأة ضد الرجل، وحق الناشئين ضد الراشدين المرشدين، وحق العاملين ضد أصحاب الأعمال، وحق المثقفين ضد المجتمع أو على المجتمع.. ولا شيء غير الحقوق والأحقاق والتحقيق وسائر ما يشقق ويتولد من هذه الحاء والقاف.

لكن أين هذه الواجبات؟

.. ماذا تقول؟ أتراك تتحدث عن الواجبات؟... عجيب والله هذا من الرجل العصري الذي ينكر الرجعية والجمود. وهل بقي في الدنيا شيء يسمى

الواجبات ؟ وهل يصح أن يطلبها الإنسان من نفسه إذا سكت عنها المطالبون وأعرض عنها السائلون والمسئولون ؟..

تلك هى المشكلة الكبرى..

تلك هى علة الشكاية التى نسمعها ألف مرة قبل أن نسمع مرة واحدة عن الرضا أو المقدرة.

وعندنا أن طلسم « افتح يا سمسم » فى العصر الحاضر هو أن تسأل كل شاك عن الواجبات التى ينهض بها كلما انطلق بالشكوى من ضياع الحقوق.

لأنه سيضطر لا محالة إلى اثنتين : إما الإقلال من شكاياته ودعاواه، وإما الاعتقاد بأنه يطلب الحقوق ولا يطالب بالواجبات، وهوضرب من الأنسانية العمياء يخجل منها كل مدع فى كل زمان.

أيها الشاكى من المجتمع ماذا صنعت أنت للمجتمع ؟

أيها الشاكى من الثمن الذى تبذله ما قولك أنت فى الثمن الذى تتقاضاه ؟

أيها الشاكى من القادرين عليك ماذا صنعت أنت بالذين قدرت عليهم أو الذين تقدر على منفعتهم ولو كانوا قادرين على ما ينفعك فى كل شىء عداه.

أيها المطالب بالحق ماذا فعلت بالواجب المطلوب منك أمام نفسك وأمام أقرب الناس إليك، ودع عنك الواجبات من الطالب البعيد والطالب المجهول والطالب الذى لا يزال فى عالم الغيب.

كلمة واحدة هى كلمة « الواجب » تحل نصف المشكلات التى يعانيها الجيل المثقف الحديث ويعانيها كل صاحب شكاية حيث كان، فإذا كان « المثقف الحديث » لا يقنع بزوال نصف المشكلات أو نصف الشكايات فهو مدع طماع، يستحق أن يضيع عليه ما يدعيه من حقوق

مدرسة فرويد فى جذورها الأخير*

ثلاثة من أطباء النفس هم فى حساب تاريخ العلم الحديث أقطاب المدارس الكبرى التى تفرعت عليها بعد ذلك عشرات من مدارس التحليل النفسانى وما إليه: وهم فرويد إمام المدرسة التى تعود بأكثر العلل النفسية إلى الكبت الجنسى وخباياه الدفينة فى أعماق الوعى الباطن.

و« أدلر » إمام المدرسة التى تعود بأكثر تلك العلل إلى محاولات الفرد فى سبيل تقرير ذاته وتوسيع معالمه الشخصية فى مجتمعه.

و« يونج » إمام المدرسة التى تفسر أحوال الإنسان بنسبته إلى نموذج من النماذج البشرية التى تنقسم إلى قسمين كبيرين: أحدهما متفتح قابل للاتصال بمن حوله، والآخر منطو يستقل بحياته الداخلية فى وسط البيئة الخارجية ولا يتم تفسير أحوال الفرد من المتفتحين والمنطوين بغير البحث فى أعماق وجوده الحاضر وأعماق وجوده المتأصل فى نوعه من أقدم تواريخه.

وينفرد « يونج » بين أقطاب التحليل النفسانى بأنه من غير اليهود الذين أوشكوا أن يحتكروا علاج الأمراض النفسية فى أواسط القارة الأوربية، فقد كان فرويد وأدلر يهوديين، وكان الكثيرون من أصحابهما وتلاميذهما على دينهما دخلاء على السلالة الجرمانية فى النمسا وألمانيا.

أما « يونج » فقد كان مسيحيًّا سويسريًّا، وكان كبراء أسرته من رجال الدين ومن المؤمنين بالأخلاق المثالية، أو الروحانية.

وقد كانت فرصة « يونج » فى دراسة مذهبه أوسع مجالا، وأطول أمداً من فرص الأقطاب الآخرين فى عصره، لأنه اشترك معهم فى بحوثهم وتجاربهم ثم

---

* الأخبار ١٩٦٣/٩/٢٥

لمس نتائج تلك البحوث والتجارب فعرف مواضع النقص فيها ومنافذ الخلل إليها وعاش بعد فرويد وأدلر جيلا كاملا ظهرت فيه آثارهم وتعليقات أنصارهم ومعارضيهم عليها، كما ظهرت فيه وسائل شتى للتحقيق العلمى لم تكن ميسورة لأولئك الرواد من قبله.

وفى أوائل هذه السنة ظهرت سيرة حياته فى كتاب مترجم عن الألمانية إلى الإنجليزية بعنوان «مذكرات وأحلام وتأملات» يحسبه المؤرخون للدراسات النفسية كتاب الموسم فى بابه، ويعتبرونه أشهر معالم الطريق على المفترق الحاسم بين النصف الأول والنصف الأخير من القرن العشرين.

ومن الملاحظات الممتعة التى استثارها ظهور هذا الكتاب ملاحظة جدية أوشكت أن تضاف إلى الفكاهات المضحكة لغرابتها ووضوح المفاجأة فيها.

فقد عهد البرنامج الثالث للإذاعة البريطانية إلى الأستاذ «جرهارد أدلر» بالتعليق على هذا الكتاب لأنه نشأ فى أحضان الدراسات النفسية وعرف يونج فى حياته الشخصية وفى عمله الطبى زهاء ثلاثين سنة، فكانت فاتحة الكلمة التى ألقاها بعد دراسة الكتاب والفراغ من مطالعته أنه كان يظن أنه عرف «يونج» كل المعرفة، فإذا هو يدرك بعد النفاذ إلى حياته الباطنة من خلال مذكراته وأحلامه وأسرار وساوسه ومعتقداته أن «يونج» الذى يعرفه غير (يونج) الذى تنكشف عنه تلك المذكرات، وأنه يفهم من ذلك معنى الرياضة الروحية التى تتطلبها قيادة النفس فى طريق التهذيب والتوفيق بين نقائض الطبائع والأفكار.

وتقرأ على الصفحات الأولى من الكتاب اعترافاً صريحاً يتكرر فى سياق صفحاته الباقية فحواه: إن العلامة الكبير الأمين على سره وعلانيته لم يؤمن بقاعدة واحدة تصلح للتطبيق فى جميع الحالات النفسية، لأن كل نفس بشرية هى أساس قاعدتها التى تصلح لمعالجتها، فلا تتشابه حالتان فى نفسين مريضتين

وإن ظهر للنظرة الأولى أن الأعراض فيهما متكررة، وأن الأقوال التى تصدر عنهما متماثلة وأنهما تشكوان من إصابة واحدة، لأنهما فى النهاية لا ترتفعان إلى الأمل المثالى الذى يجدد الثقة عندهما على سلم واحد، ولابد من كشف ذلك السلم فى كل حالة بما يناسبها.

وينتهى القارئ من الكتاب إلى تفرقة جوهرية لا غنى عنها لمن يشتغل بهذه الدراسات العسيرة الغامضة، وهى التفرقة بين الحالات النفسية والأمراض النفسية !

فليست كل حالة مرضاً مطلوب العلاج، ولا كل مرض حالة خاصة أو شذوذ عن السواء، وربما دلت الحالات على نماذج مختلفة فى درجة واحدة من الاستقامة والصحة، ولا يظهر لمن يراقبها شىء من الغرابة فيها إلا حين تصطدم فيما بينها ويصعب التوفيق بين نقائضها.

وعلى هذا النحو كان « فرويد » نفسه حالة واضحة لا تخفى على الملاحظة بعد صحبة قصيرة تنكشف فيها جميع أطوارها، وقد يسكون فيها شبه كبير بالحالات التى كان فرويد ينظر فى علاجها.

كان عرضة للإغماء على أثر بعض المفاجآت، وكانت مرارة الطبع خلة ملازمة له فى علاقاته بغيره، وكانت لأحلامه وجوه خفية ترمز إلى دلائلها فى سريرته الباطنة. وكانت له ضروب من القلق تنم على باعث من بواعث الحيرة المكتومة، وكان أظهر حالاته الخاصة أنه يحارب « التشبث » Dogma فى العقائد الدينية والعادات الخلقية، ولكنه يتشبث بالتفسير الجنسى للعقائد والعادات تشبثاً يربى فى إصراره وشدته على تعصب المتعصب اللدود لمذهبه ودينه، ومما كان يقوله ليونج منذ أوائل عهده بالتلمذه عليه : عدنى يا عزيزى يونج أنك لن تتخلى يوماً عن الإيمان بالتفسيرات الجنسية.

إلا أن يونج لم يلبث أن تزحزح بتفكيره شيئاً فشيئاً عن ذلك الإغراق فى

« العصبية الجنسية » التي تحيط بكل علة وتتغلغل وراء الأسرار فى أعماق كل طوبة، فوقعت النبوة بينه وبين أستاذه الأول، وبرزت مرة أخرى طية من طيات « الحالة الخاصة » فى نفس فرويد من أثر العادة والوراثة. فإن تلميذه الفرد أدلر قد خالفه كما خالفه يونج ولم يكن أقل من هذا إنكاراً « للعصبية الجنسية ».. ولكن القطيعة بين اليهودى « فرويد » واليهودى « أدلر » لم تبلغ قط مبلغها من تلك « المرارة » فى خصومة الأستاذ لتلميذه الذى لا ينتمى إلى إسرائيل ولا إلى السلالة النمسوية.

ولقد كان للخلاف بين الأستاذ وتلميذيه أثره فى إضعاف تلك العصبية الجنسية والتحول بها من تشبث « الدوجما » إلى نطاق التفسيرات المعقولة.

ولكن الإحصاءات اليوم تغنى عن أدلة العلم فى إضعاف العصبية الجنسية كما نادى بها فرويد فى أوائل التبشير بدعوته.

فالأرقام المحسوبة هى التى تقول اليوم لأمم الغرب إن ضبط الجنس ضرورة حيوية سليمة العقبى، وإن الإباحة الجنسية شر من الكبت فى خلق أزمات النفوس وتزهيد الفتيان والفتيات فى قيم الحياة العليا.

فالحرية الجنسية قد بلغت غاية الغايات فى الأمم السكندنافية، والإحصاءات الوثيقة خلال السنوات العشر الأخيرة تسجل هناك نسبة الانتحار بين الناشئة من الذكور والإناث فإذا هى أعلى نسبة فى السويد عند المقابلة بينها وبين أمم العالمين القديم والجديد.

إن الابتذال هو الذى يفقد العلاقة الجنسية كل معنى يرفعها من مهانة الشهوة الحيوانية إلى مرتبة « الحب » الجميل والاعتزاز بكرامة الشعور. وليس فقدان معنى العاطفة بعيداً من فقدان معنى الحياة، وهو أساس كل أزمة جامحة تعصف فى الوجدان بحب البقاء.

تصفية مدرسة فرويد*

بين القول ببطلان التحليل النفسانى على مذهب فرويد، والقول بانتهاء مدرسته إلى جزرها الأخير، مسافة شاغرة تمتلئ ببعض التفسير.

وفى هذا التفسير جواب لأصدقائنا القراء الذين اعتقدوا بعد قراءة يومياتنا السابقة أننا نلغى أثر الغريزة الجنسية من حساب التحليلات النفسية، ومنهم السيدان «شاهين نصر الله» بالقاهرة وحسنين أحمد طاهر بالزقازيق.

فمنذ هجر «فرويد» طريقة التنويم المغناطيسى لعلاج الأمراض النفسية قبيل نهاية القرن الماضى، كان بديله من هذه الطريقة تفسير كل سر من أسرار الضمير الإنسانى بعقدة الغريزة الجنسية المكبوتة... وقد أقبل على هذه الطريقة الجديدة بحماسة المؤمنين المتعصبين للعقيدة الدينية، وتقبل المؤيدون والمعارضون حماسته هذه بكثير من السماحة، لأنه كان يواجه بها تعصباً أشد منها من العرف الشائع الذى كان يفرض على الناس إهمال كل إشارة إلى الجنس تصريحاً أو تلميحاً فى الكتابة والحديث، كأنها الدنس المحرم الذى ينبذونه ويوشك أن يستكثروا على أنفسهم الاعتراف بوجوده.

ولما انقضى هذا الدور تحول الإفراط فى إهمال قضية الجنس بحذافيرها إلى الإفاضة فى أحاديثها ونوادرها وإقحامها على كل حديث وقصة كأنما هى الحياة كلها وليس فى الحياة الإنسانية شىء سواها.

وحان بعد هذه المرحلة دور التصفية للدعوة الفرويدية من بداءتها، ولكنها لم تكن تصفية إفلاس وإغلاق... وإنما كانت مرحلة التصفية لحسبان الأرباح والخسائر وحسبان الحقوق والديون، واستمرار العمل برأس المال الأول بعد إحصاء ما له وما عليه.

---

* الأخبار ١٩٦٣/١٠/٢

وهنا ظهر لمسألة الجنس شركاء كثيرون بين المسائل النفسية التى يرجع إليها المحللون لتعليل الطوايا والأسرار من وراء الحجاب، أو بغير حجاب، وأمكن تفسير هذه الطوايا والأسرار بالعلاقات الاجتماعية، وعلاقات الإنسان بعمله ومورد رزقه، بل أمكن تحويل هذه الطوايا أحياناً من عالم النفسيات « السيكولوجية »، إلى عالم الوظائف الحيوية التشريحية أو « البيولوجية الفيزيقية »، وثبت من تحقيقات الطب الجسمانى أن تركيب الخلايا والغدد يكفى لفهم الكثير من نقائض الجنس التى كان فرويد يفتش عنها فى ألغاز الكبت الجنسى، وما يشبهها من ألغاز، عقدة أوديب، وعقدة « الكترا » بالنسبة إلى النساء عند خلفائه، وسمح المحللون بالاختلاف الواسع فى أذواق الأصحاء بغير حاجة إلى التعمق فى استخراج الأسرار الدفينة المطوية تحت ألفاف الضمير، وربما سمحوا باستقصاء الأسرار دون أن يكون فى ذلك معنى الكشف عن المرض الدخيل، لأن وجود الأسرار وراء أذواقنا وشهواتنا لا يستلزم أن تكون مرضاً من أمراض العوج والانتكاس، فليست كل شهوة واضحة السبب حالة صحيحة مبرأة من الزيغ والانحراف، ولا كل شهوة خفية السبب بعيدة الغور حالة سقيمة يبتلى بها المرضى الممسوخون، ولا يتصف بها الأصحاء على سواء الخلق والتكوين.

ولا فرق بين حالات الأذواق الجسدية، وحالات الأذواق النفسية فى هذا الاعتبار.

فقد يجتمع فى المكان الواحد مائة إنسان يحب كل منهم صنفاً من الفاكهة لايحبه الآخرون، ولا يحق لواحد منهم أن يتخيل أن صنفه المختار هو الصنف الوحيد الذى يختاره الأصحاء ويرفضه غير الأصحاء.

وما يقال عن اختلاف الأذواق الجسدية فى اختيار الفاكهة، يقال كذلك عن اختلاف الأذواق النفسية فى تفضيل ألوان المحاسن والأخلاق وأصناف « الفواكه » الفنية والثمرات الفكرية بين مختلف العصور، أو فى العصر الواحد والبيئة الواحدة.. ومن هنا ظهر الفرق بين الحالات النفسية والأمراض النفسية

مهما يكن نصيب أسبابها من الوضوح أو الغموض ومن الاقتراب أو الابتعاد فى مذاهب التفسير والتأويل.

ولو أمكن إحصاء العلل والحالات التى عالجها الأطباء النفسانيون، لجاز أن ترجع نسبة الكبت الجنسى إلى أقل من النصف، وأن يخرج من حساب الكبت الجنسى كل زاجر من زواجر ضبط النفس فى المسائل الجنسية التى ثبت ثبوتاً قاطعاً أن حالتها الصحيحة تستلزم هذا الضبط بين جميع الأحياء، من الحيوان الأعجم إلى الإنسان الرشيد فى أرفع طبقات الشعور والتفكير.

فالغريزة الجنسية فى الحيوان محدودة بأوان لا تتعداه.

والإنسان البدائى فى عهود الهمجية يعوض هذه الحدود الطبيعية بالمحظورات العرفية التى يطلقون عليها اسم (التابوت Taboes)..

والإنسان المتحضر يحيط هذه الغرائز بضوابط من الشرع والقانون ومبادئ الأخلاق وميول الأذواق تستقيم بها على سواء الفطرة، أو تنحرف عن السواء كلما انزلقت من ضوابطها هذه إلى الشيوع والابتذال.

التطور المصلحى فى عقائد الدين*

ونحمد الله أننا سنحمده مرة أخرى قبل ختام هذه اليوميات لما نرى من الغيرة على العلم والدين بعد الغيرة على الفن على اللغة.

يقول «السيد نجدى صبره» إنه اطلع فى إحدى الصحف يوم (١٩ أكتوبر على كلام بعنوان أفكار سريعة يقول كاتبه إن مقدمة برنامج «عشرون سؤالا» قالت :

أولا - إنه ليس للإسلام كنيسة منظمة.

ثانيا - إن الإسلام لا يتطور بسرعة، ووجهت اللوم إلى رجال الفكر، لأنهم لم يطوروا الإسلام، وهاجمت بعض النظم المنصوص عليها فى القرآن فيما يتعلق بإباحة تعدد الزوجات..

ثم يقول «السيد نجدى صبره» إنه يستطلع الرأى فى الرد على هذه الملاحظات إنصافاً للحقيقة وللدين.

وجملة الرأى المتفق عليه فى الموضوع كله، على مانعتقد، أن ندوة العشرين سؤالا قد أحسنت فى اختيار مسألة الزواج للبحث فيها وإسماع جمهرة المستمعين طرفاً من مناقشات الحاضرين حولها، لأن هذه المسألة من أولى المسائل بالمناقشة فى مجالس عامة يشهدها الشباب ويشتركون فى بحوثها.

ولكنها كانت جديرة بالاستعداد لها من جوانبها المتعددة، لأنها تتشعب إلى مذاهب شتى من نواحيها التاريخية الاجتماعية، ونواحيها الأخلاقية العاطفية، ونواحيها الدينية التقليدية.

---

* الأخبار ١٩٦٣/١٠/٣٠.

وإذا بحثت من ناحيتها الدينية التقليدية فمن الواجب أن يحيط البحث بتفاصيل التطور الإنسانى «الأنثولوجى» فى هذه المسألة، وأن يضاف إلى ذلك شىء جوهرى غير النظر فى تفاصيل التطور، لأن التطور - كما هو معلوم - يتناول المسائل التى تتعلق بالمصالح المتبدلة بين زمن وزمن وبين أمة وأمة، ولكن الدين ينظر إلى مقصد آخر غير هذه المقاصد التى تتبدل على هوى الجماعات والأفراد، كما خطر لها ذلك بغير وازع غير المنفعة المتبدلة.

وذلك المقصد الآخر الذى يصاحب أدوار التطور «المصلحى» فى عقائد الدين هو مقصد الإيمان بضمير إنسانى يدين بالواجب أمام الله، وأمام المعبود فى العقائد الدينية كيفما كان اسمه ومسماه.

فالمسيحية يوم قام بين آبائها الأولين من يستحسن الزواج من امرأة واحدة لم تفعل ذلك رعاية لتطور المرأة فى مكانتها الاجتماعية، لأن المرأة بقيت على مكانتها المعهودة قبل المسيحية إلى ما بعد ظهور المسيحية بمئات السنين، ولم يزل أناس من رجال الدين والفكر إلى القرن الخامس عشر يبحثون عن خلاص المرأة وهل هى ذات روح يتعلق بها الخلاص، أو هى جسد محض يهلك بعد مفارقة الحياة كما تهلك جميع الأجساد.

وإنما استحسن الرسل والآباء الأكفاء بالزوجة الواحدة لأنه شر أهون من شر الزنى، وعصمة لمن لا يصبر على شدائد الرهبانية.

وقد قال بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، إنه «حسن للرجل ألا يمس امرأة. ولكن لسبب الزنى ليكن لكل واحد امرأته ولكل واحدة رجلها»

ثم قال : «ولكنى أقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا، ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزوج أصلح من التحرق».

ولم يكن حكم التطور هو الذى قضى بإنصاف الإسلام للمرأة. فقد كان

obeikandi.com

العالم الإنسانى كله وظل بعد الإسلام مئات السنين ينكر على المرأة كل حق من الحقوق الاجتماعية والاقتصادية، ويعاملها معاملة الرقيق، بل معاملة الحيوان الأعجم، يوم أمر الإسلام برعاية الحقوق والواجبات فى معاملة النساء: «ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف... و «إنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى».

ولم يكن حكم الإسلام فى تعدد الزوجات خلقاً لهذا النظام فى تاريخ الأمم القديمة أو الحديثة، ولا كان الإسلام موجباً لتعدد الزوجات يستحسنه ويحض عليه، لأنه نهى عن تعديد الزوجات من لا يستطيع العدل بين النساء، وجاء بحدود لم يكن لها وجود فى دين من الأديان، وإنما كان تعدد الزوجات فوضى بغير حدود وكان من أنبياء بنى إسرائيل من يجمع بين ألف من الزوجات والسرارى والإماء.

والأمر الذى يغفل عنه الكثيرون، أن إباحة تعدد الزوجات فى الإسلام، إنما هو فى حقيقته رخصة للمرأة التى تريده باختيارها، وليس رخصة للرجل إذا أراد.

فمهما يكن من إرادة الرجل فهو لايستطيع البناء بامرأة واحدة لاتختاره فضلا عن الجمع بين امرأتين أو ثلاث أو أربع على هواه.

وإذا كان قبول المرأة شرطاً واجباً لصحة كل زواج، فالرخصة إذن فى مصلحة المرأة التى تختاره وترى من أحوالها فى الأسرة أنها هى الرابحة فى هذا الاختيار.

ولقد عرفنا نحن كما عرف غيرنا أحوالا غير نادرة كانت المرأة توازن فيها بين جميع الاعتبارات فتخرج من هذه الموازنة بتفضيل تعدد الزوجات على ما عداه.

رجل كان متزوجاً من ابنة خاله مضت عليه سنوات لم يرزق فيها البنون،

وثبت بالتحليل الطبي أن زوجته هى العقيم. وقد علمنا أن الزوجة هى التى كانت تحث ابن عمتها على التزوج من امرأة تنتقيها له بعلمها، وكان ذلك خيراً عندها من الطلاق أو بقاء الرجل عقيماً مدى الحياة محروماً من الذرية.. ولو أنها رأت غير هذا الرأى لكانتَ مثلا فى «الأنانية» البغيضة تهون معه كل أنانية للرجل المزواج.

وامرأة أخرى أصيبت بالشلل ولم يستطع الرجل أن يعينها بخادمة تنقطع لملازمتها ولا بخادم يصلح لمعونتها على ضروراتها، وكان حل المشكلة كلها فى الرضا بتعدد الزوجات وبالجمع بينها فى البيت وبين قريبة لها تعطف عليها وتنقذها من معيشة المرأة المشلولة المطلقة بعد خروجها من بيت زوجها.

فإذا قيل إن الزواج لا يتعدد كله لأمثال هذه الأسباب، فلا حيلة فى الحقوق التى يساء استعمالها ولا رقابة عليها لغير ضمائر أصحابها، وإذا كان فى هذه الحقوق التى يساء استعمالها ذنب لأحد من الزوجين فذنب المرأة أسوأ من ذنب الرجل الذى قبلت أن تعيش فى كنفه مع ضرتها.

أما إذا قيل إنها ضرورة الحاجة فمن ظلم الشريعة أن تحرم المرأة تدبير حاجتها وأن تفرض عليها حرماناً أشد عليها من الحرمان الذى ترتضيه.

وللضرورات الاجتماعية والفردية حقها من رعاية الشريعة الحكيمة العادلة، وبعض هذه الضرورات قد يظهر منه أن الحكم على الشرائع ومصالح الاجتماع أعظم جدًّا من أن يتسع له رأس صغير يخيل إليه أن قصص الجيب هى المطالعة الوحيدة اللازمة لفض المشكلات والافتاء بلغة (حزام) فى تطور الأديان وشرائع الأسر والجماعات.

فهرس الموضـوعات

	الصفحة
مقدمة الكتاب	٣
التاريخ ظالم أو مظلوم	٧
أهم مراحل القضية المصرية	٨
مهمتان نسيميتان	٨
هل هو علم الغيب	٩
توفيق نسيم عبيط	١٠
قبل تحطيم أكبر رأس	١٢
المجتمع يدلل الشباب	١٦
الواقعية	١٧
اللغة والجهل	١٩
البدل والعوض	٢٠
بل علموهم معنى المسئولية	٢٢
مشكلات الشباب	٢٢
ما هو هذا المجتمع؟	٢٣
غرور الشباب	٢٤
المعرفة الممتازة	٢٤
الامتياز الموهوم	٢٥
المتعلم المخدوع	٢٦
لماذا؟	٢٧
الشباب: ليته يعود.. كيف يعود؟.. هكذا يعود	٢٨
حلاوة بنار	٢٩
مشكلة أولى	٢٩
مشكلة ثانية	٣٠
ومشكلة ثالثة	٣١
ومشكلات شتى	٣١
ليست حلاوة بغير نار	٣٢
دواء له ماضٍ	٣٣
سر مفستفوليس	٣٤
وفى القرن التاسع عشر	٣٥

الصفحة

وهنا القرن العشرون	٣٦
فكرة شائخة	٣٦
إذا كنت تبحث عن الرشاقة سافر إلى المريخ	٣٨
بين الحس والنظر	٤١
ضريبة الشهرة	٤٣
لورنس دورويل ورباعية الإسكندرية	٤٤
والمال أيضاً ظالم أو مظلوم	٤٧
الجوائز الأدبية	٤٩
تشرشل وكبنلج	٥٠
الدعايات العالمية	٥٢
وماذا تصدق من مصدق؟	٥٤
طوالع العام وطوالع العالم	٥٨
صناعة سهلة	٥٨
الشاطر هانس	٥٩
من أين لك هذا	٦٠
الكرة الأرضية تدور يميناً	٦٣
طوالع العـالم	٦٣
ألوان الأيام	٦٦
نموذج حى	٦٨
وهذا هو المعنى	٧٠
الأديب لا الإمبراطور	٧١
أعظم من سقراط	٧٤
بعد يوم	٧٦
هذه الزلازل	٨٦
دنشواى وزلزال مسينى	٨٦
ومن ذكرياته الأدبية	٨٨
ومع الفلسفة	٨٩
وفى الدين	٩١
مبالغات زمان	٩٣
الجبل والهرم	٩٤
سبت النور	٩٦
مع طه حسين	٩٧
الشباب العائد	١٠٢

الصفحة

الأطباق الطائرة ١٠٤
معاكسات التليفون ١٠٥
سحر الجواهر.. وسحر الكواكب ١٠٦
كنز الجميع ١٠٧
أمثلة لها جواب ١٠٨
البقشيش ١٠٨
الكوكب المهجور ١١٠
ذكاء الحمار ١١١
صناديق أوراق أو معايير أخلاق وأذواق ١١٣
فن الاستفتاء ١١٤
المراهنة والاستفتاء ١١٥
طريقة العدد ١١٥
طريقة الدرجة ١١٦
طريقة المزاج ١١٧
فتش عن الاستفتاءات ١٢٠
وشاهد من اليونسكو ١٢١
معايير أخلاق لا صناديق أوراق ١٢٢
الأوليمب للإيجار ١٢٣
حديث المريخ ١٢٧
حديث عطارد ١٢٨
حديث منيرفا ١٢٨
جوبيتير يتكلم ١٢٩
صورة الأيام ١٣٢
حالات نفسية ١٣٩
الضحـك ١٤٠
حظك هذا الأسبوع ١٤٢
الطربوش ١٤٤
غرائب العادات ١٤٥
الطربوش الأبيض ١٤٦
على رأس فتاة ١٤٨
تقدم إلى الوراء ١٤٨
مورفين الحب ١٥٣
أسرار الحياة ١٥٥

obeikandl.com

الصفحة

التفوق فى كرة القدم ١٥٨
تغيير العادات بعد الشباب ١٥٩
ظلم الحمير ١٦٠
القيلولة ١٦٣
وولادة العذراء مرة أخرى ١٦٣
نجاح الشيطان ١٦٥
الذرة والسلام ١٦٧
١٣-١٤ .... ١٦٩
يوم من أيام أمشير.. ولكننا الآن فى برمهات ١٧١
ميزان غير متعادل ١٧٦
يوم الرؤية ١٧٧
أنواع من اليوميات ١٧٩
ضرب النبابيت ١٨٨
تقابل الأحداث ١٩٤
خوارق ١٩٦
دور سيد درويش ١٩٩
الرسم والتصوير المجرد ٢٠١
فن الغناء تقدم طولا وعرضاً ولكن لم يرتفع ٢٠٣
التقريب ٢٠٦
الطابع الشخصى ٢٠٦
التنــوع ٢٠٧
غرور المصطلحات ٢٠٨
التأخــريون ٢٠٩
على المسرح وبين التصوير ٢١١
قواعد علم الجمال ٢١٥
صلاة ٢٢٠
الشيوخ والشباب ٢٢١
علماء فى السماء وعلماء تحت الأرض ٢٢٣
تضارب الأطباء ٢٢٦
سبحة الاستخارة ٢٢٨
شموع عيد الميلاد ٢٣٠
ألف جيمس دون ٢٣١
الحروف الضيقة ٢٣٣

الصفحة

الخمسون والخماسين	٢٣٦
مواعيد الصحف	٢٤٠
فى السجن	٢٤٥
التزييف والذكاء	٢٤٩
تغيير عواطفك وتصرفاتك بالتيار الكهربائى	٢٥٠
حيرة واعية	٢٥٦
الفتاة والنقد المسرحى	٢٥٨
الموسيقى اللانغمية	٢٥٩
الشفاة الرمادية.. بين الجديد والقديم	٢٦٠
الموسيقى اللانغمية أيضاً	٢٦٤
الفن للفن	٢٦٦
الصور الشمسية وجمود الآلات	٢٦٩
الفازورة والصور التجريدية	٢٧٢
لوحات الفن فى مرآة الأشواق	٢٧٥
الاشتراكية والغناء	٢٧٧
الحضارة الأوربية فى القرن العشرين	٢٧٩
بين الفن للفن والأدب الاشتراكى	٢٨٣
ضبط النغم	٢٨٦
رواد أهملناهم	٢٩٠
صالح عبد الحى	٢٩٣
نغمات الجاز تصيب السامع بالمغص	٢٩٦
الرائد سيد درويش	٣٠٠
أغانى الأمة دليل على رقيها	٣٠٢
الهوس بفن التصوير فى الغرب	٣٠٦
الأناشيد الوطنية	٣١١
والأناشيد مرة أخرى	٣١٤
ذكرى سيد درويش	٣١٦
أفلاطون والغناء	٣١٩
أسماء المدارس الأوربية تعرف بأضدادها	٣٢١
الفارق بين التطور والموضة	٣٢٥
رقص البطن	٣٢٨
بين الأصوات الوافية وبساطة الألحان	٣٣٠
هل الانقطاع للمنولوج يصرف المستعد عن الأدوار المسرحية	٣٣٢

الصفحة

كلنا مسئولون	٣٣٥
خواطر مكسور	٣٣٩
مصير الطير فى المدينة	٣٥٠
خيانة الزوجين	٣٥٣
التثاؤب دليل الذكاء واليقظة	٣٥٤
مضغ اللبان	٣٥٦
الاختراع	٣٥٧
من عبر الحرب الماضية	٣٦١
المدنية والحضارة	٣٦٤
خلق الأفراح	٣٦٦
الحياة فى الفضاء.. وهل هى موجودة؟	٣٦٨
العقل الرياضى ممتاز	٣٧٢
إعادة الحياة للموتى	٣٧٥
الطائر المهاجر	٣٧٧
ضريح ستالين	٣٧٩
العلاج بالغدد الطازجة	٣٨٢
أدب المرور	٣٨٧
خطة مشتركة لخدمة مصالح الأمم	٣٨٩
تأليف الحيوان	٣٩١
الشك فى سكنى الكواكب	٣٩٤
علم قراءة الكف	٣٩٦
بين كذبة ابريل وشم النسيم	٣٩٨
علاج الحرب الذرية لا يكون بالعجز عنها	٤٠٣
إعادة الحياة	٤٠٦
الذاكرة ملكة مستبدة	٤٠٩
وجوه جديدة من السائحين فى أسوان	٤١٤
أذان الفجر	٤١٩
غطاء الرأس	٤٢٠
الحياة الزوجية	٤٢٤
حضانة الأطفال	٤٢٨
مصادفة تكشف أسراراً عميقة	٤٣٠
آخر ورقة	٤٣٢
أدب المرور	٤٣٣

obeikandi.com

الصفحة

العمامة والعلم الفرنسى ٤٣٥
رفقاً بالأيدى ٤٣٦
عقوبة الإعدام ٤٤٠
عقوبة الإعدام ٤٤٢
ألوان الجلود والصواريخ ٤٤٤
إلغاء عقوبة الإعدام ٤٤٧
العالم بين الحرب والسلام ٤٥١
الزى الجامعى فى الجامعات ٤٥٥
مجانين البطء ٤٥٧
هبوط الرياضة عندنا ٤٥٩
العالم منذ ثلاثين ألف سنة ٤٦٢
عمر الإنسان ٤٦٤
الفول المدمس ٤٦٧
طول العمر ٤٦٩
قلم جديد. لا.. بل ذاكرة جديدة ٤٧١
ما أكثر البقية تأتى فى تاريخنا الحديث ٤٧٧
العقائد البهيمية أخطر من الحرب ٤٨٥
أوهام العلماء ٤٨٩
معنى الشعب ٤٩٣
لا جديد تحت الشمس ٤٩٦
عسل النحل ٤٩٩
معلهش من واردات الغرب ٥٠٢
جلسة تحضير الأرواح فى بيتى ٥٠٩
لماذا لا يتكلم فهمى أبو الخير عن الآخرة ٥١٢
نزاهة المرأة ٥١٤
سأكتب كل أسبوع ٥١٥
تحديد النسل ٥١٦
حاشية على اليوميات ٥١٧
جرثومة الحياة ٥١٩
حواء والأزياء ٥٢٣
الجنون والعبقرية ٥٢٥
فى انتظار الدليل الحاسم ٥٢٨
على البلاج ٥٣٠

الصفحة

قصر نفس الصحافة ٥٣١
مواسم مسيحية ٥٣٣
قوة المرأة ٥٣٥
علم الكف ٥٣٨
سعادة الإعطاء ٥٤٢
ذكاء للطالب الثانوى ٥٤٣
وليم ستيد وتحضير الأرواح ٥٤٥
سيئات تعدد الزوجات ٥٤٩
يأجوج ومأجوج ٥٥١
الطب وعلم النفس ٥٥٣
الأديان هى التى علمتنا أن الأرضين والسموات عامرة بالخلائق الحية ٥٥٦
حكمة الحياة ٥٦١
القداسة والتصوير ٥٦٤
الأنغال المتولدة من حيوانين موجودة فى كل مكان ٥٦٦
تحضير الأرواح ٥٧٠
تحديد الزوجات بقانون ٥٧٧
قانون لمنع تعدد الزوجات ٥٨١
الخط والشخصية ٥٨٢
الشهادة أعلى فضائل الإنسان ٥٨٤
ترجمة القرآن ٥٨٩
خرافات الشرق والغرب ٥٩٢
صحيح ولكن ٥٩٤
باطل لاشك فيه ٥٩٤
الانتخابات ٥٩٦
كلهم فى الهوا سوا ٥٩٧
الصحيح وغير الصحيح ٥٩٨
وقد تصدق أحياناً ٥٩٩
سر الحياة والخلود ٦٠٠
ويبقى سر الخلود ٦٠١
السيد المطاع ٦٠٣
أطفال شكسبير ٦٠٧
الصهيونية والنبوغ ٦٠٩
إن هى إلا الأسماء ٦١١

الصفحة

موجة من الإباحية ٦١٤
الفاطميون ورؤية رمضان ٦٢٤
ديانة لسنج ٦٢٦
العقد النفسية ٦٢٩
عدد سبعة........ ٦٣١
خواطر عيد الميلاد........ ٦٣٤
من رجعات الماضى........ ٦٣٦
بقايا البريد ٦٣٩
عصر الصيام ٦٤٣
القاضى التركى ٦٤٣
كذب المنجمون ٦٤٤
ولا لوم على الشرع ٦٤٥
المسئولية الفردية ٦٤٥
عصر الصيام........ ٦٤٦
ونحن اذن مودرن ٦٤٧
وفى العلم والطب ٦٤٨
توبة أهرنبرج ٦٥٠
سلام الجزر بعد سلام البحار ٦٥٣
من كشمير إلى وادى التيه ٦٥٩
نحن والاسبرانتو ٦٦٢
رمضان يعود ويغير العادات ٦٦٥
هنيئاً للصابرين الباذلين فى مواسم الدنيا والدين ٦٦٩
الصبر والكرم ٦٧١
قنبلة على تل رمل ٦٧٣
اسم الاشتراكية ٦٧٨
عاشوراء ٦٨١
اتقان شىء من الأشياء لا يمنع الإلمام بغيره ٦٨٥
الاشتراكية مذهب جمال الدين ٦٩٠
دمعة إيزيس ٦٩٠
أزمة الموازنة بين الحقوق والواجبات ٦٩٧
مدرسة فرويد فى جذرها الأخير ٧٠٠
تصفية مدرسة فرويد ٧٠٤
التطوير المصلحى فى عقائد الدين ٧٠٧

رقم الإيداع	٤٠١٨ / ١٩٨٥	
الترقيم الدولى	٩٧٧-٠٢-١٣٧٠-٥	ISBN

١ / ٨٢ / ١١٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

obeikandi.com